

دولة ليبيا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الأكاديمية الليبية - فرع مصراتة

قسم الدراسات الإسلامية

رسالة بعنوان:

"البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير"

تأليف:

أبي المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني (ت785هـ)

من سورة آل عمران حتى سورة المائدة

دراسة وتحقيق

مقدمة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الإجازة العالية (الماجستير)

إعداد الطالب:

هشام عمر احمد أبوقرين

رقم القيد (15145)

إشراف الأستاذ الدكتور:

أحمد محمد ارحومة

العام الجامعي

(1438-1439)

(2017-2018)

قرار لجنة المناقشة للطالب




هشام عمر إمام أبو قرين

للحصول على درجة الإجازة العالية (الماجستير) في قسم (الفلسفة والدراسات الإسلامية)

قامت اللجنة المشكلة بقرار السيد/ رئيس الأكاديمية الليبية/ رقم (رقم 271) لسنة 2017م الصادر بتاريخ 2017/07/16م بمناقشة الرسالة المقدمة من الطالب: هشام عمر إمام أبو قرين لنيل درجة الإجازة العالية (الماجستير) في قسم (الفلسفة والدراسات الإسلامية) وعنوانها:

(البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير لمؤلفه أبي المحامد عفيف بن سعيد بن مسعود الكازروني من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة المائدة . دراسة وتحقيق)

وبعد مناقشة الرسالة علنياً على تمام الساعة (10:00 صباحاً) يوم الاثنين الموافق 2017/07/31م بقاعة المناقشات بالأكاديمية وتقويم مستوى الرسالة العلمي والمنهج الذي اتبعه الطالب في بحثه قررت اللجنة ما يلي: قبول الرسالة ومنح الطالب: هشام عمر إمام أبو قرين درجة الإجازة العالية (الماجستير) في قسم الفلسفة والدراسات الإسلامية.

التوقيع	الصفة	أعضاء اللجنة المناقشة
	مشرفاً ومقرراً	السيد/ أ. د. أحمد محمد رحومة
	عضواً	السيد/ أ. د. جمعة محمد الأحول
	عضواً	السيد/ أ. د. جمعة مصطفى الفيتوري

يعتد

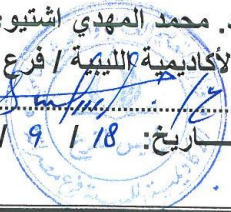
د. إبراهيم مفتاح الصغير
عميد مدرسة العلوم الإنسانية بالأكاديمية
التوقيع:
التاريخ: 9 / 14 / 2017 م



د. إبراهيم مفتاح الصغير
رئيس قسم الفلسفة والدراسات الإسلامية بالأكاديمية
التوقيع:
التاريخ: 9 / 14 / 2017 م



د. محمد المهدي اشتيوي
رئيس الأكاديمية الليبية / فرع مصراتة
التوقيع:
التاريخ: 9 / 18 / 2017 م



إقرار الأمانة العلمية

أنا الطالب هشام عمر محمد أبوقرين المسجل بالأكاديمية الليبية / فرع مصراتة بقسم الفلسفة والدراسات الإسلامية تحت رقم قيد(15145) أقر بأنني التزمت بكل إخلاص بالأمانة العلمية المتعارف عليها لإنجاز رسالتي المعنونة بـ(البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير تأليف أبي المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني ت785هـ من سورة آل عمران حتى سورة المائدة دراسة وتحقيق) لنيل الدرجة العلمية الماجستير وأني لم أقم بالنقل أو الترجمة من أية أبحاث أو كتب أو وسائل علمية تم نشرها داخل ليبيا أو خارجها إلا بالطريقة القانونية وبتابع الأساليب العلمية في عملية النقل أو الترجمة وإسناد الأعمال لأصحابها ، كما أنني أقر بعدم قيامي بنسخ هذا البحث من غيري وتكراره عنوانا أو مضمونا .

وعلى ذلك فإنني أتحمل المسؤولية القانونية المترتبة على مخالفتي لذلك إن حدثت هذه المخالفة حاليا أو مستقبلا بما في ذلك سحب الدرجة العلمية الممنوحة لي.

والله على ما أقول شهيد

الإسم: هشام عمر محمد أبوقرين .

التوقيع:

التاريخ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ

سورة النحل الآية (89)

الإهداء

إلى أبي - رحمه الله - وأمي - أطال الله عمرها - سبب وجودي

إلى من أرشدني وعلمني أستاذي الفاضل الدكتور أحمد ارحومة

إلى زوجتي وأولادي

إلى كل صديق معين

إلى كل مخلص لله تعالى وعرف القرآن فعمل به وعلمه

أهدي ثواب هذا العمل

الشكر والتقدير

أقدم بالشكر الجزيل إلى عائلتي الكريمة وإلى والدتي الغالية وإلى زوجتي وأولادي، كما أترحم على والدي وأسأل الله أن يتقبله من الصالحين وأن يسكنه فسيح جناته إنه على كل شيء قدير، كذلك الشكر إلى شقيقي محظي لكتاب الله - عز وجل - الشيخ الدكتور أحمد عمران الكميبي أبو شعالة أسأل الله أن يبارك فيه وأن يجعله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر ...

والشكر موصول لكل الأصدقاء والزملاء والأصحاب الذين وقفوا معي وساندوني وساعدوني ونصحوني ولو بشطر كلمة، وأخص بالذكر الدكتور علي محمد الجمل فلهم مني جميعاً كل تقدير واحترام ...

كلمة شكر وعرّفان

أتقدم بالشكر والاحترام إلى مشرفي الأستاذ الدكتور أحمد محمد رحومة على ما بذله من جهد في سبيل إظهار هذا العمل بهذه الطريقة، وعلى سعة صدره وصبره وتوجيهاته، وحسن استقباله في مكتبه، فنسأل الله أن يمدّ عمره في طاعته، وأن ينفع به العباد والبلاد، وأن يكتب اجتهاده في موازين حسناته .

الطلبة الذين قاموا بتحقيق بقية المخطوط:

الطلبة الذين قاموا ويقومون بدراسة وتحقيق كتاب (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير)

لأبي المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني هم:

- 1- الطالب محمد شكلاوون، أخذ تفسير سورة الفاتحة والبقرة.
- 2- الطالب هشام أبوقرين، أخذ تفسير سورة آل عمران والنساء والمائدة.
- 3- الطالب أحمد بادي، أخذ تفسير سورة الأنعام والأعراف والأنفال والتوبة.
- 4- الطالب خالد الشاوش، أخذ من بداية سورة يونس إلى نهاية سورة الإسراء.
- 5- الطالب سالم رمضان ضو، أخذ من بداية سورة الكهف إلى نهاية سورة النور.
- 6- الطالب محمد الشريف، أخذ من بداية الفرقان إلى نهاية سورة فاطر.
- 7- الطالب خالد إسماعيل، أخذ من بداية سورة يس إلى نهاية سورة الفتح.
- 8- الطالب عبدالهادي الفيتوري، أخذ من بداية سورة الحجرات إلى نهاية سورة التحريم .
- 9- الطالب بشير قليصة، أخذ من سورة الملك إلى نهاية سورة الناس.

المقدمة

القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هو المعجزة الخالدة التي آيد الله بها نبيّه محمداً ﷺ فتحدى به العرب وهم أهل البلاغة والفصاحة والبيان فعجزوا عن الإتيان به ولو بسورة ، به استطاع المسلمون الأوائل أن يكتبوا أمجادا اهتزت لها الدنيا، وعلى مناهجه وهداه سارت كتائب الإيمان في مشارق الأرض ومغاربها، كتاب كريم عظيم، ينير للبشرية طريق الهداية والصلاح ، يبين الخير من الشر والصحيح من السقيم، يقوم الأخلاق، يهذب السلوك، منهجا واضحا لا يقاس ولا يقارن مع المناهج، يبين كيف يتعامل المسلم مع أصدقائه بل ومع أعدائه ، يصحح التوحيد والعقيدة على أساس متين لا يشوبه أدنى شرك، طريقا صحيحا إلى الجنة ، ولذا فإن العبد المسلم أمر بالفهم مع التلاوة، وأمر بالتدبر مع القراءة، لهذا صلح أمر الصحابة والسلف الكريم في حياتهم وتعاملاتهم، ينعكس كلام الله في حياتهم فكانوا كالنجوم في دياجير (1) الظلام .

ولما أعرضنا عن كتاب الله فهما وتدبرا واقتصرنا على تلاوة موسمية لا ترقى ومعاني كتاب الله العزيز ، أصابنا الخوف والضعف والاضطرابات، قال الطبري - رحمه الله - "إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله ، كيف يتلأأ بقراءته" (2) .

وقد ظهر علم التفسير مع نزول القرآن الكريم، ولكن ليست بالصورة الموجودة الآن؛ لأن صحابة رسول الله ﷺ شاهدوا التنزيل وعاصروا الحوادث، ولهذا نجد أبواب التفسير ذكرت في كتب السنن، ككتاب التفسير من صحيح البخاري.

وللتفسير اتجاهات متعددة، أشهرها: التفسير بالمأثور الذي يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة أو بعمل الصحابة، أو بما قاله كبار الصحابة كالتابعين.

(1) دياجير جمع ديجور وهو الظلام ، ينظر: لسان العرب 4/ 277.

(2) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن 1/ 10.

وتفسير ابن كثير - الذي تشرفت بتحقيق مختصره- من أشهر ما دون في تفسير بالمأثور بعد تفسير الطبري، فلقد فسّر كتاب الله بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها مع الكلام عليها جرحاً وتعديلاً، وتصحيحاً وتضعيفاً، كما نبه إلى منكرات الإسرائيليات، ويذكر أيضاً الأحكام الفقهية كلما دعت الحاجة إليها.

وتكمن أهمية تفسير ابن كثير، أنه وقعت عليه كثير من الشروح والمختصرات أذكر منها:-

- فتح القدير في تهذيب تفسير ابن كثير.

- تفسير الرحمن الرحيم في اختصار تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

- التيسير في اختصار تفسير كلام ابن كثير.

- لباب التفسير من ابن كثير.

- المصباح المنير في تفسير ابن كثير.

- القبس المنير الملخص من تفسير ابن كثير .

وبعدما كانت الرغبة في دراسة شيئاً من تفسير القرآن الكريم، أعانني الله - مع ثلة من الطلاب - أن اطلعنا على مختصر ابن كثير وهو "البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير" للشيخ عفيف الدين بن سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود الكازروني، فقامت بتسجيله في الأكاديمية الليبية - فرع مصراتة- لنيل الدرجة العالية الماجستير، وبعد القبول والموافقة عليه من قبل اللجنة، كُلفت بتحقيق الجزء من اللوحة (67ب) إلى اللوحة (140ب) أي بداية من سورة آل عمران إلى آخر سورة المائدة.

أهمية الموضوع:

يعتبر علم التفسير من أنفع علوم الدنيا، فهو يتعلق بكتاب الله تعالى؛ إذ أنه يتعرف من خلاله إلى معاني القرآن الكريم، التي تساعد المسلم على الاهتداء للعمل الصالح ونيل رضى الله - سبحانه وتعالى - والفوز بجنّته، وذلك بالعمل بأوامر والانتهاز عن نواهيه،

والاعتبار بقصصه وأخباره، ويكمن أهمية هذا العلم ما ارتبط بكلام النبي ﷺ وآثار السلف.

ف تفسير ابن كثير هو من أهم التفاسير المعتمدة بالمأثور، وإن كان فيه بعض الروايات من الإسرائيليات فهي قليلة بالنسبة إلى غيره، وهذا لا يقلل من أهميته، لأنه دائما يسند ما روى، ومن أسند فقد برئ من العهدة.

أسباب اختيار الموضوع:

1- الرغبة في دراسة تفسير القرآن والنهل من معينه الصافي ، سيما وأن أكرمني الله بحفظه.

2- أهمية تفسير ابن كثير، حيث أنه يتناول التفسير بالمأثور وهو أقوى أنواع التفسير.

3- أهمية المخطوطات بشكل عام سيما وما يتعلق منها بكتاب الله العزيز.

4- التعرف على ألفاظ الكريم من حيث أقوال المفسرين فيها.

5- الاهتمام بتراث عفيف الدين الكازروني وإظهاره للناس؛ حتى لا يضيع كما ضاع كثير من تراث المسلمين .

6- المشاركة مع بقية الطلبة الذين ساهموا في هذا المخطوط لإظهار الكتاب كاملا محققا؛ لتعم الفائدة.

7- ما يتحصل عليه الطالب من معلومات جامعة من خلال دراسته لهذا المخطوط.

أهداف البحث:

1- الرغبة في الإسهام في إحياء التراث الأصيل .

2- العناية بتراث هذا العالم الجليل وإخراج مؤلفاته - سيما - وأني لم أطلع له على كتب محققة أو مطبوعة إلى الآن.

الدراسات السابقة:

من المعلوم أن هناك دراسات كثيرة دارت حول تفسير ابن كثير، وهذا من مظاهر عناية أهل العلم بكتاب الله تعالى ونشر علومه، فإن تفسير الحافظ ابن كثير - رحمه الله - المسمى (تفسير القرآن العظيم) قد حظي بعناية كبيرة ورعاية شاملة من أهل العلم وطلاب؛ لأهميته ولتصدر مؤلفه - رحمه الله - في التفسير والحديث والفقہ واللغة والأدب، ومن ذلك ما عمله عدد من العلماء والطلاب من اختصار، ومن هذه المختصرات:-

- 1- البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير للكاظمي.
 - 2- العلم الغزير في تفسير ابن كثير للزرعي.
 - 3- مختصر تفسير ابن كثير لابن اليونانية.
 - 4- عمد التفسير عن الحافظ ابن كثير لأحمد شاعر .
 - 5- تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير للرافعي.
 - 6- مختصر تفسير ابن كثير للصابوني.
 - 7- الدر الثير في اختصار تفسير ابن كثير لابن موسى آل نصر .
 - 8- مختصر ابن كثير لابن سعيد راجح .
 - 9- المتقى في تهذيب تفسير ابن كثير للمشهداني.
 - 10- لباب التفسير لابن كثير لابن إسحاق آل الشيخ.
 - 11- حسن التحرير في تهذيب ابن كثير للنجدي.
 - 12- القبس المنير الملخص من تفسير ابن كثير للأشقر.
- إلا أن هناك جزئية وهي موضوع البحث في اعتقادي - والله أعلم - أنه لم يتطرق إليها من قبل.

منهج البحث:

اتبعت في المناهج العلمية كل المناهج عامة، وبخاصة المنهج الاستقرائي، وهو يقوم على التبع بأمر جزئية على ذلك للملاحظة والتجربة لافتراض الفروض ولاستنتاج أحكام عامة منها.

هيكلية البحث:

تشمل هذه الدراسة على مقدمة وفصلين وخاتمة، ذكرت في المقدمة أهمية القرآن الكريم في حياتنا، وكيف تعامل السلف الصالح الكريم معه، وذكرت معنى التفسير بالمأثور، وإسهام ابن كثير - رحمه الله - في هذا النوع من التفسير، وذكرت بعضاً من مختصرات تفسير القرآن العظيم، وأسباب اختيار المخطوط، وأهميته، وتناولت في الفصل الأول: المقارنة بين مختصر "البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير" ومختصر "القبس المنير"، وتناولت في الفصل الثاني: جانب التحقيق، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:-

الفصل الأول: جانب الدراسة، ويحتوي على:-

المبحث الأول: التعريف بمؤلفي المختصرين.

المبحث الثاني: موقفهما من الأسانيد.

المبحث الثالث: موقفهما من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

المبحث الرابع: موقفهما من الإسرائيليات.

الفصل الثاني : جانب التحقيق : وتحتوي هذه الدراسة على تحقيق (73) لوحة ، بداية سورة آل عمران (لوحة 67ب) إلى آخر سورة المائدة (لوحة 140ب) ، منتهجا في ذلك بالآتي :-

1- اعتمدت على نسخة واحدة وهي التي توفرت عندنا أثناء التحقيق وهي من مكتبة نور عثمان بتركيا، كما اعتمدت على تفسير ابن كثير في تحقيق المخطوط.

- 2- اجتهدت في أن أخرج النص في أقرب صورة أرادها المؤلف بما أتيح لي من وسائل.
- 3- وثقت النقول التي صرح بها المؤلف - رحمه الله - من المصدر الذي نقل منه وإلا بما أتيح لي من وسائل.
- 4- بينت الألفاظ التي تحتاج إلى شرح وبيان وفق المصادر الأصلية.
- 5- عند وجود تصحيف أو تحريف، أثبت الصواب وأضعه بين معكوفين [] وأشار إلى ذلك في الهامش.
- 6- رتبت الأعلام والمصادر التي اعتمد عليها المؤلف حسب المنهج التاريخي.
- 7- خرجت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ، ورقم الآية وحصرتها بين قوسين مزهرين ﴿﴾ وضبطها بالشكل معتمداً في ذلك على رواية حفص بن عاصم.
- 8- خرجت القراءات القرآنية بعزوها إلى مصادرها .
- 9- خرجت الأحاديث النبوية الشريفة ، بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث من المصدر الذي أشار إليه المؤلف أو غيره مع بيان صحتها أو ضعفها - إن أمكن -.
- 10- إذا تكرر النص اكتفيت بتخريجه في المرة الأولى.
- 11- خرجت الآثار بإرجاعها إلى كتب الآثار أو من مصدر آخر.
- 12- عزوت الأبيات الشعرية إلى مصادرها مع ذكر قائلها - إن أمكن -.
- 13- خرجت الأمثال بإرجاعها إلى كتب الأمثال كلما يسّر ذلك.
- 14- ترجمت الأعلام الواردة أسماؤهم في النص المحقق عند ورود العلم أول مرة ولم أترك إلا ما تعذر.
- 15- تتبعت علامات الترقيم كل حسب موضعه.

16- جعلت في نهاية التحقيق خاتمة ذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج والصعوبات التي واجهتني في البحث.

17- حاولت أن أربط السور بعضها ببعض بذكر العلاقة فيما بينها بإيجاز.

18- حاولت - في بعض المواضع - أن أقارن بين هذا المخطوط وبين تفسير ابن كثير.

19- ذكرت لكل مصدر معلومات النشر عند التعرض إليه في الهامش لمرة واحدة.

20- وضعت الفهارس ورتبت فيما بينها ترتيباً أبجدياً ؛ ليسهل تناول البحث على النحو التالي:-

فهرس الآيات.

فهرس الحديث والآثار.

فهرس الأبيات.

فهرس الأعلام.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات العامة.

والله من وراء القصد

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الفصل الأول:

جانب الدراسة

وتحتوي على:

دراسة مقارنة بين مختصر الكازورني ومختصر القبس المنير لمحمد سليمان الأشقر وتحتها أربعة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بمؤلفي المختصرين.
- المبحث الثاني: موقفهما من الأسانيد.
- المبحث الثالث: موقفهما من الأحاديث الضعيفة والصحيحة.
- المبحث الرابع: موقفهما من الإسرائيليات.

المبحث الأول: التعريف بمؤلفي المختصرين

أولاً: التعريف بمؤلف (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير)

اسمه:

هو: محمد بن محمد المعروف بسعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي ابن أحمد بن عمر بن إسماعيل بن الأستاذ أبي علي الدقاق هو الحسن بن علي بن محمد ابن إسحاق أبو المحامد بن سعيد الدين أبي محمد الضياء البيلاني النيسابوري ثم الكازروني الشافعي⁽¹⁾ ، وقد وقع خطأ في اسمه نتيجة الخلط الذي بينه وبين ابنه (سعيد بن محمد بن مسعود، عفيف الدين، أبو سعد) فقد أوردت بعض المصادر اسم الابن⁽²⁾ مما وقعت بضع التراجم في حيرة.

نسبه:

نسبة إلى كازرون وهي إحدى بلاد فارس التي ينتسب إليها كثير من العلماء والفضلاء، ومنهم أبو عمر عبد الملك ابن علي بن عبد الله الكازروني، وكان يعد من الفضلاء مجابي الدعوة⁽³⁾.

مولده:

ولد في ثاني عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وسبعمائة، ببلاد فارس، ونشأ بها⁽⁴⁾

(1) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين أبو الخير السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت 21/10، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل البغدادي، طبع بعناية وكالة العارفين الجليلة في مطبعتها البهية - استنبول. 1951م 391/1، واللوحة 2/ب من المخطوط.

(2) ينظر: جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين لعبد الحميد بن علي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة 55/1.

(3) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 21/10، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل البغدادي، طبع بعناية وكالة العارفين الجليلة في مطبعتها البهية - استنبول. 1951م 391/1، واللوحة 2/ب من المخطوط.

(4) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 21/10، والأعلام 101/3، وهدية العارفين 391/1.

شيوخه:

للكازروني شيوخ أجازوه منهم الحافظ المزي⁽¹⁾، والبرزالي⁽²⁾، والذهبي⁽³⁾، وغيرهم، بالإضافة إلى ما صرح به في مقدمته من أن ابن كثير كان شيخا له (لما نظرت في تفسير شيخنا شيخ الإسلام، قدوة الأئمة الأعلام، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء القرشي، روح الله روحه، ووالي من الرحمة فتوحه، وجدت كتابا جامعا لأنواع العلوم الدينية...)⁽⁴⁾.

مصنفاته:

- للکازروني - رحمه الله - مصنفات عديدة منها: -
- تعريب المنتقى في سير مولد النبي المصطفى ﷺ لوالده سعيد الدين.
- شرح جامع الصحيح للبخاري.
- شرح النجم من كلام سيد العرب والعجم للإقليشي.
- المطالع المصطفوية في شرح مشارق الأنوار النبوية للقاضي عياض.
- شفاء الصدور. وغير ذلك⁽⁵⁾.

(1) هو: يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن عبد الملك ابن علي بن أبي زهر الكلبي الدمشقي، إمام الحفاظ والمحدثين، إليه تنسب راية السنة والجماعة، أعجوبة زمانه، يقرأ عليه القارئ نهارا كاملا، والطرق تضطرب والأسانيد تختلف، وضبط الأسماء يشكل وهو لا يسهر ولا يغفل، ولد ربيع الآخر سنة 654هـ، وتوفي سنة 745هـ، من تصانيفه كتاب تهذيب الكمال، ينظر: طبقات الشافعية للسبكي 395/10.

(2) هو: القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البرزالي الدمشقي، الحافظ، أحب الطلب، وسمع بنفسه، ودار على الشيوخ، وأكثر عن ابن الخير، ولد سنة 665هـ، وتوفي ذاهبا إلى مكة سنة 739هـ، ودفن في بجليص، ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 277/4.

(3) هو: شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الذهبي، حافظ زمانه، قرأ القراءات السبع، وصنف التصانيف المشهورة النافعة، ولد سنة 673هـ، وتوفي سنة 748هـ، ينظر: طبقات الشافعية لعبد الرحيم الأسنوي، دار الكتب العلمية، ط: 1 - 2002م 273/1.

(4) ينظر: اللوحة 2/أ، من المخطوط.

(5) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى القسطنطيني، مكتبة المثنى - بغداد 1941م، 2/1930، وهدية العارفين 392/1، ومعجم المؤلفين 231/4.

وفاته:

توفي رحمه الله - فيما اطلعت عليه من مصادر - في أواخر جمادى الآخرة سنة 785هـ⁽¹⁾ ، وما ذكره العسقلاني في كتابه⁽²⁾ ، من أن وفاته كانت 758هـ، فهذا - والله أعلم - لبس بينه وبين والده، حيث كانت وفاة الأخير.

ثانيا : التعريف بمؤلف (القبس المنير مختصر من تفسير ابن كثير)

اسمه:

هو: محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد الأشقر بن سليمان دغلس، عالم إسلامي، وفقهيه أصولي، نشأ في كنف والده الذي كان أميا، إلا أنه كان يجب أهل العلم والإيمان ويبرهم.

مولده:

ولد في برقة نابلس بفلسطين 16 أيلول سنة 1930.

شيوخه:

أخذ العلم عن مشايخه الأجلاء، فأخذ التفسير وأصول الفقه على الشيخ محمد أمين الشنقيطي، والفقه والعقيدة على الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل باز، والفرائض على الشيخ عبد الرحمن الإفريقي، والنحو على الشيخ عبد اللطيف سرحان.

مصنفاته:

للمؤلف - رحمه الله - رسائل ومؤلفات عدة منها:-

- الواضح في أصول الفقه للمبتدئين.

(1) ينظر: الأعلام 3/ 101، وهدية العارفين 1/ 391.

(2) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبي الفضل العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند، ط: 2 - 1392هـ 7/6.

- زبدة التفسير من فتح القدير.
- التأمين على الحياة، وإعادة التأمين.
- أحكام المال الحرام، وحكم إخراج الزكاة.

وفاته:

توفي - رحمه الله - الأحد 27 ذو القعدة 1430هـ، إثر تدهور صحته بعد نقله إلى
المستشفى⁽¹⁾.

(1) ينظر: مختصرات تفسير القرآن العظيم للحافظ المفسر أبي الفداء، ومناهج مختصرها لأحمد صالح، الأثرية للطباعة والنشر، ط: الأولى 1436هـ ص 84.

المبحث الثاني: موقفهما من الأسانيد

أولاً: موقف الكازروني من الأسانيد:-

عند ذكره - رحمه الله - للأحاديث، فإنه يحذف السند، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته عندما قال: " وتركت فيه الأسانيد والمكررات... " ⁽¹⁾ ويحكم على الحديث في الغالب، وهذا ظاهر وجلي، مثل قوله: كما ثبت في الصحيح، أن رسول الله ﷺ قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ⁽²⁾، وقوله، كما جاء في البخاري، أن رسول الله ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة...» ⁽³⁾، وقوله، كما جاء في البخاري عن عمران بن حصين، أن رسول الله ﷺ قال: « صل قائماً...» ⁽⁴⁾، وقوله، عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه...» ⁽⁵⁾

وليس معنى ذلك، أن الأسانيد صحيحة، فقد يكون السند ضعيفاً، كما نبه عليه الإمام أحمد في الحديث «إن الله يقبل توبة عبده...» ⁽⁶⁾، وقد يكون مرسلًا، كما في الحديث «أما من في السماوات فالملائكة» ⁽⁷⁾ وقد يكون جيداً قوياً، كما بين ذلك في قول عمر بن الخطاب «إني نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن...» ⁽⁸⁾، وقد يكون إسناده صحيحاً على شرط الشيخين كما في حديث «إذا نزلتم يقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا...» ⁽⁹⁾.

(1) ينظر: اللوحة 2/ب، من المخطوط.

(2) ينظر: ص 57 من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص 104 من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص 146 من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص 208 من هذه الرسالة.

(6) ينظر: ص 178 من هذه الرسالة.

(7) ينظر: ص 83 من هذه الرسالة.

(8) ينظر: ص 181 من هذه الرسالة.

(9) ينظر: ص 303 من هذه الرسالة.

ثانيا: موقف الأشقر من الأسانيد:-

لم يتعرض - رحمه الله - إلى الأسانيد، فقد كان يذكر الحديث خال من السند وهذا كثير مثال ذلك: قوله، وفي الحديث الصحيح، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه...»⁽¹⁾.

وقوله، قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته...»⁽²⁾، وقوله، قال رسول الله ﷺ «لا يقتل مسلم بكافر...»⁽³⁾، وقوله، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «اشفعوا تؤجروا...»⁽⁴⁾ وغير ذلك كثير.

وتارة يشير إلى الإسناد بأنه صحيح، مثل قوله، لكن روي عن ابن عباس بإسناد صحيح «أنه كان يرى السدس الذي حجبه عن أمهم...»⁽⁵⁾، وتارة يبين بأنه مرسل⁽⁶⁾، مثل قوله، «إن لأنفسكم حقا...»⁽⁷⁾.

(1) ينظر: القبس المنير الملخص من تفسير ابن كثير لمحمد سليمان الأشقر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: 1 - 1430 هـ / 199/1.

(2) ينظر: القبس المنير الملخص من تفسير ابن كثير 186/1.

(3) ينظر: المصدر السابق 286/1.

(4) ينظر: المصدر السابق 228/1.

(5) ينظر: المصدر السابق 197/1.

(6) وهو: ما سقط آخره بعد التابعي، ينظر: شرح التبصرة والتذكرة، لأبي الفضل العراقي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1423 هـ.

(7) ينظر: المصدر السابق 301/1.

المبحث الثالث: موقفهما من الأحاديث

أولاً: موقف الكازروني من الأحاديث:-

اعتنى المؤلف - رحمه الله - بسرد الأحاديث الصحيحة، فكان غالباً ما يعبر بالحديث بأنه صحيح أو في الصحيحين، وعند التابع - والله أعلم - كان يريد البخاري ومسلم أو أحدهما، فاستدل بالأحاديث النبوية من مسند الإمام أحمد والكتب الستة والموطأ وغيرها، مثل قوله، وعن عبادة بن الصامت قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل الوحي أتر عليه...»⁽¹⁾، وقوله، عن ابن عباس قال: «قام النبي ﷺ وقام الناس معه...»⁽²⁾، وقوله، كما ثبت في الصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء...»⁽³⁾، وقوله، وفي الصحيحين عن سعد، قال: «رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله...»⁽⁴⁾، وقد يشير أحياناً بأنه صحيح عند النووي، كما في حديث «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم...»⁽⁵⁾، وتارة يرجح بين الأحاديث فيقول: والموقوف على رواية ابن مسعود أصح، مثال ذلك، حديث «الشفاعة لمن وجبت له النار»، وتارة يبين بأنه حديث حسن غريب، كما في قوله، عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد...»⁽⁶⁾، وتارة يبين بأن الحديث حسن، كما في قوله، عن ابن عمر، قال: «قام رجل إلى النبي ﷺ فقال: من الحاج؟...»⁽⁷⁾.

(1) ينظر: ص 175 من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص 275 من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص 300 من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص 122 من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص 240 من هذه الرسالة.

(6) ينظر: ص 178 من هذه الرسالة.

(7) ينظر: ص 92 من هذه الرسالة.

وتارة يبيّن بأنها مرفوعة إلى النبي ﷺ، مثل قوله، كما في سنن أبي داود عن علي مرفوعاً «لا يتم بعد احتلام...»⁽¹⁾، وتارة يذكر الحديث، ويبيّن بأنه موقوف، مثل قوله، وعن ابن عباس موقوفاً، قال: «الإضرار في الوصية من الكبار»⁽²⁾، وتارة يبيّن بأنه حديث غريب، كما في حديث «إن الله أمر بالمدارة...»⁽³⁾.

وقد يذكر الحديث، ويتبيّن عند الاستقراء أنه ضعيف، مثال ذلك، قوله، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في حج أو عمرة رجل جراد...»⁽⁴⁾. وقوله، كما قال رسول الله ﷺ «ما أضر من استغفر، وإن عاد سبعين مرة»⁽⁵⁾.

ثانياً: موقف الأشقر من الأحاديث

اعتمد - رحمه الله - على الأحاديث الصحيحة أو الحسنة، مثل قوله، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه...»⁽⁶⁾. وقوله، قال رسول الله ﷺ «من ظلم قيد شبر من الأرض...»⁽⁷⁾، وغير ذلك كثير مما يذكر تخريجه من مصادر الحديث، وأحياناً يذكر الحديث دون ذكر تخريجه، وعند البحث يتبين بأنه صحيح، مثل قوله، أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»⁽⁸⁾، فقد أخرجه البخاري⁽⁹⁾، وقوله، وقال رسول الله ﷺ «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم

(1) ينظر: هذه الرسالة ص 164.

(2) ينظر: هذه الرسالة ص 174.

(3) ينظر: هذه الرسالة ص 128.

(4) ينظر: هذه الرسالة ص 439.

(5) ينظر: هذه الرسالة ص 114.

(6) ينظر: القبس المنير ص 174.

(7) ينظر: القبس المنير ص 183.

(8) ينظر: القبس المنير ص 191.

(9) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: فضل رباط يوم في سبيل الله [2892] 35/4.

لأهلي»⁽¹⁾ ، فقد أخرجه الترمذي⁽²⁾ . وتارة يذكر الأحاديث الضعيفة، وينبه عليها، مثل قوله، عن عائشة «أن رسول الله ﷺ قبل بعض نسائه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ»، وقال الترمذي: سمعت البخاري يضعف هذا الحديث⁽³⁾ ، وقوله، وقيل: وهو قول ضعيف: لما أسر العباس وعقيل ونوفل...⁽⁴⁾ ، وقوله، «إن لأنفسكم حقا...»⁽⁵⁾ .

(1) ينظر: القبس المنير ص 201.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، ب: في فضل أزواج النبي ﷺ [3895] 6/192.

(3) ينظر: القبس المنير ص 215.

(4) ينظر: المصدر السابق ص 233.

(5) ينظر: المصدر السابق ص 301.

المبحث الرابع: موقفهما من الإسرائيليات.

أولاً: موقف الكازروني من الإسرائيليات:-

كان منهج الكازروني في الأخذ بالإسرائيليات منهج ابن كثير في تفسيره، سيما وهو يعتمد على التفسير بالمأثور، ولا يعتمد على الإسرائيليات وأكاذيبهم؛ لما في ذلك من الإضلال على الناس، ويستثنى من ذلك، ما إذا كان صحيحاً موافقاً لشرع الله، أو مسكوتاً عنه، لا ما عُلم كذبه، فقد قال النبي ﷺ «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»⁽¹⁾ فقد كان خالياً من الإسرائيليات تقريباً إلا القليل الذي يحكيه ثم ينبه عليه، مثال ذلك: ما حكاه منقولا عن العتيبي في زيارة الأعرابي قبر رسول الله ﷺ واستغفاره عنده...⁽²⁾.

ثانياً: موقف الأشقر من الإسرائيليات:-

أورد - رحمه الله - بعض ما أخذ ابن كثير في الإكثار من الإسرائيليات، بناء على القاعدة التي أخذ بها - رحمه الله - السالفة الذكر، وبين أنه كان ينبغي عليه - رحمه الله - أن يترك إيراد الأخبار التي تغلب على الظن أنها مكذوبة، فتجنب الأشقر - رحمه الله - هذا القصور - على حد وصفه - الذي وقع فيه ابن كثير - رحمه الله - فتجنب إيراد مثل هذه القصص المستغربة، التي أطال المفسرون ذكرها في كتبهم، حيث إنها تدخل على القراء تصورات فاسدة، وأمور واهية، لا ينبغي على المسلم أن يتصورها..

(1) أخرجه أبو داود في سننه، ك: العلم، ب: الحديث عن بني إسرائيل [3662]، وحكم الألباني بأنه صحيح .107/1

(2) ينظر: هذه الرسالة ص93.

الفصل الثاني

جانب التحقيق

وتحتوي هذه الدراسة على تحقيق (73) لوحة من المخطوط، بداية من سورة آل عمران (لوحة 67ب) إلى آخر سورة المائدة (لوحة 140ب)

وصف المخطوط

اعتمدت على نسخة واحدة وهي ما توفرت لدي وهي من مكتبة نور عثمان بتركيا مصنفة تحت رقم (384)

- اسم المؤلف: أبو المحامد، عفيف الدين بن سعيد بن مسعود بن محمد الكازروني.
- اسم النسخ: محمد بن الشيخ إبراهيم بن محمود الحافظ الجولمي الهجرمي.
- عدد اللوحات كاملة (582) لوحة، في كل لوحة صفحتان: (أ،ب) .
- عدد اللوحات المراد تحقيقها: (73) لوحة.
- عدد الأسطر في كل صفحة: (30) تقريبا .
- متوسط عدد الكلمات في كل سطر: (17) كلمة تقريبا .
- حالة المخطوط: جيدة، لا يوجد خرم أو ضياع لجزء منها كما أنه خطه بشكل عام ليس فيه طمس ومقدور على قراءته جيدا، وبه تعليقات على الهامش .

اصل الكتاب سبت بها لا يقين مكتوبات في جميع الكتب وقيل في المشابهات انهم منسوخة ومقدمه ومؤخره واساله واقامه
وما يؤمن به ولا يعمل به ويكفرها الحرف المقتطعة في اواخر السور واكثرها قيل في ذلك هو الذي نص عليه محمد بن اسحق بن
حاش قال منه آيات احتملت فيهن حجة الرب وعصمة العباد ورفع الحصرم والباطل ليس له تحريف ولا تصريف كما في بعض
عليه في المشابهات والصدقات تحريف وتحريف وما قيل استلهم من العباد كما ابتلاه في الخلال والحكم لا يصرن
الى الباطل ولا يخرجن عن الحق وهذا قال تعالى فاما الذين الذين في قلوبهم زيغ اي ضلال وخروج عن الحق الا الباطل فيقولون
ما كنا به منتهى اي انما اخذون منه بالمشابهة الذي سلكهم ان يخرجون الى مقاصد يهدم الفاسد ويتركون علي الاحكام المشاهير
لفظه لا يصرقنه واما الحكم فلا يثبت لهم فيه لانه وانع لهم وحجة عليهم وهذا ما لا يتقوا والقصة اي الاضلال لا تسمعهم
ايها ما لهم انهم يخرجون على يد عبيد في القرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما لو اخرج الضاري بآيات القرآن باطن بان عيني مع
الله وكلنا القاصد الصبر وترابوا الاحكام فله ان هو لا يعبد انفسا عليه وغيرها من آيات المصحة عليه بانه خلق من الله
مخلوقات الله وعد رسول الله صلى الله عليه وآله وآله اي يخرجونه على ما يريدونه وكالذي سلك يتبعون ان يطلعوا
ما يكون وما عوانة في القرآن عن عابده قال لا رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي انزل على الكتاب
منه آيات محكمات هن ام الكتاب وانهم مشابهات الى قوله اولوا الالباب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا رايت الذين
يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين هم رواد الفجاري في الحديث انه عليه الصلوة والسلام قال قد جعلت الله
فاذا رايتهم فاعرفهم فحدث انهم المواجه ومناجحة فان اول بديعة وقت في اسلام فنه المواجه وقصة عبيد
في حديث ذي المواجه ثم كما روي فيهم ايام علي بن ابي طالب فقلعهما بالهجران ثم شقت منهم شعوب وقبائل قلاء
واهواء ومقاتلات ومثل كثيرة متشعبة ثم تبيت القدر ثم المعزلة ثم الحفصية وغير ذلك من الروع التي اخرجها الصادق
المصدق في قوله ستقرن ههنا الامة على طيات وسبعين وهم كلها في النار لا واحدة قالوا ومن هذا رسول الله قال ما انا عليه
تأملوا اخرجهم المالك في حديثه وقوله وما يعلم تاويله الا الله الخلفاء في الوقت ههنا فضل على الجلالة كما لان عن النبي
اربعه ائمة فقتلوا بغير احد فيهم وفي تفسيرهم العرب والمعاينة في تفسيرهم الا لا يخبرون في العلم وتفسيرهم الا الله عز وجل المشاهير
وبه فالطائفة من السلف وعمران قال كان ابن عباس يقرأ ما يعلم تاويله الا الله وتقولوا لا يخبرون آتاه اي انهم مؤمنون
ولا يعلمون تاويله وحكي ابن عباس ان قراءة عبد الله بن مسعود ان تاويله الا عند الله والاسخري في العلم يقولون واخبره منهم
يقف على قوله والاسخري في العلم يقولون منهم من يقف على العلم ومنهم من يفسر من العسرين والاصوليين وقالوا الخلفاء لا يفهمون الا ما
بيد وعن ابن عباس قال اما من الاسخري الذي يعلمون تاويله وعن مجاهد والاسخري في العلم يقولون ما يله يقولون آتاهه قوف
المحدث ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا ابن عباس فقال اللهم فقهه والدين وتعلمه الاويل والاسخري في العلم على الخلفاء في
وهذا الذي اعتقوا عليه يثبت له بطلانهم في معرفة فهم شك واصله من ربيع النبي وهو قوله والمراد المحققين ومن العلماء
فصل وهذا المعام وقال السائل يظن ورايه في القرآن متبين احدهما بغير حقيقة النبي وما قيل امر اليه ومنه قوله تعالى
ودفع امره على العرب الى قوله حقا وقوله هل سطره الا ما واهي يوم بان تاويله اي حقيقة ما اخرجت اياه من المهاد فان اذ
بالانيل هذا الوقت على الجلالة لان حقان الامور وكيفية الايكلي على الجلية الا الله وتكون قوله والاسخري في العلم يستاء
آتاهه جيرة واما ان ايد بالانيل المعنى الاخر وهو التفسير في البيان والتفسير في الاكبره بعتنا بنا واهي اي يتسفر في ان يدي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل القرآن
مكتوبا في جميع الكتب
وقيل في المشابهات
انهم منسوخة ومقدمه
ومؤخره واساله واقامه
وما يؤمن به ولا يعمل به
ويكفرها الحرف المقتطعة
في اواخر السور واكثرها
قيل في ذلك هو الذي نص
عليه محمد بن اسحق بن
حاش قال منه آيات
احتملت فيهن حجة الرب
وعصمة العباد ورفع
الحصرم والباطل ليس له
تحريف ولا تصريف
كما في بعض علي في
المشابهات والصدقات
تحريف وتحريف وما قيل
استلهم من العباد كما
ابتلاه في الخلال والحكم
لا يصرن الى الباطل ولا
يخرجن عن الحق وهذا
قال تعالى فاما الذين
الذين في قلوبهم زيغ
اي ضلال وخروج عن
الحق الا الباطل فيقولون
ما كنا به منتهى اي انما
اخذون منه بالمشابهة
الذي سلكهم ان يخرجون
الى مقاصد يهدم الفاسد
ويتركون علي الاحكام
المشاهير لفظه لا يصرقنه
واما الحكم فلا يثبت
لهم فيه لانه وانع لهم
وحجة عليهم وهذا ما لا
يتقوا والقصة اي
الاضلال لا تسمعهم
ايها ما لهم انهم
يخرجون على يد عبيد في
القرآن وهو حجة عليهم
لا لهم كما لو اخرج
الضاري بآيات القرآن
باطن بان عيني مع
الله وكلنا القاصد
الصبر وترابوا
الاحكام فله ان هو لا
يعبد انفسا عليه
 وغيرها من آيات
المصحة عليه بانه
خلق من الله
مخلوقات الله
 وعد رسول الله
 صلى الله عليه وآله
 وآله اي يخرجونه
 على ما يريدونه
 وكالذي سلك
 يتبعون ان يطلعوا
 ما يكون وما
 عوانة في القرآن
 عن عابده قال
 لا رسول الله
 صلى الله عليه وآله
 هو الذي انزل
 على الكتاب
 منه آيات
 محكمات هن ام
 الكتاب وانهم
 مشابهات الى
 قوله اولوا
 الالباب قال
 رسول الله
 صلى الله عليه
 وآله وسلم
 فاذا رايت
 الذين يتبعون
 ما تشابه
 منه فاولئك
 الذين هم
 رواد
 الفجاري في
 الحديث انه
 عليه الصلوة
 والسلام
 قال قد جعلت
 الله

بسم الله

هذا المعنى في حق علي والبايعين في العلم لا يفهمون بما غوطوا به بهذا الاعتبار وان لم يحيطوا على حقيقة
 الايمان وعلمه ما هو عليه وطى هنا يكون قوله يقولون آتاه به حال وشاع هذا وهو ان يكون من المعطوف دون المعطوف
 عليه وقوله يقولون آتاه به اي آتاه به كل من عليه من الجوع من الحكم والاشارة حتى وصديق وكل واحد منهما يصرف في حق
 وتفيد له لان الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بخلاف ولا يتصا ذلك قوله اهلا شديت وت القرآن الى قوله كثيرا ولهذا قال
 وما يدرك الا اولها لا يلب اي انما يفهمه فيقول وسيد العاقل على وجهها او بالاهل السليمة والفهم المستتبه وسئل رسول
 صلوات الله عليه وسلم عن الرجل يفتي بدينه واستقام عليه ومن عتقت بطنته ووجهه فذلك من المؤمن في العلم
 وعن عبد الله بن عمر سمع رسول الله صلوات الله عليه وسلم وما يتدبرون في القرآن فقال انا املك من كان بكم بعد ان ضربوا كبا لله
 بفضله يبعث في الامايز كبا لله بفضله بفضله فصلا فلا يكون ايقضه سبعين فاعلم منه فتقولوا وما جعلكم قبلكم الى عالمه
 رواه احمد وابن ماجه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة اجنحة والبراءة في العلم كبر الشا
 ما عرفتم منه فاعلموا به وما جعلكم منه فرد في العالمه حدث صحيح الاشارة في العالمه بغيرها بغيره عن نعيم قال رسول الله
 لا يرفع قلبنا بعد اذ هربنا اي لا يرفعنا عن الهدي بعد اذ اقتنا عليه ولا تجعلها كالذئب في طوبى من ربح الذي يبعثون ما اتوا
 من القرآن ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم وديك القويم وهب لنا من ذلك راحة نبتق بها اولنا ونجمع بها اخواننا و
 تروى ايضا ما يانا وايضا ما لك انت الوهاب وعن ام سلمة ان النبي صلوات الله عليه وسلم كان يقول ما تقبل القلب ثبتت قلبى على
 دينك فمرا تبتا لا يرفع قلبنا الله وعن اسماء بنت بريد ان رسول الله صلوات الله عليه وسلم كان يشرخ عنه ما يقبل القلب
 ثبت قلبى على دينك فالت قلبك قال نعم ما خلق الله من آدم من بشر الا ان قلبه بين اصمتين
 من اضع الرخمين ان شاء اقامته وان شاء اذاعه فنسأل الله ربنا ان لا يرفع قلبنا بعد اذ هربنا وخاله ان تهيت لنا
 لك راحة انه هو الوهاب واما ان يرفع من عز حاشية فالت كان رسول الله صلوات الله عليه وسلم اذا استنطق بالليل بالاله
 الا انت سبحانك اللهم وبحمده استغفرك لذني و اسالك رحمتك اللهم زني في علمي ولا يرفع قلبى بعد اذ هديتني وهب لي
 من ذلك رحمتك انت الوهاب وقاه ابو ابي ذر غيا الكبايع النابري يقولون في دعاهم املك يا ربنا استمع من خلقك
 فيم تجاهدهم في تفضل عليهم وتحكم بينهم فما اختلفوا فيه تجرى كلامه وما كان عليه في الدنيا من خير وشكران الدين
لهم الرعي عنهم اموالهم ولا اولاهم من الله شيئا اوليهم وقود النار والادب الرعو
والذين قبلهم لربوا ابا سنا فاخذهم الله بلونهم والله شديد العقاب هذا اخبار عن حال
 الكفاين باهم في اخرهم وقود النار ولا يرفعهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عابه واليم عقابه ايماء الذين كفوا بايات الله
 وكذبوا الله وخالقوا كاهن ترضي عنهم اموالهم الاية في الوعد الخطب الذي يخبر به النار وتؤديه وعن ام الفضل ام عبد الله
 ابن عباس رضي الله عنهم ان رسول الله صلوات الله عليه وسلم قام ليلة ليلة فقال هل لفتت يقولها لكنا صام عن من الخطاب فقال نعم
 فقال عليه الصلوة والسلام ليظهن الاسلام حتى يرد الكفر الى موطنه في يجوز من رجال النجاة بالاسلام قليا يفتي طر الناس
 زمان تقرؤن القرآن فيقرؤنه فتقولون قد قرأنا وقد علمنا فبين هذا الذي هو خير منا في اولك من خير الابرار رسول الله
 من اولك نالك اولك نكتمه اولك همة في النصار رواه ابن ابي عمير في قوله لكتاب الرعي اي لضمير ال فرعون
 وضمير ال الرابح لبتكن والقربك كهم ويظهر وهو الضمير والمائة والشان والامر في المادة كما يقال لا يزال هذا ابي ذر ابيك

هذا المعنى في حق علي والبايعين في العلم لا يفهمون بما غوطوا به بهذا الاعتبار وان لم يحيطوا على حقيقة
 الايمان وعلمه ما هو عليه وطى هنا يكون قوله يقولون آتاه به حال وشاع هذا وهو ان يكون من المعطوف دون المعطوف
 عليه وقوله يقولون آتاه به اي آتاه به كل من عليه من الجوع من الحكم والاشارة حتى وصديق وكل واحد منهما يصرف في حق
 وتفيد له لان الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بخلاف ولا يتصا ذلك قوله اهلا شديت وت القرآن الى قوله كثيرا ولهذا قال
 وما يدرك الا اولها لا يلب اي انما يفهمه فيقول وسيد العاقل على وجهها او بالاهل السليمة والفهم المستتبه وسئل رسول
 صلوات الله عليه وسلم عن الرجل يفتي بدينه واستقام عليه ومن عتقت بطنته ووجهه فذلك من المؤمن في العلم
 وعن عبد الله بن عمر سمع رسول الله صلوات الله عليه وسلم وما يتدبرون في القرآن فقال انا املك من كان بكم بعد ان ضربوا كبا لله
 بفضله يبعث في الامايز كبا لله بفضله بفضله فصلا فلا يكون ايقضه سبعين فاعلم منه فتقولوا وما جعلكم قبلكم الى عالمه
 رواه احمد وابن ماجه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة اجنحة والبراءة في العلم كبر الشا
 ما عرفتم منه فاعلموا به وما جعلكم منه فرد في العالمه حدث صحيح الاشارة في العالمه بغيرها بغيره عن نعيم قال رسول الله
 لا يرفع قلبنا بعد اذ هربنا اي لا يرفعنا عن الهدي بعد اذ اقتنا عليه ولا تجعلها كالذئب في طوبى من ربح الذي يبعثون ما اتوا
 من القرآن ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم وديك القويم وهب لنا من ذلك راحة نبتق بها اولنا ونجمع بها اخواننا و
 تروى ايضا ما يانا وايضا ما لك انت الوهاب وعن ام سلمة ان النبي صلوات الله عليه وسلم كان يقول ما تقبل القلب ثبتت قلبى على
 دينك فمرا تبتا لا يرفع قلبنا الله وعن اسماء بنت بريد ان رسول الله صلوات الله عليه وسلم كان يشرخ عنه ما يقبل القلب
 ثبت قلبى على دينك فالت قلبك قال نعم ما خلق الله من آدم من بشر الا ان قلبه بين اصمتين
 من اضع الرخمين ان شاء اقامته وان شاء اذاعه فنسأل الله ربنا ان لا يرفع قلبنا بعد اذ هربنا وخاله ان تهيت لنا
 لك راحة انه هو الوهاب واما ان يرفع من عز حاشية فالت كان رسول الله صلوات الله عليه وسلم اذا استنطق بالليل بالاله
 الا انت سبحانك اللهم وبحمده استغفرك لذني و اسالك رحمتك اللهم زني في علمي ولا يرفع قلبى بعد اذ هديتني وهب لي
 من ذلك رحمتك انت الوهاب وقاه ابو ابي ذر غيا الكبايع النابري يقولون في دعاهم املك يا ربنا استمع من خلقك
 فيم تجاهدهم في تفضل عليهم وتحكم بينهم فما اختلفوا فيه تجرى كلامه وما كان عليه في الدنيا من خير وشكران الدين
لهم الرعي عنهم اموالهم ولا اولاهم من الله شيئا اوليهم وقود النار والادب الرعو
والذين قبلهم لربوا ابا سنا فاخذهم الله بلونهم والله شديد العقاب هذا اخبار عن حال
 الكفاين باهم في اخرهم وقود النار ولا يرفعهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عابه واليم عقابه ايماء الذين كفوا بايات الله
 وكذبوا الله وخالقوا كاهن ترضي عنهم اموالهم الاية في الوعد الخطب الذي يخبر به النار وتؤديه وعن ام الفضل ام عبد الله
 ابن عباس رضي الله عنهم ان رسول الله صلوات الله عليه وسلم قام ليلة ليلة فقال هل لفتت يقولها لكنا صام عن من الخطاب فقال نعم
 فقال عليه الصلوة والسلام ليظهن الاسلام حتى يرد الكفر الى موطنه في يجوز من رجال النجاة بالاسلام قليا يفتي طر الناس
 زمان تقرؤن القرآن فيقرؤنه فتقولون قد قرأنا وقد علمنا فبين هذا الذي هو خير منا في اولك من خير الابرار رسول الله
 من اولك نالك اولك نكتمه اولك همة في النصار رواه ابن ابي عمير في قوله لكتاب الرعي اي لضمير ال فرعون
 وضمير ال الرابح لبتكن والقربك كهم ويظهر وهو الضمير والمائة والشان والامر في المادة كما يقال لا يزال هذا ابي ذر ابيك

وقال امرؤ القيس وقرابها عني على مطهرهم نقولون لا نأسف أحمى ونجمل كذا ايكين أم المويديت قبلها
 وتجانها ام الربا ناسل والمعنى كما ذكركم المويديت حين اهلكت حكن فنجيها وتكيت دارها ودميها وحمي
 الاله ان الكافين لا يفتي عنهم الا ولا ولا الاموال بل يهلكون ويعدون كما جرى لا كهمون ومن قبلهم من المكن من الليل
 فجا فمهم من آيات الله ونجيه فاقهم الله ذنوبهم والله شديد العقاب اي شديد الاخذ بالاولم العتاك لا يتبع
 احدكم يعنه شئ قل الذين كفروا استعملون وتحشرون الى جهنم وبئس المهادت كان لكم
 في قسطن التفتائه تقابل في سبيل الله واخرى كافوه من وفهم مثلهم اي العين والله
 يوبد بصره من شاء وان في ذلك لعبرة لاولي الا بصار اي قلابا من الكافين سئلوا اي والدين اهل
 و محشرون اي قوم القتل الى جهنم وبئس المهادت الذي شهدهم روي ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليهم لما اصابت من اهل
 كذا ما اصابت وتجع الى المدينة فتح الميعة وسوق بني قسطنجاق وقال ما مشرتهم اسئل ان يصيبكم الله يا اصحاب
 فيشا دعوا ما تجد لا يفرحك من نفسك ان قتلت فرامن فرقت اعاد الا يفرحون القتال انك والله في قاتل المرفقت انا
 نحن الماشي وانكم تاتي مثلنا فانزل الله في ذلك قل الذين كفروا الى اولي الابصار وعن ابن عباس مثله وللهنا والبقا في ذلك
 كرامه في قسطن التفتا اي وكان كرامتها النهج والقالون بنا قلتم اية اي دلاله على ان الله معزبه به فاصبر قوله و
 سئل في قسطن اي عطف القسطن اي للتقال فنه يعامل في سبيل الله وهم السليلن واخرى كافر وهم مشركوا وفي يوم
 وقوله من وفهم مثلهم اي العين اي ترى الشرك من يوم بين المسلمين مثلهم والعدو واي العين اي جعل الله ذلك
 فيما واه سبب البصرة الاسلام عليهم وقيل اي ترى القسطن المله القسطن الكاف من مثلهم اي يعصمهم والعدو ومع هذا صغر
 انه عليهم وهذا غير بعيد عليا اوله ابن جبرين وقال هنا كما قريل عندي ائت و احتاج الاضلها وتكون محتاجا الى الله
 والاملات ان الكفاة كافي ابن العثمان الى الملائكة المسلمين ثلثاه و ثلثه عشر و ل سيد الله بن مشرقة هاجم
 يدب و تظن بها الا لشركي فواسمهم تصعوف علنا ثم نظرا اليوم نيا لياهم من يدب علينا رجلا واحدا و لقد قالوا ان
 اعيننا حتى نملك الرجل الحقني تاهم سمين قال ادهم ماش قال سارنا رجلا منهم ملكا كبريت فقال انك عند ما عاق
 كل من المرفقين الا من رأى المسلمين المشركين مثلهم اي اكثر منهم بالضعف ليوتكوا و تقبلوا الامانة من الله تعالى
 و رأى المشركين المومنين كذلك يحصل لهم الرعب والخوف والمخزع ثم لما حصل المصافاة النبي المرفقان ثلث الله هجاء
 في عين هجاء وهجاء في عين هجاء ليقدم كل منهما على الاخر ليقصر الله امركا من غير اي لفرق بين الحق والباطل فظن اهل
 الايمان على الكفر والله يوبد بصره من شاء وان في ذلك لعبرة ولا بصار اي ان في ذلك لعبرة انك بصير وخمسة عشر
 الحكمة الله و اعناله و ذكركم المويديت لربن للناس حبت الشهوات والنساء والنين والقتاطر منسنة
 المقطره من الذهب والفضة والحمل السومة والانعار والحرب ذلك مناع الحياة الدنيا
 والله عندا حبل لبات قل اعبدكم تحس من ذلك الذين اتقوا عندا فم خات بجري من تحتها
 الا انها داخلين فيها وارواح مطهرة و رضوان الله والله بصير بالاعمال تجر الله تعالى عبادت
 للناس وهذه الدنيا من فروع البلاد من النساء والبنين فبما ان الفتنة بين اشد كما ثبت في الصحيح انه قال صلى الله عليه
 وسلم ما تركت شيئا من قبته اخص على الرجال من النساء فاما اذا كان الفسد بين الاعفان وكبره الاية ذ فونا سئلوا عن
 القسطن التفتا اي وكان كرامتها النهج والقالون بنا قلتم اية اي دلاله على ان الله معزبه به فاصبر قوله و
 سئل في قسطن اي عطف القسطن اي للتقال فنه يعامل في سبيل الله وهم السليلن واخرى كافر وهم مشركوا وفي يوم
 وقوله من وفهم مثلهم اي العين اي ترى الشرك من يوم بين المسلمين مثلهم والعدو واي العين اي جعل الله ذلك
 فيما واه سبب البصرة الاسلام عليهم وقيل اي ترى القسطن المله القسطن الكاف من مثلهم اي يعصمهم والعدو ومع هذا صغر
 انه عليهم وهذا غير بعيد عليا اوله ابن جبرين وقال هنا كما قريل عندي ائت و احتاج الاضلها وتكون محتاجا الى الله
 والاملات ان الكفاة كافي ابن العثمان الى الملائكة المسلمين ثلثاه و ثلثه عشر و ل سيد الله بن مشرقة هاجم
 يدب و تظن بها الا لشركي فواسمهم تصعوف علنا ثم نظرا اليوم نيا لياهم من يدب علينا رجلا واحدا و لقد قالوا ان
 اعيننا حتى نملك الرجل الحقني تاهم سمين قال ادهم ماش قال سارنا رجلا منهم ملكا كبريت فقال انك عند ما عاق
 كل من المرفقين الا من رأى المسلمين المشركين مثلهم اي اكثر منهم بالضعف ليوتكوا و تقبلوا الامانة من الله تعالى
 و رأى المشركين المومنين كذلك يحصل لهم الرعب والخوف والمخزع ثم لما حصل المصافاة النبي المرفقان ثلث الله هجاء
 في عين هجاء وهجاء في عين هجاء ليقدم كل منهما على الاخر ليقصر الله امركا من غير اي لفرق بين الحق والباطل فظن اهل
 الايمان على الكفر والله يوبد بصره من شاء وان في ذلك لعبرة ولا بصار اي ان في ذلك لعبرة انك بصير وخمسة عشر
 الحكمة الله و اعناله و ذكركم المويديت لربن للناس حبت الشهوات والنساء والنين والقتاطر منسنة
 المقطره من الذهب والفضة والحمل السومة والانعار والحرب ذلك مناع الحياة الدنيا
 والله عندا حبل لبات قل اعبدكم تحس من ذلك الذين اتقوا عندا فم خات بجري من تحتها
 الا انها داخلين فيها وارواح مطهرة و رضوان الله والله بصير بالاعمال تجر الله تعالى عبادت
 للناس وهذه الدنيا من فروع البلاد من النساء والبنين فبما ان الفتنة بين اشد كما ثبت في الصحيح انه قال صلى الله عليه
 وسلم ما تركت شيئا من قبته اخص على الرجال من النساء فاما اذا كان الفسد بين الاعفان وكبره الاية ذ فونا سئلوا عن

مدوب اليه كما قاله الصلوة والسلام الدنيا متاع وغير متاع الدنيا الصالحين نظر اليها مسته وان امرها اطا
وان غارتها حافظه فبنه وباله وال فحدث اخن حبيب الي الطيب والنساء وحملت قرع عيني والصلوة واليت
عاشه لم يكن شئ أحب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الخليل ووراة من الخليل الالباء وحبت اليتيم باء بكر للفقير
في الرية فهو اهل وهذا ما يكون ككثر النسل وكبره عليه صلى الله عليه وسلم من ميثاقه وحده لا شريك له فهذا صحت
عذو ح سا ثبت والحدث قرع وجوه الورد فاني مكان بكر الامه يوم القيمة وحبت المالك كذلك ما في الخبر والخيلاء والكثرة
على الضمنا وهذا مندم وماه يكون للفقير والقرابت وصله الارحام والقرابت فهذا صحت شرعا ولا خلاف المعسرة
وقعدا الغنظار قتل الغنيار وفضل الف وسأد يار وقيل شاعر الف دينار وقيل اليعون الفنا وقيل متون الفنا وقيل
سفرن الفنا وقيل الفنا وفضل فرك وما صلها المالا لهنبل وعن اومرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم القنظا باشعشر
الف او حيد كل اوتيه خیر مما من السماء والارض واه احد وموقفا المتع وعن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
قول الله والقتا طير المنظر قال القنظا والفا اوتيه صرح على شرط الشحن وان لم يحجهاه والمقنطرة المحضه الحمله اكثر
المضنذ بعضها فرب بعض وقيل المصروه المنقوشه قال ابي سعيد الخدري القنظا مائة منك التؤد ذمها وجب الخيل على
لك اتمام مائة يكون نبطها اتجاها مودة لسبل الله متى احياها النما عرقا اعليها فواء شايون وانه فخر وفراء اهل
الاسلام فبذن على صاحبها وذن وناه الشغف واقتناء دنها ولم يبين حوائثه فربها فبذن لصاحبها شرا كما ذكره الحديث
الصح الذي في موضعه قال اما السومة فمن ابن عباس في ان ابي جده الطهمة الهسان وعله اكثر من قتل المغزاة والتمحل
وعن اورد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين فرس عرف ابا له ذن له مع كل فخر يدعي يقول اللهم انك جوتي من
تقوا شئ مني ادم فاجلني من اوتيت ماله واهله اله واوتيت اهله وماله اليه واه اجد وقوله ولا تكلم على الا
المقر بالتم والمحب مني الا ما في القنذ للناس والتراعه وعن سويد بن النخعي صلى الله عليه وسلم قال خير الامة مهرة
ما فودة او سكة ما يورث الما فودة الكثرة النسل والسك النسل المضطفة والمأوية المتحة ثم العال في كل متاع الما
اي انا هذا زهرة الدنيا وزينها الفايه الاله والله عند حسن الاباب اني المجمع والثواب والابو جرح فاله من المظا
لما زلت من الناس حبت الشهوات حلت باب الين حين زمتها لنا ولربت فلما وبكتم غير من كذا لاله اى اهل الحمد لنا من
ء اخبركم بغير ما يورث للناس وهذه المية الدنيا من زهرتها وغيها الذي هو ابل لا محالة ثم اخبر عنك فقال الذين اتفق
عنده على حكاية حجت من منها الا بهاء اى يخبر ما من جوابها وارجانها الا بها ومن فواج الاشهر من المتسل والذين
والجن والماء وقرع كمال ما عين ذات ولا اذن تمت ولا حطن على قلب بشر جالدين اى ما كمن فيها ادا لم يفرغ منها حيا
واد فاس مظهر اى من الذين في الحيت والادى والحسن والقاس وعنه لك مما يصير في اشاء الدنيا ورضوان من الله اى حبل عليهم
ويضا له فلا يحط عليهم بعد ابا ولها قال فاكه التي في برة ورضوان من الله اكبر اعظم ما اعظاه من نعم الله
قال والله صبر اليباد اى في حط كمال حمتا حمته من النطاء الذين يقولون ربنا انما فاعزها لاد نونا
وقنا عذاب النار الصابرين والصابرين والقابرين والمستغفرين بالاستغار منها
وصف للمفتن الذين وعدهم الله النار الخليل فقال خالى الذين يقولون ربنا انما اي بك وبك وانا غفركا
والردود مطروحة الا ان الله ما سال الا الصلوة والصلوة
التموان الالهي كما قال الله وانا من اكل الارز
كانت كثره وكان الالهي كثره وانا من اكل الارز
من الاله الاكل والشا وكذا وكذا وكذا وكذا
دود الاله الاكل والشا وكذا وكذا وكذا
سألتك ما الاله الاكل والشا وكذا وكذا وكذا

الحمد لله الذي جعل الدنيا متاعا والآخره دارا
والصالحين فيها المثل واليسار واليسار
والصالحين فيها المثل واليسار واليسار
والصالحين فيها المثل واليسار واليسار
والصالحين فيها المثل واليسار واليسار

ان اول الايام لامة المظن والامر
تقول سرت الما يراة اذ شئنا في
سنة

تتبعك على الايام
تتبعك على الايام
تتبعك على الايام

الارز والارز والارز
الارز والارز والارز
الارز والارز والارز

من الاله الاكل والشا وكذا وكذا وكذا
من الاله الاكل والشا وكذا وكذا وكذا
من الاله الاكل والشا وكذا وكذا وكذا

اي وعلم الله حسابهم اليه مرجعهم وقابيلهم وها هو الهادي الى الرشاد يحكمه الملائكة ولهذا قال والله بصير المباني هي
 علم من شئني الهادي من شئني المصلا له وهذا الاية واما الهامين اوضح الكلمات على عموم بعثته الى جميع المخلوق كما
 هو معلوم من قوله في الصعق ونحوها ما ثبت قوله بالواقع انه صلى الله عليه وسلم بعثت لئله المخلوق لا فاق
 عنهم وعلمهم وعلمهم الله اشتراكهم له بذلك وقال عليه الصلوة والسلام الذي بعثت لئله لا يتبع واخذ من
 هذه الامثلة ليعرف حتى ولا يفر في ثمرات ولا يفر في من بالذات بل به الا ان كان من اهل النار ذواتهم سلم الى الذين
 يقدرون بعد ان ياتي اليهم والذين يخطون اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ما صحت فذم الله
 اهل الكتاب سبنا ان يكونوا من الملائكة والملائكة في كل يوم يأتون الله فذمنا التي بلغتهم اياها الرسل استجدوا عليهم و
 عذرا وناظرا على الحق في قلبهم لا يبنوا بتبليغهم شرع الله من غير حجة ولا تبليغ بل كنهم عدوهم والحق في
 قلبهم الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهذا هو ما يكفر كما قال عليه الصلوة والسلام الكفر تبطل الحق
 وعظما اتنا بن وعين عيسى بن المرثع قال قلت ما رسول الله ابي النابئ شد عذابا يوم القيمة قال قيل تبلى نساء ان
 رجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر فمات في يوم اول الله صلى الله عليه وسلم يقبلون النبيين الا انه قد قال ما بعينه قلت
 يا رسول الله ان ثلثة ايام بعين نبتا في اول النهار في ساعة واحدة فعام سائة او اسعشر رجلا من عبادي اسرائيل فامرهم
 من قلبهم بالمعروف ونهى عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم فبهم الذين ذكرهم الله وكابه ذواته من
 ابي حاتم وان حجب ولينا فابليهم الله على ذلك المذنبه والفتنة والذنب والغلب الهين في الآخرة فقال فبهم
 اليوم اجمع مهيدين اولئك الذين حطت افعالهم وهران لا تقبل في الآخرة الا ما اصابها ولا يكون لهم
 ما يريدون من عذاب الله الوتر الى الذين اتوا انصبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم
 بينهم ثم يتولون فبهم وهم معرضون ذلك اليوم فواللذات النار الا ابا ما معدوات
 وغرهم ولا يشعروا ما كانوا يفترون فكيف اذا اجتمههم ليووم لا يب فيه وقت كل نفس ما
 كسبت وهم لا يظنون هذا انكار على اليهود والنصارى المضلين فيما كانوا يفترون بحكايهم وهم الذين يرون الاحتمل
 فاذا ادعوا الى العلم ايمانها فوالله انهم معرضون عنها وهذا في غاية المذنبه فخالفتهم وعادتهم والحق في ذلك
 بابهم قالوا اي انا حكمهم وعلمهم على ما علمه الحق انهم هم على الله ما بهم انما يصدون في النار سبعة ايام عن كل الف سنة
 والذات ما تسعين سانه في نفس سورة القيمة ثم قال وعلمهم روح بهم ما كان ابيهم اى تبتم علمهم الباطل ما تحدى
 به انفسهم من افعالهم بعد ذنوب في النار الاسبعة ايام وقد اذنتوا انهم من تلقاء انفسهم فبذم الله فبهم او عدلهم
 بقوله كيف اذا اجتمههم كيف حالهم فذمهم على الله وكذبوا ان له وعلوا ما فعلوا الله سائلهم عن ذلك
 كله وما حسابهم على ما يحاسبهم به ليوم لا يب فيه اى لا شك في وقوعه ووقعت اى وقعت كل نفس خزا ما كانت من
 او غير وهم لا يظنون اى لا يتفطن من حسابهم ولا زاد على حسابهم قال اللهم مالك الملك توفى الملك من قضاء و
 تخرج الملك من قضاء ويعزم من قضاء وتذل من قضاء سدد الحكم على كل شئ قد يوحى الملك في النهار
 وتخرج النهار في الليل وتخرج الحق المرئى وتخرج الميت الى قبره وتخرج المرء الى قبره وتخرج المرء الى قبره
 وتخرج المرء الى قبره وتخرج المرء الى قبره وتخرج المرء الى قبره وتخرج المرء الى قبره وتخرج المرء الى قبره

اي وعلم الله حسابهم اليه مرجعهم وقابيلهم وها هو الهادي الى الرشاد يحكمه الملائكة ولهذا قال والله بصير المباني هي علم من شئني الهادي من شئني المصلا له وهذا الاية واما الهامين اوضح الكلمات على عموم بعثته الى جميع المخلوق كما هو معلوم من قوله في الصعق ونحوها ما ثبت قوله بالواقع انه صلى الله عليه وسلم بعثت لئله المخلوق لا فاق عنهم وعلمهم وعلمهم الله اشتراكهم له بذلك وقال عليه الصلوة والسلام الذي بعثت لئله لا يتبع واخذ من هذه الامثلة ليعرف حتى ولا يفر في ثمرات ولا يفر في من بالذات بل به الا ان كان من اهل النار ذواتهم سلم الى الذين يقدرون بعد ان ياتي اليهم والذين يخطون اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ما صحت فذم الله اهل الكتاب سبنا ان يكونوا من الملائكة والملائكة في كل يوم يأتون الله فذمنا التي بلغتهم اياها الرسل استجدوا عليهم و عذرا وناظرا على الحق في قلبهم لا يبنوا بتبليغهم شرع الله من غير حجة ولا تبليغ بل كنهم عدوهم والحق في قلبهم الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهذا هو ما يكفر كما قال عليه الصلوة والسلام الكفر تبطل الحق وعظما اتنا بن وعين عيسى بن المرثع قال قلت ما رسول الله ابي النابئ شد عذابا يوم القيمة قال قيل تبلى نساء ان رجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر فمات في يوم اول الله صلى الله عليه وسلم يقبلون النبيين الا انه قد قال ما بعينه قلت يا رسول الله ان ثلثة ايام بعين نبتا في اول النهار في ساعة واحدة فعام سائة او اسعشر رجلا من عبادي اسرائيل فامرهم من قلبهم بالمعروف ونهى عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم فبهم الذين ذكرهم الله وكابه ذواته من ابي حاتم وان حجب ولينا فابليهم الله على ذلك المذنبه والفتنة والذنب والغلب الهين في الآخرة فقال فبهم اليوم اجمع مهيدين اولئك الذين حطت افعالهم وهران لا تقبل في الآخرة الا ما اصابها ولا يكون لهم ما يريدون من عذاب الله الوتر الى الذين اتوا انصبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولون فبهم وهم معرضون ذلك اليوم فواللذات النار الا ابا ما معدوات وغرهم ولا يشعروا ما كانوا يفترون فكيف اذا اجتمههم ليووم لا يب فيه وقت كل نفس ما كسبت وهم لا يظنون هذا انكار على اليهود والنصارى المضلين فيما كانوا يفترون بحكايهم وهم الذين يرون الاحتمل فاذا ادعوا الى العلم ايمانها فوالله انهم معرضون عنها وهذا في غاية المذنبه فخالفتهم وعادتهم والحق في ذلك بابهم قالوا اي انا حكمهم وعلمهم على ما علمه الحق انهم هم على الله ما بهم انما يصدون في النار سبعة ايام عن كل الف سنة والذات ما تسعين سانه في نفس سورة القيمة ثم قال وعلمهم روح بهم ما كان ابيهم اى تبتم علمهم الباطل ما تحدى به انفسهم من افعالهم بعد ذنوب في النار الاسبعة ايام وقد اذنتوا انهم من تلقاء انفسهم فبذم الله فبهم او عدلهم بقوله كيف اذا اجتمههم كيف حالهم فذمهم على الله وكذبوا ان له وعلوا ما فعلوا الله سائلهم عن ذلك كله وما حسابهم على ما يحاسبهم به ليوم لا يب فيه اى لا شك في وقوعه ووقعت اى وقعت كل نفس خزا ما كانت من او غير وهم لا يظنون اى لا يتفطن من حسابهم ولا زاد على حسابهم قال اللهم مالك الملك توفى الملك من قضاء و تخرج الملك من قضاء ويعزم من قضاء وتذل من قضاء سدد الحكم على كل شئ قد يوحى الملك في النهار وتخرج النهار في الليل وتخرج الحق المرئى وتخرج الميت الى قبره وتخرج المرء الى قبره وتخرج المرء الى قبره وتخرج المرء الى قبره وتخرج المرء الى قبره

اي قدامي محمد عظيم انبياءك وموتى لاجله وشاكر الله اللهم مالك الملك ان لك الملك كله انت المظلي وانت المانع وانت الذي لا يظلم
ما شئت كان وما لم تشا لم يكن وهذه الامه قبيحة وانت الذي لا يظلمه تعالى على شؤله عليه الصلوة والسلام وانت الذي لا يظلمه
الله تحرك النبوة من غير ان يامر الله بالملك اي انت المصطفى في خلقك الفعالة المانعة لانك لما اعطيت ولا ماعطى
الاشياء ولها قال تعالى قل اللهم مالك الملك اي انت المصطفى في خلقك الفعالة المانعة لانك لما اعطيت ولا ماعطى
ما صنعت ولا راد لما صنعت وقوله من الليل والنهار اي تأخذ من غير ان يامر الله بالملك اي انت المصطفى في خلقك الفعالة المانعة لانك لما اعطيت ولا ماعطى
هنا وفيها فتشاقق بان شرقتك ان وهناني فيقول الله دبعنا وصيغنا وخيرينا وانشاء وقوله ويخرج الحيوان مما كنا نمسك
تخرج الميت من ارضه والنج من ارحله والخل من الثمرات والقراءة من الخلق والمؤمن من الكافرين والمؤمن من الكافرين
الدخاجه من ليضه والفضة من ليطاير وما جرى هيبتنا المجرى من جميع الاشياء وقرب من شفاء بعين حساب
اي تعطى من شئت من المال ما لا يريد ولا تقدر على خصامه وتقدر على اخذ الملك في ذلك من الحكمة والادارة وعلم عباد الله
من النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به حاجب وبهذه الامه من ان عمران قال اللهم مالك الملك
آخر الامه ذواتها الباطني لا يحيد المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء
ان يوالوا الكافرين وان تسمى الله المومنين من دون المؤمنين من يوقد على ذلك قوله ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء
نهي الله وهذا قد نرى من الله كما في غير ما من آيات الواحبات وقوله ان تسمى الله المومنين من دون المؤمنين من يوقد على ذلك قوله
تبع البلدان او اكون ذات من هم فله ان تسمى الله المومنين من دون المؤمنين من يوقد على ذلك قوله
تكتسب في وجوه اقوام وقلوب المومنين والكتب عن عباس بن علي الملقب بالنايعة باللسان وينون ذلك قوله تعالى
ان من امة وقله مطبق بايمان الامية ثم قال تعالى وتكون لله نبيته اي ويخبره نبيته وتعلمه وسقط في
غيابه لمن قالى اعداءه وعادى اولياءه واليه المصراى المجمع والتعب الجارى كل ما يلزمه ان تتعقبا
ما وجدوا وكما وجدوا وعلموا في السموات وما في الارض والله على كل شيء وادبر
يحد كل نفس ما علت من حمصا وما عالج من شعوع تون لوان دنها وبعده امدت بعدا وتحدت
الله نفسه والله رؤف بالعباد هذا اخبار من الله بانه عالم بالسر والظاهر والباطن على منتهى خافية
بل علمه محيط بهم في الاموال وجميع الاموات وجميع ما في السموات والارض لا ينسب عنه مثاله في ولا اصغر من ذلك في جميع
اقتطاد الارض والجهد وهو على كل شيء قدير اي قدرة ما في جميع ذلك وهذا تنبيه لبيده على غيرة وحشية حتى لا يكون الشاكر
ما نه علم جميع امورهم واد على معانيهم بالحقير فانه ليجل في اخذ احد من مقتدر ولهذا تنبيه لهم بحدك ليس بما علمت من
تبقى من القيمة كحضر السيد جميع اعماله من غير شراى من اعماله حسنة وانه وما راى من جميع ساءة ومخالفة وقد
في انه لو يتراى به فان يكون منها يسيرا كما يقول الشيطان الذي كان منقرا في الدنيا وعلم على ميل الشراء ما لم يتقى ويترك بعد
فيش القرن ثم قال تعالى وتكلم من عندنا وتحدث الله نفسه اي يجوزك عقابه ثم قال ثم جئنا السادة لئلا يتعلم من حبه
وانه دعى اي دعى بخلقهم فالاحسن من لاقية بهم حذرهم نفسه قل ان لم يتبعوا الله فاستعوا بحسب الله
وتعقلوا ذنوبكم والله عفو رحيم قل اطعوا الله والرسول فان تولوا فالله لا يهدي الكافرين
اي قدامي محمد عظيم انبياءك وموتى لاجله وشاكر الله اللهم مالك الملك ان لك الملك كله انت المظلي وانت المانع وانت الذي لا يظلم
ما شئت كان وما لم تشا لم يكن وهذه الامه قبيحة وانت الذي لا يظلمه تعالى على شؤله عليه الصلوة والسلام وانت الذي لا يظلمه
الله تحرك النبوة من غير ان يامر الله بالملك اي انت المصطفى في خلقك الفعالة المانعة لانك لما اعطيت ولا ماعطى
الاشياء ولها قال تعالى قل اللهم مالك الملك اي انت المصطفى في خلقك الفعالة المانعة لانك لما اعطيت ولا ماعطى
ما صنعت ولا راد لما صنعت وقوله من الليل والنهار اي تأخذ من غير ان يامر الله بالملك اي انت المصطفى في خلقك الفعالة المانعة لانك لما اعطيت ولا ماعطى
هنا وفيها فتشاقق بان شرقتك ان وهناني فيقول الله دبعنا وصيغنا وخيرينا وانشاء وقوله ويخرج الحيوان مما كنا نمسك
تخرج الميت من ارضه والنج من ارحله والخل من الثمرات والقراءة من الخلق والمؤمن من الكافرين والمؤمن من الكافرين
الدخاجه من ليضه والفضة من ليطاير وما جرى هيبتنا المجرى من جميع الاشياء وقرب من شفاء بعين حساب
اي تعطى من شئت من المال ما لا يريد ولا تقدر على خصامه وتقدر على اخذ الملك في ذلك من الحكمة والادارة وعلم عباد الله
من النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به حاجب وبهذه الامه من ان عمران قال اللهم مالك الملك
آخر الامه ذواتها الباطني لا يحيد المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء
ان يوالوا الكافرين وان تسمى الله المومنين من دون المؤمنين من يوقد على ذلك قوله ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء
نهي الله وهذا قد نرى من الله كما في غير ما من آيات الواحبات وقوله ان تسمى الله المومنين من دون المؤمنين من يوقد على ذلك قوله
تبع البلدان او اكون ذات من هم فله ان تسمى الله المومنين من دون المؤمنين من يوقد على ذلك قوله
تكتسب في وجوه اقوام وقلوب المومنين والكتب عن عباس بن علي الملقب بالنايعة باللسان وينون ذلك قوله تعالى
ان من امة وقله مطبق بايمان الامية ثم قال تعالى وتكون لله نبيته اي ويخبره نبيته وتعلمه وسقط في
غيابه لمن قالى اعداءه وعادى اولياءه واليه المصراى المجمع والتعب الجارى كل ما يلزمه ان تتعقبا
ما وجدوا وكما وجدوا وعلموا في السموات وما في الارض والله على كل شيء وادبر
يحد كل نفس ما علت من حمصا وما عالج من شعوع تون لوان دنها وبعده امدت بعدا وتحدت
الله نفسه والله رؤف بالعباد هذا اخبار من الله بانه عالم بالسر والظاهر والباطن على منتهى خافية
بل علمه محيط بهم في الاموال وجميع الاموات وجميع ما في السموات والارض لا ينسب عنه مثاله في ولا اصغر من ذلك في جميع
اقتطاد الارض والجهد وهو على كل شيء قدير اي قدرة ما في جميع ذلك وهذا تنبيه لبيده على غيرة وحشية حتى لا يكون الشاكر
ما نه علم جميع امورهم واد على معانيهم بالحقير فانه ليجل في اخذ احد من مقتدر ولهذا تنبيه لهم بحدك ليس بما علمت من
تبقى من القيمة كحضر السيد جميع اعماله من غير شراى من اعماله حسنة وانه وما راى من جميع ساءة ومخالفة وقد
في انه لو يتراى به فان يكون منها يسيرا كما يقول الشيطان الذي كان منقرا في الدنيا وعلم على ميل الشراء ما لم يتقى ويترك بعد
فيش القرن ثم قال تعالى وتكلم من عندنا وتحدث الله نفسه اي يجوزك عقابه ثم قال ثم جئنا السادة لئلا يتعلم من حبه
وانه دعى اي دعى بخلقهم فالاحسن من لاقية بهم حذرهم نفسه قل ان لم يتبعوا الله فاستعوا بحسب الله
وتعقلوا ذنوبكم والله عفو رحيم قل اطعوا الله والرسول فان تولوا فالله لا يهدي الكافرين

هذه الآية حادثة على كل من ادعى محبة الله وليس على طريقتة الشريعة فانه كما ذكروا في معنى شرحه والدين في جميع احواله
واضاه كما ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عمل علة ليس عليه امرنا فهو بغير ديننا قال قلت لابي عبد الله
ان يحب جسد الله اى يحصل لكم نوح ما طلبتم من محبة اياه وهو محبته اياكم وهو اعظم من الاول كما قال بعضهم ليل الشان
ان يحب اما الثاني ان يحب قوله فيقولون ان يحب الله تعالى فيقولون ان يحب الله تعالى فيقولون ان يحب الله تعالى فيقولون ان يحب الله تعالى
وما من قول الا طهر الله والرسول فان قولها اى تحملا لغاها امره فان الله لا يحب الكافرين بل يحب المؤمنين بل طهر الله تعالى فيقولون ان يحب الله تعالى
فان ادعى محبة الله حتى يتابع الرسول المتبل المتبع الثقاتين على الله عليه وسلم ان الله الصطفى ادم من نوحا والابراهيم
والعمران على العالمين ذرية بعضها فرفض والله يسمع عليهم فحتم الله ان يحب الله تعالى فيقولون ان يحب الله تعالى فيقولون ان يحب الله تعالى
عليها واهل الارض باصطفى ادم عليه السلام خلفه بين ذرية من ذوجه قاسمته الجنة ثم لم ينطق بها الا ارض بانه في ذلك
من الملكة واصطفى نوحا عليه السلام وحملة اول رسول نطقه الاله الارض لما اعتدى الاموات وانقره لما طاعت مدته بغير
مدعوهم الى الله قله زيد هذلك الاقرا اذ دعوا عليهم فاعزهم الله ولم يخرج منهم الا من آمن منه قاصطى آل ابراهيم ومنهم
الذين يخرجونهم من ارضهم الى ارض اخرى وهو والابراهيم عيسى بن مريم فليس من ذرية ابراهيم كما سياتى في حق
الانصار ان شاء الله وقال ابن اسحق هو عمران ابي ولعله لم يولد له ابنته كما سياتى في حق عمران ابنت
ان ذريت لك ما في نبطي محررا مقتل منى نالت السمع العلم قبا ووضعتها والى ذريت
ان وضعتها انى والله اعلم باوضعت وليس الذكر كما لاني وانى سميتها منهم والى عيد
يك وذرنتها من الشيطان الرجيم ام المرأة حنة بنت فاوذا قال ابن اسحق وكانت امرأة لا تلذ ذرات جوشا
طمانين فوجه فاشقت الولد فزعت الله تعالى ان يصبها ولما فاستجاب الله دعائها فانها وضعتها ووجها فزعت فلما
تبعقت الحوزة ان تكون محررا اى فاضا مفرقا للعبادة لمزمت بيت المقدس فزالت ذرة اذ ذرت لك في نبطي
ذرت لك منى نالت السمع لى القلم بيتى فلما وضعتها والله اعلم باوضعت ويرى رفع النار على ارضها ماء السمك وانها من
نام قولها ويرى جسدك على اناس قولها لله قلى لذكرها لا نبي اى في القبح والحلادة والعبادة والمزينة والى سميتها
مهم وهذا ما قال عليه الصكون والسلام ولدت البنية ولدت باسم اى وهم صنف عليه من العالى اجازة عن
ام مهربانها قالت فاذا يعيد بك وذنجان الشيطان الرجيم اى عودتها بها الله عز وجل من الشيطان وعودت ذريتها
وهي ولدتها عيسى عليهما السلام فاستجاب الله لها ذلك كما في الصحيحين من قولهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود
الاسته الشيطان حين يولد فيصهل صراخا من بين اياه اسلامه وانما يقول ابو هريرة اقر في الاثني عشر ابي عيدها كرويتها
من الشيطان الرجيم فقتلها ارضها ببول حسن وابنتها بنا انا حسنا وكفلها اكرها ما دخل
الله يروزم وشاه بعض حساب الشراية بقوله نذرتا منى فامرتنا فابنتها بنا حسنا اى جعلها استكلا سنجها ورضها لاسيا
الامر القبول وقرنها ما لصا لمن من عبادته ولها قال وكفلها زكرياء وقرى شهد الفناء ونصب ذكرها على القبوله اى جعله كاذلا
الامر ما لان اسحق وثا ذكرا انما كانت حنيفة وقلما صلت بنى اسرائيل سنة حنيفة وكفلها ذكرا لذلك وكان ذلك لسعادتها المتضمنة
والله اعلم بالصواب

والحدث كل اسحق يدخل الجنة الا من اول
والابن من ياب والابن الطاغى على كل
الجنة فمن غصا في نقد ابا

او فضيلة امرا اياك اكر توك اذ هو طاب قد
ان من اول ذرة عوان طيب بغيره من
تالت دونها من ذرة كانت في ارضها
ذرات اياها من ارضها فتمت ذراتها
لكم نفسا للولد من كبريتها واوجبت
الذرة وتعلم من حرم بيت المقدس
فوقت عمران بيت المقدس والى
عليها ارضت به وبكى كروان
فالت رمت بيت المقدس كما في الحديث
فالت بيت المقدس ارضها
الامر اى ان يكون ارضها
للمسكون والى
والفاسين
الامر اى ان يكون ارضها
للمسكون والى
والفاسين

او فضيلة امرا اياك اكر توك اذ هو طاب قد
ان من اول ذرة عوان طيب بغيره من
تالت دونها من ذرة كانت في ارضها
ذرات اياها من ارضها فتمت ذراتها
لكم نفسا للولد من كبريتها واوجبت
الذرة وتعلم من حرم بيت المقدس
فوقت عمران بيت المقدس والى
عليها ارضت به وبكى كروان
فالت رمت بيت المقدس كما في الحديث
فالت بيت المقدس ارضها
الامر اى ان يكون ارضها
للمسكون والى
والفاسين

او فضيلة امرا اياك اكر توك اذ هو طاب قد
ان من اول ذرة عوان طيب بغيره من
تالت دونها من ذرة كانت في ارضها
ذرات اياها من ارضها فتمت ذراتها
لكم نفسا للولد من كبريتها واوجبت
الذرة وتعلم من حرم بيت المقدس
فوقت عمران بيت المقدس والى
عليها ارضت به وبكى كروان
فالت رمت بيت المقدس كما في الحديث
فالت بيت المقدس ارضها
الامر اى ان يكون ارضها
للمسكون والى
والفاسين

او فضيلة امرا اياك اكر توك اذ هو طاب قد
ان من اول ذرة عوان طيب بغيره من
تالت دونها من ذرة كانت في ارضها
ذرات اياها من ارضها فتمت ذراتها
لكم نفسا للولد من كبريتها واوجبت
الذرة وتعلم من حرم بيت المقدس
فوقت عمران بيت المقدس والى
عليها ارضت به وبكى كروان
فالت رمت بيت المقدس كما في الحديث
فالت بيت المقدس ارضها
الامر اى ان يكون ارضها
للمسكون والى
والفاسين

او فضيلة امرا اياك اكر توك اذ هو طاب قد
ان من اول ذرة عوان طيب بغيره من
تالت دونها من ذرة كانت في ارضها
ذرات اياها من ارضها فتمت ذراتها
لكم نفسا للولد من كبريتها واوجبت
الذرة وتعلم من حرم بيت المقدس
فوقت عمران بيت المقدس والى
عليها ارضت به وبكى كروان
فالت رمت بيت المقدس كما في الحديث
فالت بيت المقدس ارضها
الامر اى ان يكون ارضها
للمسكون والى
والفاسين

او فضيلة امرا اياك اكر توك اذ هو طاب قد
ان من اول ذرة عوان طيب بغيره من
تالت دونها من ذرة كانت في ارضها
ذرات اياها من ارضها فتمت ذراتها
لكم نفسا للولد من كبريتها واوجبت
الذرة وتعلم من حرم بيت المقدس
فوقت عمران بيت المقدس والى
عليها ارضت به وبكى كروان
فالت رمت بيت المقدس كما في الحديث
فالت بيت المقدس ارضها
الامر اى ان يكون ارضها
للمسكون والى
والفاسين

عليا ما شاء ولا يرضى ولا يرضى ولا يرضى...
ان النبي صلى الله عليه وسلم تقي في غاية شجاعة ان يكون في حضرة خاليتها امره خضعف من او كالب وقال الخالدة بنت ابي لهب
اخبرنا في خبر سادتها وجلالتها في محل يناديها فقال دخل عليها زوجها المهرج وحدها فنادى يا فداك ايها الباطل اني
فاكه الصف في الشاء وفاكه الشاء والصف وتيل اي تخفا فيها ط والاولا في وقت اثبات كرامات ابي لهب فاذا ادى
ذكرنا هنا عندها قال يا ميمونة اني ابي من لك هنا فالت هي من عند الله والالحا حين ولدت لم يضره قط كان
يا ميمونة من الجنة فقول لها انك اني ابي لك هنا فالت هي من عند الله فالت هي من عند الله فالت هي من عند الله
فالت هي من عند الله فالت هي من عند الله فالت هي من عند الله فالت هي من عند الله فالت هي من عند الله فالت هي من عند الله
الدعاء فادبه الملكة وهو قائم فصل في الحجاب ان الله يشترع في حجاب النساء بقوله تعالى يا ايها النبي قل لغيرك
وخصوا وندبوا الصالحين قال رت افيكون في علام وود يفتي الكبر و امر في عا قتر
قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رت ليجعل في اية قال ايتك الاكل الناس طه ايا امر ابر
و اذكر في اكثر اوسج ما لشي و ايجال لماري ذكرها الله كيف ترفق مرتة قال ان الذي قد علم ان باق في
بالفاهة في عتقها من هرب الفاد و على ان صلح ردي و تفتي و لنا و تخرجيه على الكبر قطع و الولد و كذلك ان اهل
بيتها في اذنا فترتها و كان ذكرنا في شاح و يكون له ولد فهدى ذلك سأل تبة و ناداه خيضا فدخل الحجاب و قال
تبا هيا من لذي ابي من عندك و نرسطة ابي و ليا صالحي ابيك جمع الدعاء فادته اى خاطبة الملك سهاها خطانا
احسنت و هو قائم في محراب عبادة و تحمل شجاعة و طاعة بشأن الله مشرعي ابي ولد فوجدك شريك اسمي
قال قاده اما شري الله ابي ابايمان و قوله سببا في حجة الله فالان عيسى و اكره اية اى عيسى و هو اذ ان منك
به و طيبته و منها حه و عنه ايضا قال كان يحي و عيسى ابي خاله و كما شام يحي فوجدك لم يتر اوجد الذي و تفتي ابي الذي
يطنك ذلك ضد بعله و في بن ابيه و هو اكره من عيسى شه ائهم و قوله و سببا و الا في و الطاء و العادة و قتل هو العظيم
التي و قيل هو ابيك لا يلبه العقب و قيل الكبر على الله و خصصا و انا اهل الذي لا يولد له و كما ما له يزل قال الله من
عمر و فيهما حاشا ابيك على الله الود اذ في الامم من ذكرنا لم تتاول من الارض و قال الخضر ما كان فيكم يشاء في و في
مثل هذه الثوب و قد نوح بعد ذلك كقول اعني ابيته و قتل الخضر وها المتع من الرعي مع العدة عليه و هذا اقول
استحقاق الشاء و احد من المان الاله بالاشياء و قوله و بنا و منه شاة ماته بينة بقدا البشاة و راة ففتي ذكرا
من وجه الولد منه و قال رت افيكون في علام اى من انى الولد قد بلغ الكبر مالا ي الملك كذلك و هذا ابراهه عظيم
لا يعنى شي قال رت اهل الجاهلي اى علامه استدل بها على حجة الولد يحي قال ايتلان لا يسلك الناس طه ايا امر ابر
و ايتلان لا يسلك الناس طه ايا امر ابر
على شاء العالمين يا ميمونة اقتى لربك و ايجري و اركعي مع الرابطين في الغشاء العيب
نوجه اليك و ما كنت لدنهم اذ بلغون افلامهم ايقم كلين قنوم و ما كنت لدنهم اذ تحضون
و ما كنت لدنهم اذ بلغون افلامهم ايقم كلين قنوم و ما كنت لدنهم اذ تحضون

لما كانت الدراسة متضمنة تفسير سور القرآن الكريم، كان الأولى بنا أن نعرّج ولو قليلاً إلى علاقة السورة بما قبلها، ونبيّن ذلك عن طريق العلماء المتخصصين من السلف والخلف الذين اجتهدوا وبذلوا الجهد لمعرفة شيء من مراد الله في كتابه العزيز، حتى تكون هذه الدراسة مترابطة - إلى حد ما - مع شدة الإهمال والتقصير - سيما - ونحن ننهل من كتاب عزيز، الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁽¹⁾.

وعليه... فإن الناظر إلى القرآن الكريم، يجد أنه يتناول موضوعات شتى وقضايا هامة في جميع شؤون الحياة، إلا أن الرابط بينها جميعاً، هو ذلك الهدف السامي والأصل الأصيل، وهو إنشاء أمة، وإقامة دولة، وتنظيم مجتمع على أساس العقيدة الصحيحة من السلف الصالح الكريم، حتى يستقيم البناء وتحقق النتائج والأهداف.

سورة آل عمران

من السور المدنية، وعدد آياتها مائتي آية، هي السورة الثالثة من حيث الترتيب في المصحف، نزلت بعد سورة الأنفال، تبدأ السورة بحروف مقطعة ﴿ألم﴾⁽²⁾، وسميت بذلك لورود قصة آل عمران فيها، تلك العائلة العريقة الفاضلة، وهو عمران والد مريم البتول، وما ظهر فيها من مظاهر القدرة الإلهية بولادة بنت عمران⁽³⁾.

علاقتها بما قبلها

بين سورة آل عمران وما قبلها وهي سورة البقرة تلاهما وطيداً وتأكيدياً عظيماً، يبيّن أهمية المؤكّد، منها أن الله - تبارك وتعالى - ذكر في سورة البقرة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ﴾⁽⁴⁾ بمنزلة إزالة الشبهة والريب، وذكر هنا في سورة آل عمران مؤكداً ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

(1) سورة فصلت، الآية (42).

(2) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الفجالة، القاهرة، ط: 1 - 1997م 6/2.

(3) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين فيروز آبادي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، 1416هـ / 158/1.

(4) سورة البقرة، الآية (2).

بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿١﴾ من إنزال الكتاب وتصديقه بما قبله، وذكر في سورة البقرة ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ﴾ (٢) ذكرها بكاملها في سورة آل عمران ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ (٣) بما يدل على التأكيد، وذكر في سورة البقرة مبدأ خلق آدم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٤) ، وذكر في سورة آل عمران مبدأ خلق أولاده وتصويرهم في الأرحام ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٥) بما يدل على التكامل والتلاحم والاتفاق، وجاء في سورة البقرة قصة آدم حيث خلقه الله بلا أب ولا أم، وجاء نظيره في السورة هنا بذكر عيسى وهو لا أب له، كذلك مما يبين التلاحم بينهما عندما ذكر - سبحانه وتعالى - في سورة البقرة قوله ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٦) مع أنه ذكر الكافرين والمتقين، فبين أن النار مأوى الكافرين، ولم يذكر مأوى المتقين، مع ذكرهم مع الكافرين عند افتتاح السورة، فجاء في سورة آل عمران ذكر ذلك حيث قال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٧) ، كذلك جاء في مستهل سورة البقرة وصف للكتاب بأنه لا ريب فيه في قوله ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ﴾ (٨) وجاء في سورة آل عمران قوله ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٩) وهو شرح وإسهاب وبسط؛ لنفي الريب عن الكتاب، ثم إنه في سورة البقرة جاء لفظ الكتاب مجملا وفي سور آل عمران فصله إلى آيات محكمات ومتشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله، وجاء في سورة البقرة ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ (١٠) وفي سورة آل عمران

(1) سورة آل عمران، الآية (3).

(2) سورة البقرة، الآية (136).

(3) سورة آل عمران، الآية (84).

(4) سورة البقرة، الآية (30).

(5) سورة آل عمران، الآية (6).

(6) سورة البقرة، الآية (24).

(7) سورة آل عمران، الآية (133).

(8) سورة البقرة، الآية (2).

(9) سورة آل عمران، الآية (3).

(10) سورة البقرة، الآية (247).

قال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾⁽¹⁾ فزاد بذلك شرحا وتفصيلا وبيانا، وذكر في سورة البقرة لفظ الربا محذرا منه، ولم يزد على هذا اللفظ في قوله ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾⁽²⁾ بينما هنا في سورة آل عمران زاد شرحا وبيانا وتفصيلا في قوله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾⁽³⁾ ، وأيضا ذكر في سورة البقرة ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾⁽⁴⁾ بشكل مجمل يفيد الوجوب، وذكر في سورة آل عمران مفصلا مع ذكر شرطه الذي يفيد الوجوب في قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾⁽⁵⁾ ثم بين أن من نكف عنه مع الاستطاعة بأنه انحراف عن جادت الحق بقوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، كذلك ذكر في سورة البقرة عن أهل الكتاب ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾⁽⁶⁾ فبين القليل ووضحه وشرحه في سورة آل عمران بقوله ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾⁽⁷⁾

فناسب بداية آل عمران بما ختمت به سورة البقرة من معان عظيمة جاءت بها آية الكرسي وما بعدها، و أوضحت أمر الدين فلم تجعل لمشكك سبيلا، وما ظهر من الاستدلال على البعث بأمر السنابل إلى ما ينفع في يوم نفي فيه نفع البيع والخلة والشفاعة من النفقات، وما يتعلق بذلك، وأنه لا فرق بين الرسل الذين ذكروا في السورة، وغير ذلك، إلى الدعاء

(1) سورة آل عمران، الآية (26).

(2) سورة البقرة، الآية (275).

(3) سورة آل عمران، الآية (130).

(4) سورة البقرة، الآية (196).

(5) سورة آل عمران ، الآية (97).

(6) سورة البقرة، الآية (83).

(7) سورة آل عمران ، الآية (113).

بالنصرة على عامة الكافرين، فناسب هذا الختام غاية المناسبة مع بداية آل عمران بالذي وقع الإيمان به - سبحانه وتعالى - ووجهت الرغبات آخر تلك إليه ⁽¹⁾.

فتبين مما سبق أن ما نقص في سورة أكمل في الأخرى، وما أجمل في سورة فصل في الأخرى، وما ذكر في سورة أعيد تأكيداً في الثانية، وغير ذلك من الآيات الدالة على مناسبة بداية آل عمران بما ختمت به سورة البقرة، زد على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صوافٍ، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن في أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» ⁽²⁾ وأشار القرطبي في تفسيره ⁽³⁾ إلى سبب تسمية البقرة وآل عمران بالزهراوين إلى ثلاثة أقوال:-

1- أنهما النيرتان، مأخوذ من الزهر والزهرة.

2- لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة.

3- لأنهما اشتركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم كما ذكره أبو داود وغيره، عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال: «إن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ⁽⁴⁾ والتي في آل عمران ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ⁽⁵⁾ ⁽⁶⁾»

ففي هاذين الحديثين دلالة واضحة على مدى التناسب والتلاحم والتلازم بين هاتين السورتين ⁽⁷⁾، والله أعلم.

(1) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 3/2.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة [804] 1/553.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 3/4.

(4) سورة البقرة، الآية (163).

(5) سورة آل عمران، الآية (2).

(6) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الصلاة، ب: الدعاء [1446] 2/80، وقال: حسنه الألباني.

(7) ينظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق، مطبعة محمد عاطف وسيد طه 28.

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ ﴿٤﴾ (1).

قد ذكر الحديث الوارد في أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ و﴿الْم ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ عند تفسير آية الكرسي، وسبق الكلام على قوله ﴿الْم﴾ في أول سورة البقرة، وتقدم تفسير قوله ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ في تفسير آية الكرسي.

وقوله ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني: نزل عليك القرآن، ﴿بِالْحَقِّ﴾ يا محمد أي: لاشك فيه ولا ريب؛ بل هو منزل من الله أنزله بعلمه، وقوله ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المنزلة قبله من السماء على الأنبياء، فهي مصدقة بما أخبرت به وبشرت في قديم الزمان، وهو يصدقها لمطابقتها إياها، وقوله ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ﴾ أي: على موسى ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ على عيسى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ هذا القرآن ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ أي: في زمانهما، ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل بما يذكره تعالى من الحجج والبيانات والبراهين القاطعات ويبينه ويوضحه (2) ويرشد إليه، قال قتادة (3) والربيع (4): هو القرآن (5) واختار ابن

(1) سورة آل عمران، الآيات (1-4)

(2) كذا في ابن كثير، وفي المخطوط: ومبينه وموضحه، ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مؤسسة قرطبة- مصر، ط: 1، 1421هـ/3/6.

(3) هو: قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه، الحافظ العلامة المفسر، حدث عن: عبد الله بن سرجس وأنس بن مالك وسعيد بن المسيب وغيرهم، حدث عنه: مسعر وابن أبي عوانة وشيبان وغيرهم، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1410هـ/171، وتهذيب التهذيب لابن حجر، مطبعة دار المعارف النظامية - الهند ط: 1، 1326هـ/8/315.

(4) هو: الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي، البصري ثم الخراساني، حدث عن: أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري، وحدث عنه: مقاتل بن حيان وابن المبارك وغيرهم، صدوق له أوهام ورمي بالتشيع. ذكر الذهبي أنه توفي سنة 139 أو سنة 140 هـ. ينظر طبقات ابن سعد 7/369 وتهذيب التهذيب 3/207.

(5) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420هـ/6/163.

(1) جرير أنه مصدر ههنا؛ لتقدم ذكر القرآن في قوله ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ وهو القرآن (2) ، وقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: جحدوا بآيات الله وأنكروها وردوها بالباطل، ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ يوم القيامة، ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ أي: منيع الجناب عظيم السلطان، ﴿ ذُو أَنْتِقَامٍ ﴾ ممن كذب بآياته وخالف رسله.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ (3)

أخبر الله تعالى أنه يعلم غيب السموات والأرض لا يخفى عليه من ذلك شيء، ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ ﴾ أي: يخلقكم كما شاء، ﴿ فِي الْأَرْحَامِ ﴾ من ذكر وأنثى وحسن وقبيح وشقي وسعيد، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: هو الذي خلق وهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له، وله العزة التي لا ترام والحكمة والأحكام، ففي الآيات تعريض، بل تصريح بأن عيسى عبد مخلوق كما خلق سائر البشر؛ لأن الله صورته في الرحم وخلقته كما شاء.

(1) هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المؤرخ، المفسر، الإمام، بل رأس المفسرين على الإطلاق. ولد 224هـ في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، من مؤلفاته: جامع البيان في تفسير القرآن يعرف بتفسير الطبري، وكتاب في القراءات، واختلاف الفقهاء، والمسترشد في علوم الدين. وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. وكان أسمر، أعين، نحيف الجسم، فصيحاً، توفي 310 هـ. ينظر طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح، دار البشائر الإسلامية - بيروت ط: 1، 1992م/1/151، وطبقات المفسرين للأدنه وي، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ط: 1، 1417هـ/48، والأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط: 15، 2002/6/69.

(2) ينظر جامع البيان 162/6.

(3) سورة آل عمران، الآية (5).

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿٩﴾﴾⁽¹⁾

يخبر الله تعالى أن في الآيات بينات واضحات الدلالة لا تلتبس على أحد من الناس، وفيها آيات آخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير منهم أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه وحكم المحكم على المتشابه فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ولهذا قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي: يحتمل دلالتها موافقة المحكم ويحتمل شيئاً آخر من حيث المراد.

وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه، قال ابن عباس⁽²⁾: «محكمات القرآن ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمر به ويعمل به»⁽³⁾، وعليه أكثر السابقين⁽⁴⁾، وعنه أيضاً

(1) سورة آل عمران، الآيات (7-9).

(2) هو عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، وُلد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث، وفي الصحيح عنه أن النبي ﷺ ضمه إليه وقال: «اللهم علمه الحكمة» وكان يقال له حبر العرب، قال عبدالله: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، مات ﷺ بالطائف فصلى عليه ابن الحنفية، فلما سوى عليه التراب قال ابن الحنفية: مات والله اليوم حبر هذه الأمة، وفي وفاته أقوال: سنة خمس وستين، وقيل سبع، وقيل ثمان وهو الصحيح في قول الجمهور. ينظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي، دار الجيل - بيروت، ط: 1، 1412هـ / 1/ 286، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية - بيروت ط: 1، 1415هـ / 4/ 152.

(3) ينظر جامع البيان 6/ 175، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، ط: 3 - 1419هـ / 2/ 592.

(4) كمجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم. ينظر تفسير القرآن العظيم 7/ 3.

قال: المحكمات ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾⁽¹⁾ والآيتان بعدها، وقوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾⁽²⁾ إلى ثلاث آيات بعدها.

وقوله ﴿هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ﴾ قيل هي فواتح السور، وقيل أصل الكتاب سميت بها؛ لأنهن مكتوبات في جميع الكتب.

وقيل في المتشابهات: إنهن منسوخة ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به، وقيل: هو الحروف المقطعة في أوائل السور، وأحسن ما قيل في ذلك هو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار⁽³⁾ حيث قال: «منه آيات محكمات فيهن حجة الرب، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن⁽⁴⁾ تحريف ولا تصريف عما وُضِعْنَ عليه، والمتشابهات في الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله بهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام، لا يُصْرَفْنَ إلى الباطل، ولا يُحْرَفْنَ عن الحق»⁽⁵⁾، ولهذا قال تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي مكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها؛ لاحتمال لفظه لما يصرفونه، وأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دافع لهم وحجة عليهم، ولهذا قال: ﴿أَبْتَغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي الإضلال لأتباعهم إيهاما لهم أنهم محتجون على بدعتهم في القرآن، وهو حجة عليهم لا لهم، كما لو احتج النصارى بأن القرآن ناطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وتركوا الاحتجاج بقوله ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا

(1) سورة الأنعام، الآية (151).

(2) سورة الإسراء، الآية (23).

(3) هو: محمد بن يسار، المدني، كان قدريا من حفاظ الحديث، وكان أحد أوعية العلم حبرا في معرفة المغازي والسير، وليس بذلك المتقن فأنخط حديثه عن رتبة الصحة، وهو صدوق في نفسه مرضي، رأى أنسا وابن المسيب، قال عبيد بن شعبة: سمعت شعبة يقول: ابن إسحاق أمير المؤمنين لحفظه، مات سنة إحدى وخمسين ومائة. ينظر تذكرة الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ط: 1-1419 هـ / 1/130، وتهذيب التهذيب 9/38، والأعلام 6/28.

(4) كذا في ابن كثير 9/3، وفي المخطوط: له.

(5) ينظر: جامع البيان 6/177، ورواه محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن جعفر بن الزبير.

(1) وَعَلَيْهِ ﴿ وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ الْمَصْرُوحَةِ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ خَلَقَ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَعَبَدَ وَرَسُولٍ مِنْ رَسْلِ اللَّهِ.

وقوله ﴿ وَأَتْبَعَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ أي: تحريفه على ما يريدونه، وقال السدي (2): يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء في القرآن، عن عائشة قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ إلى قوله ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَا حذرهم ﴾ (3) رواه البخاري (4)، وفي الحديث أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: «قد حذركم الله فإذا رأيتهم فاعرفوهم» (5)، وفي حديث آخر، «هم الخوارج» (6)، ومعناه صحيح، فإن أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج (7)، في قسمة غنيمة

(1) سورة الزخرف، الآية (59).

(2) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذئب السدي الكبير، حجازي الأصل، سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير، كان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، روى عن ابن عباس، وأدرك جماعة من الصحابة، وكان إسماعيل بن أبي خالد يقول: السدي أعلم بالقرآن من الشعبي، توفي سنة سبع وعشرين ومائة. ينظر الأنساب لأبي سعد، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ط: 1-1382هـ/3/239، و تهذيب التهذيب 1/158، والأعلام 317/1.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التفسير، ب: قوله تعالى ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ [4547] 6/33.

(4) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بزذبه البخاري أبو عبد الله، إمام هذا الشأن والمقتدى به فيه والمعول على كتابه بين أهل الإسلام، ولد في شوال سنة 194، روى عن: عفان وأبي عاصم النبيل وأبي المغيرة وغيرهم إلى أن كتب عن أقرانه وعن تلامذته، روى عنه: الترمذي ومسلم وغيرهما، كان حسن المعرفة، حسن الحفظ وكان يتفقه، قال جعفر بن محمد القطان إمام الجامع بأرمينية سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كتبت عن ألف شيخ وأكثر ما عندي حديث إلا وأذكر إسناده، خلقه وأدبه وعلمه وإتقانه شهد به كثير من العلماء، توفي يوم السبت لغرة شوال سنة 256. ينظر: تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1-1400هـ/24/430، وسير أعلام النبلاء للذهبي، دار الحديث - القاهرة، ط: 1427هـ/10/49، وتهذيب التهذيب 9/47.

(5) ينظر: جامع البيان 6/192.

(6) ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط: 1-1421هـ [22259] 36/594.

(7) ينظر: الملل والنحل للشهرستاني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1 - 1434هـ 131.

خير⁽¹⁾ في حديث ذي الخويصرة⁽²⁾، ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب فقتلهم بالنهروان، ثم تشعب منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة ومنتشرة، ثم نبغت القدرية ثم المعتزلة⁽³⁾ ثم الجهمية⁽⁴⁾ وغير ذلك من البدع التي أخبر بها الصادق المصدوق في قوله «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»، أخرجه الحاكم في مستدرکه⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ اختلّفوا في الوقف ههنا، فقيل على الجلالة، كما قال ابن عباس: التفسير أربعة أنحاء، فتفسيرا لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله، - عز وجل -⁽⁶⁾ وبه قال طائفة من السلف، وعن طاوس⁽⁷⁾ قال: كان ابن عباس يقرأ (وما يعلم تأويله إلا الله

-
- (1) وهي: تبعد بينها وبين المدينة المنورة ثمانية برد، بقدر ما يمشي الإنسان ثلاثة أيام. ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبدالله الأندلسي، عالم الكتب - بيروت، ط: 3-1403هـ/2/521.
- (2) هو: حرقوص بن زهير بن السعدي، الملقب بذي الخويصرة: صحابي، من بني تميم، خاصم الزبير ذات يوم، فأمر النبي ﷺ باستيفاء حقه منه، وأمره عمر بن الخطاب بقتال (الهرمزان) فاستولى على سوق الأهواز ونزل بها، ثم شهد صفين مع عليّ، وله أثر كبير في قتال الهرمزان، وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي، فقتل في من قتل بالنهروان، وفي سيرته اضطراب، ونعاه أحد شعراء الخوارج، بقوله من أبيات رواها المبرّد:
- وأسأل الله بيع النفس محتسبا... حتى ألقى في الفردوس حرقوصا. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، دار الكتب العلمية، ط: 1-1415هـ/1/714، والإصابة 2/343.
- (3) هي: فرقة من الفرق الإسلامية، ظهرت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، وسلكت منهجا عقليا مغاليا في بحث المسائل العقدية. ينظر: الملل والنحل ص73.
- (4) نسبة إلى جهم بن صفوان، قال عنه الذهبي: أساس الضلالة ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال. ينظر: الملل والنحل ص 104.
- (5) ينظر: المستدرک على الصحيحين لأبي عبد الله لحاكم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1-1411، [444] 218/1، وسنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط: 2-1395هـ، ك: الإيمان عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في افتراق هذه الأمة [2641] 4/323.
- (6) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن البلخي، دار إحياء التراث - بيروت، ط: 1-1423هـ/1/27.
- (7) هو: طاووس بن كيسان الخولانيّ الهمدانيّ، أبو عبد الرحمن: من أكابر التابعين تفقها في الدين ورواية للحديث وتشفيا في العيش، وأدرک خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. أصله من الفرس، ومولده ومنتشأه في اليمن، سنة 33هـ، وتوفي حاجا بالمزدلفة أومنى، وصلى عليه هشام بن عبد الملك سنة 106هـ. ينظر الأعلام 3/224. وطبقات المفسرين للأدنه وي 12/1.

ويقول الراسخون آمننا به) أي: أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله⁽¹⁾، وحكى ابن جرير أن قراءة عبدالله بن مسعود إن تأويله عند الله والراسخون في العلم يقولون واختاره⁽²⁾، ومنهم من يقف على قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾، ومنهم من يقف على ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ ومعهم كثير من المفسرين والأصوليين وقالوا: الخطاب بما لا يفهم بعيد، وعن ابن عباس قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله⁽³⁾.

وعن مجاهد⁽⁴⁾ والراسخون في العلم يعلمون تأويله يقولون آمننا به⁽⁵⁾، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس، فقال: «اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل»⁽⁶⁾.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أي: الداخلون فيه، وهم الذين أتقنوا علمهم بحيث لم تدخلهم في معرفتهم شك، وأصله من رسوخ الشيء، وهو ثبوته⁽⁷⁾، والمراد المحققون، ومن العلماء من فصل في هذا المقام، وقال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان: أحدهما بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤل أمره إليه، ومنه قوله تعالى ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ إلى قوله ﴿حَقًّا﴾⁽⁸⁾ وقوله ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾⁽⁹⁾ أي: حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا، فالوقف على الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمها على الجلية إلا الله، ويكون قوله والراسخون في العلم مبتدأ، ويقولون آمننا به خبره، وأما إن

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [6627] 202/6.

(2) ينظر: جامع البيان 222/5.

(3) ينظر: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي، دار الفكر - لبنان، 1416هـ/3/6.

(4) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم، تابعي، مفسر من أهل مكة، ولد سنة 21هـ، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيمن زلت وكيف كانت؟ وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة، وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها، أما كتابه في "التفسير" فيتقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يسأل النصارى واليهود، توفي سنة 104هـ ويقال: أنه مات وهو ساجد. ينظر: الأعلام 278/5 والإصابة في معرفة الصحابة 218/6 والطبقات الكبرى 19/6.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [6633] 203/6.

(6) أخرجه أحمد في مسنده [2397] 266/1.

(7) ينظر: مختار الصحاح للرازي، دار الحديث - القاهرة ص 141.

(8) سورة يوسف، آية (100).

(9) سورة الأعراف، الآية (53).

أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء، كقوله ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾⁽¹⁾ أي: بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؛ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ حال، وشاع هذا، وهو أن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه، وقوله ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ أي: بالمتشابه، ﴿كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا﴾ أي: الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق، وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له؛ لأن الجميع من عند الله، وليس شيء من عند الله يخلف ولا يتضاد، كقوله ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ إلى قوله ﴿كَثِيرًا﴾⁽²⁾ ولهذا قال: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة، وسئل رسول الله ﷺ عن الراسخين في العلم قال: «من برت يمينه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم»⁽³⁾، وعن عبد الله بن عمرو سمع رسول الله ﷺ قوماً يتدارأون في القرآن، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه على بعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوا إلى عالمه»⁽⁴⁾، رواه أحمد⁽⁵⁾ وابن ماجه⁽⁶⁾.

(1) سورة يوسف، الآية (63).

(2) سورة النساء، الآية (82).

(3) ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 7-1422هـ/1-265.

(4) أخرجه أحمد في مسنده [6741] 35/11.

(5) هو: أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني، إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة، ولد ببغداد سنة 164هـ ونشأ مكياً للعلم وسافر في سبيله أسفاراً كبيرة وصنف المسند الذي يحتوي على ثلاثين ألف حديث وله مؤلفات عدة اشتهر بعلمه الغزير وحفظه القوي، وبصبره على المحنة التي وقعت به والتي عرفت باسم "فتنة خلق القرآن" توفي سنة 241هـ بعد مرضه وكان عمره سبعا وسبعين سنة ينظر: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي عبد الله الحنفي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط: 1-1422هـ/1-114.

(6) هو: محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، أبو عبدالله، هو إمام في الحديث، توجه إلى مجالس العلم في سن مبكرة، من مؤلفاته كتاب السنن، روى عن: محمد بن المثنى وهشام بن عمار و عمرو بن عثمان وغيرهم، وروى عنه: ابن سيويه وإسحاق بن محمد وأحمد البغدادي، توفي سنة 273هـ وصلى عليه أخوه أبوبكر، ينظر: طبقات المفسرين 35/1، وسير أعلام النبلاء 13/277.

(1) وعن أبي هريرة⁽¹⁾ قال: قال رسول الله ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف، والمرء في القرآن كفر ثلاثا، ما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه»⁽²⁾ حديث صحيح الإسناد، ثم قال تعالى مخبرا عنهم أنهم دعوا ربهم قائلين ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي: لا تملنا عن الهدى بعد إذ أقمنا عليه، ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ، الذين يتبعون ما تشاء من القرآن، ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم، ودينك القويم، وهب لنا من لدنك رحمة تثبت بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وتزيدنا بها إيمانا وإيقانا، إنك أنت الوهاب، وعن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» ثم قرأ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾⁽³⁾ الآية وعن أسماء بنت يزيد، «أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: قلت يا رسول الله إن القلب ليقرب، قال نعم، ما خلق الله من آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاعه، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة، إنه هو الوهاب»⁽⁴⁾ رواهما ابن جرير، وعن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا استيقظ من الليل قال: لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم وبحمدك أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علما، ولا تزغ قلبي بعد

(1) هو: عبدالرحمن بن صخر الدوسي، أبو هريرة هو صحابي من صحابة رسول الله، أجمع أهل السنة أنه من أكثر الصحابة رواية وحفظا عن رسول الله ﷺ، روى عن: أبي بكر وعمر وأبي بن كعب وغيرهم، قال البخاري: روى عنه نحو من ثمانمائة رجل أو غيرهم، وتوفي سنة 282هـ، ينظر: البداية والنهاية لابن كثير، هجر للطباعة والنشر - الجزيرة، ط: 1- 1417هـ/8/103، وسير أعلام النبلاء 2/578، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي الدمشقي، دار الكتب العلمية - بيروت 1/57.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [7989] 13/369.

(3) ينظر: مسند إسحاق بن راهويه لأبي يعقوب بن راهويه، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، ط: 1- 1412هـ [1879] 4/112.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [6658] 6/220.

إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»⁽¹⁾ ، رواه أبوداود⁽²⁾ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ أي: يقولون في دعائهم إنك يا ربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم، وتفصل عنهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه، وتجزئ كلا بعمله، وما كان عليه في الدنيا من خير وشر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾⁽³⁾ كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنَ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾⁽³⁾

هذا إخبار عن حال الكفار بأنهم في الآخرة وقود النار، ولا ينفعهم الأموال ولا الأولاد عند الله من عذابه وأليم عقابه، أي: إن الذين كفروا بآيات الله وكذبوا رسله وخالفوا كتابه ﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ الآية، والوقود: الحطب الذي تسجر به النار وتتوقد به، وعن أم الفضل أم عبد الله بن عباس⁽⁴⁾ «أن رسول الله ﷺ قام ليلة بمكة فقال: هل

(1) ينظر: سنن أبي داود لأبي داود السجستاني، المكتبة العصرية - بيروت ، ك: الأدب، ب: ما يقول الرجل إذا تعار من الليل [5061] 4/314.

(2) هو: سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ بَشِيرٍ، أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِي الْأَزْدِي، الْإِمَامُ الْجَلِيلُ، صَاحِبُ السَّنَنِ، مِنْ سَجِسْتَانَ الْإِقْلِيمِ الْمَعْرُوفِ الْمِتَاخِمِ لِبِلَادِ الْهِنْدِ، وَلِدَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ، رَوَى عَنْ: الْقَعْنَبِيِّ وَسَلِيمَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمُسْلِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِمْ، وَرَوَى عَنْهُ: التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبْنَةُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِمْ، قَالَ عَنْهُ مُوسَى بْنُ هَارُونَ الْحَافِظُ: خَلَقَ أَبُو دَاوُدَ فِي الدُّنْيَا لِلْحَدِيثِ وَفِي الْآخِرَةِ لِلْجَنَّةِ مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَقَالَ الْحَاكِمُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَبُو دَاوُدَ إِمَامٌ أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِهِ يَلَا مَدَافِعَهُ، يَنْظُرُ: طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى لِتَقِيِّ الدِّينِ السَّبْكَيِّ، هَجَرَ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ - الْجِيزَةَ، ط: 2 - 1413 هـ / 2/293.

(3) سورة آل عمران، آية (11).

(4) هي: لبابة بنت الحارث الهلالية، الشهيرة بأم الفضل، زوجة العباس بن عبد المطلب. من نبيلات النساء ومنجباتهن. ولدت للعباس ستة رجال، أحدهم عبد الله بن عباس، وهي لبابة الكبرى وهي أخت ميمونة زوج النبي ﷺ - وخالة خالد بن الوليد، وهي التي ضربت أبا لُبَّ بعمود، فشجته، حين رأته يضرب أبارافع مولى رسول الله، في حجرة زمزم بمكة، على أثر وقعة بدر، وكان موت أبي لُبَّ بعد ضربة أم الفضل له بسبع ليال. أسلمت بمكة بعد إسلام خديجة وكان رسول الله ﷺ - يزورها ويقبل في بيتها. روت ثلاثين حديثا، منها ثلاثة أحاديث في الصحيحين، ينظر أسد الغابة/1/1408 وتهذيب الأسماء واللغات لابن شرف النووي، دار الكتب العلمية - بيروت 1/947 وتهذيب الكمال/53/297.

بلغت؟، يقولها ثلاثاً، فقام عمر بن الخطاب فقال: نعم، فقال - عليه الصلاة والسلام -: ليظهرنَّ الإسلام حتى يرد الكفر إلى مواطنه، وليخوضنَّ رجال البحارَ بالإسلام وليأتينَّ على الناس زمان يقرؤون القرآن فيقرؤونه، فيقولون قد قرأنا، وقد علمنا من هذا الذي هو خير منا، فما في أولئك من خير، قالوا يا رسول الله من أولئك؟ قال: أولئك منكم، وأولئكهم وقود النار» رواه ابن أبي الحاتم⁽¹⁾ وابن مردويه⁽²⁾، وقوله ﴿ كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: كصنيع آل فرعون وفعلهم، والدأب بالتسكين والتحريك كنهْر ونهْر، وهوالصنيع والحال والشأن والأمر والعادة⁽³⁾، كما يقال لا يزال هذا دأبي ودأبك، وقال امرؤ القيس: وقوفا بها صحي على مطيئهم.. يَقُولُونَ لا تهلك أسى وتجمُل

كذأبك من أم الحويرث⁽⁴⁾ قبلها.. وجارتها أم الرباب⁽⁵⁾ بمأسَل⁽⁶⁾

والمعنى: كعادتك في أم الحويرث حين أهلكت نفسك في حبها وبكيت دارها ورسومها ومعنى الآية: أن الكافرين لا يغني عنهم الأولاد والأموال، بل يهلكون ويعذبون كما

(1) هو: عبدالرحمن بن محمد بن إدريس أبو محمد الخنظلي الرازي، المعروف بابن أبي حاتم، الإمام ابن الإمام، الحافظ ابن الحافظ، ولد سنة أربعين، روى عن: أبا سعيد الأشج وعلى بن المنذر الطريقي والحسن بن عرفة وغيرهم، روى عنه: أبو الشيخ بن حيان وعلى بن مدرك وأبو أحمد الحاكم وغيرهم، قال أبو الوليد الباجي: ابن أبي حاتم ثقة حافظ، له مصنفات عديدة منها: كتاب الزهد، وكتاب الكني، وله الجرح والتعديل في عدة مجلدات تدل على سعة حفظه وإمامته، وقد أثنى عليه جماعة بالزهد والورع التام والعلم والعمل، توفي في الحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة -رحمه الله تعالى-. ينظر: تذكرة الحفاظ: 2 / 112، والوافي بالوفيات لابن عبدالله الصفدي، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ-18 / 135.

(2) هو: أحمد بن موسى بن مردويه، أبوبكر الأصبهاني، الحافظ الثبت العلامة، وصاحب التفسير والتاريخ، ولد سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، روى عن: أبي سهل بن زياد القطان وميمون بن إسحاق وعبدالله بن إسحاق الخراساني وغيرهم، وروى عنه: أبو القاسم عبدالرحمن بن منده وأخوه عبدالوهاب وعبد الله الثقفي وغيرهم، صنف التفسير والتاريخ والأبواب والشيخ، وخرَّج حديث الأئمة، توفي في شهر رمضان لست بقين منه من سنة عشر وأربعمائة ينظر: تاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1- 1410 هـ- 260 / 1، وتذكرة الحفاظ/3 / 1050، والوافي بالوفيات/8 / 131.

(3) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم 4 / 2219.

(4) هي: هر أم الحارث بن حصين. ينظر ديوان امرئ القيس ص 45.

(5) أم الرباب وأم الحويرث امرأتان من كلب، شيب بهما الشاعر. ينظر المصدر السابق ص 45.

(6) ينظر: المصدر السابق ص 45.

جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين بالرسول فيما جاؤهم به من آيات الله وحججه، فعاقبهم الله بذنوبهم، ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: شديد الأخذ، الأليم العقاب، لا يمتنع منه أحد ولا يفوته شيء.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ﴿١٣﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٤﴾⁽¹⁾

أي: قل يا محمد للكافرين، ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الذي مهد لهم، روى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني القينقاع وقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا، فقالوا يا محمد: لا يغرنك من نفسك إن قتلت نفرا من قريش أعمادا لا يعرفون القتال، إنك والله إن قتلنا لعرفتنا، أنا نحن الناس وإنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله في ذلك ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ وعن ابن عباس مثله، ولهذا قال تعالى ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ أي: قد كانت لكم أيها اليهود والقاتلون بما قتلتم آية، أي: دلالة على أن الله معز دينه وناصر رسوله ومظهر كلمته، ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ أي: طائفتين، ﴿الَّتَقَتَا﴾ أي: للقتال، ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المسلمون، ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركوا قريش يوم بدر، وقوله ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ﴾ قيل: أي: يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثلهم في العدد، ﴿رَأَىٰ الْعَيْنِ﴾ أي: جعل الله ذلك فيما رواه سببا لنصرة الإسلام عليهم، وقيل: أي: ترى الفئة المسلمة الفئة الكافرة ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾ أي: ضعفهم في العدد، ومع هذا نصرهم الله عليهم، وهذا غير بعيد على ما أوله ابن جرير⁽²⁾، وقال: هذا كما تقول عندي ألف وأحتاج إلى مثلها، ويكون محتاجا إلى ثلاثة آلاف، وإلا فلا شك أن الكفار كانوا بين التسعمائة إلى الألف، والمسلمين

(1) سورة آل عمران، الآيتان (12-13).

(2) ينظر: جامع البيان 5/244.

ثلاثمائة وثلاثة عشر، وقال عبد الله بن مسعود⁽¹⁾ : هذا يوم بدر وقد نظرت إلى المشركين فرأيتهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا، ولقد قللوا في أعيننا حتى علمت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، قال: فأسرنا رجلا منهم فقلنا: كم كنتم؟ فقال: ألفاً، فعندما عاين كل من الفريقين الآخر، رأى المسلمون المشركين مثلهم، أي: أكثر منهم بالضعف؛ ليتوكلوا وتوجهوا وتطلبوا الإعانة من الله - تعالى- ورأى المشركون المؤمنين كذلك؛ ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع، ثم إذا حصل المصاف والتقى الفريقان قلل الله هؤلاء في أعين هؤلاء، وهؤلاء في أعين هؤلاء؛ ليقدم كل منهما على الآخر، ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾⁽²⁾ أي: ليفرق بين الحق والباطل فيظفر أهل الإيمان على الكفرة ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أي: إن في ذلك لمعتبر لمن له بصيرة وفهم يهتدي إلى حكمة الله وأفعاله وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾﴾
 ﴿قُلْ أَوْبَيْئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾⁽³⁾

يخبر الله -تعالى- عما منّ للناس في هذه الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء؛ لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في الصحيح أنه قال ﷺ «ما تركت بعدي فتنة أضر

(1) هو: عبدالله بن مسعود بن غافل بن هذيل أبو عبدالرحمن الهذلي أسلم بمكة قديما وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها، وكان صاحب نعل رسول الله ﷺ كان إذا قام ألبسه إياهما، وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم، روى عن النبي ﷺ وعن سعد بن معاذ وصفوان بن عسال وغيرهم، وروى عنه: ابنه عبدالرحمن وأبو عبيدة وابن أخيه عبدالله بن عتبة بن مسعود وغيرهم، وقد آخى بينه النبي ﷺ وبين سهد بن معاذ مات بالمدينة قبل عثمان، هكذا قال البخاري، وقال ابن حبان: صلى عليه الزبير. ينظر: تهذيب التهذيب 6/24، وتهذيب الكمال 1/206.

(2) سورة الأنفال، الآية (42).

(3) سورة آل عمران، الآية (14).

على الرجال من النساء»⁽¹⁾ ، فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه، كما قال -عليه الصلاة والسلام- «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسه وماله»⁽²⁾ وقال في حديث آخر: «حب إلي الطيب والنساء، وجعلت قرّة عيني في الصلاة»⁽³⁾ ، وقالت عائشة «لم يكن شيء أحبّ إلى رسول الله ﷺ إلا الخيل»⁽⁴⁾ وفي رواية «من الخيل إلا النساء»⁽⁵⁾ .

وحب البنين تارة يكون للمفاخرة والزينة فهو داخل في هذا، وتارة يكون لكثرة النسل وبكثرة أمة محمد ﷺ ممن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا محمود ممدوح، كما ثبت في الحديث «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»⁽⁶⁾ .

وحب المال كذلك يكون تارة للفخر والخيلاء والكبر على الضعفاء وهذا مذموم، وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الأرحام والقربات فهذا محمود محسود⁽⁷⁾ شرعاً. وقد اختلف المفسرون في مقدار القنطار، قيل ألف دينار، وقيل ألف ومائتا دينار، وقيل اثنا عشر ألف دينار، وقيل أربعون ألفاً، وقيل ستون ألفاً، وقيل سبعون ألفاً، وقيل ثمانون ألفاً، وقيل غير ذلك، وحاصلها المال الجزيل، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

-
- (1) ينظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن رسول الله ﷺ للإمام مسلم النيسابوري، ك: الرقاق، ب: أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء [2740] 4/2097.
- (2) ينظر: المستدرک على الصحيحين للحاكم [1460] 1/567.
- (3) ينظر: المصنف لعبدالرزاق الصنعاني، المجلس العلمي - الهند، ط: 2 - 1403 هـ ، ك: الطهارة، ب: المرأة تصلي وليس في رقبتها قلادة وتطيب الرجال [7939] 4/321.
- (4) ينظر: المجتبى من السنن للنسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط: 2 - 1406 هـ ، ك: الخيل، ب: حب الخيل [4389] 4/313.
- (5) أخرجه أحمد في مسنده [20312] 33/425 بلفظ "لم يكن شيء أحبّ إلى رسول الله ﷺ من الخيل" ثم قال "اللهم غفرا، بل النساء".
- (6) ينظر: مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار لأبي بكر العتكي البزار، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: 1 - 1988 م [6456] 13/95.
- (7) في ابن كثير: محمود ممدوح، ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/19.

«القنطار اثنا عشر ألف أوقية، كل أوقية خير مما بين السماء والأرض» رواه أحمد⁽¹⁾، وموقوفاً أصح. وعن أنس⁽²⁾ قال: «سئل رسول الله ﷺ عن قول الله ﴿وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ قال: القنطار ألف أوقية»⁽³⁾ صحيح على شرط الشيخين وإن لم يخرجاه. والمقنطرة المحصنة المحكمة الكثيرة المنضرة بعضها فوق بعض، وقيل: المضروبة المنقوشة. وقال أبو سعيد الخدري⁽⁴⁾: «القنطار ملء مسك الثور ذهباً»⁽⁵⁾.

وحب الخيل على ثلاثة أقسام: تارة يكون ربطها أصحابها معدة لسبيل الله، متى احتاجوا إليها غزوا عليها، فهؤلاء [يثابون]⁽⁶⁾، وتارة فخرا ونواء لأهل الإسلام، فهذه على صاحبها وزر، وتارة التعفف واقتناء نسلها، ولم ينس حق الله في رقابها⁽⁷⁾ فهذه لصاحبها ستر، كما ورد به الحديث الصحيح الذي يجيء في موضعه.

وأما المسومة فعن ابن عباس هي الراعيه المطهّمة⁽⁸⁾ الحسان وعليه الأكثر، وقيل: هي الغرة والتحجل، وعن أبي ذر⁽⁹⁾ قال: قال رسول الله ﷺ «ليس من فرس عربي إلا يؤذن له من

(1) أخرجه أحمد في مسنده [8758] 366/14.

(2) هو: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، أبو حمزة، خادم النبي ﷺ كان يتسمى به ويفتخر بذلك، تربي أنس على يد النبي ﷺ تربية خاصة، روى عن: النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر وغيرهم، روى عنه: ابن سيرين وحמיד الطويل وثابت البناني وغيرهم، اختلف في وفاته، فقيل سنة 91هـ وقيل: سنة 92هـ وقيل: سنة 93هـ، ينظر: أسد الغابة 1/294، و سير أعلام النبلاء 4/417، و الإصابة 1/274..

(3) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار الفكر - بيروت 2/161.

(4) هو: سعد بن مالك بن سنان، أبو سعيد الخدري، صحابي جليل، أسلم وهو صغير شهد الخندق وبيعة الرضوان، وحدث عن النبي ﷺ فأكثر وأطاب، قال بن أبي سفيان: عن أشياخه كان من أفقه أحداث الصحابة روى عن: أبي بكر وعمر وغيرهم، وروى عنه: ابن عمر وجابر وأنس وغيرهم، قال الواقدي وجماعة: توفي سنه 74هـ، ينظر: أسد الغابة 6/138، و سير أعلام النبلاء 3/168، و الإصابة 3/65..

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [3259] 2/608.

(6) في المخطوط: شابون، وهي لا معنى لها.

(7) اختلف العلماء في زكاة الخيل فأوجبها أبو حنيفة خلافاً للجمهور. ينظر: الجوهرة النيرة لأبي بكر الحنفي، المطبعة الخيرية، ط: 1 - 1322هـ 1/119.

(8) قال الأصمعي: المطهّم التام كل شيء منه على حدته وهو بارع الجمال. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر الفارابي، دار العلم للملايين - بيروت ط: 4 - 1407هـ 5/1977.

(9) هو: جندب بن جنادة بن سكن الغفاري الكناني، أبو ذر، من صحابة النبي ﷺ وهو رابع من دخل في الإسلام، وأول من حيا رسول الله بتحية الإسلام، وأحد الذين جهروا بالإسلام في مكة قبل الهجرة، روى: عن النبي ﷺ، وروى عنه: عمر بن الخطاب وأنس بن مالك وابن عباس وغيرهم، توفي سنة 32هـ وصلى عليه ابن مسعود، ينظر: أسد الغابة 6/96، و الإصابة 7/105.

كل فجر يدعو يقول: اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَوَّلْتَنِي مِنْ خَوَّلْتَنِي مِنْ بَنِي آدَمَ فَاجْعَلْنِي مِنْ أَحِبِّ مَالِهِ وَأَهْلِهِ إِلَيْهِ «رواه أحمد»⁽¹⁾.

وقوله ﴿وَالْأَنْعَمُ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثُ﴾ يعني الأراضي المتخذة للغراس والزراعة، وعن سويد⁽²⁾ عن النبي ﷺ «خير مال امرء مهرة مأمورة، أو مسكة مأبورة»⁽³⁾ المأمورة: كثيرة النسل، والمسكة: النخل المصطفة، والمأبورة: الملقحة.

ثم قال تعالى ﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزيتها الفانية الزائلة ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ أي: المرجع والثواب، وقال ابن جرير: قال عمر بن الخطاب: لما نزلت ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ قلت: يارب الآن حين زيتتها لنا فنزلت ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ﴾ الآية، أي: قل يا محمد للناس ءأخبركم بخير ما يزين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذي هو زائل لا محالة؟ ثم أخبر عن ذلك فقال: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ينخرق ما بين جوانبها وأرجائها الأنهار من أنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ﴿خَالِدِينَ﴾ أي: ماكثين فيها أبداً، لا يبغون عنها حولا ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي: من الدنس والخبث والأذى والحيض والنفاس وغير ذلك، مما يعترى نساء الدنيا ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: يحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم بعده أبداً، ولهذا قال في الآية التي في براءة ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾⁽⁴⁾ أي: أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم ثم قال: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ أي: فيعطي كلا بحسب ما يستحقه من العطاء.

(1) أخرجه أحمد في مسنده [21497] 392/35.

(2) هو: سويد بن هبيرة بن عبدالحارث الدثلي وقيل العبدى وقيل العدوي، قال ابن الأثير: الدثلي والعبدى لأنه من بني الدثل بن عمرو وهو بطن بن عبدالقيس، وقال أبو أحمد: هو عدوي من عدي بن عبد مناة، وقال أبو عمر: أنه سكن البصرة. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب 1/205 والإصابة في تمييز الصحابة 3/229.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [15939] 443/5.

(4) سورة التوبة، الآية (72).

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَانَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ (1)

هذا وصف للمتقين الذين وعدهم الله الثواب الجزيل فقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا
أَعْمَانَا﴾ أي: بك وبكتابك ورسولك ﴿فَاعْفِرْ لَنَا﴾ أي: بإيماننا بك وبما شرعته لنا فاغفر لنا
ذنوبنا وتقصيرنا في أمرنا بفضلك ورحمتك ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

ثم قال ﴿الصَّابِرِينَ﴾ أي: في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ فيما
أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة، ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ والقنوت: الطاعة
والخضوع، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ أي: من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات والقربات
ومواساة ذوي الحاجات، ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ دال على فضيلة الاستغفار وقت
الأسحار، وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة
إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأعطيته؟ هل من
مستغفر فأغفر له؟» الحديث (2)، وروى ابن مردويه عن أنس قال: كنا نؤمر إذا صلينا من
الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة.

(1) سورة آل عمران، الآيتان (16-17).

(2) ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، ط:
1-1422هـ، ك: التهجد، ب: الدعاء في الصلاة من آخر الليل [1145] 356/1، و مسلم في صحيحه، ك: صلاة
المسافرين وقصرها، ب: الترغيب في الدعاء والذكر [758] 522/1.

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٧) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ (١)

﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ وكفى شهيدا، وهو أصدق الشاهدين ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أى المتفرد بالالوهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبده وخلقه، ثم قرن بشهادة الملائكة، فقال ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام، ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ منصوب على الحال، وهو في جميع الأحوال كذلك، والقسط: العدل أي: قائما بتدبير الخلائق ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ تأكيدا لما سبق ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يرام جنبه عظمة وتكبرا ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أفعاله وأقواله وشرعه وقدرته، وعن الزبير بن العوام (٢) قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ قال: «وإنا على ذلك من الشاهدين يا رب» رواه أحمد (٣).

وقوله ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ أي: لا دين عنده مقبول سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ، فسدَّ الله جميع الطرق إليه إلا من جهته - عليه الصلاة والسلام -، فمن لقي الله بعد بعثته وبلوغ دعوته إليه بدين غير شريعته فليس بمتقبل؛ بل يكون مردودا من الخاسرين، فإن الدين المقبول محصور في

(1) سورة آل عمران، الآيات (18-20).

(2) هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي يكنى أبا عبدالله، ابن عمه رسول الله ﷺ وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي -ص- أسلم بعد أبي بكر ﷺ بيسير كان رابعا أو خامسا في الإسلام وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مسعود لما أخى بين المهاجرين بمكة شهد بدرًا؛ بل ولم يتخلف في غزوة غزاها رسول الله ﷺ وهو أحد المشهود لهم بالجنة، توفي في رجب سنة 36هـ. ينظر أسد الغابة 2/ 295، تهذيب التهذيب 318/3.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [1421] 37/3.

الإسلام، واستحب العلماء لمن يقرأ هذه الآية أن يقول بعدها: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة وهي عند الله وديعة، وإن الدين عند الله الإسلام حتى يدخل به الجنة⁽¹⁾، لما ورد فيه حديث قوي وذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ (شهد الله إنه) بكسر (إنه) وفتح أن الدين عند الله الإسلام⁽²⁾، والجمهور قرأوها بالكسر على الخبر، وكلا المعنيين صحيح، ولكن ما عليه الجمهور أظهر.

ثم أخبر تعالى أن الذين أوتوا الكتاب الأول إنما اختلفوا بعدما قامت عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم فقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: بغى بعضهم على بعض، فاختلفوا في الحق؛ لتحاسدهم وتباغضهم وتدابيرهم، فحملهم ذلك على المخالفة في الأفعال والأقوال وإن كانت حقا، ثم قال ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: جحد بما أنزل الله في كتابه، فإن الله سيجازيه على ذلك، ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه بمخالفته كتابه.

ثم قال: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: جادلوك في التوحيد، ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ على ديني، يقولون بمقالتني، ثم أمر رسوله أن يدعو إلى دينه، والدخول في شرعه، فقال ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الآية المراد بالآيتين مشركو العرب، و﴿الْبَلَّغُ﴾ تبليغ الرسالة أي: وعلى الله حسابهم وإليه مرجعهم ومآبهم وهو الهادي إلى الرشاد بحكمته البالغة، ولهذا قال ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ أي: هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة.

وهذه الآية وأمثالها أصرح الدلالات على عموم بعثته إلى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة، وفي الصحيحين وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع أنه ﷺ بعث كتبه إلى ملوك الآفاق عربهم وعجمهم يدعوهم إلى الله امثالاً لأمره له بذلك وقال - عليه الصلاة والسلام - «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم مات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار» رواه مسلم⁽³⁾

(1) ينظر: تفسير الإمام الشافعي، لبي عبد الله الشافعي، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، ط: 1-1427هـ. 464/1.

(2) ينظر: جامع البيان 6/268.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ المثل بمثله. 134/1 [153].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾⁽¹⁾

قد ذم الله أهل الكتاب بما ارتكبه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديماً وحديثاً، التي بلغتهم إياها الرسل، استكباراً عليهم وعناداً وتعاضماً على الحق، وفي قتلهم الأنبياء بتبليغهم شرع الله من غير جريمة ولا سبب؛ بل لكونهم دعوهم إلى الحق، وقتلهم الذين يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، وهذا هو غاية الكبر، كما قال -عليه الصلاة والسلام- «الكبر بظلم الحق وغمط الناس»⁽²⁾ وعن عبيدة بن الجراح⁽³⁾ قال: «قلت يا رسول الله أي: الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ﴾ الآية، ثم قال: يا أبا عبيدة، قتلت بنوا إسرائيل ثلاثة وأربعين بنتاً في أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنى عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمرهم من قتلهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه» رواه ابن أبي حاتم⁽⁴⁾ وابن جرير⁽⁵⁾، ولهذا قتلهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة، فقال ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: موجع مهين، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ أي: بطلت أعمالهم، وهو أن لا تُقبَل في الآخرة أن لا يثاب عليها، ولا يكون لهم ناصر يمنعهم من عذاب الله.

(1) سورة آل عمران الآيات (21-22).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: تحريم الكبر وبيانه [91] 1/93.

(3) هو: عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب القرشي الفهري شهد بدمراً مع رسول الله ﷺ وقصد أباه فقتله مشركاً، وهاجر إلى الحبشة المهجرة الثانية وهو الذي انتزع من وجه رسول الله ﷺ حلقتي الدرع يوم أحد فسقطت ثناياه، بعثه رسول الله ﷺ أميناً ووالياً إلى أهل نجران فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أميناً " وكان أحد الأمراء الأجناد بالشام توفي سنة 18هـ وصلى عليه معاذ بن جبل. ينظر الإصابة في تمييز الصحابة 3/586 ومعرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، دار الوطن للنشر - الرياض، ط: 1 - 1419هـ 1/148.

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [3332] 2/620.

(5) ينظر: جامع البيان 5/291.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسِّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَّعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾⁽¹⁾

هذا إنكار على اليهود والنصارى المضلين فيما كانوا يزعمون بكتابتهم، وهما التورية والإنجيل، فإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما منهما تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية المذمة؛ لمخالفتهم وعنادهم، ثم قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: إنما حملهم وجرأهم على مخالفة الحق افتراءؤهم على الله بأنهم إنما يعذبون في النار سبعة أيام عن كل ألف سنة في الدنيا يوما كما سبق بيانه في تفسير سورة البقرة، ثم قال ﴿وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: ثبتهم على دينهم الباطل ما خدعوا به أنفسهم من أنهم لا يعذبون في النار إلا سبعة أيام قد افتروا هذا من تلقاء أنفسهم، فهدد الله بهم وأوعدهم بقوله ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾ أي: كيف حالهم وقد افتروا على الله وكذبوا رسله وفعلوا ما فعلوا، والله سائلهم عن ذلك كله، ومحاسبهم عليه ومجازيهم به، ﴿لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك في وقوعه، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ جِزَاءَ مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ﴾ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾⁽²⁾

أي: قل يا محمد معظما لربك ومتوكلا عليه وشاكرًا له، اللهم مالك الملك، إن لك الملك كله أنت المعطي، وأنت المانع، وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، وفي هذه الآية

(1) سورة آل عمران، الآيات (23-25).

(2) سورة آل عمران، الآيات (26-27).

تنبیه وإرشاد إلى شكر نعمه تعالى على رسوله - عليه الصلاة والسلام - وأتمته؛ لأن الله حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي، سيد المرسلين وخاتم النبيين، الذي خصه الله بخصائص لم يعطها نبي من الأنبياء، ولهذا قال تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ أي: المتصرف في خلقه الفعال لما يريد، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت، وقوله ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ أي: تأخذ من طول هذا وتزيد في قصر هذا فيعتدلان، ثم يأخذ من هذا في هذا فيتفاوتان ثم يعتدلان، وهكذا في فصول السنة ربيعا وصيفا وخريفا وشتاء، وقوله ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ أي: يخرج الحب من الزرع والزرع من الحبة، والنخلة من النواة والنواة من النخل، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء، ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي: تعطي من شئت من المال ما لا يعده ويقدر على إحصائه، وتقتري على الآخرين؛ لما لك في ذلك من الحكمة والإرادة، وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في هذه الآية من آل عمران ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ إلى آخر الآية» رواه الطبراني (1).

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (2)

نهى الله عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يسروا إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعد على ذلك بقوله ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ أي: ومن يرتكب نهى الله في هذا، فقد بريء من الله كما في غيرها من الآيات الواضحات، وقوله ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا ﴾ أي: إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم يُتَّقِيهِمْ (3) ظاهرا لا باطنا بنية، كما في البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: « إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم » (4) وقال

(1) ينظر: المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: 2 [12792] 12/171.

(2) سورة آل عمران، الآية (28).

(3) هكذا في المخطوط، وذكر ابن كثير يتيقنهم، ينظر تفسير القرآن العظيم ص44.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب، ب: المداراة مع الناس 8/31.

ابن عباس: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان ⁽¹⁾. ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ⁽²⁾ الآية ثم قال تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي: ويحذركم نعمته في مخالفته وسطوته في عذابه لمن والى أعدائه وعادى أولياءه ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمنقلب؛ ليجازي كل عامل بعمله.

﴿قُلْ إِنْ تُحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ⁽³⁾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ⁽³⁾

هذا إخبار من الله بأنه عالم بالسرائر والضمائر والظواهر، وأنه لا يخفى عليه منهم خافية، بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال وجميع الأوقات، وبجميع ما في السماوات والأرض لا تغيب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الدنيا والبحار، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قدرته نافذة في جميع ذلك، وهذا تنبيه لعباده على خوفه وخشيته، حتى لا يرتكبوا المناهي فإنه عالم بجميع أمورهم، قادر على معالجتهم بالعقوبة، فإنه يمهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر، ولهذا رتب عليه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ يعني يوم القيامة يحضر العبد جميع أعماله من خير وشر، فما رأى من أعماله حسنا سره وأفرحه، وما رأى من قبح ساءه وغازظه، وود أنه لو تبرأ منه وأن يكون بينهما بعيدا، كما يقول لشیطانہ الذي كان مغترا به في الدنيا، وحمله على فعل السوء ﴿قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ ⁽⁴⁾ ثم قال تعالى مؤكداً

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [6834] 6/316.

(2) سورة النحل، الآية (106).

(3) سورة آل عمران، الآيتان (29-30).

(4) سورة الزخرف، الآية (38).

ومتوعداً ﴿وَيُحَذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي: يخوفكم عقابه، ثم قال مرجئاً لعباده لئلا يئسوا من رحمته ﴿وَاللَّهُ رَعُوفٌ﴾ أي: رحيم بخلقه، قال الحسن ⁽¹⁾: من رأفته بهم حذرهم نفسه ⁽²⁾.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ⁽³⁾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس على طريقة الشريعة، فإنه كاذب في دعواه حتى يتبع الشرع والدين في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ⁽⁴⁾ ولهذا قال ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ الآية، ﴿يُحِبُّكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعضهم ⁽⁵⁾ ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تُحَبَّ" وقوله ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: باتباعكم الرسول يحصل لكم هذا كله، ثم قال أمراً كل أحد من خاص أو عام ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: تخالفوا عن أمره، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ فيه دليل على أن مخالفته في الطريقة كفر وإن ادعى محبة الله، حتى يتابع الرسول المرسل إلى جميع الثقلين ﷺ.

(1) هو: الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري أبو سعيد، مولى أم سلمة أحد الأعلام، كان أمام أهل البصرة، أشتهر بعلمه وزهده وتقواه، وهو من أشهر المحدثين، حافظاً للقرآن عاملاً بآدابه وتعاليمه، أحد أئمة التابعين، عظمت هيئته في القلوب، ومن ورعه وخوفه لما ولي القضاء أتاه خصمان فجلسا بين يديه فرفع أحدهما صوته على الآخر فبكى الحسن وقال: ارحماني فأنا شيخ كبير! يعني إن رضيت فهو جور على الحكم، كما ذكر ذلك زكرياء بن عدي. ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت 131/2، ومعجم حفاظ القرآن عبر التاريخ لحمد محيسن، دار الجيل - بيروت ط: 1-1412هـ/176، والأعلام 226/2.

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [389] 387/1.

(3) سورة آل عمران، الآيتان (31-32).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: البيوع، ب: النجش 69/3.

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم 46/3.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾⁽¹⁾

يخبر الله تعالى أنه اختار هذه الطائفة الخالص على سائر أهل الأرض، فاصطفى آدم - عليه السلام - خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسكنه الجنة، ثم أهبطه منها إلى الأرض، بما له في ذلك من الحكمة، واصطفى نوحا - عليه السلام - وجعله أول رسول بعثه إلى الأرض؛ لما عبدوا الأوثان وانتقم له لما طالت مدته بينهم يدعوهم إلى الله، ولم يزداهم ذلك إلا فرارا فدعا عليهم فأغرقهم الله، ولم ينج منهم إلا من كان معهم، واصطفى آل إبراهيم ومنهم سيد البشر وخاتم النبيين محمد ﷺ وآل عمران وهو والد مريم أم عيسى بن مريم، فعيسى من ذرية إبراهيم، كما سيأتي في سورة الأنعام - إن شاء الله - وقال ابن إسحاق⁽²⁾ هو عمران آخر والأول صحيح لمناسبة ما بعده.

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾⁽³⁾

اسم المرأة حنة بنت فاقودا، قال ابن إسحاق: وكانت امرأة لا تلد فرأت يوما طائراً يزيق فرخه، فاشتته الولد فدعت الله - تعالى - أن يهبها ولدا، فاستجاب الله دعائها، فواقعها زوجها فحملت، فلما تحققت الحمل نذرت أن يكون محررا، أي: خالصا مفرغا للعبادة لخدمة بيت المقدس، فقالت ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾

(1) سورة آل عمران، الآيات (33-35).

(2) هو: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر، إمام نيسابور في عصره كان فقيها مجتهدا، عالما بالحديث، قال الدار قطني: كان ابن خزيمة إماما ثبتا معدوم النظير، سمع من إسحاق بن راهويه، ومحمد بن حميد، ولم يحدث عنهما، له مصنفات عديدة منها: التوحيد وإثبات صفة الرب، وصحيح ابن خزيمة، توفي سنة 311هـ. ينظر: التذكرة للحفاظ 207/2، و سير أعلام النبلاء 365/14، والإعلام 29/6.

(3) سورة آل عمران، الآيتان (35-36).

لدعائي ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيتي، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ قرئ برفع التاء على أنها تاء المتكلم، وإنها من تمام قولها، وقرئ بسكونها على أنها من قول الله ⁽¹⁾ ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ أي: في القوة والجلادة في العبادة والخدمة ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ وهذا كما قال - عليه الصلاة والسلام - : «ولدت الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم» متفق عليه ⁽²⁾ ، ثم قال تعالى إخبارا عن أم مريم أنها قالت ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِيَدِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: عودتها بالله - عز وجل - من شر الشيطان وعودت ذريتها وهو ولدها عيسى - عليهما السلام - ، فاستجاب الله لها ذلك، كما في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه إياه إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِيَدِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ⁽³⁾ .

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ⁽⁴⁾

أخبر الله بقبوله نذرها قبولاً مرضياً، ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أي: جعلها شكلاً مليحاً ويسراً لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده، ولهذا قال ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ وقرئ بتشديد الفاء ونصب زكرياء على المفعولية أي: جعله كافلاً لها، قال إسحاق: وما ذاك إلا أنها كانت يتيمة، وقيل: أصابت بني إسرائيل سنة جذب وكفلها زكرياء لذلك، وكان ذلك لسعادتها؛ لتقتبس منه علماً نافعا وعملاً رافعا ولأنه كان زوج خالتها، وقيل: زوج

(1) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة، دار الرسالة/1/160.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفضائل، ب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك [2315] 1807/4.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِيَدِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [4548] 34/6، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفضائل، ب: فضائل عيسى - عليه السلام - [2366] 1838/4.

(4) سورة آل عمران، الآية (37).

أختها، كما ورد في الصحيح «فإذا يحي وعيسى وهما ابنا خالة»⁽¹⁾ ، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ «قضى في غمارة بنت حمزة أن تكون في حضانة خالتها امرأة جعفر بن أبي طالب وقال: الخالة بمنزلة الأم»⁽²⁾ ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلالتها في محل عبادتها فقال ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ قال أئمة التابعين: أي: فأكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف⁽³⁾ ، وقيل: أي: صحفا فيها علم. والأول أصح، وفيه إثبات كرامات الأولياء، فإذا رأى زكرياء هذا عندهم ﴿قَالَ يَمْرَيْمُ أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ أي: من أين لك هذا؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ قال الحسن: حين ولدت لم تلقم ثديا قط كان يأتيها رزقها من الجنة⁽⁴⁾ ، فيقول لها زكرياء: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ تكلمت وهي صغيرة، وكان هاهنا حديث مطعون في غاية الضعف فلم نكتبه؛ لعدم الاحتياج إليه.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ﴿٣٨﴾ فَدَاتُهُ الْمَلَأْتِكُهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأُمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَأَذْكُر رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾⁽⁵⁾

لما رأى زكرياء أن الله كيف يرزق مريم، قال: إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب، لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولدا في غير حينه على الكبر، فطمع في الولد، ذلك أن أهل بيته كانوا قد انقضوا، وكان زكرياء قد شاخ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قوله تعالى ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى﴾ [3430] 163/4.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الصلح، ب: كيف يكتب هذا: ما صلح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم ينسبه إلى قبيلته [2699] 184/3.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [6930] 355/6.

(4) ينظر: النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية - بيروت 388/1.

(5) سورة آل عمران، الآيات (38-41).

ولم يكن له ولد فعند ذلك سأل ربه وناداه خفياً، فدخل المحراب وغلق الأبواب و﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ﴾ أي: من عندك ذرية طيبة أي: ولدا صالحا إنك سميع الدعاء ﴿فَنَادَتْهُ﴾ أي: خاطبته الملائكة شفاها خطابا أسمعته وهو قائم في محراب عبادته، ومحل مناجاته وطاعته، ببشارة ﴿ أَنْ أَلَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾ أي: بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى، قال قتادة: إنما سمي يحيى لأن الله أحياه بالإيمان ⁽¹⁾، وقوله ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس وأكثر الأئمة: أي: بعيسى بن مريم ⁽²⁾، وهو أول من صدق به وعلى سنته ومنهاجه، وعنه أيضا قال: كان يحيى وعيسى ابني خالة وكانت أم عيسى تقول لمريم: إني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك ⁽³⁾، وذلك تصديقه له في بطن أمه وهو أكبر من عيسى بستة أشهر.

وقوله ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ قالوا: أي في العلم والعبادة، وقيل: هو الحلیم التقي، وقيل: هو الذي لا يغلبه الغضب، وقيل: الكريم على الله ﴿ وَحَصُورًا ﴾ قالوا: هو الذي لا يولد له ولا ماء له ينزل. قال عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «ما من أحد يلتقى الله إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكرياء لم يناول شيئاً من الأرض، وقال: الحصور: ما كان ذكره مثل ذي»، وفي رواية «مثل هذبة الثوب» ⁽⁴⁾، وقد يزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره، وقيل: الحصور هو: الممتنع من الوطئ مع القدرة عليه، وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء وأبعد من الإلحاق؛ لأنه بالأنبياء ⁽⁵⁾.

وقوله ﴿ وَنَبِيًّا ﴾ وهذه بشارة لأمه بنبوته بعد البشارة بولادته، فتعجب زكرياء من وجود الولد منه، ﴿ قَالَ رَبِّ أَتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ أي: من أين لي الولد وقد بلغني الكبر؟! قال أي الملك: كذلك أي: هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ أي: علامة

(1) ينظر: جامع البيان 6/ 371.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [6961] 6/ 373.

(3) ينظر: المصدر السابق [6962] 6/ 373.

(4) ينظر: المصدر السابق [6983] 6/ 378.

(5) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين الشافعي، مطبعة بولاق - القاهرة، 1285هـ/ 1/ 213.

أستدل بها على وجود الولد مني، ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ أي: إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوي صحيح، ثم أمر بكثرة الذكر والشكر والتسبيح في هذه الحال، فقال ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ وقيل: المراد بالتسبيح: الصلاة، والعشي ما بين زوال الشمس إلى الغروب، ومنه سمي صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي، والإبكار ما بين صلاتي الفجر إلى الضحى (1).

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٢)
يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (٤٤) (2)

هذا إخبار من الله بما خاطبت الملائكة مريم عن أمر الله لهم بذلك إلى الله، قد اختارها لكثرة عبادتها وشرفها وطهرتها من الأكدار، واصطفاهَا مرة بعد مرة بجلالتهَا على نساء العالمين، في الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد» (3)، وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» انفرد به الترمذي وصححه (4).

ثم أخبر تعالى عن الملائكة أنهم أمروها بكثرة العبادة والدؤب في العمل؛ لما يريد الله بها مما قدر وقضاه لم فيه رفعتها في الدارين بما أظهر الله فيها من عظيم قدرته، حيث خلق منها ولدا من غير أب، فقال ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي ﴾ القنوت: هو الطاعة والقنوت في الخشوع، وكانت

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 2/646.

(2) سورة آل عمران، الآيات (42-44).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: مناقب الأنصار، ب: تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها - رضي الله عنها - [3815] 38/5، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: فضائل الصحابة ﷺ، ب: فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - [2430] 4/1886.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، ك: المناقب عن رسول الله ﷺ، ب: فضل خديجة - رضي الله عنها - [3878]، وقال: هذا حديث صحيح.

تقوم في الصلاة حتى تورمت قدمها وسالت دما وقيحا، قال الحسن: يعني اعبدني ربك واسجدي واركعي مع الراكعين، أي: كوني منهم، ثم قال لرسوله - عليه الصلاة والسلام- بعدما أطلعه على حلية الأمر ﴿ ذَلِكْ مِنْ أُنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ أي: نقصه عليك ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾ أي: ما كنت عندهم يا محمد فتخبر عنهم معاينة عما جرى، بل اطلعك الله على ذلك، كأنك شاهد حاضر لما كان من أمرهم حين اقترعوا في شأن مريم أيهم يكفلها، قال عكرمة⁽¹⁾ والسدي⁽²⁾ وغير أحد: خرجت أم مريم بها تحملها في خرقة إلى بني الكاهن بن هارون، أخي موسى - عليهما السلام - وهم يومئذ حجة بيت المقدس، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة فإني حررتها، وهي ابنتي، ولا تدخل الكنيسة حائض، ولا أردّها إلي بيتي، فقالوا: هذه ابنة إمامنا، وكان عمران يأمرهم في الصلاة، فقال زكرياء: ادفعوها إليّ فإن خالتها تحتي، فقالوا: لا تطيب أنفسنا، فذلك حين اقترعوا بأقلامهم عليها، ثم إنهم ذهبوا إلى نهر الأردن واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم، فإنهم ثبت قلمه في جرية الماء فهو كافلها فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكرياء، فإنه ثبت قلمه في جرية الماء، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم ونبههم - عليه السلام -⁽³⁾.

(1) هو: عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، العلامة، المفسر، الحافظ، قيل: كان لخصين بن أبي حر فوهبه لابن عباس، وعن عبد الرحمن بن حسان: سمعت عكرمة يقول: طلبت العلم أربعين سنة وكنيت أفتي بالباب وابن عباس في الدار، روى عن: ابن عباس وعائشة وأبي هريرة، وروى عنه: إبراهيم النخعي والشعبي وعمرو بن دينار، توفي سنة 105هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء 12/5، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب 1/372..

(2) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذؤيب وقيل ابن أبي كريمة، أبو محمد السدي الكبير، القرشي الحجازي ثم الكوفي، أحد موالي قريش، الإمام، المفسر يعتبر من الطبقة الرابعة من طبقات رواة الحديث قال عنه القطان: لا بأس به وقال أحمد: مقارب الحديث روى عن: أنس بن مالك وابن عباس ومصعب بن مسعود وغيرهم، وروى عنه: شعبة وسفيان الثوري وزائدة وغيرهم، توفي سنة 127هـ، ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن الجزري، دار صادر - بيروت 2/110، والأنساب 7/109، والوافي بالوفيات 9/85.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [6909] 6/351.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيْهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿٤٦﴾﴾ قَالَتْ رَبِّ اَنْتَ اَنْتَ يَكُوْنُ لِيْ وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِيْ بَشْرٌ قَالَ كَذٰلِكَ اَللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ اِذَا قَضٰى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ وَاَكُنْ فَيَكُوْنُ ﴿٤٧﴾﴾ (1)

هذه بشارة من الملائكة إلى مريم بأن سيوجد منها ولد عظيم الشأن أي: نبشرك بولد يكون وجوده بكلمة من الله أي: يقول له كن فيكون، وهذا تفسير قوله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّٰهِ﴾ على ما ذكره الجمهور كما سبق، ﴿اسْمُهُ الْمَسِيْحُ﴾ أي: يكون مشهودًا بهذا في الدنيا يعرفه المؤمنون به، وإنما سمي المسيح لكثرة سياحته، ونسبه إلى أمه حيث لا أب له ﴿وَجِيْهًا﴾ أي: له وجهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه به، وفي الآخرة يشفع عند الله فمن تأذن الله فيه ويكون من أولي العزم.

وقوله ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ أي: يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره معجزة وآية، وفي حال كهولته حين يوحى الله إليه بذلك، ﴿وَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ﴾ أي: في قوله وعمله له علم صحيح وعمل صحيح، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «لم يكلم في المهدي إلا ثلاثة عيسى وصبي وصبي آخر» (2) فلما سمعت مريم هذه البشارة من الملائكة قالت في مناجاتها ﴿رَبِّ اَنْتَ يَكُوْنُ لِيْ وَلَدٌ﴾ أي: كيف يوجد هذا الولد مني، ولست بذات زوج، ولا من عزمي أن أتزوج، ولست بغيا - حاشا لله - فقال لها الملك عن الله في جوابها ﴿كَذٰلِكَ﴾ أي: هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء، وصرح هاهنا بقوله ﴿يَخْلُقُ﴾ ولم يقل يفعل كما قص زكرياء، بل نص هاهنا على أنه يخلق؛ لئلا يبطل لبطل شبهة، وأكد ذلك بقوله ﴿اِذَا قَضٰى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ وَاَكُنْ فَيَكُوْنُ﴾ أي: فلا يتأخر شيء بل يوجد عقب الأمر بلا مهلة.

(1) سورة آل عمران، الآيات (45-47).

(2) أخرجه أحمد في مسنده [8072] 437/13.

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ
بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ
اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ
وَلِأَجَلٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾⁽¹⁾

الظاهر أن المراد من الكتاب هنا الكتابة، وسبق تفسير الحكمة في سورة البقرة، والتورية
والإنجيل معروفان، وقد كان عيسى بن مريم يحفظهما، وقوله ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي:
ويجعله رسولا إلى بني إسرائيل قائلا لهم: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ
الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وكذلك كان يفعل، يصور من الطين
شكل طير ثم ينفخ فيه، فيطير عيانا بإذن الله الذي جعل هذا معجزة له، وهي تدل على
أن الله أرسله، ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ قيل: هو الذي يبصر نهارا ولا يبصر ليلا⁽²⁾ وهو:
الأعشى، وقيل بالعكس، وقيل: هو الأعمش⁽³⁾، وقيل: هو الذي ولد أعمى وهو أشبه⁽⁴⁾،
لأنه أبلغ في المعجزة، والأبرص معروف، ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قالوا: بعث الله كل نبيء
من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى السحر وتعظيم
السحرة، فبعث الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت به كل سحار، فلما تيقنوا أنها من عند
العظيم الجبار، انقادوا للإسلام وصاروا من الأبرار، وأما عيسى فبعث في زمن الأطباء
وأهل الطبائع، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا أن يكون مؤيدا من الذي
شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد أو مداواة الأكمه والأبرص؟ أو
بعث من في قبره رهين إلى يوم التناد؟ وكذلك محمد ﷺ بعثه الله في زمن الفصحاء
والبلغاء وتجاويد الشعراء، فأتاهم بكتاب من عند الله العزيز لو اجتمعت الإنس والجن

(1) سورة آل عمران، الآيات (49-51).

(2) ينظر: تفسير مجاهد لأبي الحجاج مجاهد المخزومي، دار الفكر الإسلامي الحديثة - مصر، ط: 1 -
1410هـ/252.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7097] 6/428.

(4) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/515.

على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً؛ وذلك لأن كلام الرب لا يشبه كلام المخلوق أبداً.

وقوله ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: أخبركم بما أكل أحدكم من الطعام الآن، وما هو مدخر له في بيته لغد، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكَلِمَةً لَّعَلَّكُمْ﴾ أي: على صدقي فيما جئتكم به، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: مقرر لها ومثبت، ﴿وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه دلالة على أن عيسى نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح، وقيل: لم ينسخ منها شيئاً، بل أحل لهم ما كانوا تنازعوا فيه فأخطوا، فكشف لهم عن الغطاء في ذلك، كما قال في الآية الأخرى ﴿وَلَأُيَبِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾⁽¹⁾ والله أعلم.

ثم قال ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ أي: بحجة ودلالة على صدقي فيما أقول لكم، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ أي: فاعبدوه، فإنما أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه هنا.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾⁽³⁾ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾⁽⁴⁾

أي: فلما استشعر عيسى منهم التصميم على الكفر والإصرار على الضلال ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ أي: من يتبعني إلى الله⁽³⁾، يعني: من أنصاري في الدعوة إلى الله، وقيل: إلى بمعنى مع والأول أقرب، كما قال النبي ﷺ يقول في مواسم الحج قبل الهجرة «من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»⁽⁴⁾، حتى وجد الأنصار فأووه ونصروه وهكذا عيسى بن مريم، انتدب له طائفة من بني إسرائيل، فأمنوا به وآزروه ونصروه، ولهذا قال تعالى مخبراً عنهم ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ إلى قوله ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾

(1) سورة الزخرف، الآية (63).

(2) سورة آل عمران، الآية (54).

(3) ينظر: تفسير مجاهد 1/ 658.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، ك: السنة، ب: في القرآن [4734] 4/ 234.

قيل: الحواريون كانوا قصارين سموا بذلك لبياض ثيابهم⁽¹⁾، وقيل: صيادين⁽²⁾، والصحيح: أن الحواريَّ الناصر⁽³⁾، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل نبي حواريًا وحواريَّ الزبير»⁽⁴⁾.

وعن ابن عباس في قوله ﴿فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ قال: مع أمة محمد ﷺ⁽⁵⁾ ثم قال مخبرًا عمًّا همُّوا به من الفتك بعيسى، وإرادتهم بالسوء والصلب، حين تمالوا عليه ووشَّوا به إلى ملك ذي الزمان وكان كافرًا، فانهوا إليه: إن هاهنا رجل يُضِلُّ الناس، ويصدُّهم عن طاعة الملك، ويُفسد الرعايا ويفرق بين الأب وابنه، وغير ذلك مما رموه به، إنه ولد زنية حتى استتاروا غضبَ الملك، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه، فلما أحاطوا بمنزله ظنوا أنهم قد ظفروا به، نجاه الله من بينهم، ورفعَه من روزنة ذلك البيت في السماء، وألقى شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل، فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى، فأخذوه وأماتوه وصلَّبوه ووضعوا على رأسه الشوك، وكان هذا من مكر الله بهم، فإنه نجي نبيه ورفعَه من بين أظهرهم، وتركهم في ضلالتهم يعمهون، واعتقدوا أنهم قد ظفروا به، وطبع الله على قلوبهم بالقسوة والعناد⁽⁶⁾، ولهذا قال ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ﴾ وأصل المكر: الخديعة والحيلة ومكر الله مجازاتهم على مكرهم، سمى الجزاء باسم الابتداء لأنه في مقابله.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7125] 450 / 6.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [3568] 659 / 2.

(3) ينظر: المصدر السابق [3571] 660 / 2.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: فضل الطليعة [2846] 27 / 4، وأخرجه مسلم في صحيحه،

ك: فضائل الصحابة ﷺ، ب: من فضائل طلحة، والزبير - رضي الله عنهما - [2415] 1879 / 4.

(5) ينظر: جامع البيان 603 / 8.

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6233] 1110 / 4.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾⁽¹⁾

اختلفوا في معنى قوله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ قال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر تقديره إني رافعك ومتوفيك⁽²⁾، يعني بعد ذلك، وعن ابن عباس أي: أني مُميتك⁽³⁾، وعن وهب بن منبه⁽⁴⁾ قال: توفاه الله ثلاث ساعات من النهار حين رفعه إليه⁽⁵⁾، قال ابن إسحاق: والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه⁽⁶⁾، وقيل: ثلاثة أيام ثم أحياه ثم رفعه، قيل: ليس توفاه موت، بل المراد هاهنا النوم⁽⁷⁾، كما قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾⁽⁸⁾، وقوله ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ إلى قوله ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽⁹⁾ وفي الحديث «الحمد

(1) سورة آل عمران، الآيات (55- 58).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [3583] 2/ 661.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7141] 6/ 457.

(4) هو: وهب بن منبه بن كامل بن سبيح، أبو عبدالله الصنعاني، كان مولده زمن عثمان بن عفان، تابعي ثقة، روى عن: ابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم، روى عنه: عمرو بن دينار وسماك بن الفضل وعوف الأعرابي، قال عنه الذهبي: وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات ومن صحائف أهل الكتاب، وقال بن سعد: ثقة قليل الحديث، توفي سنة 114هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 6/ 70، و التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي، دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض، ط: 1- 1406هـ/ 3/ 1193، و سير أعلام النبلاء 4/ 544.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7142] 6/ 457.

(6) ينظر: السراج المنير 1/ 220.

(7) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7133] 6/ 455.

(8) سورة الأنعام، الآية (60).

(9) سورة الزمر، الآية (42).

الله الذي أحيانا بعد ما أماتنا»⁽¹⁾ وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ لليهود: «إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة»⁽²⁾.

وقوله ﴿وَمَطَّهْرُكَ﴾ أي: برفعي إياك إلى السماء، ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وهكذا وقع، فإن المسيح - عليه السلام - لما رفعه الله إلى السماء تفرقت أصحابه بعده سبعا، فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا: هو الله، وآخرون قالوا: ثالث ثلاثة، وقد حكى الله مقالاتهم في القرآن، ورد على كل فريق، واستمروا كذلك قريبا من ثلاثمائة سنة، ثم ظهر لهم ملك من ملوك اليونان، يقال له قسطنطين، فدخل في دين النصرانية، قيل: حيلة؛ ليفسده فإنه كان فيلسوفا، وقيل: جهلا منه، إلا أنه بدل لهم دين المسيح، وحرّفه وزاد فيه ونقص، وأحلّ في زمانه لحم الخنزير، وصلّوا له إلى المشرق، وصوّرّوا له الكنائس، وزادوا في صيامهم عشرة أيام، وصار صاحب دينهم، وبنى مدينته المنسوبة إليه، واتبعه الطائفة المملكيّة، وهم في هذا كله قاهرون لليهود، فلما بعث الله محمدا ﷺ وكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله على وجه الحق، كانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض ودينهم لا يزال قائما منصورا ظاهرا على كل دين، فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها، وفازوا بكنوز قيصر وكسرى، ولا يزال الإسلام فوقهم إلى يوم القيامة.

ثم قال ﴿ثُمَّ إِنِّي مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ إلى قوله ﴿مَنْ نَصْرِين﴾ وكذلك الله فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود، أو غلا فيه، أو أطراه من النصاري، عذبهم في الدنيا بالقتل والسبا وأخذ المال والصغار بهم، وفي الآخرة عذابهم أشد وأشق، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: في الدارين في الدنيا بالنصرة والظفر، وفي الآخرة بالجنات العاليات، وقوله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يرحم الكافرين، ولا يثني عليهم بالجميل، ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ أي: هذه الذي قصصناه عليك يا محمد في أمر عيسى،

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الدعوات، ب: ما يقول إذا نام، [6312] 69/8. وأخرجه ابن ماجه في سنته،

ك: الدعوات، ب: ما يدعو به إذا انتبه من الليل، [3880] 2/1277.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7133] 6/455.

ومبدأ ميلاده وكيفية أمره، هو مما قاله الله وأوحاه إليك، وأنزله إليك من اللوح المحفوظ، فلا مرية فيه، ﴿وَالذِّكْرُ﴾ القرآن، والحكيم المحكم، الممنوع من الباطل.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾⁽¹⁾

أي: إن مثل عيسى عند الله في قدرة الله - تعالى - حيث خلقه بلا أب، كمثل آدم فإنه تعالى خلقه من غير أب ولا أم؛ بل خلقه من تراب، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فالذي خلق آدم قادر على خلق عيسى بطريق الأولى، وإن جاز ادعاء النبوة في عيسى؛ لكونه مخلوقا من غير أب، فجواز ذلك في آدم بطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق إن ذلك باطل، فدعواها في عيسى أشد بطلانا وأظهر فسادا، ولكن الرب - تعالى - أراد أن يظهر قدرته لخلقته حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بل ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، كما قال في سورة مريم ﴿وَلِكَجَعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾⁽²⁾، وقال ها هنا ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: هذا هو القول الحق في عيسى لا صحيح سواه، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: الشاكين، والمراد من هذا الخطاب الأمة، ثم قال أمرا رسوله - عليه الصلاة والسلام - أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ إلى قوله ﴿عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ أي: ندع هؤلاء من القبليتين ونحضرهم حالة المباهلة، ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ منا ومنكم، وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها - من أول السورة إلى ها هنا - في وفد نجران: أن النصراني حين قدموا المدينة، فجعلوا يُحاجُّون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والإلهية، فأنزل الله صدد هذه السورة ردا عليهم كما ذكره ابن إسحاق وغيره، قال

(1) سورة آل عمران، الآيات (59-61).

(2) سورة مريم، الآية (21).

في السيرة: وقدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكبا، منهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم مؤول إليهم أمرهم، وهم: العاقب واسمه عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، وأوس بن الحرث وزيد وقيس ويزيد ومُنِيَّة وخويلد بن عمرو وخالد بن عبد الله ويخُنس وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم، وهم العاقب، وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم، والسيد وكان عالمهم وحجتهم وأبو حارثة وكان أسقفهم وحبرهم وإمامهم، وكان من العرب من بني بكر بن وائل، ولكنه تنصّر فعظّمه الرومُ وشرّفوه لما علموا من صلاحته في دينهم، وقد كان يعرف أمر رسول الله ﷺ وشأنه وصفته مما علّم من الكتب المتقدمة، ولكن احتمله جهله على الاستمرار بالنصرانية؛ لما يرى من تعظيمه ووجاهته عند أهله، فقدموا على رسول الله ﷺ المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرّات جيب وأردية في جمال رجال بني الحرث بن كعب، فتعجب الصحابة من تزيّنهم وقد حانت وقت صلواتهم فقاموا في المسجد يصلون، فقال رسول الله ﷺ «دعوهم» فصلوا إلى المشرق، قال تكلم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة والعاقب والسيد وهم على دين الملك، مع اختلاف أمرهم يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله ﷺ: «أسلمّا»، قالوا: قد أسلمنا، قال: «إنكما لم تسلما فأسلما»، قالوا: بلى قد أسلمنا قبلك، قال: «كذبتما، منعكما من الإسلام دعاؤكما الله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير»، قالوا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله ﷺ فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، فلما أمر رسول الله ﷺ من ملاعتهم وعرض عليهم، قالوا يا أبا القاسم: دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما تريد أن تفعل فيما دعونا إليه، ثم انصرفوا عنه، فحلّوا بالعاقب، فقالوا يا عبد المسيح: ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا نبي مرسل: ولقد جاء بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه مالا عن قوم نبيا قط، فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه الاستصال منكم فإن فعلتم لتهلكن، وإن أبيتتم إلا الإقامة على ما أتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبي ﷺ فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في

أموالنا، فإنكم عندنا رضئى فقال رسول الله ﷺ: «ايتوني العشية أبعث معكم القويّ الأمين» فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح، فقال: «أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه» فذهب معهم .⁽¹⁾

وفي البخاري عن حذيفة قال: «جاء العاقب والسيد صاحبنا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعنا، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عشنا من بعدنا، قالوا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلا أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: لأبعثن معكم رجلا أميناً حق أمين» فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام، قال رسول الله ﷺ هذا أمين هذه الأمة⁽²⁾ . ورواه مسلم⁽³⁾ وأحمد⁽⁴⁾ بنحوه، وقد روى البيهقي في دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة⁽⁵⁾ ، وفيها أن رسول الله ﷺ صالحهم على الجزية وكتب عليها «هذا ما كتب محمد رسول الله لنجران، أن كان عليهم حُكْمُهُ في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فأفضل عليهم، وترك كله على ألفي حلة يؤدوا إليه كل عام في كل رجب ألف حلة وفي كل صفر ألف حلة» وذكر تمام الشروط وبقيّة السياق.

والغرض أن وفودهم كان في سنة تسع من الهجرة؛ لأن الزهري قال: كان أهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله ﷺ وإنما نزلت آية الجزية بعد الفتح وهي قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾⁽⁶⁾ إلى قوله ﴿ وَهُمْ صَغِيرُونَ ﴾، وفي مسلم عن سعد بن

(1) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام الحميري، دار الجيل - بيروت، 1411هـ / 1 / 571.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: قصة أهل نجران [4380] / 5 / 17.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: فضائل الصحابة ﷺ، ب: فضائل أبي عبيدة بن الجراح ﷺ [2419] / 4 / 1881.

(4) أخرجه أحمد في مسنده، [3930] / 7 / 461881.

(5) ينظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1-1405هـ، ب: وفد نجران وشهادة الأساقفة لنبينا ﷺ بأنه النبي الذي كانوا ينتظرونه وامتناع من امتنع منهم من الملاعنة وما ظهر في ذلك من آثار النبوة 5 / 382.

(6) ينظر: سورة التوبة، الآية (29).

أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ نَدُّعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ثم قال: «اللَّهُم هؤلاء أهل بيتي»⁽¹⁾.

ثم قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ أي: هذا الذي قصصنا عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق المبين، لا معدل عنه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ من صلة أي: ما آله إلا الله وهو العزيز الحكيم، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: عن هذا إلى غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ أي: من عدل عن الحق إلى الباطل فهو المفسد⁽²⁾، والله عليم به وسيجزيه على ذلك شر الجزاء، وهو القادر الذي لا يفوته شيء سبحانه ومجده.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾⁽³⁾

هذا خطاب يعم اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم، والكلمة تطلق على الجملة المفيدة، كما قال هاهنا، ثم وصفها بقوله ﴿سَوَاءٍ﴾ أي: عدل ونصفة، نستوي أنتم ونحن فيها، ثم فسرها بقوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ لا وثنا ولا صنما ولا صليبا ولا ندا ولا شيئا بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، ثم قال: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني لا يطبع بعضنا بعضا في معصية الله قاله ابن جريج، وقيل: لا يسجد بعضنا لبعض ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن هذا النصف وهذه الدعوة، فاشهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام، الذي شرعه الله لكم، وقد ذكرنا في شرح البخاري عن أبي سفيان في قصته حين دخل على قيصر فسأله عن أحوال رسول الله ﷺ فأخبره بجميع ذلك صدقا، إلا ماداهن فيه من قوله في جواب هل يغدر؟ فقلت لا. ونحن منه في مدة ما ندري ما هو صانع فيها، مع أن أبا سفيان كان إذ ذاك مشركا لم يسلم بعد، وكان ذلك بعد

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: فضائل الصحابة، ب: فضائل علي بن أبي طالب، [2404] 4/1871.

(2) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط: 2 - 1418هـ. 249/3.

(3) سورة آل عمران، الآية (64).

صلح الحديدية وقبل الفتح، قال: ثم جئ بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ إلى قوله ﴿مُسْلِمُونَ﴾ وقد سبق أن ابن إسحاق قال: إن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية نزلت في وفد نجران وأن الزهري قال: هم أول من بذل الجزية، ولا خلاف أن آية الجزية بعد ذلك نزلت بعد الفتح، فما وجه الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل وبين ما ذكره ابن إسحاق؟ والجواب من وجوه: أحدهما: يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين، مرة قبل الحديدية ومرة بعد الفتح، والثاني يحتمل أن قول ابن إسحاق ليس بمحفوظ في جميع ذلك، ولا مطلقا لدلالة حديث أبي سفيان، والثالث يحتمل أن قدوم وفد نجران كان قبل الحديدية، وأن ما بذلوه مصالحة عن المباهلة لا عن الجزية، ووافق نزول الجزية بعد ذلك، والرابع يحتمل أن رسول الله ﷺ أمر بكتب هذا الكلام في كتابه إلى هرقل أولا، ثم نزل القرآن موافقة له، كما نزل لموافقة عمر في الحجاب وغيره، والله أعلم.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هَاتَيْنِ هَتُؤُلَاءِ حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ (1)

ينكر الله تعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم ودعوى كل طائفة منهم قال ابن عباس: اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيا، فنزلت هذه الآية أي: كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديا، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى، وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانيا، وإنما حدثت النصرانية بعد زمانه بدهر (2)، ولهذا قال ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَاتَيْنِ هَتُؤُلَاءِ حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ هذا

(1) سورة آل عمران، الآية (68).

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7202] 6/490.

إنكار على من يُحَاجُّ فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجُّوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجُّوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا؛ فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ثم قال ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾ أي: متحنفاً عن الشرك قصداً إلى الإيمان، ثم قال ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ﴾ أي: إن أحق الناس بمتابعة إبراهيم الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبيُّ يعني محمداً ﷺ والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن بعدهم، وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال «إن لكل نبي ولأمة من النبيين، وإن ولي منهم أبي خليل ربي وفي رواية أبي خليل ربي ثم قرأ ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ الآية رواه الترمذي»⁽¹⁾، وقوله ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: ولي جميع المؤمنين برسله.

﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٦٩)
 ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾^(٧٠) ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٧١) وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٧٤)⁽²⁾

هذا إخبار عن حب اليهود للمؤمنين وإرادتهم إضلالهم، وأن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون، فهم مكمورٌ بهم، ثم قال تعالى إنكاراً عليهم ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: تعلمون وتتحققون حقها، ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ أي: ما في كتبكم من صفة محمد ﷺ وأنتم تعلمون

(1) أخرجه الترمذي في سننه، ك: التفسير عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة آل عمران، [2995] 73/5.

(2) سورة آل عمران، الآيات (69-74).

ذلك وتعرفونه وتحققونه، ﴿وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا﴾ الآية هذه مَكِيدَة أَرَادُوهَا لِيَلْبَسُوا عَلَى الضَّعْفَاءِ مِنَ النَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ، وَهُوَ أَنَّهُمْ اشْتَوَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا الْإِيمَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَيَصَلُّوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَإِذَا جَاءَ آخِرَ النَّهَارِ ارْتَدُّوا إِلَى دِينِهِمْ لِيَقُولَ الْجَهْلَةُ مِنَ النَّاسِ إِنَّمَا رَجَعْتُمْ إِلَى دِينِهِمْ أَطَّلَعْتُمْ عَلَى نَقِيصِهِ وَعَيْبِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِهَذَا قَالُوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: إِذَا لَقِيتُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ أَوَّلَ النَّهَارِ فَآمِنُوا، فَإِذَا كَانَ آخِرَهُ فَصَلُّوا صَلَاتَكُمْ لَعَلَّهُمْ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ أَهْلُ كِتَابٍ وَهُمْ أَعْلَمُ مِنَّا ⁽¹⁾، وَعَلَيْهِ جَمَاعَةٌ.

وقوله ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي: لَا تَطْمَئِنُّوا وَلَا تَظْهَرُوا سِرَّكُمْ وَمَا عِنْدَكُمْ، إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ، وَلَا تَظْهَرُوا مَا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَتَوَمَّنُوا بِهِ وَيَحْتَجُونَ بِهِ عَلَيْكُمْ، ﴿قُلْ إِنَّ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ أي: هُوَ الَّذِي يَهْدِي قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَمِّ الْإِيمَانِ بِمَا يَنْزِلُهُ عَلَى عَبْدِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَالِدَّلَائِلِ الْقَاطِعَاتِ، فَإِنْ كَتَمْتُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ مَا بِأَيْدِيكُمْ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وقوله ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ يقولون: لَا تَظْهَرُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَيَتَعَلَّمُوهُ مِنْكُمْ وَيَمْتَاذُونَ بِهِ عَلَيْكُمْ بِشِدَّةِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَيَجَاوِزُكُمْ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ أَي: يَتَّخِذُوهُ حِجَّةً عَلَيْكُمْ بِمَا بِأَيْدِيكُمْ، فَتَقُومُ بِهِ الْحِجَّةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ أي: الْأُمُورَ كُلَّهَا تَحْتَ تَصَرُّفِهِ، وَهُوَ الْمَعْطِيُّ وَالْمَانِعُ مِنْ عَلَى مِنْ يَشَاءُ بِالْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالنَّصْرِ التَّامِ، وَيُضِلُّ مِنْ يَشَاءُ وَيُعْمِي بَصْرَهُ وَبَصِيرَتَهُ، وَيَخْتُمُ عَلَى سَمْعِهِ وَبَصْرِهِ، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: أَخْتَصُّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْفَضْلِ مِمَّا لَا يَجِدُ وَلَا يُوَصِّفُ، مِمَّا شَرَّفَ بِهِ نَبِيَكُمْ ﷺ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَهَدَاكُمْ بِهِ لِأَكْمَلِ الشَّرَائِعِ.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7237] 508 / 6.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾⁽¹⁾

هذا إخبار من الله بأن اليهود خونة، تحذيراً للمؤمنين من الاغترار بهم قال فإن منهم ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ﴾ أي: من المال، ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ وما دونه بطريق الأولى أن يؤديه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ أي: بالمطالبة والملازمة والإلحاح في استخلاص حقه، وإذا كان هذا صنيعه في الدينار فما فوقه أولى أن لا يؤديه، وسبق بيان القنطار في أول السورة، والدينار معروف، وقال مالك بن دينار⁽²⁾: إنما سمي ديناراً لأنه دين ونا، فمن أخذه بحقه فهو دينه، ومن أخذه بغير حقه فله النار⁽³⁾، ويناسب هذه الآية ما رواه البخاري عن أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: اتيتني بالشهداء أشهدهم، قال: كفى بالله شهيداً، قال: اتيتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر ففضى حاجته ثم التمس مركباً ليركبها، يقدم عليه الأجل الذي أجله، فلم يجد مركباً فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أنني تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلاً، وسألني شهيداً فقلت كفى بالله شهيداً، فرضي بذلك، وإنني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإنني استودعتكها فرمى بها إلى البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً يجيئه بماله، فإذا بالخشبة الذي فيه المال، فأخذها حطباً فلما كسرهما وجد المال والصحيفة، ثم قدم الرجل الذي كان تسلف

(1) سورة آل عمران، الآيتان (75-76).

(2) هو: مالك بن دينار البصري، أبو يحيى، من أعلام التابعين قال الذهبي: من الذين اشتهروا بزهدهم وورعهم حتى بات مضرب مثل في ذلك وكان يكتب المصاحف بالأجرة، قال ابن حبان: مات سنة 123هـ، ويقال: توفي سنة 131هـ، والصحيح أنه توفي قبل الطاعون، وكان الطاعون سنة 131هـ، ينظر: الثقات لابن حبان، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1419هـ/2، و حلية الأولياء 2/370، والأعلام 5/260.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [3706] 2/683.

منه فأثاه بألف دينار، وقال والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إليّ بشيء؟ قال: ألم أخبرك أنني لم أجد مركباً قبل هذا؟ قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الحبشة فانصرف بألف دينار راشداً⁽¹⁾.

وقوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميّين وهم العرب، فإن الله أحلّها لنا، قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: وقد اختلقوا هذه المقالة واثتفكوا هذه الضلالة، فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها، وإنما هم قوم بُهت، قال سعيد بن جبير⁽²⁾: لما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ قال نبي الله ﷺ: «كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة، فإنها مؤداة إلى البر والفاجر»⁽³⁾.

ثم قال تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ﴾ أي: لكن من أوفى بعهده منكم يا أهل الكتاب الذي عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد ﷺ إذا بُعث كما أخذ العهد والميثاق على الأنبياء وأمرهم بذلك واتقى محارم الله واتبع طاعته وشريعته، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾

أي: إن الذين يعتاضون عما عاهدهم الله عليه من اتباع محمد ﷺ وبيان صفته وأمره للناس، وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة بالأيمان القليلة، وهي عروض هذه الحياة الدنيا

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الكفالة، ب: الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها [2291] 95/3.

(2) هو: سعيد بن جبير، أبو محمد، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد، تابعي حبشي الأصل، كان عالماً بالدين، روى عن: ابن عباس وعبد الله بن مغفل وعائشة وغيرهم، وروى عنه: أبو صالح السمان وأدم بن سليمان وأيوب السخيتاني وغيرهم، قتله الحجاج سنة 95هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 6/267، و سير أعلام النبلاء 5/187، وتهذيب التهذيب 4/11.

(3) أخرجه ابن حاتم في تفسيره، [3712] 684/2.

(4) سورة آل عمران، الآية (77).

الفانية الزائلة، ف ﴿أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ بعين الرحمة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: من الذنوب والأدناس؛ بل يأمر بهم إلى النار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم، قلت يا رسول الله: من هم خسروا وخابوا؟ قال: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»، رواه مسلم ⁽¹⁾.

وعن وائل بن حجر ⁽²⁾ قال: «جاء رجل من حضر موت ورجل من كندة إلى رسول الله ﷺ فقال الحضرمي يا رسول الله: إن الله قد غلبي على أرض لي كانت لأبي، وقال الكندي: هي أرضي في يدي أزرعها ليس له فيها حق، فقال النبي ﷺ للحضرمي ألك بينة؟ قال: لا. قال: فلك يمينه، قال يا رسول الله: إن الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه، قال: ليس لك منه إلا ذلك، فنطلق ليحلف فقال رسول الله ﷺ لما أدبر: أما لئن حلفَ على مال ليأكله ظلماً ليلقين الله وهو عنه معرض» رواه مسلم ⁽³⁾. قال علقمة: هو امرؤ القيس ابن عابس الكندي وخصمه ربيعة عيّدان، وروى أنه لَمَّا هَمَّ أن يحلفَ نزلت هذه الآية فامتنع أن يحلف، وأقر لخصمه ودفعها إليه ⁽⁴⁾.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف. [106] 102/1

(2) هو: وائل بن حُجر بن سعد، أبو هنيذة الحضرمي، أحد الأشراف، كان سيد قومه، له وفادة وصحبة ورواية، قال أبو نعيم: أصعده النبي ﷺ على المنبر و كتب له، روى عن: النبي ﷺ أحاديث، وروى عنه: أبناه علقمة وعبد الجبار وكليب بن شهاب الجرمي وغيرهم، ينظر: أسد الغابة 5/405، و البداية والنهاية 5/79، و الإصابة 6/466.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان، ب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار. [139] 123/1

(4) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/165.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِأَلِكْتَبٍ لِيَحْسَبُوهُ مِنْ أَلِكْتَبٍ وَمَا هُوَ مِنْ أَلِكْتَبٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٨) (1)

أي: إن منهم لفريقا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويبدلون كلام الله ويزيلونه عن المراد به؛ ليؤهموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله، ولهذا قال ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: يحرفون: يزيلون، وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله، لكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله. وقال وهب بن منبه: إن كتب الله كما أنزلها الله لم يتغير منها حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل، وكتب يكتبونها من عند أنفسهم ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فأما كتب الله فإنها محفوظة لا تحوّل (2).

قال ابن أبي حاتم: فإن عنى وهب بذلك ما بأيديهم، فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص، وإن عنى كتب الله التي هي عنده، فتلك كما قال محفوظة لم يدخله شيء (3).

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٩) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٠) (4)

قال أبو رافع القرظي اليهودي حين اجتمعت الأحرار من اليهود والنصارى من أهل نجران، عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام، يا محمد: أتريد أن نعبدك كما يعبد

(1) سورة آل عمران، الآية (78).

(2) ينظر: كتاب تفسير القرآن لأبي بكر النيسابوري، دار المآثر - المدينة المنورة، ط: 1 - 1423هـ [640] 266/1.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم 97/3.

(4) سورة آل عمران، الآية (80).

النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران: أو ذاك تريد منا يا محمد؟ وإليه تدعوننا؟ فقال رسول الله ﷺ «معاذ الله أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني الله ولا بذلك أمرني، فأنزل الله في ذلك ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾⁽¹⁾ الآية أي: ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس اعبدوني من دون الله أي: مع الله، فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى، والبشر: جمع بني آدم لا واحد له من لفظه، كالقوم والجيش ﴿وَأَلْحَكُمُ﴾ العلم والفهم، ﴿وَالنُّبُوَّةُ﴾ المنزلة الرفيعة بالإتباء، وكان أهل الكتاب يعبد بعضهم بعضاً، فتعبدون لأخبارهم ورهبانهم، كما قال تعالى ﴿اتَّخِذُوا حَبَّارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾⁽²⁾.

وفي الترمذي أن عدي بن حاتم⁽³⁾ قال: يا رسول الله ما عبدوهم. قال: «بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذاك عبادتهم إياه»⁽⁴⁾، فالجهلة من الأخبار والرهبان والمشائخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ، بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين، فإن الرسل هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء الرسالة وإبلاغ الأمانة، فقاموا بذلك أتم القيام، والعلماء خلفاؤهم في تقوية الدين وإنفاذ الشريعة.

وقوله ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّيِّنِينَ﴾ أي: ولكن يقول الرسول للناس ﴿كُونُوا رَبَّيِّنِينَ﴾ أي: حكماء علماء حلما أتقيا وعليه الجمهور، وقرئ تعلمون بالتشديد من التعليم⁽⁵⁾، ﴿تَدْرُسُونَ﴾ أي: تحفظون ألفاظه وتقرؤون، ثم قال ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ أي: ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ هذا

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، [3756] 693/2.

(2) سورة التوبة، الآية (31).

(3) هو: عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الحشرج بنطيء أبو وهب، أبو طريف الطائي، وهو ابن حاتم الطائي الذي كان يضرب به المثل في الجود والكرم، وفد على النبي ﷺ في وسط سنة سبع، فأكرمه واحترمه، روى عنه: الشعبي وسعيد بن جبير وتميم بن طرفة وغيرهم، قال الكلبي: توفي سنة 67هـ، ينظر: أسد الغابة 3/ 505، و سير أعلام النبلاء 3/ 162، والإصابة 4/ 388.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، ك: التفسير عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة التوبة [3095] 129/5، وقال: هذا حديث غريب.

(5) ينظر: حجة القراءات 1/ 167.

تعجبٌ وإنكار أي: لا تفعل ذلك فإن الأنبياء إنما يأمرون بالإيمان، وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾⁽¹⁾

يخبر الله تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم إلى عيسى - عليهما السلام - مهما أتى الله أحدهما ﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ وبلغ أي مبلّغ، ثم جاءه رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بُعث بعده ونصرته.

وقوله ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ أي: مهما أعطيتكم، والأمر هنا العهد وقيل أي: ثقل ما حملتم من عهدي وميثاقي الشديد المؤكّد، وقوله ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: أعرض عن هذا العهد والميثاق ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن الإيمان، قال علي بن أبي طالب وابن عباس: ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرنه⁽²⁾.

وعن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إني مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال فتغير وجه رسول الله ﷺ قال عبد الله بن ثابت: «فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ فقال عمر: رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا، قال فسرى عن رسول الله ﷺ وقال: والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لظلمتم، أنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين» رواه أحمد⁽³⁾، وفي بعض الأحاديث «لو كان

(1) سورة آل عمران، الآيتان (81-82).

(2) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد المحاربي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1422هـ. 464/1.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، [3759] 280/30.

موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا اتباعي»⁽¹⁾، فمحمد رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء دائماً إلى يوم الدين، ومقدمهم وإمامهم كما أمهم ليلة الإسراء ببيت المقدس، وهو الشفيع يوم المحشر وصاحب المقام المحمود.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٨٣)
 قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
 وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾
 وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾⁽²⁾

هذا إنكار على من أراد دينا سوى دين الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي له أسلم من في السماوات والأرض أي: استسلم له من فيهما طوعا وكرها، كما جاء في آيات أخر فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله كرها، فإنه تحت التسخير والقهر، وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث على معنى أخر رواه الطبراني مرسلا عن النبي ﷺ «﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ أما من في السماوات فالملائكة، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام، وأما كرها فمن أتى به من سببا الأمم في السلاسل والأغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون»⁽³⁾ كما ورد في الصحيح «عجب ربك من قوم يعادون إلى الجنة في السلاسل»⁽⁴⁾ وقوله ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم المعاد، فيجازى كلا بعمله، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني القرآن، وعلى غيره من الأنبياء من الصحف والوحي ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل وهو يعقوب الاثنى عشر، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ يعني به: التوراة والإنجيل، وما أُوتِيَ ﴿وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾

(1) لم أجد بهذا اللفظ، ولعل الصحيح مارواه البيهقي في شعب الإيمان لأبي بكر البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1410هـ «ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي» [174] 347/1، وحسنه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت ط: 2 - 1405هـ [1589] 34/6.
 (2) سورة آل عمران، الآيات (83-85).

(3) أخرجه الطبراني في معجم الكبير. [11473] 194/11

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد، ب: الأساري في السلاسل [3010] 60/4.

وهذا يعم جميع الأنبياء جملة ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بل نؤمن بجمعهم ﴿وَوَحْنٌ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فالمؤمنون من هذه الأمة مؤمنون بكل من أرسل، وبكل كتاب أنزل، لا يكفرون بشيء من ذلك، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ أي: من سلك طريقا سوى ما شرعه الله، ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ كما جاء في الحديث الصحيح «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»⁽¹⁾.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٨٦) أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٨٩)⁽²⁾

عن ابن عباس قال: «كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم، فأرسل إلى قومه أرسلوا إلى رسول الله ﷺ هل لي توبة؟ قال: فنزلت الآية فأرسل إليه فأسلم» هكذا رواه النسائي⁽³⁾ وابن جرير⁽⁴⁾ وابن حبان⁽⁵⁾، وفي رواية عن مجاهد أن الرجل هو الحارث بن سويد قال فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحارث: إنك - والله ما علمت - لصدوق وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة قال: فرجع الحارث فأسلم وحسن إسلامه، وقوله ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي: قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاء بهم الرسول ووضح لهم الأمر، ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعدما تلبسوا به من العماية؟ وقوله ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة فلا يفتر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة، والإنظار: الإمهال

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الأفضية، ب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور. [1718] 1343/3

(2) سورة آل عمران، الآيات (86-89).

(3) أخرجه النسائي في سننه، ك: المحاربة، ب: توبة المرتد، [3517] 444/3

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7360] 572/6.

(5) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ك: الحدود، ب: الردة. [4410] 329/10

وقوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ هذا من لطفه ورأفته ورحمته وعائدته على خلقه، أنه من تاب إلى الله تاب الله إليه كما فعل الحارث بن سويد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُونَ﴾ (٩٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾ (1)

هذا وعيد وتهديد لمن كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفرا أي: استمر عليه حتى مات، فإنه لا تقبل توبته عند الممات، قال ابن عباس: «إن قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية» (2)، أي: من مات على الكفر فلن ينقذه من عذاب الله شيء، ولو افتدى نفسه من الله بملا الأرض ذهبا من شرقها إلى غربها.

عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يقال لرجل من أهل النار يوم القيامة، أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به؟ قال: فيقول نعم، فيقول قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك وأنت في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا الشرك» (3) رواه في الصحيحين (3)، ولهذا قال ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ أي: وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله ولا يجيرهم من أليم عقابه.

(5) سورة آل عمران، الآيات (89-91).

(2) ينظر: الدر المنثور 2/258، وفتح القدير لمحمد الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: 1 - 1414هـ/1-442.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: خلق آدم - صلوات الله عليه - [3334] 4/133، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: طلب الكافر الفداء بملا الأرض ذهبا [2805] 4/2160.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾

في الصحيحين عن أنس لما نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وأنت أحب الموالي إليَّ بريحاء وإنها صدقة من الله أرجو برّها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ «بخ ذاك مال رابح، وقد سمعت ما قلت وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين»⁽²⁾، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.

وقوله ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: من أحب أموالكم إليكم، قال الحسن: (كل إنفاق يتبغي به المسلم وجه الله حتى التمرة ينال بها هذا البر)⁽³⁾، وقال عطاء⁽⁴⁾: (لن تنالوا شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاب أشحاء)⁽⁵⁾.

(1) سورة آل عمران، الآية (92).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الزكاة، ب: الزكاة على الأقارب، [1461] 2 / 119، و أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الزكاة، ب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، ولو كانوا مشركين. [998] 2 / 693
(3) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد البغوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1 - 1420هـ / 468.

(4) هو: عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان، أبو محمد القرشي، فقيه، عالم حديث، وهو من أهم الفقهاء والتابعين في القرن الأول، روى عن: عائشة و أبي هريرة ورافع بن خديج وغيرهم، وروى عنه: مجاهد بن جبير وأبو إسحاق وأبو الزبير وغيرهم، وعن خديج قال: لزم عطاء ثمانين عشرة سنة، وكان بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك، توفي سنة 115هـ، ينظر: أسد الغابة 5 / 436، و سير أعلام النبلاء 5 / 78.

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: 2 - 1384هـ / 4 / 133.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١) فَمِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴿١﴾

قال ابن عباس: «حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، قال سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا ليدمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه، لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه ليتابعني على الإسلام، قالوا فذلك لك، قالوا أخبرنا عن أربع خلال أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل؟ وكيف هذا النبي الأمي في النوم؟ ومن وليه من الملائكة؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنّه، وقال: أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل مَرَضَ مَرَضًا شَدِيدًا فَطَالَ سَقَمَهُ، فَنذَرَ اللَّهُ نَذْرًا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمنّ على نفسه أحب الطعام وأحب الشراب إليه؟ وكان أحب الطعام إليه لحمان⁽²⁾ الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد عليهم وقال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو والذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق؟ فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكرا وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله، قالوا: نعم. قال اللهم اشهد عليهم، قال: وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد. قال: وإن وليي جبريل. ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك غيره لتابعناك، فعند ذلك قال تعالى: ﴿فُلَمَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾⁽³⁾ الآية رواه أحمد⁽⁴⁾، قيل سبب نزول هذه الآية: أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان

(1) سورة آل عمران، الآيات (93-95).

(2) لحمان: بالضم، جمع لحم، كذلك تجمع لحوم ولحام، ينظر: المصباح المنير 1/284.

(3) سورة البقرة، الآية (98).

(4) أخرجه أحمد في مسنده [2482] 4/285.

إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل وألبانها، وأنت تأكلها ولست على ملته، وكل ما تحرمه اليوم كان ذلك حراما على إبراهيم ونوح، حتى انتهى إلينا، فأنزل الله هذه الآية⁽¹⁾.

فقوله ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: كان حلالا لهم جميع الأطعمة، فإن نوحا لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض؛ يأكل منها ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحمان الإبل وألبانها، فأتبعه بنوه في ذلك وجاءت التوراة تحرم ذلك.

ثم قال: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا﴾ فإنها ناطقة بما قلناه ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: فمن كذب على الله وادّعى أنه شرع لهم السبت والتمسك بالتوراة دائما، وأنه لم يبعث نبيا آخر يدعوا إلى الله بالبراهين والحجج بعد هذا الذي بيّناه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرناه، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ثم قال: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: اتبعوا ملته التي شرعه في القرآن على لسان محمد ﷺ فإنه الحق الذي لا شك فيه وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أتم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾ فيه آية بيّنت مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين⁽²⁾

أي: إن أول بيت وضع لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون إليه ويعكفون عنده ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ يعني: الكعبة التي بناها إبراهيم - عليه السلام - ونادى الناس إلى حجه، ولهذا قال: ﴿مُبَارَكًا﴾ أي: وضع مباركا ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾، في الصحيحين عن أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله! أيُّ مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، قلت: ثم أي؟

(1) ينظر: بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي 1/ 231.

(2) سورة آل عمران، الآيتان (96-97).

قال: ثم حيث أدركت الصلاة فصلّ، فكلّها مسجد»⁽¹⁾، قال علي عليه السلام: كانت البيوت قبله، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله⁽²⁾، وزعم السدي: أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقاً⁽³⁾، والصحيح قول علي.

وقوله تعالى ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ هي اسم من أسماء مكة على المشهور، قيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة والظلمة، يعني يذلون بها ويخضعون عندها، وقيل: لأن الناس يتباكون فيها أي: يزدحمون، قال قتادة: لأن الله بكّ الناس جميعاً، فيصلّي النساء أمام الرجال، ولا يفعل ذلك بلد غيرها وعليه بعضهم⁽⁴⁾.

وقيل: البيت وما حوله بكة، وما وراء ذلك مكة، وقال عطية⁽⁵⁾ وغيره: بكة موضع البيت وما سوى ذلك مكة⁽⁶⁾.

ولمكة أسماء كثيرة، منها: بكة، ومكة، والبيت الحرام، والبيت العتيق، والبلد الأمين والمأمون، وأم رحم، وأم القرى، والعرش على وزن بدر، والقادس لأنها تطهر من الذنوب، والمقدّسة، والناطقة بالنون والباء، والنساسة، والحاطمة، والرأس، والكوثاء، والبلدة، والبيّنة، والكعبة⁽⁷⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجزية، ب: قول الله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد [3425] 162/4 وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: المساجد ومواضع الصلاة [520] 370/1.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [3827] 707/3.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7431] 20/6.

(4) ينظر: المصدر السابق [7441] 24/6.

(5) هو: عطية بن سعد بن جنادة العوفي القيسي الكوفي، أبو الحسن، من رجال الحديث، كان يعد من شيعة أهل الكوفة، روى عن: زيد بن أرقم وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وغيرهم، روى عنه: أبان بن تغلب وإدريس بن يزيد وإسماعيل بن أبي خالد وغيرهم قال مسلم بن الحجاج: قال أحمد وذكر عطية العوفي، فقال: هو ضعيف، وكذلك النسائي قال ذلك، ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال 146/20، و تهذيب التهذيب 225/7، و الأعلام 237/4.

(6) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 709/3.

(7) ينظر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لمحمد الفاسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1421هـ 174/1، وتاريخ مكة المشرفة والبيت الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف لمحمد ابن الضياء، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان: 2 - 1424هـ 1225/1.

وقوله ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أي: دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظمه وشرفه فيه، ﴿مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: الذي استعان به إبراهيم في رفعه البناء منه والجدران، حيث كان يقف عليه ويناوله ولده إسماعيل، وقد كان ملصقا بجدار البيت حتى آخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إمارته إلى موضعه الآن؛ حتى لا يشوش المصلون خلفه بالطواف، قال مجاهد: أثر قدميه في المقام آية بيينة ⁽¹⁾، وهكذا عن بعض المفسرين، وقال أبو طالب في قصيدته:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل ⁽²⁾

قال ابن عباس: الحرم كله مقام إبراهيم ⁽³⁾، وقال مجاهد: الحجر كله مقام إبراهيم ⁽⁴⁾. وقوله ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ يعني حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية، قاله الحسن، قال ابن عباس: من عاذ بالبيت أعاده البيت، وإذا خرج أخذ بذنبه ⁽⁵⁾.

ومن جملة تحريمها اصطياد صيدها وتنفيره عن أوكاره، وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها كما ثبت في الأحاديث الصحاح، منها في الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بجرمة الله إلى يوم القيامة لا يُعْضَدُ شَوْكُهُ ولا يَنْفَرُ صَيْدُهُ ولا يُلْتَقَطُ لُقَطَتُهُ إلا من عرفها، ولا يُحْتَلَى خَلَاؤها، فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لِقَيْنِهِمْ وليوتهم، فقال: إلا الإذخر» ⁽⁶⁾، ولهما عن أبي هريرة نحوه، وعن أبي شريح العدوي ⁽⁷⁾ «أنه قال

(1) ينظر: تفسير مجاهد 1/ 256.

(2) ينظر: سيرة ابن هشام 1/ 273.

(3) ينظر: جامع أحكام القرآن 2/ 113.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [2004] 2/ 37.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [3850] 3/ 711.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجزية، ب: إثم الغادر بالبر والفاجر، [3189] 4/ 104، وأخرجه مسلم في

صحيحه، ك: الحج، ب: تحريم مكة وصيداتها وخلاها وشجرها ولقظتها إلا لمنشد على الدوام [1353] 2/ 906.

(7) هو: خويلد بن عمرو بن صخر بن عبد العزى، أبو شريح الخزاعي العدوي الكعبي، أسلم قبل فتح مكة، وكان يحمل

ألوية بن كعب بن خزاعة يوم الفتح، روى عن: النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه، وروى عنه: نافع بن جبير و أبو سعيد

المقبري وابنه سعيد بن سعيد وغيرهم، كان يأتي إلى المدينة كثيرا، وهو دليل النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، توفي سنة توفى سنة

68هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 4/ 295، والإصابة 7/ 173، وأسدا الغابة 2/ 194.

لعمر و بن سعيد وهو يبعث البعوث: ائذن لي أيها الأمير أن أحدث قولاً قاله رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعت أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناى حين تكلم به، أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن حرم مكة حرمتها الله، ولم يجرمها الناس؛ ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحدٌ ترخَّص بقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب» رواه مسلم⁽¹⁾ وغيره، وعن ابن عباس مرفوعاً «من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة وخرج مغفوراً له»⁽²⁾.

وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وقيل: بل هي قوله ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾⁽³⁾، والأول أظهر، وقد وردت الأحاديث بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده، وقد أجمعوا عليه إجماعاً ضرورياً، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع، في مسند أحمد عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: لكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» رواه مسلم⁽⁴⁾.

وعن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج، فقام الأقرع بن حابس فقال: يا رسول الله أفي كل عام؟ قال: لو قلتها لوجبت، ولو

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحج، ب: تحريم مكة وصيدها وخلاتها وشجرها ولقظتها، إلا لمنشد على الدوام. [1354] 987/2

(2) ينظر: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة، مكتبة الرشد - الرياض، ط: 1 - 1409هـ [1372] 173/3.

(3) سورة البقرة، الآية (196).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحج، ب: فرض الحج مرة في العمر. [1337] 975/2

وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة واحدة فمن زاد فهو تطوع»
رواه أحمد⁽¹⁾ وأبو داود⁽²⁾ والنسائي⁽³⁾.

وأما الاستطاعة فتارة يكون الشخص مستطيعا بنفسه وتارة بغيره، كما هو مقرر في كتب
الفقه⁽⁴⁾، عن ابن عمر قال: «قام رجل إلى النبي ﷺ فقال: من الحاجُّ يا رسول الله؟ قال:
الشَّعْتُ الثَّلْجُ، فقام آخر فقال: أي الحج أفضل يا رسول الله؟ قال: العج والشج، فقام آخر
فقال: ما السبيل يا رسول الله؟ قال: الزاد والراحلة» رواه الترمذي وقال: هذا حديث
حسن⁽⁵⁾، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «تعجلوا إلى الحج -يعني الفريضة-
فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له» رواه أحمد⁽⁶⁾.

وقوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ «من ملك
زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا، وذلك أن الله
تعالى يقول ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾» رواه الترمذي⁽⁷⁾ وابن
جرير⁽⁸⁾ وابن أبي حاتم⁽⁹⁾.

(1) أخرجه أحمد في مسنده. [2304] 151/4

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: المناسك، ب: فرض الحج. [1721] 139/2

(3) أخرجه النسائي في سننه، ك: المناسك، ب: وجوب الحج. [3585] 5/4

(4) ينظر: النوادر الزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات لأبي محمد القيرواني، دار الغرب الإسلامي -
بيروت، ط: 1 - 1999م/2/317.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، ك: التفسير عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة آل عمران [2998] 75/5.

(6) أخرجه أحمد في مسنده. [2867] 58/5

(7) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الحج عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في التغليظ في ترك الحج. [812] 167/3

(8) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7489] 42/7.

(9) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [3859] 713/3.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾⁽¹⁾

هذا تعنيف من الله لكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله وصددهم
عن سبيله من أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم، مع علمهم أن ما جاء به الرسول
حق من عند الله بما عندهم من العلم عن الأنبياء المتقدمين - عليهم السلام - وما بشرُوا
به وفوهوا من ذكر النبي العربي سيد العالمين، وقد ترصد لهم الله على ذلك بأنه شهيد على
صنيعهم ذلك، وما خالفوا بأيديهم عن الأنبياء، ومقابلتهم الرسول المبشر بالتكذيب
والحجود، وأنه ليس بغافل عما تعملون، وسيجازيهم على ذلك يوم لا ينفعهم مال ولا
بنون والصد: المنع والصرف والعوج والزيغ والميل، والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن
يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾⁽²⁾

هذا تحذير من الله لعباده المؤمنين، أن يطيعوا أهل الكتاب الذين يحسدونهم على ما آتاهم
الله من فضله؛ لئلا يضلُّوهم ويلقوهم في الكفر.

ثم قال: ﴿وَكَيفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ﴾ أي: أن الكفر بعيد عنكم وحاشاكم
منه، فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلا ونهارا وهو يتلوها عليكم، ويبلغها إليكم، وهذا
كقوله تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى قوله ﴿لَرَأَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾⁽³⁾ كما
روى عمرو بن شعيب⁽⁴⁾ عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّ الْخَلْقِ أَعْجَبُ

(1) سورة آل عمران، الآيتان (98-99).

(2) سورة آل عمران، الآيتان (100-101).

(3) سورة الحديد، الآيتان (8-9).

(4) هو: عمرو بن شعيب بن محمد بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، أبو إبراهيم
القرشي، فقيه أهل الطائف ومحدثهم، كان يتردد كثيرا إلى مكة، روى عن: أبيه فأكثر وسعيد بن المسيب و طاوس
وغيرهم، وروى عنه: الزهري وسعيد المقبري وعاصم بن سفيان وغيرهم، قال العجلي والنسائي: ثقة، وقال النسائي:
ليس به بأس، توفي سنة 118هـ، ينظر: تهذيب الكمال 64/22، و تهذيب التهذيب 48/8، و الأعلام 79/5.

إليكم إيماناً؟ قالوا: الملائكة، قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟! قالوا: فالنبيون، قال: ما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟! قالوا: فنحن، قال: وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟! قال: فقال رسول الله ﷺ إن أعجب الخلق إليّ إيماناً لقوم يكونون من بعدي يجذون صُحُفاً فيها كتاب يؤمنون بها» رواه البيهقي في دلائل النبوة⁽¹⁾.

وقوله ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾ أي: ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العدة في الهداية، والعمدة في مباحة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد وحصول المراد.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾﴾⁽²⁾

قال عبد الله بن مسعود: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ هو أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر ورواه الحاكم⁽³⁾ مرفوعاً، والموقوف أصح⁽⁴⁾، وقد ذهب جماعة من التابعين وغيرهم إلى أن هذه الآية منسوخة⁽⁵⁾ بقوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾⁽⁶⁾ وقال ابن عباس: لم تنسخ، ولكن حق تقاته: أن يجاهد في سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم⁽⁷⁾.

(1) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، [2907] 538/6.

(2) سورة آل عمران، الآيتان (120-103).

(3) أخرجه الحاكم في مستدرکه [3159] 323/2.

(4) والمرفوع هو: كل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير صح سنده أو لم يصح، اتصل أو انقطع، ينظر: التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث 32/1، والموقوف هو: ما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم وأفعالهم، ينظر: معرفة أنواع الحديث 117/1.

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [439] 406/1.

(6) سورة التغابن، الآية (16).

(7) ينظر: الدر المنثور 283/2.

وقوله ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: حافظوا على الإسلام في حال ضعفكم وسلامتكم لتُموثوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه، فنعوذ بالله من خلاف ذلك، عن عبد الله بن عمرو قال: [سمعت] ⁽¹⁾ رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث «لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن الظن بالله» رواه مسلم ⁽²⁾.

وقوله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: بعهد الله، وقيل: يعني القرآن كما جاء في الحديث في صفته هو حبل الله المتين، وقوله ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أمرهم الله بالجماعة ونهاهم عن الفرقة، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا، يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به، وأن تعصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» ⁽³⁾.

وقوله ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ نزلت الآية في شأن الأوس والخزرج، فإنه قد كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية وضغائن طال بسببها الوقائع بينهم، فلما جاء الله بالإسلام فدخلوا فيه صاروا إخواناً متحابين بجلال الله، متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى، وكانوا ﴿عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ أي: على طرفها بسبب كفرهم، فأنقذهم الله منها أن هداهم للإيمان، وقد امتن عليهم رسول الله ﷺ يوم قسم غنائم حنين، حين عتب بعضهم بما فضل عليهم في القسمة بما أراه الله، فخطبهم فقال: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن» ⁽⁴⁾.

(1) جاء في المخطوط قال، ولعل الذي أثبت هو الصواب.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت 2205/4[2877].

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الأقضية، ب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة.. [1715] 1340/3.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: غزوة الطائف [4330] 157/5.

وروى ابن إسحاق: أن رجلا من اليهود مرَّ بملا من الأوس والخزرج، فسأه ما هم عليه من الاتفاق والألفة، فبعث رجلا معه، وأمر أن يجلس بينهم، ويذكر لهم ما كان من حروبهم يوم بُعِث وتلك الحروب، ففعل فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوسُ القوم وغضب بعضهم على بعض فتناوروا إلى سلاحهم ونادوا بشعارهم وتواعدوا إلى الحرَّة فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم، فجعلهم يسكنهم ويقول: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟» وتلا عليهم هذه الآية، فندموا واصطلحوا وألقوا السلاح وتعانقوا ﴿١٤١﴾ (1).

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٤١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أُسَوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٤٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أُبَيِّضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٤٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٤٩﴾ (2)

أي: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الضحاك (3): هم خاصته من الصحابة والمجاهدين والعلماء (4)، وقال

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7524] 56/7.

(2) سورة آل عمران، الآيات (104-109).

(3) هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي بن هلال بن عامر، يكنى أبا القاسم، صاحب التفسير، وعن عبد الملك بن ميسرة قال: لم يلق الضحاك بن عباس وإنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير، وقال أبو حاتم: كان أصل الضحاك من بلخ وكان يقيم بها مدة وبسمرقند مدة وببخارى مدة وهم إخوة ثلاثة: مسلم ومحمد والضحاك، وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما، وضعفه يحيى بن سعد، وكانت أمه حاملة به ستين وولد وله أسنان، وكان معلما كاتباً يعلم الصبيان ولا يأخذ منهم شي مات سنة خمس ومائة. ينظر الطبقات الكبرى 302/6، و الثقات لابن حبان 480/6، وسير أعلام النبلاء 598/4.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7597] 92/7.

محمد الباقر⁽¹⁾: أي: إلى اتباع القرآن والسنة⁽²⁾.

والمقصود من الآية: أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن بلا فتور وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»⁽³⁾، وفي رواية «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»⁽⁴⁾، وعن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشك الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم» رواه أحمد⁽⁵⁾ والترمذي وحسنه⁽⁶⁾.

ثم قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ فهى هذه الأمة أن يكونوا كالأمة الماضية في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع قيام الحجة عليهم، عن معاوية أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين ملة،-يعني الأهواء- كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة» رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل⁽⁷⁾.

(1) هو: محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب الباقر، أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية، وهو والد جعفر الصادق، ولد سنة سبع وخمسين للهجرة، كان عالما سيدا كبيرا كان يصوم يوما ويفطر يوما حدث عن: أبيه وهشام بن عروة، وروى عنه: محمد بن يحيى ويعقوب بن كاسب وغيرهما وتوفي بجرجان، وصلى عليه المأمون، وقيل إنسبب وفاته وكان من أبناء السبعين أنه جامع ودخل الحمام وافتصد، فمات فجأة -رحمه الله - سنة ثلاث ومائتين. ينظر: وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان لأبي العباس الإربلي، دار صادر - بيروت، ط: 1 - 1994م/4/174، و سير أعلام النبلاء 8/283، و الأعلام الزركلي 6/69.

(2) ينظر: تفسير المظهري لمحمد ثناء الله المظهري، مكتبة الرشدية - الباكستان، ط: 1412هـ/2/114.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان. [78] 1/69

(4) ينظر: المصدر السابق. [80] 1/69

(5) أخرجه أحمد في مسنده. [23301] 38/332

(6) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الفتن، ب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [2169] 4/42.

(7) أخرجه أبو داود في سننه، ك: السنة، ب: شرح السنة [4597] 725.

وقوله ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ يعني: يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والضلالة، قاله: ابن عباس⁽¹⁾، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ﴾ قال الحسن: هم المنافقون⁽²⁾، وقوله ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ هذا يعم كل كافر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ يعني: في الجنة ما كثون فيها أبداً، لا يبغون عنها حولا.

وقوله ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ أي: هذه آيات الله وحججه وبياناته ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: نكشف ما الأمر عليه في الدنيا والآخرة ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي: ليس بظالم لهم بل هو الحكم العدل، الذي لا يجور؛ لأنه القادر على كل شيء، العالم بكل شيء، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحداً من خلقه، ولهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملك له ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: هو المتصرف في الدنيا والآخرة الحاكم فيها.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُ وَبِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْتَهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿٣﴾

يخبر الله عن هذه الأمة الهادية بأنهم خير الأمم فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، عن أبي هريرة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ قال: «خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام» رواه البخاري⁽⁴⁾ وهكذا قال ابن عباس وأكثر الأئمة، يعني: أنهم خير الأمم

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [3951-3950] 729/3.

(2) ينظر: جامع البيان 5/666.

(3) سورة آل عمران، الآيات (110-112).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: كُتِمَ خير أمة أخرجت للناس. [4557] 37/6.

وأَنْفَعُ الْأُمَّمِ لِلنَّاسِ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ عَنْ دُرَّةِ بِنْتِ أَبِي هُبَيْرٍ قَالَتْ: قَدِمَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَبُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ لِلَّهِ وَأَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْصَلَهُمْ لِلرَّحْمِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ⁽¹⁾ وَالنَّسَائِيُّ⁽²⁾، وَالصَّحِيحُ أَنَّ هَذَا عَامٌ فِي جَمِيعِ الْأُمَّةِ، كُلِّ قَرْنٍ بِحَسَبِهِ وَخَيْرُ قَرُونِهِمُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ⁽³⁾ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنْتُمْ مُؤَفَّقُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -» حَسَنَةُ التِّرْمِذِيِّ⁽⁴⁾ وَإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَكْرَمُ الرِّسَالِ عَلَى اللَّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْطَيْتُ مَا لَمْ يَعْطِ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هُوَ؟ قَالَ: نَصَرْتُ بِالرَّعْبِ وَأَعْطَيْتُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَسَمِيتُ أَحْمَدَ وَجَعَلْتُ التَّرَابَ لِي طَهُورًا وَجَعَلْتُ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَّمِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ⁽⁵⁾.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ⁽⁶⁾ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَقُولُ: يَا عَيْسَى إِنِّي بَاعْتُ بَعْدَكَ أُمَّةً إِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَجِبُونَ حَمْدًا وَشُكْرًا، وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ احْتَسَبُوا وَصَبَرُوا، وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ هَذَا لَهُمْ وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ؟ قَالَ: أَعْطَيْتُهُمْ مِنْ حِلْمِي وَعِلْمِي» رَوَاهُ أَحْمَدُ⁽⁷⁾.

(1) أخرجه أحمد في مسنده. [27434] 421/45

(2) أخرجه النسائي في سننه، ك: الفتن، ب: في أهل المعروف وأهل المنكر [4367] 212/4.

(3) أخرجه أحمد في سنته. [20015] 219/33

(4) أخرجه الترمذي في سننه، ك: التفسير عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة آل عمران [3001] 226/5.

(5) أخرجه أحمد في مسنده. [765] 156/2

(6) هو: عويمر بن زيد بن قيس، أبو الدرداء، الإمام القدوة، قاضي دمشق وصاحب رسول الله ﷺ، حكيم هذه الأمة، وسيد قراء دمشق، وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وتصدر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان بن عفان روى عن: النبي ﷺ عدة أحاديث، روى عنه: أنس بن مالك وفضالة بن عبيد وابن عباس وغيرهم، ومما أخذ عنه أنه قال: من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده، توفي سنة 32هـ، ينظر: أسد الغابة 4/306، وسير أعلام النبلاء 4/14، والإصابة 4/621.

(7) أخرجه أحمد في مسنده [27545] 529/45.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً» رواه أحمد ⁽¹⁾، وعن عمران بن حصين ⁽²⁾ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وفي رواية «وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم، فقام رجل آخر، فقال: سبقك عكاشة» رواه مسلم ⁽³⁾ وللبخاري نحوه ⁽⁴⁾، ولهذا الحديث طرق كثيرة وروايات مختلفة فيها زيادات من العدد والفضيلة والله الحمد.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة» ⁽⁵⁾.

وعن بريدة ⁽⁶⁾ أن النبي ﷺ قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة من ذلك ثمانون صفا» رواه الترمذي وحسنه ⁽⁷⁾.

(1) المصدر السابق. [22] 203/1

(2) هو: عمران بن حصين بن عبد بن خلف، أبو نجيذ الخزاعي، صاحب راية خزاعة يوم الفتح أسلم عام الخير، وباع الرسول ﷺ على الإسلام والجهاد، كان صادقا مع الله ومع نفسه، ورعا زاهدا مجاب الدعوة، روى عنه: مطرف بن عبد الله بن الشخير وأبو رجاء العطاردي وزهدم الجرمي وغيرهم، قال مطرف: قال لي عمران: أشعرت أن التسليم عاد إلي؟ قال: ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى مات، توفي سنة 52هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 4/215، و أسد الغابة 4/269، وسير أعلام النبلاء 2/508.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب. [218] 198/1

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الطب، ب: من يُرَقِّ. [5752] 134/7

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأيمان والندور، ب: كيف كانت يمين النبي ﷺ [6642] 131/18.

(6) هو: بريدة بن الحبيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن زراح بن عدي، أبو عبد الله الأسلمي، أسلم حين مر بالنبي ﷺ مهاجراً هو ومن معه، شهد الحديبية، وبيعة الرضوان تحت الشجرة، أسلم قبل بدر ولم يشهدها، وشهد خيبر وفتح مكة، استعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، ينظر: الطبقات الكبرى 4/182، و أسد الغابة 1/367، والبداية والنهاية 11/610.

(7) أخرجه الترمذي في سننه، ك: صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في صفة أهل الجنة. [2546] 683/4.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه، الناس لنا فيه تبع، غدا لليهود، والنصارى بعد غد»⁽¹⁾.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، فمن كان متصفاً بما في معنى هذه الآية دخل معهم في هذه الثناء عليهم والمدح لهم، كما قال عمر بن الخطاب: «من سره أن يكون من تلكم الأمة فليؤد شرط الله فيها» رواه ابن جرير⁽²⁾، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب، الذين ذمهم الله بقوله ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾ ولهذا لما مدحهم الله بها شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم فقال: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي: بما أنزل على محمد ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليهم، وأكثرهم على الضلالة والكفر.

ثم قال تعالى مبشراً عباده المؤمنين أن النصر والظفر لهم على أهل الكتاب فقال: ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَى﴾ الآية وهكذا وقع فإنهم يوم خيبر أذلهم الله وأرغم أنوفهم وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بني قينقاع والنضير وقريظة كلهم أذلهم الله، وكذلك نصارى الشام كسرهم الصحابة في غير ما موطن وسلبوهم ملوك الشام أباد الأبدين، ولازال عصابة الإسلام قائمة بأمر الله حتى ينزل عيسى ابن مريم ويحكم بملة الإسلام، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام⁽⁴⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجمعة، ب: فرض الجمع [876] 585/2، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك:

الجمعة، ب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة. [855] 585/2

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7612] 102/7.

(3) سورة المائدة، الآية (79).

(4) كما ورد في الحديث عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحي

الصليب وتجمع له الصلاة ويعطي المال حتى لا يُقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها ويعتمر أو يجمعهما

أخرجه أحمد في مسنده. [7903] 281/13

ثم قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ﴾ أي: ألزمهم الله المذلة الصغار أينما كانوا فلا يأمنون، ﴿إِلَّا بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: بذمة من الله وهو عقد الذمة لهم، وضرب الجزية عليهم، وإلزامهم أحكام الملة ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ التَّائِبِ﴾ أي: أمان منهم لهم كما في المهادن والمعاهد والأسير إذا آمنه أحد من المسلمين ولو امرأة، قال ابن عباس: أي بعهد من الله وعهد من الناس⁽¹⁾، وعليه أكثر التابعين.

وقوله ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: ألزموا فالتزموا بغضب من الله وهم يستحقونه، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ أي: ألزموا بها قدرا وشرعا، ولهذا قال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾ وإنما حملهم على ذلك الكبر والبغي والحسد، فأعقبهم ذلك الذلة والصغار أبدا متصلا بذل الآخرة، ثم قال ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ أي: إنما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسوله أنهم كانوا يكثرون العصيان لأوامر الله والغشيان لمعاصي الله، والاعتداء في شرع الله - عيادا بالله من ذلك - .

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾⁽²⁾

قال ابن مسعود وغيره أي: لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ، ويؤيد ذلك ما قال: «آخر رسول الله ﷺ ليلة صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: أما أنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم»

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [3991] 3/ 735.

(2) سورة آل عمران، الآيات (113 - 117).

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7648] 7/ 122.

قال: وأنزلت هذه الآية إلى قوله ﴿عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ رواه أحمد⁽¹⁾ ، والمشهور عند كثير من المفسرين كما روي عن ابن عباس أنها أنزلت فيمن آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سَعِيَه وغيرهما⁽²⁾ ، أي: لا يستوي من تقدّم ذكرهم بالدم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: ليس هم على أحدٍ سواءً؛ بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ أي: بأمر الله مطيعة لشرعه فهي مستقيمة، ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: يقومون الليل ويكثرون التهجد ويتلون القرآن في صلاتهم، ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿سَرِيعِ الْحِسَابِ﴾⁽³⁾ .

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: لا يخفى على الله عمل عامل، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملاً. ثم قال مخبراً عن الكفرة بأنه ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ أي: لا ترد عنهم بأس الله وعذابه إذا أراد بهم.

ثم ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار في هذه الدار، والصر: البرد الشديد⁽⁴⁾ ، وقيل: النار، يعني السموم الحارة التي تهلك، وهذا قريب منه؛ لأن البرد الشديد يحرق الزرع والثمار كما يحرق الشيء بالنار، وقوله ﴿فَأَهْلَكْتُهُ﴾ أي: أحرقتة، إذا نزلت على الحرث قد آن جذاذه أو حصاده فلم ينتفع أصحابه منه بشيء، فكذلك الكفار يحرق الله ثواب أعمالهم وثمرتها، كما أذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه، وذلك بسبب ظلمهم على أنفسهم بالكفر والمعصية.

(1) أخرجه أحمد في مسنده. [3760] 304/6

(2) ينظر: جامع البيان 5/678.

(3) سورة آل عمران، الآية (199).

(4) ينظر: تهذيب اللغة 12/75.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَّا عَنَتُمْ قَدْ
 بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ
 تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا
 ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْآنَامِلَ مِّنَ الْعَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَّسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصِيرُوا
 وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمُ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴿١﴾

هذا نهى للمؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة أي: لا تُطْلِعُوهُمْ عَلَى سرائركم وما تضمرونه
 لأعدائكم، والمنافقون بجهدهم وطاقاتهم لا يألون المؤمنين، أي: لا يقصرون فيما يورثهم
 الشر والفساد، فقوله ﴿مِن دُونِكُمْ﴾ أي: من عندكم من أهل الأديان، وبطانة الرجل
 خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره، كما جاء في البخاري أن رسول الله ﷺ
 قال: « ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره
 بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله » ⁽²⁾ ، وقيل
 لعمر بن الخطاب: إن هاهنا غلاما من أهل الحيرة، وكان من أهل الذمة كاتباً، فلو اتخذته
 كاتباً! قال: قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين ⁽³⁾ .

وقوله ﴿وَدُؤًا مَّا عَنَتُمْ﴾ أي: يودون ما يشق عليكم من الضر والشر، والعنت: المشقة.

وقوله ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: وقد لاح على صفحات وجوههم وفتلات
 ألسنتهم من العداوة مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله،
 ما لا يخفى مثله على لبيب، ولهذا قال: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وقوله ﴿هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ﴾ أي: أنتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهرون لكم من
 الإيمان، فتحبونهم على ذلك، وهم لا يحبونكم لا ظاهراً ولا باطناً، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ

(1) سورة آل عمران، الآيات (118-120).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: القدر، ب: المعصوم من عصم الله. [6611] 125/8

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره. [4038] 743/ 3

كَلِّهِ ۞ أي: ليس عندكم في شيء منه شك ولا ريب، وعندهم الشك والريب والحيرة.
وعن ابن عباس أي: تؤمنون بكتابكم وكتابهم، وبما مضى من الكتب قبل ذلك، وهم
يكفرون بكتابكم فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم، والأنامل أطراف الأصابع قاله:
قتادة⁽¹⁾، قال الشاعر:

أودُّ كما مابلٌ حلقي ريقتي وما حملت كفاي أنملي العشرا⁽²⁾

وقال آخرون: هي الأصابع⁽³⁾، وهذا شأن المنافقين يظهرهم للمؤمنين بالإيمان والمودة وهم
في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه، كما قال تعالى ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ
الْغَيْظِ ۗ﴾ وذلك أشد الغيظ والحقد، قال تعالى ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ﴾ أي: مهما كنتم تحسدون
عليه المؤمنين، ويغيطكم ذلكم منهم، فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين،
ومكمل دينه فموتوا أتم غيظاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۗ﴾ أي: بما ينطوي عليه
ضمائركم، وتكنه سرائركم من الحسد والغل للمؤمنين، وهو مجازيكم عليه في الدنيا بالذل
والهوان، وفي الآخرة بالعذاب الشديد.

ثم قال ﴿إِنْ تَمَسَّسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ هذا دال على شدة عداوتهم للمؤمنين، وهو أنهم
إذا أصاب المؤمنين نصر وتأييد وخصب ساء ذلك المنافقين، وإن أصابتهم سيئة إما جذب
أو أدبيل عليهم الأعداء، يفرحوا بها؛ لما لله في ذلك من الحكمة، كما جرى يوم أحد، فرح
المنافقون بذلك، قال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا...﴾ الآية يرشدهم الله إلى
السلامة من شر الأشرار، وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل عليه، ولا حول
ولا قوة إلا بالله، فإنه محيط بهم، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع شيء
في الوجود إلا بتقديره ومشئته.

ثم شرع قصة أحد وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين، والتميز بين المؤمنين
والمنافقين، وبيان صبر الصابرين فقال:

(1) ينظر: جامع البيان 153/7.

(2) ينظر: المصدر السابق

(3) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/298.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٦﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٧﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦٨﴾﴾⁽¹⁾

المراد بهذا الواقعة يوم أحد، وكانت يوم السبت من شوال، سنة ثلاث من الهجرة، قال قتادة: لأحد عشرة خلت منها⁽²⁾، وكان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من أشرفهم يوم بدر، وسلمت العير بما فيها من التجارة التي كانت مع أبي سفيان، فلما رجعوا إلى مكة قال أبناء من قتل ورؤساء من بقي لأبي سفيان: أرصد هذه الأموال لقتال محمد، فأنفقوها في ذلك، وجمعوا الجموع والأحابيش⁽³⁾، وأقبلوا في قريب من نحو ثلاثة آلاف، حتى نزلوا قريبا من أحد تلقاء المدينة، فصلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة واستشار الناس: «أنخرج إليهم أم نمكث بالمدينة؟» فأشار عبد الله بن أبي بالمقام بالمدينة، فإنهم إن أقاموا فشر محبس، وإن دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين، وأشار آخرون من الصحابة ممن لم يشهد بدرا بالخروج إليهم، فدخل رسول الله ﷺ فلبس لأمته وخرج عليهم، وقد ندم بعضهم وقالوا: لعلنا استكرهنا رسول الله ﷺ، فقالوا يا رسول الله: إن شئت أن تمكث؟ فقال: «ما ينبغي لني إذا لبس لأمته أن يرجع حتى يحكم الله له»⁽⁴⁾ فسار - عليه الصلاة والسلام - في ألف من الصحابة فلما كان بالشوط⁽⁵⁾ رجع عبد الله بن أبي في ثلث⁽⁶⁾ الجيش مغضبا لكونه لم يرجع إلى قوله، وقال هو وأصحابه: لو نعلم اليوم قتالا لاتبعناكم ولكننا لا نراكم تقاتلون، واستمر رسول الله ﷺ سائرا حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي،

(1) سورة آل عمران، الآيات (121-123).

(2) ينظر: جامع البيان 7/160.

(3) الأحابيش: حلفاء قريش تحافوا تحت جبل يسمى حبشياً فسموا الأحابيش، ينظر: جمهرة اللغة لأبي بكر الأزدي، دار العلم للملايين - بيروت، ط: 1 - 1987م/1/276.

(4) أخرجه أحمد في مسنده [14787] 100/23 .

(5) الشوط: جري الفرس مرة واحدة إلى الغاية، والجمع أشواط، ينظر: غريب الحديث لأبراهيم الحربي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط: 1 - 1405هـ/3/1152.

(6) وردت في تفسير القرآن العظيم "ثلث الجيش" بالباء 3/171.

وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: « لا يقاتلن أحدٌ حتى نأمره بالقتال » وتهياً رسول الله ﷺ للقتال يوم السبت وهو في سبعمائة من أصحابه، وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخوا بني عمرو بن عوف. والرماة يومئذ خمسون رجلاً، فقال: « انضحوا الخيل عنا ولا نؤتين من قبلكم، والزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم»⁽¹⁾ فظاهر رسول الله ﷺ بين درعين، وأعطى اللواء مصعب ابن عمير أخوا بني عبد الدار، وأجاز رسول الله ﷺ بعض الغلمان يومئذ، وأرجأ آخرين حتى أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقريب من ستين، وتهيات قريش وهم ثلاثة آلاف، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل⁽²⁾، ودفعوا اللواء إلى بني عبد الدار، ثم كان بين الفريقين ما سيأتي في موضعه عند هذه الآيات.

ولهذا قال تعالى ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تنزلهم منازلهم وتجعلهم ميمنة وميسرة وحيث أمرتهم، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما تقولون ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائركم، وقوله ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال: «فينا نزلت ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب» - وفي رواية - وما يسرني أنها لم يزل لقول الله تعالى ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾⁽³⁾.

وقوله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ كان في يوم الجمعة السابع عشر من رمضان، سنة اثنتين من الهجرة، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله، وقمع فيه الشرك وحزبه، هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فيهم فارسان وسبعون بعيراً والباقيون مشاة، ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه، وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبيض والعدة الكاملة من الخيول

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه 4/65.

(2) ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لمحمد بن حبان، الكتب الثقافية - بيروت، ط: 3 - 1417هـ/1-222.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ب: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ [4558] 38/6، و أخرجه مسلم في

صحيحه، ك: فضائل الصحابة - ، ب: من فضائل الأنصار [2505] 4/1948.

المسومة والخيلاء⁽¹⁾ الزائدة، فأعز الله رسوله، وأظهر وحيه وتنزيله، وبيض وجه النبي وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله⁽²⁾، ولهذا قال تعالى ممثنا على المؤمنين المتقين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد، ولهذا قال في الآية الأخرى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾⁽³⁾ الآية، وبدر محلة بين الحرمين تعرف "بدر بن النارين" وقيل بدر بئر لرجل يسمى بدرا⁽⁴⁾ وقوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تقومون بطاعته.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾^(١٢٤) بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين^(١٢٥) وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به^(١٢٦) وما ألصق إلا من عند الله العزيز الحكيم^(١٢٦) ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم فينقلبوا خائبين^(١٢٧) ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون^(١٢٨) ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رَحِيمٌ^(١٢٩)⁽⁵⁾

اختلفوا في هذا الوعد هل كان يوم بدر أو يوم أحد على قولين: أحدهما: أن قوله ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بقوله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ روي هذا عن أكثر التابعين، وعليه ابن جرير⁽⁶⁾، قال الشعبي⁽⁷⁾: إن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين فشق

(1) وردت في تفسير القرآن العظيم والحلي الزائدة "173/3".

(2) السيرة النبوية لابن هشام 2/380.

(3) سورة التوبة، الآية (26).

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/174.

(5) سورة آل عمران، الآيات (124-129).

(6) ينظر: جامع البيان 7/174.

(7) هو: عامر بن شرحبيل بن عبد بن ذي كبار، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي، قال محمد بن سعد: وكان عبد الحميد بن الخطاب والي عمر بن عبد العزيز على العراق فولى عامرا الشعبي قضاء الكوفة، وعن الحسن بن صالح عن أبيه قال: رأيت الشعبي له عمامة بيضاء قد أرخى طرفها ولم يردّها، روى عن: يحيى بن طلحة وعيسى بن طلحة وكنا ثقتين، وهو أول من اعترض على الأسود العنسي لما ادعى النبوة، توفي بالكوفة سنة 105هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 6/259، وأسد الغابة 3/122، وسير أعلام النبلاء 5/171.

عليهم، فأنزل الله ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ إلى قوله ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ فبلغت كرزاً الهزيمة، فلم يمد المشركين ⁽¹⁾، وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف. فإن قيل: فما وجه الجمع بين هذه الآية على هذا القول، وبين قوله تعالى في قصة بدر ﴿إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ ⁽²⁾؟ فالجواب: أن التنصيص على الألف هاهنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها، لقوله ﴿مُرَدِّينَ﴾ يعني يردفهم غيرهم وتتبعهم ألوف آخر مثلهم، فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر، كما هو المعروف أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر.

والقول الثاني: أن هذا الوعد متعلق بقوله ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِمَّنْ أَهْلَكَ تُبُوءُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك يوم أحد، وهو قول مجاهد وغيره من التابعين، ولكن قالوا: لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف؛ لأن المسلمين فروا يومئذ؛ زاد عكرمة ولا بالثلاثة الآلاف لقوله تعالى ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ فلم يصبروا بل فروا فلم يمدوا بملك واحد.

وقوله ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصَبِرُوا﴾ يعني تصبروا على مصابرة العدو، وتتقوني وتطيعوا أمري، وقوله ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِّنْ قَوْرِهِمْ هَذَا﴾ قالوا أي: من وجههم هذا، وقال مجاهد وغيره: أي من غضبهم هذا ⁽³⁾، وقيل: من سفرهم هذا ⁽⁴⁾، وقوله ﴿يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ أي: معلمين بالسيماء ⁽⁵⁾، عن علي بن أبي طالب: كان سيماء الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض في نواصي خيولهم، وقيل: بالصوف الأحمر، وقال مجاهد: مُحَدَّقَةٌ أَعْرَافُهَا مُعَلَّمَةٌ نَوَاصِيهَا وَأَذْنَابُهَا بِالصَّوْفِ الْأَبْيَضِ، وقيل: مسومين بالعمائم، وعن ابن عباس مرفوعاً: «كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم سود، ويوم حنين عمائم حمراء، ولم تقاتل

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره. [7746] 174/7

(2) سورة الأنفال، الآية (9).

(3) ينظر: تفسير مجاهد 1/258.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7779] 182/7.

(5) السيماء: صيغة مبالغة من السمة والوسم، وهي: العلامة الخفية، ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين العابدين، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت - القاهرة، ط: 1 - 1410 هـ/200.

الملائكة إلا يوم بدر، وكانوا في غيره عددا ومددا لا يضربون»⁽¹⁾ ، وقال ابن الزبير: «كان على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجراً بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر»⁽²⁾ .

وقوله ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: وما أنزل الله الملائكة إلا بشرى لكم، وتطيباً لقلوبكم وتطميناً لها، وإلا فإنما النصر من عند الله الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم، ومن غير احتياج إلى قتالكم، ولهذا قال ﴿وَمَا لَنْتَصُرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ أي: هو ذو العزة التي لا ترام، والحكمة في قدره هو الأحكام.

ثم قال تعالى ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أي: أمركم بالجهاد والجلاد؛ لما له في ذلك من حكمة ليهلك أمة ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ﴾ أي: يصرعهم بوجوههم، وقيل: يخزيهم ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ أي: يرجعوا ﴿خَائِبِينَ﴾ أي: لم يحصلوا على ما أملوه من الظفر.

ثم اعترض بجملة دلت على أن الحكم في الدارين له وحده لا شريك له، فقال ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي: بل الأمر كله إليّ، وقيل أي: ليس لك من الحكم شيء في عبادتي إلا ما أمرتك به فيهم، ثم ذكر تعالى بقية الأقسام فقال ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: مما هم فيه من الكفر، ويهديهم بعد الضلالة ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم، ولهذا قال ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: يستحقون ذلك، عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الثانية من الفجر يقول: «اللهم العن فلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾» الآية رواه البخاري⁽³⁾ والنسائي⁽⁴⁾ .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ «كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع وربما قال: إذا قال سمع الله لمن حمد ربنا لك الحمد اللهم أنج الوليد بن

(1) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير [11469] 193/11 .

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 755/3 .

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ب: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ 99/5 [4069]

(4) أخرجه النسائي في سننه، ك: التطبيق، ب: لعن المنافقين في القنوت [1078] 203/2 .

الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» يُجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر «اللهم العن فلانا وفلانا لأحياء في العرب حتى أنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾» رواه البخاري (1).

ثم قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملكه، وأهلها عبيده بين يديه، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي: هو المتصرف فلا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠) و﴿اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣١) و﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٣٢) و﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (2)

ينهى الله عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضعافا مضاعفة، كما كان عاداتهم في الجاهلية، إذا حلَّ الأجل يقولون: إما أن تقضي وإما أن تربي، فإن قضاؤه وإلا زاده في القدر وزاده الآخر في المدة، وهكذا كل عام يضاعف القليل حتى يصير كثيراً مضاعفاً وأمرهم بالتقوى لعلهم يفلحون في الأولى والآخرة، ثم توعدهم بالنار وحذرهم منها فقال ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣١) و﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ثم ندبهم إلى فعل الخيرات فقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ﴾ هذا تنبيه على اتساع طولها أي: فما ظنك بطولها، وقيل: بل عرضها كطولها لأنها قبة تحت العرش، والشيء

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأيمان والنذور، ب: كيف كانت يمينا النبي ﷺ [6642] 131/18.

(2) سورة آل عمران الآيات (130 - 136).

المقرب والمستدير عرضه كطوله، وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح: «إذا سألتهم الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة، وسقفها عرش الرحمن» (1).

وفي مسند أحمد: أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ إنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله! أين الليل إذا جاء النهار؟!» (2) يعني: حيث شاء الله، هذا يحتمل أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار، وأن لا يكون في مكان وإن كان لا نعلمه، فكذلك النار حيث يشاء الله، وأن المعنى: أن النهار إذا غشي وجه العالم من هذا الجانب، فإن الليل يكون من الجانب الآخر، فكذلك الجنة في أعلى عليين فوق السموات تحت العرش، والنار في أسفل السافلين.

ثم ذكر تعالى صفة أهل الجنة، فقال ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ أي: في الشدة والرخاء والمنشط والمكره وجميع الأحوال، أي: أنهم لا يشغلهم أمر من طاعة الله، ولا الإنفاق في مرضاته والإحسان إلى خلقه من قرباتهم وغيرهم بأنواع البر، وقوله ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أي: إذا ثار بهم الغيظ كظموه أي: يعني كتموه فلم يعملوه، وعفى مع ذلك عن أساء إليه، وقد ورد في الآثار: «يقول الله: يا ابن آدم اذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبتُ فلا أهلكك فيمن أهلك» (3). وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «ليس الشديد بالصرعة لكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» رواه أحمد (4)، وعن حارثة بن قدامة أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قل لي قولاً ينفعني فقال رسول الله ﷺ «لا تغضب فأعاد عليه مرارا كل ذلك يقول: لا تغضب» رواه أحمد (5)، وعن أبي ذر قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: درجات المجاهدين في سبيل الله، يقال: هذه سبيلي وهذا سبيلي [2790] 16/4.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [15655] 418/24.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5388] 965/3.

(4) أخرجه أحمد في مسنده [7219] 153/12.

(5) أخرجه أحمد في مسنده [20357] 468/33.

فليضطجع» رواه أحمد⁽¹⁾ ، وعن معاذ بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء» رواه أبو داود⁽²⁾ والترمذي وحسنه وغربه⁽³⁾ ، ثم قال ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ أي: مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم موجدةً على أحد، وهذا أكمل الأحوال، ولهذا قال ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول أين العافون عن الناس؟ هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم، وحق على كل امرئ مسلم إذا عفى أن يدخل الجنة»⁽⁴⁾ .

قوله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ أي: إذا صدر عنهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «إن رجلا أذنب ذنبا فقال: رب إنني أذنبت ذنبا فاغفره لي، فقال الله - عز وجل - : عبدي عمل ذنبا فعلم أن له ربا يغفر له الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبا آخر فقال رب إنني عملت ذنبا فاغفره، فقال - عز وجل - : عبدي علم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، أشهدكم أنني قد غفرت لعبدي فليعمل ما يشاء» رواه أحمد⁽⁵⁾ والبخاري⁽⁶⁾ ومسلم⁽⁷⁾ ، وفي الاستغفار أحاديث كثيرة⁽⁸⁾ ، وقوله ﴿وَلَمْ

(1) ينظر: المصدر السابق [21348] 278/35.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأدب، ب: من كظم غيظا [4777] 248/4، وحسنه الألباني.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، ك: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، ب: في كظم الغيظ [2021] 372/4 وقال: هذا حديث حسن غريب.

(4) ينظر: الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لأبي حفص البغدادي ابن شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1424هـ [519] 149/1.

(5) أخرجه أحمد في مسنده [7948] 329/13.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ» [7507] 145/9.

(7) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: التوبة، ب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة [2758] 2113/4.

(8) منها: قول النبي ﷺ "من قال: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، غفر له وإن كان قد فر من الزحف" أخرجه الترمذي في سننه، ك: الدعوات، ب: من دعاء الضيف [3577] 461/5. وأيضا ما رواه ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال "أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا، قال: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام" أخرجه النسائي في سننه، ك: السهو، ب: الاستغفار بعد التسليم [1337] 68/3.

يُصْرُوا أَي: تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمروا على المعصية ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه، كما قال رسول الله ﷺ «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة» رواه أبو داود⁽¹⁾ والترمذي⁽²⁾.

وقوله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال مجاهد: أي أن من تاب تاب الله عليه، وهكذا قوله ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾⁽³⁾ وقيل: وهم يعلمون أن الإصرار ضار وأنه معصية، ثم قال تعالى ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ﴾ أي: على هذه الصفات ﴿مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، أي: من أنواع المشروبات ماكتين فيها ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ يعني الجنة⁽⁴⁾.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ^(١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^(١٣٩) إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ^(١٤٠) وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ^(١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ^(١٤٢) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ^(١٤٣)⁽⁵⁾

يخاطب الله عباده المؤمنين الذين قتل منهم سبعون رجلا بقوله ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: قد جرى نحو هذا في الأمم السالفة من اتباع الأنبياء، ثم كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين، ولهذا قال ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، ثم قال ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ يعني القرآن

(1) أخرجه أبو داود في سننه، ك: قراءة القرآن وتحزيه وترتيبه، ب: في الاستغفار [1514] 84/2، ضعفه الألباني.
(2) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الدعوات عن رسول الله ﷺ، ب: في فضل التوبة والاستغفار، وما ذكر من رحمة الله بعباده [3559] 558/5، وقال: حديث غريب.
(3) سورة التوبة، آية (104).
(4) ينظر: تفسير يحيى بن سلام ليحيى بن سلام، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1425 هـ / 2 / 638.
(5) سورة آل عمران، الآيات (137 - 143).

فيه بيان للأمور على جليتها، وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم، ﴿وَهَدَى﴾ يعني القرآن فيه خبر ما قبلكم ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ لقلوبكم عن المحارم والمآثم، أي: زاجر.

ثم قال مسليا للمؤمنين ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي: لا تضعفوا بسبب ما جرى ﴿وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي: العاقبة والنصر لكم أيها المؤمنون، ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ﴾ أي: إن كنتم قد أصابكم جراح وقُتِلَ منكم طائفة فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك وجراح ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ أي: نديل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة، ولهذا قال ﴿وَلْيَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال ابن عباس: أي لنرى من صبر على مناجزة الأعداء ⁽¹⁾ ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ يعني يُقتلون في سبيله ويبدلون مُهْجَهُمْ في مرضاته، ﴿وَلْيَمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ليطهرهم من الذنوب ويكفر عنهم، ورفع درجاتهم بحسب ما أصيبوا به، ﴿وَيَمَحِّقَ الْكٰفِرِينَ﴾ أي: يفتنهم ويهلكهم، فإنهم إذا ظفروا بغوا ويطروا فذلك سبب دمارهم وهلاكهم.

ثم قال ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أي: أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال والشدائد، أي: لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله والصابرين على مقارعة الأعداء.

وقوله ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ﴾ أي: قد كنتم أيها المؤمنون قبل هذا اليوم تتمنون لقاء العدو وتودون مناجزتهم ومصابرتهم، فهذا قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه، فدونكم فقاتلوا وصابروا، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ⁽²⁾ ولهذا قال ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ﴾ أي: شاهدتموه في لمعان السيوف، وحدّ الألسنة، واشتباك الرماح وصفوف الرجال للقتال، والمتكلمون يعبرون عن هذا بالتخيل وهو مشاهدة ما ليس بمحسوس كالمحسوس كما تتخيل الشاة صداقة الكبش وعداوة الدب ⁽³⁾.

(1) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير لمحمد الصابوني، دار القرآن الكريم - بيروت، لبنان ط: 7-1402هـ/1-321.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء [1742/3] 1362.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/127.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ (1)

لما انهزم من هزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمداً قد قتل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم: قتلت محمداً، وإنما كان قد ضرب رسول الله فشجه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قتل وجوزوا ذلك عليه، كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء - عليهم السلام - فحصل لهم ضعف ووهن وتأخر عن القتال ففي ذلك نزل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أي: له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه. وعن أبي نجيح (2): أن رجلاً من المهاجرين مرَّ على رجل من الأنصار وهو متشخَّط في دمه، فقال له: يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم فنزل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ رواه البيهقي في دلائل النبوة (3). ثم قال تعالى منكرًا على من حصل له ضعف ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ أي: رجعتم القهقري، وقوله ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه، واتبعوا رسوله حيًّا وميتًا.

(1) سورة آل عمران، الآيات (144-148).

(2) هو: عبد الله بن يسار بن نجيح مولى الأحنس بن شريق الثقفي المكي، سمع طاوسا وعطاء ومجاهدا وأباه، وسمع منه الثوري، قال يحي القطان: لم يسمع ابن أبي نجيح من مجاهد التفسير كاملاً، ويقال أنه كان يرى القدر، وعن عبدالله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان عن أبيه قال: مكث بن أبي نجيح ثلاثين سنة لا يتكلم بكلمة يؤذي فيها جلسه. ينظر: التاريخ الكبير لمحمد إسماعيل البخاري، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الدكن 233/5، و التعديل والتجريح 854/2، والثقات لابن حبان 5/7.

(3) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة [1102] 249/3.

وفي الصحاح والسنن والمسانيد عن عائشة - رضي الله عنها - «أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتميم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشيٌّ بثوب حَبْرَة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه وقبَّله وبكى، ثم قال: بأبي وأمي. والله لا يجمع عليك موتَتَيْن، أما الموتة التي قد كتبت عليك فقد مَتَّها، قال ابن عباس: إن أبا بكر خرج وعمرُ يكلم الناس وقال: اجلس يا عمر وقال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى قوله ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ قال: فو الله لكأنَّ الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقَّها منه الناس كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها، قال عمر: ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُفِرْتُ حتى ما تقلُّني رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض» (1).

وقوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: لا يموت أحد إلا بقدر الله وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له، ولهذا قال: ﴿كِتَبْنَا مُوَدَّةً لِّكَ فِي هَذِهِ آيَةِ تَشْجِيعٍ لِلْجَبْنَاءِ وَتَرْغِيبٍ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ، فَإِنَّ الْإِقْدَامَ وَالْإِحْجَامَ لَا يَنْقُصُ وَلَا يَزِيدُ فِيهِ، وَقَوْلُهُ ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: من كان عمله للدنيا فقط نال منها ما قدره الله ولم يكن له في الآخرة نصيب، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها، مع ما قسم له منها كما قال ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ (2) الآية ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ أي: نعطيهم من فضلنا ورحمتنا بحسب شكرهم وعملهم.

ثم قال تعالى مسلماً للمؤمنين ﴿وَكَايُنَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ معناه كم من نبي قُتِلَ وقُتِلَ معه ربيون من أصحابه كثير، وهذا اختيار ابن جرير (3) فإنه قال: وأما الذين قرؤا ﴿قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ فإنهم قالوا: إنما عني بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم، وإنما نفى الوهن والضعف عن بقي من الربيين ممن لم يُقتل، قال: ومن قرأ قاتل

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجنائز، ب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه [1241] 71/2.

(2) سورة الشورى، الآية (20).

(3) ينظر: جامع البيان 7/ 263.

فإنه اختار ذلك؛ لأنه لو قال قتلوا لم يكن لقوله ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ وجه معروف، لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعدما قتلوا، ثم اختار قراءة من قُتل مجهولاً⁽¹⁾ لأن الله عاتب بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال، فقال لهم ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم، وانقلبتكم على أعقابكم، وقيل: وكم من نبيء قتل معه ربيون كثير. وقال ابن إسحاق وغيره: أي وكأين من نبيء أصابه القتل ومعه ربيون أي: جماعات فما وهنوا بعد نبينهم. وذلك الصبر، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ فجعل قوله ﴿مَعَهُ رَبِّيُونَ﴾ حالاً، قال ابن عباس والجمهور: الربيون الجموع الكثيرة⁽²⁾، وقيل: علماء صبراً أبرار أتقياء.

وقوله ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ الآية أي: فما ضعفوا لقتل نبينهم ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أي: فما ارتدوا عن بصيرتهم ولا عن دينهم إن قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله، وقيل وما ذلوا لعدوهم، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: لم يكن لهم هجيرة⁽³⁾ ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الآية ﴿فَكَاتَلَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: النصر والظفر والعافية، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ أي: جمع لهم ذلك مع هذا ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(1) وهم: نافع وابن كثير وأبو عمرو، ينظر: حجة القراءات 1/ 175.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [7966] 7/ 267.

(3) أي: دأبه، ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان اليميني، دار الفكر المعاصر - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1420هـ/10/6873.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ ۖ سُلْطَنَا ۖ وَمَا أُولَهُمُ النَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَىٰ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ إِذْ تَحْسُونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۖ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ نُصَعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَىٰ أَحَدٍ ۖ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَحْرَابِكُمْ فَاتَّبِعْكُمْ عَمَّا يَغْمِرُ لَكَيْلًا تَخرُّونَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ (1) .

يحذر الله عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين، فإن طاعتهم تورث الردى في الدارين، ولهذا قال ﴿إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخره، ثم أمرهم بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، فقال ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: ناصركم وحافظكم على دينكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ ثم بشرهم بأنه سيلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم، بسبب كفرهم مع ما أوجز لهم في الآخرة من العذاب، فقال ﴿سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾ الآية، وقد ثبت في الصحيحين عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة» (2) وعن ابن عباس قال: قذف الله في قلب أبي سفيان أي وحزبه الرعب، فرجع إلى مكة، فقال النبي ﷺ «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا، وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب» رواه ابن أبي حاتم (3) .

(1) سورة آل عمران، الآيات (149-153).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التيمم، ب: قوله تعالى ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [335/1/74]، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: جعلت الأرض مسجدا وطهورا. [521/1/370]

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره. [4316/3/785]

قوله ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ قال ابن عباس: وعدهم الله النصر، وقد يستدل بهذه الآية على أحد القولين السابقين في قوله ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ﴾ إلى قوله ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ إن ذلك كان يوم أحد؛ لأن ثلاثة آلاف مقاتل، فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام، فلما عصت الرماة ولم يثبتوا وقتل بعض المقاتلة تأخر الوعد الذي كان مشروطاً بالثبات والطاعة، ولهذا قال ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ يعني: أول النهار ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ أي: تقتلونهم قتلاً ذريعاً بتسليطه إياكم عليهم ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ أي: جبنتم، والفشل: الجبن قاله ابن عباس، ﴿وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ كما وقع للرماة، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا أَرْكَبُ مَا تُحِبُّونَ﴾ وهو الظفر لهم، ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ وهم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ أي: ردكم، ﴿عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ثم أدالتهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ أي: غفر لكم ذلك الصنيع وذلك - والله أعلم - لكثرة عدد العدو وعُددهم وقلة عدد المسلمين وعُددهم وقال ابن جريج: أي لم يستأصلكم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

في البخاري عن البراء⁽¹⁾ قال: لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير، وقال: «لا تبرحوا وإن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا»⁽²⁾ فلما لقيناهم هربوا، حتى رأينا النساء يشتدن في الجبل، رفعن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة فقال عبدالله: عهد⁽³⁾ النبي ﷺ ألا تبرحوا فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم، فأصيب سبعون قتيلاً، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: «لا تحببوه» فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال: «لا تحببوه» فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قد قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، قد أبقي الله لك ما

(1) هو: البراء بن عازب الأنصاري، أبو عمارة، صحابي، شارك في غزوات النبي ﷺ وفتوحات العراق وفارس، شارك مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين وقاتل الخوارج، روى عن: النبي ﷺ وأبي بكر الصديق وخاله بردة بن دينار وغيرهم، وروى عنه: عبد الله يزيد الخطمي وأبو جحيفة السوائي وعدي بن ثابت وغيرهم استصغره النبي ﷺ يوم بدر، توفي سنة 72هـ، ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 2/399، وأسد الغابة 1/362، والإصابة 1/411.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: غزوة أحد. [4043] 94/5

(3) وردت في تفسير القرآن العظيم 7/213 زيادة لفظ "إلي".

يخزنك فقال أبو سفيان: اعلُّ هبل! فقال النبي ﷺ «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا لله أعلى وأجل» فقال أبو سفيان: إن لنا العزى ولا عزى لكم! فقال النبي ﷺ «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم» قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثلة لم أمر بها ولم تسؤني⁽¹⁾.

وفيه أيضا عن عائشة قالت: «لما كان يوم أحد هزم المشركون، فصرخ إبليس: أي عبادة الله أخراكم، فرجعت أولاهم واجتلدت هي وأخراهم، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أبي أبي، قالت: ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة يغفر الله لكم، قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة منها بقية خير حتى لقي الله تعالى»⁽²⁾.

قال ابن عباس: قد كان النصر والظفر لرسول الله ﷺ أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة، وجال المسلمون جولة نحو الجبل، وصاح الشيطان قتل محمد فوقع بعد ذلك ما وقع، قال الزبير بن العوام: ولقد رأيتني أنظر إلى خدم هند وصواحباتها مشمرات هوارب ما دون أخذهن كثير ولا قليل، وانكفا علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنوا منه أحد من القوم، فلم يزل صريعا فأخذته عمرة بنت علقمة فدفعته لقريش فلأثوا به. وفي مسند أحمد هذه القصة مبسطة⁽³⁾، وفيها: فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها، فقال رسول الله ﷺ أكلت شيئا؟ قالوا: لا، قال: ما كان الله ليدخل شيئا من حمزة في النار، فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى عليه، وجيء برجل من الأنصار فوضع إلى جنب حمزة فصلى عليه، فرفع الأنصاري وترك حمزة، حتى جيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه [3039] 65/4.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [4065] 98/5.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [2609] 369/4.

قوله ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ أي: صرفكم عنهم إذ تصعدون في الجبل هارين من أعدائكم، وقرأ الحسن وقتادة: إذ تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء على الجبال ونحوها⁽¹⁾، والقراءة بالضم من الإصعاد وهو السير في مستوى الأرض، ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ أي: لا تلتفت بضعكم على بعض من الدهش والخوف، ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ﴾ أي: وقد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم إلى ترك الفرار وإلى الرجعة، قال السدي: لما اشتد المشركون على المؤمنين بأحد فهزموهم، دخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: «إلبي عباد الله إلي عباد الله!»، فذكر الله صعودهم إلى الجبل، ثم ذكر دعاء النبي ﷺ إياهم، فقال ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ إلى آخره⁽²⁾، وكذا قال ابن عباس وغيره، قالوا: ولم يبق مع رسول الله ﷺ يومئذ إلا طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص بعد أبي بكر وعمر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وأحد عشر رجلا من الأنصار، وفي الصحيحين عن سعد قال: «رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض، يقاتلان عنه أشد القتال، ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده»⁽³⁾، يعني جبريل وميكائيل - عليهما السلام - وفيهما أيضا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله وهو حينئذ يشير إلى رباعيته، واشتد غضب الله على رجل قتل رسول الله في سبيل الله»⁽⁴⁾، يعني أبي بن خلف طعنه رسول الله ﷺ بيده في حفرة حلقه فمات منها.

(1) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد شهاب الدين، دار الكتب العلمية - لبنان، ط: 3 - 1427هـ/1-230.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8050] 301/7.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَىٰ اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. [4054] 96/5، و صحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: ﷺ يوم أحد [2306] 1802/4.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد [4073] 101/5، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ [1793] 1417/3.

وقوله ﴿فَأْتَبَكُمُ غَمًّا بَعِمًا﴾ أي: فجاءكم غما على غم، ونظيره ⁽¹⁾ قوله ﴿وَأَصْلَبَبَكُمُ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ ⁽²⁾ أي: على جذوع النخل، والغم الكرب، قال ابن عباس: الغم الأول بسبب الهزيمة حين قتل محمد، والثاني حين علاهم المشركون فوق الجبل ⁽³⁾، وقال النبي ﷺ «اللهم ليس لهم أن يعلونا» ⁽⁴⁾ وقيل: الغم الأول ما أصابهم من القتل والجراح، والغم الثاني ما سمعوا أن محمداً قد قتل فأنساهم الغم الأول، وقيل الغم الأول بسبب ما فاتهم من الغنيمة والفتح والثاني بإشراف العدو عليهم، قال ابن جرير: الأولى بالصواب ما قيل فأتابكم بغمكم أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين، والظفر بهم والنصر عليهم وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذي قد أراكم في ذلك ما تحبون بمعصيتكم بربكم وخلافكم أمر نبيكم غم ظنكم أن نبيكم ﷺ قد قتل وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم ⁽⁵⁾.

وقوله ﴿لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة والظفر بعدوكم ولا ما أصابكم من القتل والجرح قاله ابن عباس وآخرون ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

(1) وجه المماثلة بين الآيتين، أن كلا من حرفي الجر، الواردين في الآية تأتي بمعنى على، كما تقول: ضربني في السيف، تريد بالسيف، ونزلت في أبيك، تريد على أبيك. ينظر: معاني القرآن لأب الحسن الأخفش، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: 1 - 1411هـ / 236.

(2) سورة طه، الآية (71).

(3) تفسير القرآن العظيم 3/225.

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4291] 3/789.

(5) ينظر: جامع البيان 7/213.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ (1)

إن الله من على المؤمنين فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة وهو النعاس الذي غشاهم وهم في السلاح في حال همهم وغمهم، والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الإيمان، كما قال في سورة الأنفال ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ (2) وعن ابن مسعود قال: النعاس في القتال من الله، وفي الصلاة من الشيطان (3)، وعن أبي طلحة (4) قال: «كنت فيمن يغشاهم النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا، يسقط وأخذ، يسقط وأخذ»، رواه البخاري (5). والطائفة الأخرى المنافقون ليسلهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأخذله للحق، ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ من أنه لا ينصر محمداً، وأنه قتل وأن الإسلام قد باد

(1) سورة آل عمران، الآيات (154-155).

(2) سورة الأنفال، الآية (11).

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4360] 793/3.

(4) هو: زيد بن سهل بن الأسود بن مالك بن النجار، أبو طلحة الأنصاري الخزرجي، صحابي رسول الله، ومن بني أخواله، وأحد أعيان البدرين، كان إسلامه مهرا لامرأة من نساء أهل الجنة، كان بطلا مجاهدا، شهد بدرًا فأبلى بلاء حسنا روى عن: النبي ﷺ نيفا وعشرين حديثاً، روى عنه: أنس بن مالك وزيد خالد الجهني وابن عباس وغيرهم مات بالمدينة وصلى عليه عثمان بن عفان سنة 51هـ، ينظر: أسد الغابة 2/361، و سير أعلام النبلاء 3/356، و تهذيب التهذيب 3/414.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [4068] 99/5.

وأهلُه! يستأصل كظن الجاهلية إنما هم أهل شك وريب في الله، أي: حملتهم أنفسهم على الهم والقلق والخوف، والطائفة الأولى أهل إيمان ويقين وتوكل، وهم الجازمون بأن الله سينصر رسوله وينجز له مأموله، ثم أخبر تعالى عن المنافقين أنهم يقولون في تلك الحال ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني النصر، ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ وتفسيره: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ أي: يسرون هذه المقالة أي: لو كنا على الحق ما قتلنا هاهنا، قال الزبير: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا، أرسل الله علينا النوم فما منا رجل إلا وذقنه في صدره، قال فو الله إني لأسمع قول مُعْتَبِ بْنِ قَشِيرٍ ⁽¹⁾، ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ ⁽²⁾.

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾ أي: لخرج الذين قُضِيَ عليهم القتل إلى مصارعهم أي: هذا قدرٌ مقدرٌ من الله وحكم حتم لازم لا مهرب منه وقوله ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي: ليختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب ﴿وَلِيَمِجَّصَ﴾ أي: ليظهر أمر المؤمن والمنافق للناس في الأقوال والأفعال، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ من الخير والشر، ثم قال ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أي: جمع المسلمين والمشركين يوم أحد، وقد انهزم أكثر المسلمين، ﴿إِنَّمَا أَسْتَرَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: طلب زلتهم، وأوقعهم في الخطيئة ببعض ذنوبهم، وهو ترك المركز، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: عما كان منهم من الفرار، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي: يغفر الذنوب، ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم.

(1) هو: معتب بن قشير بن مليل بن العطف بن زيد الأوسي الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة، وقيل إنه كان منافقاً، وإنه الذي قال يوم أحد لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا، شهد بدرًا وأحداً قاله ابن إسحاق، وهو لا عقب له، ينظر: الطبقات الكبرى 3/353، و المؤتلف والمختلف لأبي الحسن الدار قطني، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: 1 - 1406هـ/4-2074، وإكمال الإكمال لمحمد ابن نقطة الحنبلي البغدادي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط: 1 - 1410هـ/4-599.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4373] 3/795.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾⁽¹⁾

هذا نهي عن التشبه بالكفار في اعتقادهم الفاسد، المستفاد من قوله ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافروا فيها للتجارة ونحوها، ﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾ أي: غزاة جمع غاز فقتلوا، ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا﴾ في البلد ﴿مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ في السفر، ولا قتلوا في الغزو، وقوله ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتاهم [و] ⁽²⁾ قَتَلَاهُمْ ثم قال تعالى راداً عليهم ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: بيده الخلق وإليه يرجع الأمر، ولا يبقى أحد ولا يموت إلا بمشيئته وقدرته، ولا يزداد في عمر أحد ولا ينقص منه إلا بقضائه وقدره، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: علمه وبصره نافذ في جميع خلقه، لا يخفى عليه من أمورهم شيء.

وقوله ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، مضمون هذا أن القتل والموت في سبيل الله وسيلة إلى نيل رحمته وعفوه ورضوانه، وذلك خير من البقاء في الدنيا، وجمع حطامها الفاني، ثم أخبر بأن كل من مات أو قتل فمصيروه ومرجعه إلى الله تعالى، فيجزيه بعمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فقال ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: في العاقبة.

(1) سورة آل عمران، الآيات (156-158).

(2) سقط من المخطوط.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ إِن يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ مَن يَعْلَلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَن اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ (1)

لقد من الله على رسوله وعلى المؤمنين فيما ألان لهم قلبه وأطاب لهم لفظه كما قال ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ يعني: أي شيء جعلك لهم ليناً لولا رحمة الله بك وبهم، قال قتادة: فبرحمة من الله (2)، والعرب تصلها بالمعرفة كقوله ﴿فَبِمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ (3) وبالنكرة كقوله ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ (4) وكذا هاهنا، وقال الحسن: هذا خلق محمد ﷺ نَعْتُهُ اللهُ بِهِ، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ (5) الآية، وعن أبي أمامة (6) قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبي» رواه أحمد (7).

(1) سورة آل عمران، الآيات (160-164).

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8119] 7/341.

(3) سورة النساء، الآية (155).

(4) سورة المؤمنون، الآية (40).

(5) سورة التوبة، الآية (128).

(6) هو: صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، أبو أمامة السهمي، من قبيلة باهلة من قيس عيلان، صحابي، فاضل زاهد، روى علما كثيرا، أرسله النبي ﷺ إلى قومه فأسلموا، روى عن: عمرو ومعاذ و أبي عبيدة، روى عنه: خالد بن معدان والقاسم أبو عبد الرحمن وسالم بن أبي الجعد، لأبي أمامة كرامة باهرة جزع هو منها أنه تصدق بثلاثة دنانير فلقي تحت كراجته ثلاثمائة دينار، قال المدائني وجماعة: توفي أبو أمامة سنة 86هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 7/288، وأسد الغابة 14/6، و سير أعلام النبلاء 4/395.

(7) أخرجه أحمد في مسنده [22299] 36/635.

ثم قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ والفظُّ: الغليظُ. والمراد به هنا غليظ الكلام، لقوله بعده ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي: لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وآلان جأشك لهم؛ تأليفاً لقلوبهم، كما قال عبد الله بن عمرو: أنه رأى صفة النبي ﷺ في الكتب المتقدمة: أنه ليس بفظٍ، ولا غليظٍ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح⁽¹⁾ وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «إن الله أمرني بمدارة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض» حديث غريب رواه المسعودي⁽²⁾، ولهذا قال ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ وكذلك كان - عليه الصلاة والسلام - يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطيباً لقلوبهم؛ ليكون ما يفعلونه أنشط لهم، كما شاورهم يوم بدر في الذهاب، فقالوا: لو أمرتنا أن نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأخضناها، وشاورهم في قضايا كثيرة ومواطن أيضاً واختلفوا هل كان واجبا عليه أو من باب الندب تطيباً لقلوبهم؟ على قولين⁽³⁾.

قال ابن عباس في قوله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: نزل في أبي بكر وعمر⁽⁴⁾ وفي مسند أحمد مرسلًا أنه - عليه الصلاة والسلام - قال لأبي بكر وعمر «لواجتمعتما في مشورة ما خالفتكما»⁽⁵⁾ وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «المستشار مؤتمن» رواه أبو داود⁽⁶⁾ والنسائي⁽⁷⁾ والترمذي وحسنه⁽⁸⁾.

وقوله ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إذا شاورتهم وعزمت فتوكل على الله فيه لا على مشاورتهم أي: قم بأمر الله وثق به، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

-
- (1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: البيوع، ب: كراهية السخب بالسوق [2125] 66/3.
(2) ينظر: ثلاثة مجالس من أمالي بن مردويه لأبي بكر أحمد بن مردويه، دار علوم الحديث - الإمارات العربية المتحدة، ط: 1 - 1410 هـ / 215/1.
(3) ينظر: جامع البيان 7/ 343.
(4) أخرجه الحاكم في مستدركه، [4436] 74/3.
(5) أخرجه أحمد في مسنده [17994] 518/29.
(6) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأدب، ب: المشورة [5128] 333/4.
(7) أخرجه النسائي في سننه، ك: الوليمة، ب: استقبال من قد دُعي [6583] 212/6.
(8) أخرجه الترمذي في سننه، ب: ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ [2369] 163/4.

وقوله ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ الآية هي من قبيل ما تقدم من قوله ﴿وَمَا لَتَّصُرُوا إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ثم أمرهم بالتوكل عليه، فقال ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَبَ﴾ أي: ما ينبغي لني أن يخون قاله ابن عباس وغير واحد، وقال: فقدوا قطيفة حمراء يوم بدر، فقال بعض الناس من المنافقين: لعل رسول الله ﷺ أخذها، وأكثروا في ذلك، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَبَ﴾⁽¹⁾ [وهذا]⁽²⁾ تنزيه له من جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة وغير ذلك، وقيل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَبَ﴾ بأن يقسم لبعض السرايا ويترك بعضاً، وقيل: بأن يترك بعض ما أنزل إليه فلا يبلغه أمته، وقرأ بعضهم⁽³⁾ بضم الياء [وفتح الغين]⁽⁴⁾ أي: يُخَانُ أي: يتهم بالخيانة⁽⁵⁾، وقال قتادة والربيع: نزلت يوم بدر وقد غل بعض أصحابه⁽⁶⁾.

ثم قال تعالى ﴿وَمَنْ يُغْلَبْ﴾ الآية، وهذا تهديد شديد، وقد ورد النهي عن ذلك كما رواه أبو مالك الأشجعي عن النبي ﷺ قال: «أعظم الغلول عند الله ذراعٌ في الأرض، تجدون الرُّجُلين جارين في الأرض أو في الدار فيقتطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعاً فإذا اقتطعه طُوقه في سبع أرضين إلى يوم القيامة» رواه أحمد⁽⁷⁾، وعن المستورد ابن شداد⁽⁸⁾ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً، أو ليس له

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8136] 7/348.

(2) في المخطوط وهذه، ولعل الذي أثبت هو الصواب.

(3) وهم كل القراء عدا ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، ينظر: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: 2 - 1404هـ/1/91.

(4) في المخطوط وكسر الغين، ولعل الذي أثبت هو الصواب.

(5) ينظر: حجة القراءات 1/179.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8102] [8103] [8104] 7/254253.

(7) أخرجه أحمد في مسنده [17255] 28/494.

(8) هو: المستورد بن شداد بن عمرو القرشي الفهري، من أهل مكة وسكن الكوفة مدة، شهد فتح مصر، قبض النبي ﷺ وهو غلام، ولكنه سمع ووعى منه، روى عن النبي ﷺ عدداً من الأحاديث، توفي سنة 45هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 2/193، وأسد الغابة 5/148، وتهذيب الكمال 27/439.

زوجة فليتزوّج، أو ليس له خادم فليتخذ خادماً، أو ليس له دابة فليتخذ دابة، من أصاب شيئاً سوى ذلك فهو غالٌّ» رواه أحمد⁽¹⁾.

وفي الصحيحين عن أبي حميد الساعدي⁽²⁾ قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فجاء فقال هذا لكم وهذا أهدي إلي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: «ما بال العامل نبعثه فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي؟! أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا؟! والذي نفس محمد بيده، لا يأتني أحد منكم منها بشيء إلا جاء يوم القيامة على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه، ثم قال: «اللهم هل بلغت؟! ثلاثاً»⁽³⁾، وعن معاذ بن جبل قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فلما سرتُ أرسلَ في أثري فرُددت، فقال: «أتدري لم بعثت إليك؟ لا تصيبين شيئاً بغير إذني، فإنه غلول ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾»، لهذا دعوتك فامض لعملك» رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب⁽⁴⁾ قال الكلبي: أي: يمثّل له ذلك الشيء في النار فيحمل على ظهره ويعذب به، وفي الباب أحاديث كثيرة.

وقوله ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ الآية أي: لا يستوي من اتبع رضوان الله وجزيل ثوابه وأجير من ويل عقابه، ومن استحق غضب الله وألزم به، فلا محيد له عنه، ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير.

(1) أخرجه أحمد في مسنده [18015] 543/29 .

(2) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن سعد، أبو حميد الساعدي الأنصاري، يعد من أهل المدينة، من فقهاء أصحاب النبي ﷺ، روى عن: النبي ﷺ، وروى عنه: جابر بن عبد الله وعروة بن الزبير و عمرو بن الزبير وعمرو بن سليم وغيرهم، له حديث في وصفه هيئة صلاة النبي ﷺ، توفي سنة 60هـ، ينظر: أسد الغابة 6/75، و تهذيب الكمال 264/33.

(3) أخرجه البخاري في تفسيره، ك: الهبة وفضلها والتحريض عليها، ب: من لم يقبل الهدية لعلة [2597] 159/3 وأخرجه صحيح مسلم، ك: الإمارة، ب: تحريم هدايا العمال [1832] 1463/3.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الأحكام عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في هدايا الأمراء [1335] 14/3.

(4) سورة الأنعام، الآية (132).

ثم قال ﴿هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال الحسن وغيره: يعني أهل الخير وأهل الشر درجات ومنازل، متفاوتون في منازلهم ودرجاتهم في الجنة، ودرجاتهم في النار، كما قال ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾⁽¹⁾ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: سيوفهم إياها لا يظلمهم خيراً ولا يزيدهم شراً، بل يجازي كلا بعمله.

وقوله ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: من جنسهم ليتمكنوا من مخالطته ومجالسته وسؤاله والانتفاع به، كما ورد في غيره من الآيات، فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسول إليهم بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته في فهم الكلام، ولهذا قال: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءآيَاتِهِ﴾ يعني القرآن⁽²⁾، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر؛ ليزكوا نفوسهم ويطهرهم من الدنس والخبث الذي كانوا فيه في حال شركهم وجاهليتهم، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: القرآن والسنة ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ هَذَا الرُّسُولِ لَفِي غَيٍّ وَجَهْلٍ ظَاهِرٍ بَيْنَ لِكُلِّ أَحَدٍ﴾.

﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١٦٥) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانَ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾⁽³⁾

قال الله تعالى ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُّصِيبَةً﴾ هي ما أصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين منهم، ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا﴾ يعني يوم بدر، فإنهم قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ أي: من أين جرى علينا هذا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾ قال ابن

(1) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم 3/ 807.

(2) ينظر: بحر العلوم 1/ 262.

(3) سورة آل عمران، الآيات (165-168).

عباس: قال عمر بن الخطاب: لما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، قتل منهم سبعين وفرا أصحاب رسول الله ﷺ عنه، وكُسرت رباعيته، وهُشِمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله عز وجل ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بأخذكم الفداء، رواه أحمد (1)، وقال ابن جريج وغيره: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: بسبب عصيانكم رسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتم - يعني بذلك الرماة - (2)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه.

ثم قال تعالى ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجُمُعَانِ﴾ أي: فراركم بين يدي عدوكم، وقتلهم لجماعة منكم، وجراحتهم لآخرين، كان بقضاء الله وقدره، وله الحكمة في ذلك، قوله ﴿وَلْيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: الذين صبروا وتبثوا ولم يتزلزلوا، ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعني: أصحاب عبد الله بن أبي بن سلول الذين رجعوا معه من أثناء الطريق فاتبعهم من اتبعهم من المؤمنين، يجرسونهم على الإياب والقتال والمساعدة، ولهذا قال: ﴿أَوْ أَدْفَعُوا﴾ قال ابن عباس وجماعة: يعني: كثروا سواد المسلمين (3)، وقيل: ادفعوا بالدعاء، وقيل: رابطوا، فتعلموا قائلين ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ قال المجاهد: يعنون لو نعلم أنكم تلقون حربا لجئنا، ولكن لا تلقون قتالا، ولما رجع ابن سلول بمن معه ومن أطاعه من الطريق اتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام (4) يقول: يا قوم أذكروا الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أن يكون

(1) أخرجه أحمد في مسنده [208] 335/1.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8184] 874/7.

(3) الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد الثعلبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1422هـ/3/200.

(4) هو: عبدالله بن عمرو بن حرام بن الخزرج الأنصاري السلمي، أبو جابر، أحد النقباء ليلة العقبة، مفتي المدينة في زمانه، شهد بدرا، كان جده أحد الذين حرموا أنفسهم شرب الخمر في الجاهلية فسمي حرام، روى عنه: سعيد مينا وأبو الزبير وأبو سفيان طلحة بن نافع وغيرهم، توفي سنة 78هـ، ينظر: أسد الغابة 3/343، و سير أعلام النبلاء 3/197، وتذكرة الحفاظ 1/35.

قتال، وأبو إلا الانصراف عنهم، فقال لهم: أَبْعَدَكُمْ اللهُ أَعْدَاءَ اللهِ، فسيُغني اللهُ عنكم، ومضى رسول الله ﷺ⁽¹⁾.

قال الله ﴿هُم لِّلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِّلْإِيمَانِ﴾ قد استدل بهذا على أن الشخص قد ينقلب به الأحوال، فيكون في حال أقرب إلى الكفر، وفي حال أقرب إلى الإيمان، ثم قال ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يعني: أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته، ومنه قولهم هذا ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ فإنهم كانوا يتحققون أنه كائن بينهم قتال، ولهذا قال تعالى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ أي: من تحققهم بذلك، وقوله ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ أي: سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود، وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل، قال تعالى ﴿قُلْ فَادْرَأُوا﴾ أي: إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي أنكم لا تموتون، والموت لا بُدَّ آت إليكم ولو كنتم في بروج مُشَيَّدة، ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن الحذر يغني عن القدر.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ﴾⁽¹⁷⁶⁾ فَرِحِينَ بِمَا عَاقَبَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿177﴾ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿178﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿179﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿180﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهَمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿181﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿182﴾

هذا إخبار عن الشهداء بأنهم إن قتلوا في هذه الدار، فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار، قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه من قتلى أحد، وعليه قتادة

(1) ينظر: سيرة ابن إسحاق لمحمد بن إسحاق، دار الفكر - بيروت، ط: 1 - 1398 هـ / 325.

(2) سورة آل عمران، الآيات (169 - 175).

وغيره، عن مسروق قال: سألتنا عبد الله عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقال: أما أنا قد سألتنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ لَهَا قَنَادِيلٌ مَعْلُوقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تَلِكِ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَطْلَاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ فَقَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرْكُوا» رواه مسلم⁽¹⁾ وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال «ما من نفسٍ تَمُوتُ، لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهَا أَنْ تَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا إِلَّا الشَّهِيدَ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى لَمَّا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ» رواه مسلم⁽²⁾، وقد روى أحمد في مسنده عن الشافعي عن مالك بإسناد صحيح، حديثا فيه البشارة لكل مؤمن، بأن روحه تكون في الجنة، تسرح أيضا فيها وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسُرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة، عن كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «كَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَلْتَقِي فِي شَجَرَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»⁽³⁾، ومعنى يعلق: يأكل، وفيه: أن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة، وأما أرواح الشهداء، فكما سبق في حواصل طير خضر، فهو كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بنفسها.

وقوله ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الآية أي: الشهداء الذين قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَهُمْ فَرِحُونَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْغِبْطَةِ، وَمُسْتَبْشِرُونَ بِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ بَعْدَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: أَنَّهُمْ يَقْدَمُونَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ مِمَّا أَمَامَهُمْ وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكَوهُ وَرَاءَهُمْ، قِيلَ⁽⁴⁾: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: ويسرون بلحوق من لحقهم من

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون [8871/3] 1503.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: فضل الشهادة في سبيل الله [1877] 1498/3.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [15778] 57/25.

(4) وهو قول محمد بن إسحاق، ينظر: تفسير القرآن العظيم 264/3.

إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم، قال السدي: يؤتى الشهيد بكتاب فيه: يقدّم عليك فلان يوم كذا وكذا، وفلان يوم كذا وكذا، فيسر بذلك كما يسر أهل الدنيا بقدم غائبهم⁽¹⁾، وقال سعيد بن جبير: لما دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء، قالوا: ياليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة، فإذا شهدوا القتال باشروها بأنفسهم حتى يستشهدوا، فيصيبوا ما أصبنا من الخير، فأخبر الله رسوله بأمرهم وما هم فيه من الكرامة، وأخبرهم أنني قد أنزلت على نبيكم وأخبرته بأمركم وما أنتم فيه فاستبشروا بذلك، فذلك قوله ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ الآية⁽²⁾، وقد ثبت في الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة وقنت رسول الله ﷺ يدعو عليهم فنزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع⁽³⁾.

ثم قال ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن إسحاق: استبشروا وسرّوا لما عاينوا من وفاء الموعود وجزيل الثواب⁽⁴⁾، وقال ابن زيد⁽⁵⁾: هذه الآية جمعت المؤمنين كلّهم سواء الشهداء وغيرهم، وقلما ذكر الله فضلا ذكر به الأنبياء وثوابا أعطاهم إلا ذكر ما أعطى الله المؤمنين من بعدهم، وقوله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ هذا كان يوم حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثلاثة أميال، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كرّوا راجعين إلى بلادهم، فلما استمروا في سيرهم ندموا لِمَ لا تمّموا على أهل المدينة وتشاوروا في الرجعة، فبلغ رسول الله ﷺ فندب المسلمين في الذهاب

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8231] 7/ 397.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4498] 3/ 814.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: فضل قول الله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا...﴾ 21/4 [2814]، و أخرجه مسلم في صحيحه، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: استحباب القنوت في جميع الصلوة إذا نزلت بالمسلمين نازلة [677] 1/ 468.

(4) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام 2/ 119.

(5) هو: عبد الرحمن بن زيد أسلم العدوي القرشي مولاهم المدني، اشتهر بالتفسير، روى عن: أبيه وابن المنكدر وصفوان بن سليم وغيرهم، وروى عنه: مالك بن مغول ويونس بن عبيد وزهير بن محمد التيمي وغيرهم، وقال ابن حبان: كان يقرب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك، توفي سنة 182هـ، ينظر: التاريخ الكبير 5/ 284، و تهذيب التهذيب 6/ 177.

وراءهم ليرعبهم ويريههم أن بهم قوة وجلداً، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الواقعة يوم أحد سوى جابر بن عبد الله فإنه أذن له، فخرج المسلمون مع ما بهم من الجراح والأثخان، طاعة لله ولرسوله.

وعن عكرمة قال: «لما رجع المشركون من أحد قالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتهم، بسما صنعتهم، ارجعوا فسمع رسول الله ﷺ بذلك فندب المسلمون فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد - أوبتر أبي عيينة - فقال المشركون: نرجع من قابل، فرجع رسول الله ﷺ فأنزل الله - عز وجل - ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية»⁽¹⁾ قال ابن إسحاق: «إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ من بني عبد الأشهل، كان شهد أحداً مع أخيه، وكانا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قال أحدهما للآخر: أنفتوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله مالنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسر جرحاً منه، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون»⁽²⁾، وفي البخاري عن عائشة ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية قالت لعروة: يا ابن أخي⁽³⁾ كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر لما أصاب نبي الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا، فقال: «من يرجع في أثرهم؟» فانتدب منهم سبعون رجلاً منهم الزبير وأبو بكر⁽⁴⁾، قال الحسن البصري: إن أبا سفيان وأصحابه لما أصاب المسلمون ما أصابوا رجعوا، قال رسول الله ﷺ: «إن أبا سفيان قد رجع، وقد قذف الله في قلبه الرعب، فمن يتدب في طلبه؟» فقام النبي ﷺ وجماعة من أصحابه فتبعوهم، فبلغ أبا سفيان أن النبي ﷺ يطلبه، فلقي عيرا من التجار، فقال: ردوا محمداً ولكم من الجعل كذا وكذا، وأخبروهم أنني قد جمعت لهم جموعاً، وإنني راجع إليهم، فجاء التجار فأخبروه، فقال - عليه الصلاة والسلام ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾»، فأنزل الله هذه الآية.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4510] 816/3.

(2) السيرة النبوية لابن هشام 101/2.

(3) وعند ابن كثير "يا ابن أخي" وهو: الصواب لأنه ابن اختها، ينظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة لمحمد أبو شهبة، دار القلم - دمشق، ط: 8 - 1427هـ / 28/1.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [4077] 102/5.

وقوله ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ الآية، أي: الذين توعدهم الناس بالجموع فخوفهم بكثرة الأعداء فما كَرَبُوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قال ابن عباس: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد حين قالوا ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ رواه البخاري⁽¹⁾، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إذا وقعتم في الأمر العظيم، فقولوا ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ رواه ابن مردويه⁽²⁾.

وقوله ﴿فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ أي: لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم، وردَّ عنهم بأس من أراد كيدهم، فرجعوا إلى بلدهم ﴿بِنِعْمَةٍ﴾ أي: عافية من الله وتجارة وريح تام، ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ مما أضمر لهم عدوهم ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ في طاعته وطاعة رسوله، فأعطاهم ثواب الغزو ورضي عنهم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابن عباس: النعمة سلامتهم، والفضل أن عيرا مرَّت، وكان في أيام الموسم، فاشتراها رسول الله ﷺ فربح مالا فقسمه بين أصحابه⁽³⁾، وعن مجاهد: أن أبا سفيان قال: موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فقال رسول الله ﷺ «عَسَى» فانطلق رسول الله ﷺ لموعده حتى نزل بدرًا فوافقوا السوق فيها فابتاعوا، فذاك قوله تعالى ﴿فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ وهي غزوة بدر الصغرى⁽⁴⁾، ثم قال تعالى ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ ويوهمكم أنهم ذوو بأس ودؤو شدة، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ أي: وإذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا عليّ، والجاؤا إليّ، فإني كافيكم وناصركم عليهم، كما قال تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾⁽⁵⁾ الآية وغيرها من الآيات.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [4563] 39/6.
(2) لم أجده بهذا الوجه، وإنما من وجوه أخرى منها: ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن، وأصغى بسمعه، وحنأ بجهته، ينتظر متى يؤمر فينفخ؟ قالوا: يا رسول الله، كيف نقول؟ قال: قولوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، عليه توكلنا». أخرجه النسائي في سننه، ك: التفسير، ب: قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [11016] 54/10.
(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/274.
(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8248] 411/7.
(5) سورة الزمر، الآية (36).

﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨٠﴾﴾ (1)

أي: لا يحزنك مبادرة الكفار إلى المخالفة والعناد، وذلك من شدة حرصه على هداية الناس، ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بمسارعتهم في الكفر، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ﴾ أي: حكمته فيهم أن يريد بمشيئته وقدره ألا يجعل لهم نصيباً في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ثم قال مخبراً عن ذلك إخباراً مقررراً ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: استبدلوا هذا بذلك، ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ إنما يضرّون أنفسهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجه مؤلم.

ثم قال ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ﴾ أي: نمهل، والإملاء: التأخير والإمهال، ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ هذه وأمثالها من الآيات على معنى الاستدراج، أي: لا بد أن يعقد سبباً من المحنة يظهر فيه وليه ويفتضح به عدوه، يُعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر يعني بذلك يوم أُحد الذي امتحن به المؤمنون، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم، وثبتهم في طاعة الله ورسوله، وهتك به ستر المنافقين، وظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد، وخيانتهم لله ولرسوله، ولهذا قال ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ قال مجاهد: ميز بينهم يوم أُحد وقيل: بالجهاد والهجرة، قال السدي: قالوا إن كان محمد صادق فليخبرنا بمن يؤمن به ومن يكفر، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية (2)، والمراد بالطيب والخبيث: المؤمن والكافر.

(1) سورة آل عمران، الآيات (176-180).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم [4559] 3/824.

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي: أنتم لا تعلمون غيب السموات⁽¹⁾ الله في خلقه حتى يميز لكم المؤمن من الكافر، لولا ما يعقده [من]⁽²⁾ الأسباب الكاشفة عن ذلك، ثم قال ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيطلعه على بعض علم الغيب، كقوله ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾⁽³⁾ إلى قوله ﴿رَصَدًا﴾⁽⁴⁾.

ثم قال ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي: أطيعوا الله ورسوله واتبعوه فيما شرعه لكم، ﴿وَإِنْ تُوْمِنُوا﴾ أي: بما جاء به الرسول، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ مخالفته، ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وقوله ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ أي: لا يحسبوا البخلاء أن جمعهم المال ينفعهم؛ بل يضرهم عليه في دينهم، وربما كان في دنياهم، ثم أخبر بمال أمر مال البخيل يوم القيامة، فقال: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة، تنهشه من فرقه إلى قدمه قاله الأكثر، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان، يُطَوِّقُهُ يوم القيامة، فيأخذ بلهزمتيه يعني شذقيه، يقول أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾» الآية، رواه البخاري⁽⁵⁾.

وعن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ «ما من عبد لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له شجاع أقرع، يتبعه يفر منه وهو يتبعه، فيقول أنا كنزك، ثم قرأ عبد الله مصداقه من كتاب الله ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾» رواه النسائي⁽⁶⁾ والترمذي⁽⁷⁾ وابن ماجه⁽⁸⁾.

(1) وفي ابن كثير، لم يذكر كلمة السماوات، ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/277.

(2) سقط من المخطوط.

(3) سورة الجن، الآية (26).

(4) سورة الجن، الآية (27).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ [4565/39].

(6) أخرجه النسائي في سننه، ك: التفسير، ب: قوله تعالى ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾، بلفظ "ما من رجل" 55/10 [11018].

(7) أخرجه الترمذي في سننه، ك: التفسير عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة آل عمران، بلفظ "ما من رجل" 232/5 [3012]، صححه الألباني.

(8) ينظر: سنن ابن ماجه لأبي عبدالله بن ماجه، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، ك: الزكاة، ب: ما جاء في منع الزكاة بلفظ "ما من أحد" [1784] 568/1.

وعن جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ «من ترك بعده كنزاً مثل له شجاع أقرع يوم القيامة له زبيبتان يتبعه، ويقول من أنت؟ ويلك! فيقول: أنا كنزك الذي خلفت بعدك، فلا يزال يتبعه حتى يلقيه بيده فيقضيمها، ثم يتبعه سائر جسده» رواه الطبراني (1).

وقوله ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: أنه الباقي الدائم بعد فناء خلقه، فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فإن مرجع الأمور كلها إلى الله، فقدموا من أموالكم ما ينفعكم يوم معادكم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: بنياتكم وضمائركم.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤) (2)

قال ابن عباس: لما نزل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأُصْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (3) قالت اليهود: يا محمد: افتقر ربك فيسأل عباده القرض؟ فأنزل الله ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ (5) الآية، وعن ابن عباس قال: دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس فوجد ناساً كثيراً من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فِنْحَاص، وكان من علمائهم ومعه خبرٌ آخر يقال له أشيع، فقال أبو بكر لفِنْحَاص: اتق الله وأسلم فو الله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، وقد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوباً عندكم في

(1) أخرجه الطبراني في معجمه [1408] 91/2.

(2) سورة آل عمران، الآيات (181-184).

(3) سورة البقرة، الآية (245).

(4) وعند ابن كثير "فسأل"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/282.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [2429] 460/2.

التوراة⁽¹⁾ فآمن وصدق وأقرض الله قرصاً حسناً يدخلك الجنة، ويضاعف لك الثواب، فقال فنحاص: يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغني! فإن كان: ما تقول حقاً فإن الله إذا لفقير ونحن أغنياء! وإنه ينهاكم عن الربا ويعطينا، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا! فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله⁽²⁾، فذهب فنحاص إلى رسول الله فقال: يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك! فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر «ما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيماً يزعم أن الله فقير، وأنهم عنه أغنياء! فلما قال ذلك غضبتُ لله، فوجد ذلك فنحاص، فأنزل الله رداً على الفئحاص وتصديقاً لأبي بكر، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ الآية⁽³⁾.

وقوله ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ تهديد ووعيد، ولهذا قرنه بقوله ﴿وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾ هذا قولهم في الله، وهذا معاملتهم لرسول الله، وسيجزئهم الله على ذلك شر الجزاء، ولهذا قال: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ الآية، أي: يقال لهم ذلك تقربياً وتوبيخاً وتحصراً، وقوله ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ وهذا تكذيب لهؤلاء الذين زعموا أن الله عهد إليهم في كتبهم أن لا يؤمنوا برسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبل منه أن ينزل نار من السماء تأكلها، قاله ابن عباس وغيره⁽⁴⁾.

قال تعالى ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ بِاللَّيْنَتِ﴾ أي: بالحجج والبراهين ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ أي: وبنار تأكل القرابين المتقبلة ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أي: بالتكذيب والمخالفة والمعاندة ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنكم تتبعون الحق وتتقادون للرسول، ثم قال تعالى مسلماً لنبهه - عليه الصلاة والسلام - ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية، أي: لا يكربتك تكذيب

(1) زاد ابن كثير "والإنجيل"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/ 283.

(2) زاد ابن كثير "فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/ 283.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4589] 3/ 828.

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/ 284.

هؤلاء ذلك، فلك أسوة بمن قبلك من الرسل، الذي كذبوا فيما جاؤا به من البينات وهي البراهين القاطعة ﴿وَالزُّبُرِ﴾ وهي الكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزلة على الرسل ﴿وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ أي: المبين الواضح الجلي.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾⁽¹⁾

هذا إخبار يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، كقوله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾⁽²⁾ الآية، فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد القهار بالديمومة والبقاء⁽³⁾، وهذه الآية تعزية لجميع الناس، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدّة، وانتهت البرية، أقام الله القيامة، وأجزى الخلائق بأعمالهم، جليلها وقليلها، روى ابن حاتم بإسناده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «لما توفي النبي صلى الله عليه وآله وجاءت التعزية، جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل ما فات، فبالله فثقوا وإياه فارجوا، فإن المصاب من حُرْمِ الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال علي: أتدرون من هذا؟ هذا الخضر - عليه السلام -» رواه جعفر بن محمد عن أبيه الباقر⁽⁴⁾.

وقوله ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ﴾ أي: نُحِّي وأزِيل عنها وأُدخل الجنة، ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ أي: ظفر بالنجاة، ونجا من الخوف، وقوله ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ تصغير لشأن

(1) سورة آل عمران، الآيتان (185-186).

(2) سورة الرحمن، الآية (26).

(3) زاد ابن كثير "فيكون آخرًا، كما كان أولاً"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/284.

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4609] 3/832.

الدنيا، وتحقير لأمرها، وإنها دنيّة فانية قليلة زائلة، كما قال: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁽¹⁾ وقال: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁽²⁾ وفي الحديث المعبر «والله ما الدنيا في الآخرة، إلا كما يغمس أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع»⁽³⁾ وقال قتادة في هذه الآية: هي متاع متروك أوشكت والله أن تضمحل من⁽⁴⁾ أهلها، فخذوا من هذه المتاع طاعة الله إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله⁽⁵⁾.

وقوله ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: لا بد أن يتلى المؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله ويتلى المرء على قدر دينه، وقوله ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الآية، هذا تسلية للمؤمن عما ينالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين، نزل بعد الهجرة وقيل: وقعة بدر وأمر لهم بالصبر والصفح، حتى يفرج الله فقال ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: من حقيقة الإيمان، وعن أسامة بن زيد⁽⁶⁾ قال: «كان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصبرون عن الأذى»⁽⁷⁾ قال الله ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الآية، «وكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله، حتى أذن الله فيهم» رواه ابن أبي حاتم⁽⁸⁾، فكل من قام بحق، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، فلا بد أن يؤدى، فماله دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة به، والرجوع إليه⁽⁹⁾.

(1) سورة الأعلى، الآية (17).

(2) سورة القصص، الآية (60).

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/180.

(4) وعند ابن كثير "عن"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/287.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4613] 3/833.

(6) هو: أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب، أبو زيد، وقيل أبو محمد، أمه حاضنة النبي ﷺ، وكان يسمى حب رسول الله ﷺ استعمله النبي ﷺ وهو ابن ثمانى عشرة سنة، روى عنه: أبو عثمان النهدي وعبد الله بن عتبة وأبو هريرة وغيرهم قبض النبي ﷺ وهو ابن عشرين سنة، توفي سنة 54هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 1/398، والثقات لابن حبان 2/3، وأسد الغابة 1/194.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَبِيرًا﴾ [4566] 6/39.

(8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4618] 3/834.

(9) سورة التوبة، آية (104).

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَسُبِّئِنَّهُ وَاللَّائِسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾⁽¹⁾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

هذا تحذير وتوبيخ لأهل الكتاب الذين أخذ عليهم العهد على السنة الأنبياء، أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينفشوا ذكره بين الناس، فإذا بعثه الله تابعوه، فكنتموا ذلك فتعوضوا عنه بالدون الدني، والخطب الدنيوي⁽²⁾ فخرت صفتهم وبئست معاملتهم، وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم، فإن عليهم أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، ولا يكتموا منه شيئاً، فقد ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من سئل عن علم علمه ثم كتمه أجم يوم القيامة بلجام من نار» رواه أحمد⁽³⁾ وأبو داود⁽⁴⁾ والترمذي⁽⁵⁾.

قوله ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾ الآية، يعني بذلك المرائين المتكبرين بما لم يعطوا، كما جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها، لم يزد الله إلا قلة»⁽⁶⁾ وفيهما أيضاً مرفوعاً «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»⁽⁷⁾.

(1) سورة آل عمران، الآيات (187-189).

(2) زاد ابن كثير "السخيف"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/290.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [8049] 417/13.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، ك: العلم، ب: كراهية منع العلم [3658] 321/3.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، ب: ما جاء في كتمان العلم [2649] 29/5.

(6) هذا جزء من حديث رواه مسلم من حديث ثابت بن الضحاك عن النبي ﷺ قال: "ليس على رجل نذر فيما لا يملك ولعن المؤمن كقتله، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة، ومن ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزد الله إلا قلة، ومن حلف على يمين صبر فاجرة". أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه... [110] 104/1 ولم يرو البخاري هذه الفقرة من الحديث ينظر: عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير لأحمد شاكر، دار الوفاء - المنصورة، ط: 2 - 1426هـ/448.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: النكاح، ب: المتشبع بما لم ينل، وما ينهى من افتخار الضرة [5219] 35/7، ومسلم في صحيحه، ك: اللباس والزينة، ب: النهي عن التزوير في اللباس وغيره، والتشبع بما لم يعط 3/1681 [2129].

قال ابن عباس: سأل النبي ﷺ أهل الكتاب عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أرووه أن قد أخبروه بما سألم عنه، واستحمدوا وفرحوا بما كتّموه، فنزلت الآية، هكذا في الصحيحين ⁽¹⁾.

وفي البخاري عن أبي سعيد أن رجلا من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، وإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبّوا أن يُمدّحوا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا آيَةَ، وَرَوَى مسلم نحوه ⁽²⁾، وقوله ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ تقرأ بالتاء على مخاطبة المفرد، وبالياء على الإخبار عنهم، أي: لا تحسبن أنهم ناجون بل لا بد لهم منه، ولهذا قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك كل شيء، والقادر على كل شيء، فلا يُعجزه شيء فهأبوه ولا تخالفوه، واحذروا نقمته وغضبه، فإنه العظيم الذي لا أعظم منه، القدير الذي لا أقدر منه.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ⁽³⁾

قال ابن عباس: أتت قريش اليهود فقالوا: بما جاءكم موسى؟ قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ [4568] 40/6، ومسلم

في صحيحه، ك: صفات المنافقين وأحكامهم [2778] 2143/4.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: صفات المنافقين وأحكامهم [2777] 2142/4.

(3) سورة آل عمران، الآيات (190-194).

ويُحيي الموتى، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: أدع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فدعا ربه فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَى الْأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ فليتفكروا فيها، هكذا رواه الطبراني⁽¹⁾ وفيه عجب! فإن الآية مدنية، وسؤالهم ذلك كان بمكة فالله أعلم⁽²⁾.

ومعنى الآية: أنه يقول الله إن في ارتفاع السماء واتساعها، وانخفاض الأرض وكثافتها وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة، من كواكب سيّاراتٍ، وثوابتٍ وجمارٍ، وجبالٍ وقفارٍ وأشجارٍ، ونباتٍ وزروعٍ وغير ذلك، ﴿وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ومن تعاقبهما وتعارضهما بالطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا ثم يعتدلان ثم ينعكسان، وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال ﴿لَا يَتَّبِعُ الْأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ أي: ذو العقول التامة والذكية⁽³⁾ التي تدرك الأشياء بحقائقها، ثم وصف أولي الألباب فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ كما في البخاري عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنبك»⁽⁴⁾ أي: لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألستهم، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته، قائلين ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ أي: ما خلقت هذا الخلق عبثاً بل بالحق، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ثم نزوه عن العيب وخلق الباطل، فقالوا ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي: عن أن تخلق شيئاً باطلاً، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي: يامن خلق الخلق بالحق والعدل، يامن هو منزّه عن النقائص والعيب والعبث، قنا من عذاب النار بحولك وقوتك، ثم قالوا ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ أي: أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أي: يوم القيامة لا مجير لهم منك، ولا محيد لهم عما أردت بهم، ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ أي: داعياً يدعو إلى الإيمان وهو رسول الله ﷺ

(1) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير [12322] 12/12.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/295.

(3) وعند ابن كثير "الزكية"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/295.

(4) ينظر: سنن الدار قطني لأبي الحسن الدار قطني، مؤسسة الرسالة - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1424هـ، ك: الصلاة،

ب: صلاة المريض [1425] 2/217.

﴿أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ أي: يقول: آمِنُوا بالله الذي خلقكم ورزقكم، ﴿فَعَامَتًا﴾ أي: فاستجبنا له وأثبتناه ﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي: بإيماننا واتباعنا نبيك استر ذنوبنا وعيوبنا، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ فيما بيننا وبينك، ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ أي: ألحقنا بالصالحين ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ قيل: معناه على الإيمان برسلك، وهذا أظهر⁽¹⁾، وقيل: على لسان رسلك⁽²⁾ من الفضل والرحمة، وقيل: من النصر والظفر، ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: على رؤوس الخلائق، ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ أي: لا بد من الميعاد الذي أخبرت عنه رُسُلك، وهو القيام على يدك يوم القيامة، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل للتهجد، في الصحيحين، قال ابن عباس: «بتُّ عند خالتي ميمونة، فيحدّث رسول الله ﷺ مع أهله ساعةً، ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ثم قام فتوضأ واستن، فصلّى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلّى ركعتين، ثم خرج فصلّى بالناس الصبح»⁽³⁾ وفي رواية أخرى لهما في حديثه، «استيقظ رسول الله ﷺ من منامه فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران»⁽⁴⁾، ثم [قال]⁽⁵⁾ الحديث بطوله، وقد ورد في ذلك أحاديث أخر مبسوطه في الأصل⁽⁶⁾.

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم 298/3.

(2) ينظر: جامع البيان 485/7.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [4569] 41/6، وصحيح مسلم، ك: الطهارة، ب: السواك [256] 221/1.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه [763] 526/1.

(5) في المخطوط قام، ولعل الذي أثبت هو الصحيح.

(6) ينظر: تفسير القرآن العظيم 304/3، 305.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۗ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ نَوَافًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ (1)

أي: فأجابهم ربهم، قال الشاعر:

وداعٍ دعا: يا من يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيبٌ

قالت أم سلمة: يا رسول الله، لا نسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء؟ فأنزل الله هذه الآية، قالت الأنصار: هي أول ظعينة قدمت علينا، قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري (2)، ومعنى الآية: أن المؤمنين ذوي الألباب لما سألوا ما سألوا، فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التعقيب، كما قال تعالى ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ (3).

وقوله ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ﴾ هذا تفسير للإجابة أي: قال لهم مُخبراً أنه لا يضيع عملُ عامل لديه بل يوفى كل عامل بقسط عمله، من ذكر أو أنثى، وقوله ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي: جميعكم في ثوابي سواء، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أي: تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وشاركوا الأحباب والخلائن والإخوان والجيران، ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ﴾ أي: ضايقهم المشركون حتى ألبأوهم إلى الخروج من بين أظهرهم، ولهذا قال ﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾ أي: في طاعتي وديني، بأنهم آمنوا بالله وحده.

وقوله ﴿وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ هذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل الله فيُعقر جواده ويعفر وجهه بدمه في التراب، وقد ثبت في الصحيح «أن رجلاً قال يا رسول الله: أرأيت إن قتلتُ في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، يكفر الله عني خطاياي؟ قال: نعم، ثم قال: كيف

(1) سورة آل عمران، الآية (194).

(2) أخرجه الحاكم في مستدركه، ك: التفسير، ب: ومن سورة آل عمران [3174] 2/328.

(3) سورة البقرة، الآية (186).

قلت؟ قال: فأعاد عليه ما قال، فقال: نعم، إلا الدين، قاله لي جبريل آنفاً⁽¹⁾ ولهذا قال: ﴿لَا كَفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ الآية، أي: تجري من خلالها الأنهار، من أنواع المشارب من لبنٍ وعسلٍ وخمرٍ وماءٍ غير آسنٍ وغير ذلك، وقوله ﴿تَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أضافه إليه⁽²⁾ ليدل على أنه عظيم، لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلاً كثيراً، كما قال الشاعر:

إن يُعَدَّبَ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنِيعَ... ط جزيلاً فإنه لا يبالي

وقوله ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ التَّوَابِ﴾ أي: حسن الجزاء لمن عمل صالحاً.

﴿لَا يَغْرَتَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾⁽³⁾

أي: لا تنظر إلى هؤلاء الكفار مترفون فيه، من النعمة والغبطة والسرور، فعماً قليل يزول هذا كله عنهم، ويُصبحون مرتهين بأعمالهم السيئة، فإننا نمدُّ لهم فيما هم فيه استدراجاً، وجميع ما هم فيه ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مصيرهم جهنم، ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي: الفراش، وهذه كغيرها من الآيات الواردة في هذا المعنى⁽⁴⁾، ثم قال بعد ذلك ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إلى آخرها، قال عليه الصلاة والسلام: «إنما سموا الأبرار لأنهم برُّوا الآباء والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقاً، كذلك لولدك عليك حقاً» هكذا رواه ابن مردويه ورواه ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن عمر موقوفاً⁽⁵⁾، وهو أشبهه، قال الحسن: الأبرار الذين لا يؤذون الذر⁽⁶⁾، وقال ابن مسعود: ما [من]⁽⁷⁾ نفس برّة ولا فاجرة إلا الموت خير لها لئن كان براً،

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: من قتل في سبيل الله كفرت خطاياها إلا الدين [1885] 3/1501.

(2) زاد ابن كثير "ونسبه إليه"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/307.

(3) سورة آل عمران، الآيات (196-198).

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/308.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4860] 11/260.

(6) ينظر: المصدر السابق [4681] 3/846.

(7) سقط من المخطوط.

لقد قال الله ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْآبِرِينَ﴾، ويقول ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾⁽¹⁾.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾⁽¹⁹⁹⁾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾

أخبرتعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان، و بما أنزل على محمد ﷺ مع إيمانهم بالكتب المتقدمة، وأنهم خاشعون لله، أي: مطيعون خاضعون متذللون بين يديه، ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: لا يكتمون ما بأيديهم من البشارات لمحمد ﷺ وذكر صفته ونعته ومبعثه، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا هوداً أو نصارى، والآيات في شأنهم نحوها كثيرة في القرآن⁽³⁾، وفي الصحيحين: أن النجاشي لما مات نعه رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وقال: «إن أخوا لكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه»⁽⁴⁾ فخرج بهم إلى الصحراء، فصفهم، فصلى عليه، وعن أنس قال: «لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ استغفروا لأخيكم، فقال بعض الناس: تأمرنا أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة، فنزلت الآية ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية» رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾، ورواه ابن جرير عن جابر وفي روايته «فقال المنافقون» بدل «فقال بعض الناس»⁽⁶⁾.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4555]، [4679] 3/ 823-846.

(2) سورة آل عمران، الآيتان (199-200).

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/ 310-311.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجنائز، ب: الصفوف على الجنائز [1320] 2/ 86، وصحيح مسلم، ك: الجنائز، ب: في التكبير على الجنائز [952] 2/ 657.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4682] 3/ 846.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8376] 7/ 496-497.

وعن عائشة قالت: «لما مات النجاشي كنا نتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور» رواه أبو داود⁽¹⁾، وسئل الحسن عن قوله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية، قال: هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل بعثة محمد ﷺ واتبعوه فعرفوه والإسلام واتبعوه بعد ذلك⁽²⁾، وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يُؤتون أجرهم مرتين، فذكر منهم، ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه فأمن بي»⁽³⁾.

وقوله ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: لا يكتمون ما بأيديهم من العلم، كما فعله الطائفة المرذولة منهم، بل يبذلون مجاناً؛ ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قال مجاهد: يعني سريع الإحصاء⁽⁴⁾.

وقوله ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ قال الحسن البصري: أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم، وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضرء ولا لشدة ولا لرخاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا أعداء الدين الذين يملون دينهم، وكذا قال غير واحد⁽⁵⁾.

وأما المرابطة: فهي المداومة في مكان العبادة والثبات، فقليل: انتظار الصلاة بعد الصلاة قاله ابن عباس وغير واحد، كما في مسلم والنسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»⁽⁶⁾.

(1) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الجهاد، ب: في النور يرى عند قبر الشهيد [2523] 16/3.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4685] 846/3.

(3) ينظر: الإيمان لابن منده لأبي عبد الله بن منده العبدى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 2 - 1406هـ، ب: ذكر فضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه ﷺ، ثم آمن بالمصطفى ﷺ [397] 505/1.

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [1890] 360/2.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8386] 502/7.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره [251] 219/1، و سنن النسائي، ك: الطهارة، ب: الفضل في ذلك [138] 128/1.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أقبل عليّ أبو هريرة يوماً فقال: أتدري يا ابن أخي فيما أنزلت هذه الآية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾؟ قلت: لا، قال: أما إنه لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرابطون فيه، ولكنها نزلت في قوم يعمرّون المساجد، ويصلّون الصلاة في مواقيتها، ثم يذكرون الله فيها، فعليهم أنزلت ﴿أَصْبِرُوا﴾ أي: على الصلاة الخمس و﴿وَصَابِرُوا﴾ أنفسكم وهوامكم، و﴿رَابِطُوا﴾ في مساجدكم، و﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما عليكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ هذا رواه الحاكم في مستدرّكه⁽¹⁾ وقيل: المراد بالمرابطة هاهنا مرابطة الغزو من نُحور العدو، وحفظ تُغور الإسلام، وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين، وقد وردت الأخبار بالترغيب في ذلك⁽²⁾، وذكر كثرة الثواب فيه، منها عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» رواه البخاري⁽³⁾، وعن فضالة بن عبيد قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «كل ميّت يُخْتَمُ على عمله إلا الذي [مات] مرابطاً في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر» رواه النسائي⁽⁵⁾ والترمذي⁽⁶⁾، وعن ابن عباس قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» رواه الترمذي وقال حسن غريب⁽⁷⁾.

وقوله ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في جميع أموركم وأحوالكم، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق

(1) أخرجه الحاكم في مستدرّكه، ك: الصلاة، ب: ومن سورة آل عمران [3176] 2/329.

(2) ينظر: جامع البيان 7/501.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: فضل رباط يوم في سبيل الله [2892] 4/35.

(4) سقط من المخطوط.

(5) أخرجه النسائي في سننه، ك: الجهاد، ب: فضل الرباط [3167] 6/39 بلفظ من رباط يوماً في سبيل الله كان لك كأجر صيام شهر وقيامه...

(6) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الجهاد عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في فضل من مات مرابطاً [1621] 3/217.

(7) أخرجه النسائي في سننه، ك: الجهاد، ب: ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله [1639] 4/175.

حسن⁽¹⁾ « لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » في الدنيا والآخرة، وقال القرظي⁽²⁾ : اتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غداً إذا لقيتموني،⁽³⁾ وقيل: اصبروا على النعماء، وصابروا على البأساء والضراء، ورايطوا في دار الأعداء، واتقوا إله الأرض والسَّماء، لعلكم تفلحون في دار البقاء.⁽⁴⁾

(1) أخرجه الترمذي في سننه، ك: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في معاشره الناس [1987] 4/355، وقال: حديث حسن صحيح.

(2) هو: محمد بن كعب بن حبان بن سليم بن أسد القرظي، أبو حمزة، كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً، روى عن: عبدالله بن العباس وزيد بن الأرقم، وروى عنه: أبو محمد عمرو بن دينار وأبو سهيل رافع بن مالك الأصبحي وأيوب القرشي وغيرهم توفي سنة 108هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 1/136، و الأسمى والكنى للإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه صالح لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، مكتبة دار الأقصى - الكويت، ط: 1 - 1406هـ 4/35.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8399] 7/510.

(4) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن 1/561.

سورة النساء

هي السورة الرابعة في ترتيب المصحف، مدنية، وآياتها مائة وسبعون وسبع آيات، سميت بذلك لكثرة ما ورد فيها من أحكام النساء بدرجة لم توجد في غيرها⁽¹⁾

علاقتها بما قبلها

لما تقرر أمر الكتاب الجامع الذي هو الطريق المبين الصحيح الذي فيه السلامة والنجاة، وثبت الأساس المتين الذي هو التوحيد والعقيدة كما في سورة آل عمران، كان لزاما على كل مؤمن أن يجمع بين هذين الأصلين، فجاءت سورة النساء داعية إلى الاجتماع والتواصل والتعاطف والتراحم فابتدأت بالنداء العام لكل الناس ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾⁽²⁾

ولهذا ورد تناسب واضح بين سورة النساء وسورة آل عمران، ففي سورة آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى في قوله سبحانه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽³⁾ وافتتحت سورة النساء بالأمر بها في قوله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾⁽⁴⁾ بل ذكر الألووسي أنه من أكد وجوه المناسبات في ترتيب السور⁽⁵⁾، كذلك جاء في سورة آل عمران قصة أحد عامة فجاء التعرض إلى خاتمها وما نتج عنها في سورة النساء وهو قوله تعالى ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُؤْمِنِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾⁽⁶⁾ وذلك لما اختلف الصحابة - رضي الله عنهم - فيمن رجع من المنافقين في غزوة أحد، ففي الصحيح «أن النبي ﷺ لما خرج إلى أحد رجع الناس ممن كان معه، فكان أصحاب النبي ﷺ فيهم فرقتين، فقال بعضهم: نقتلهم، وقال بعضهم: لا. فنزل قوله

(1) ينظر: أسباب نزول القرآن لأبي الحسن النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1411هـ.

(2) سورة النساء، الآية (1).

(3) سورة آل عمران، الآية (200).

(4) سورة النساء، الآية (1).

(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 389/2.

(6) سورة النساء، الآية (88).

تعالى ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾⁽¹⁾ ، كذلك لما ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران قصة خلق عيسى بلا أب، وأقيمت له الحجة بخلق آدم من غير أب ولا أم؛ تبرئة لأمه مريم خلافا لليهود، وتقريراً لعبوديته خلافاً للنصارى، ذكر سبحانه هنا في سورة النساء الرد على اليهود والنصارى، فرد على اليهود بقوله ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾ وفي سورة المائدة الرد على النصارى بقوله ﴿لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾⁽³⁾ ، كذلك مما يفيد التناسب بين السورتين الكریمتین، لما ذكر الله - عز وجل - في سورة آل عمران مخاطباً عيسى - عليه السلام - بقوله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾⁽⁴⁾ رد في سورة النساء على من زعم قتله بقوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾⁽⁵⁾ .

كذلك لما ذكر الله تعالى في سورة آل عمران أحوال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب ورتب تعالى بقوله ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ﴾⁽⁶⁾ وأخبر أن بعضهم من بعض في أصل التوالد، بين هنا في سورة النساء على إيجاد الأصل وتفرع الإنسان منه، وبين أيضاً أن الأصل كان موحداً لله مفرداً له بالعبادة فكذلك ينبغي أن تكون فروعها التي نشأت منه⁽⁷⁾ ، فنادى سبحانه وتعالى دعاء عاماً للناس، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾⁽⁸⁾ وكذلك لما ذكر الله - سبحانه وتعالى - في سورة آل عمران في حق المتشابه من القرآن ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾⁽⁹⁾ بين في سورة النساء تفصيلاً صفة

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: صفات المنافقين وأحكامهم [2776] 4/2142.

(2) سورة النساء، الآية (156).

(3) سورة المائدة، الآية (77).

(4) سورة آل عمران، الآية (55).

(5) سورة النساء، الآية (157).

(6) سورة آل عمران، الآية (195).

(7) ينظر: البحر المحيط في التفسير 3/492.

(8) سورة النساء، الآية (1).

(9) سورة آل عمران، الآية (7).

الراسخين في العلم ﴿لَكِنَّ الرِّسْحُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (1) ، ومنها قوله في سورة آل عمران ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ (2) ثم جاء في سورة النساء ففصل أحكام النساء، ومن يباح نكاحهن، ومن يحرم منهن، مشيرًا إلى البنين في قوله ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (3) وأيضًا ذكر البنين في مسألة الميراث، بعد أن بين حب الناس لهم، وأنهم مفضلون على البنات، فتولى الله - سبحانه وتعالى - قسمة الميراث لهم بنفسه؛ لئلا يميل أحدهم عن الآخر، و أيضًا جاء ردا على فعلهم من تخصيص الميراث للذكور دون الإناث فقال تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ (4) وقال أيضا: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (5)

كما سبق تبين مدى الانسجام التام بين السورتين الكريمتين بذكر الأحكام في سورة آل عمران وذكرها تفصيلا في سورة النساء، والله أعلم.

(1) سورة النساء ، الآية (162).

(2) سورة آل عمران، الآية (14).

(3) سورة النساء، الآية (9).

(4) سورة النساء، الآية (11).

(5) سورة النساء، الآية (7).

(تفسير سورة النساء وهي مدنية)

عن ابن عباس قال: ثمان آيات نزلت في سورة النساء هي خير هذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿١٨﴾ إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴿١٩﴾ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا ﴿٢٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴿٢٣﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿رَحِيمًا﴾ رواه ابن مسعود في الخمس الأخير رواه ابن جرير .⁽¹⁾

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9234] 8/257.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽¹⁾

أمر الله تعالى خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ونبههم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم - عليه السلام - ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهي حواء، خلقت من ضلعه الأيسر من جنبه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته فأنس إليها، وأنست إليه، في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج»⁽²⁾، وفي رواية «وكسرهما طلاقها»⁽³⁾ وقوله ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾ أي: وذرا من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء، ونشرهما في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم، وألوانهم ولغاتهم، ثم إليه بعد ذلك المعاد والمحشر.

ثم قال ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: بطاعتكم إياه، الذي تساءلون به والأرحام، وعليه مجاهد وغيره⁽⁴⁾، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أي: هو مراقب لجميع أعمالكم وأحوالكم وفي الحديث الصحيح «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»⁽⁵⁾، وهذا إرشاد وأمر

(1) سورة النساء، الآية (1).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: بدء الخلق، ب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته [3331] 4/133، ومسلم في صحيحه، ك: الرضاع، ب: الوصية بالنساء [1468] 2/1091.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الرضاع، ب: الوصية بالنساء [1468] 2/1091.

(4) ينظر: تفسير الثوري لأبي عبدالله سفيان الثوري، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1403 هـ / 1/85.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الإيمان، ب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة [50] 1/19، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة [80] 1/36.

بمراقبة الرقيب، وأن أصل الخلق أب واحد وأم واحدة، ليعطف بعضهم على بعض، ويرحموا على ضعفائهم.

﴿وَعَاثُوا أَلْيَتَمَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنِّي وَتِلْكَ رُبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَعَاثُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ (1)

قد أمر تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحلم، كاملة موفرة، ونهى عن أكلها وضمها إلى أموالهم، ولهذا [قال] (2) ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ قال أبو صالح: لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن تأكل الرزق الحلال الذي قدر لك (3)، وقال ابن جبير: لا تبدلوا الحرام من أموال الناس بالحلال من أموالكم، فلا تُعط مهزولا وتأخذ سميئا، ولا تعط زائفا وتأخذ حيا، قاله ابن المسيب والزهري وغيرهما (4)، وكان أحدهما يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعله فيها مكانه مهزولة ويقول شاة شاة، وكذا في الدرهم الزيف والجيد (5).

وقوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: لا تخلطوها فتأكلوها جميعا.

(1) سورة النساء، الآيات (2-4).

(2) في المخطوط: قالوا، ولعل الذي أثبت هو الصواب.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [47343] 3/855.

(4) ينظر: كتاب تفسير القرآن لأبي بكر النيسابوري، دار المآثر - المدينة المنورة، ط: 1 - 1423هـ [1314] 2/550.

(5) ينظر: العجائب في بيان الأسباب لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني، دار ابن الجوزي - الدمام، ط: 1 - 1997م

2/1068.

وقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ أي: إثما عظيما، وفي الحديث في سنن أبي داود «اغفر لنا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا»⁽¹⁾ والحُوب: الإثم، أي: إن أكلكم أموالهم مع أموالكم إثم عظيم، وخطأ كبير فاجتنبوه، وقوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ أي: إذا كان في حجر أحدكم يتيمة وخاف ألا يُعطيها مَهْرَ مثلها، فليعدل غلى ما سواها من النساء، فإنهن كثير، ولم يضيق الله عليه. وعن عروة بن الزبير عن عائشة: «أن رجلا كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عذق وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت فيه ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ أحسب أنها قالت: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله»، وفي رواية عن عروة «أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ قالت: يا ابن أخي، هذه اليتيمة تكون في حجر وليها يَشْرِكُ في مالها ويعجبُه مالُها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يَقْسِطَ في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهنَّ إلا أن يُقْسِطُوا لَهُنَّ وَيَبْلُغُوا بِهِنَّ أَعْلَى سَنْتِهَنَّ فِي الصَّدَاقِ، وَأَمَرُوا أَنْ يَنْكَحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ» رواهما البخاري⁽²⁾.

قوله ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ أي: انكحوا ما شئتم من النساء⁽³⁾ إن شاء أحدكم ثنتين، وإن شاء ثلاثا، وإن شاء أربعا، ولا يزيد على ذلك، لأن المقام مقام امتنان وإباحة، فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره، قال الشافعي: وقد دلت سنة رسول الله ﷺ المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله ﷺ أن يجمع بين أكثر من أربع، وهذا مجمع عليه بين العلماء⁽⁴⁾، إلا ما حُكي عن طائفة من الشيعة أنه يجوز الجمع بين أكثر من أربع إلى تسع، وقال بعضهم: بلا حصر، ولا يعتد بمخالفتهم فإنهم تَمَسَّكُوا بِفِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ وهو مثبت، وكان ذلك من خصائصه ﷺ، لما جاء في الأحاديث الدالة على الحصر في أربع منها: عن ابن عمران أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحتة عشرة نسوة، فقال له

(1) أخرجه ابن أبي داود في سننه، ك: الطب، ب: كيف الرُقى [3892] 12/4.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التفسير، ب: "وإن خفتُم أن لا تقسطوا في اليتامى" [4573] 42/6.

(3) زاد ابن كثير "سواهن"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 340/3.

(4) ينظر: حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني لأبي الحسن العدوي، دار الفكر - بيروت،

1414هـ/2.62.

النبي ﷺ: «اختر منهن أربعاً» رواه الشافعي وأحمد والترمذي وغيرهم⁽¹⁾ ، ووجه الدلالة: أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع يسوغ له رسول الله ﷺ في بقاء العشر وقد أسلمن معه، كما هو مصرح في رواية أخرى، فلما أمره بإمسك أربع وفراق سائرهن، دل على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع بحال، وإذا كان هذا في الدوام، ففي الابتداء أولى، وعن الحارث بن قيس الأسدي قال: أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت للنبي ﷺ فقال «اختر منهن أربعاً» رواه أبو داود⁽²⁾ وابن ماجه⁽³⁾ ، وعن نوفل معاوية الديلمي قال: «أسلمتُ وعندي خمسُ نسوة فقال لي رسول الله ﷺ: أمسك أربعاً أيتها شئت، وفارق الأخرى فعمدت إلى أقدمهن صُحبةً، عجوز عاقِرٍ معي منذ ستين سنة، فطلقتها»⁽⁴⁾ ، فهذه كلها شواهد على صحة ما تقدم.

وقوله ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ أي: فإن خفتن من تعداد النساء ألا تعدلوا بينهن، فليقتصر على واحدة، أو على الجواري السراري، فإنه لا يجب قسم بينهن، ولكن يستحب، فمن فعل فحسن، ومن لا فلا حرج.

وقوله ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ أي: أدنى أن لا تُكثر عائلاتكم. قاله زيد بن أسلم وابن عيينة والشافعي⁽⁵⁾ ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يُعْزِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾⁽⁶⁾ قال الشاعر:

فما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

(1) أخرجه أحمد في مسنده [4609] 8/221.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الطلاق، ب: في من أسلم وعنده نساء أو أكثر من أربع أو أختان [2241] 2/272.

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: النكاح، ب: الرجل يُسلم وعنده أكثر من أربع نسوة [1952] 1/628.

(4) ينظر: المسند لأبي عبدالله الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، 1400هـ، ك: النكاح، ب: اسقرار نكاح المشرك إذا أسلم، ومفارقة ما زاد على أربع [1193] 3/70.

(5) ينظر: تفسير القرطبي 6/20.

(6) سورة التوبة، الآية (28).

يقال عال الرجل يعيل عيلةً، إذا افتقر، وفيه نظر؛ لأنه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر، كذلك يخشى من تعداد السراري أيضاً، والصحيح ما قاله الجمهور أي: أن لا تجوروا⁽¹⁾، يقال: عال في الحكم: إذا قسط وظلم وجار.

وهذا كما قال أبو طالب:

بميزان قسط لا يُحَسُّ شعيرة له شاهدٌ من نفسه غير عائل⁽²⁾

وعن عائشة عن النبي ﷺ ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ قال: «لا تجوروا» رواه ابن حبان في صحيحه⁽³⁾، وعن ابن عباس وأكثر التابعين أن لا تملوا وهو مختار ابن جرير⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَأَثُوا النَّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ أي: فريضة مسماة، والنحلة في كلام العرب: الواجب أي: لا تنكحها إلا بشيء واجب لها، يعني: على الرجل دفع الصداق إلى المرأة حتماً، وأن يكون بطيب نفس، فإن طابت هي له بعد تسميته فوهبته أو شيئاً منه، فليأكله حلالاً طيباً ولذا قال تعالى ﴿فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ أي: سائغاً طيباً محمود العاقبة عن علي رضي الله عنه قال: إذا اشتكى أحدكم شيئاً، فليسأل امرأته ثلاثة دراهم أو نحو ذلك، فليتبع بها عسلاً، ثم يأخذ ماء السماء فيجتمع هنيئاً مريئاً شفاءً مباركاً⁽⁵⁾.

(1) ينظر: تفسير القرآن الكريم لمحمد بن القيم الجوزية، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط: 1 - 1410هـ/223.

(2) ديوان أبي طالب 63/1.

(3) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ك: النكاح، ب: ذكر الخبر المدحج قول من زعم أن قوله جل وعلا "ذلك أدنى أن تعولوا" أراد به كثرة العيال [4029] 9/339.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8488] 7/549.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم [4779] 3/862.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ⁽¹⁾ وَابْتَلُوا الَّتِي تَمَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ^ط وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا⁽⁶⁾ .

قد نهى الله تعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي بها قوام معاش الناس من التجارة وغيرها، وفيه دليل الحجر على السفهاء، وهم أقسام: فتارة يكون الحجر للصغر، وتارة يكون للجنون، وتارة لنقص العقل وهو السفه، وتارة للمفلس، وحكم كل منها مبسوط في كتب الفقه، والمراد بالسفهاء في الآية: النساء والصبيان قاله ابن عباس وابن مسعود والأكثر ⁽²⁾، وعن أبي أمامة مرفوعاً «أن النساء السفهاء إلا التي أطاعت قِيَمَهَا» رواه ابن أبي حاتم ⁽³⁾، وعن أبي هريرة قال: «الخدم، وهم شياطين الإنس» ⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ قال ابن عباس: أي لا تَعَمَدُ على مالك وما خَوَّلَكَ اللهُ، وجعله لك معيشةً فتعطيه امرأتك أو بنيك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحْه، وكن أنت الذي تنفق عليهم من كسوتهم ومؤوتيتهم ورزقهم ⁽⁵⁾.

وقوله ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ قال مجاهد: يعني في البر والصلة، وفي الآية الإحسان من في مؤنتك بالفعل من الإنفاق في الكساوي والأرزاق والكلام الطيب ومكارم الأخلاق.

وقوله تعالى ﴿وَابْتَلُوا الَّتِي تَمَى﴾ قال ابن عباس وغيره أي: اختبروهم، ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ يعني البلوغ، وهو في الغلام والجارية بالحلم، وهو نزول النبي بأي نوع كان، لما في سنن أبي

(1) سورة النساء، الآية (6).

(2) ينظر: تفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن النيسابوري الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1415 هـ / 2 / 11.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4785] 3 / 863.

(4) المصدر السابق.

(5) ينظر: تفسير الوسيط للواحدى 2 / 11.

داوود عن علي مرفوعاً «لا يُتَمَّ بعد احتلام، ولا صُمت يوم إلى الليل»⁽¹⁾، وأخرى باستكمال خمس عشرة سنة، لما في الصحيحين عن ابن عمر قال «عُرِضْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ فَلَمْ يُجْزِنِي، وَعُرِضْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ فَأَجَازَنِي»⁽²⁾، قال عمر بن عبد العزيز: هذا الفرق بين الصغير والكبير، ويشترك فيهما الرجل والمرأة، واختلفوا في إنبات الشعر الخشن حول الفرج، والصحيح: أنها بلوغ في أولاد الكفار دون أولاد المسلمين؛ لاحتمال المعالجة، كما في مسند أحمد⁽³⁾ عن عطية القُرَظِيِّ قَالَ: «عُرِضْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ قَرِيظَةَ فَكَانَ مِنْ أَنْبَتِ قَتْلٍ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ خَلِّي سَبِيلَهُ، فَكَنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ فَخَلِّي سَبِيلِي» رواه أهل السنن الأربعة⁽⁴⁾، قال الترمذي حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَأَمَّا مَا يُخْتَصُّ بِالنِّسَاءِ فَهُوَ الْحَيْضُ وَالْحَبْلُ إِذَا كَانَ بَعْدَ اسْتِكْمَالِ تِسْعِ سِنِينَ.

وقوله ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ قال سعيد بن جبیر: یعنی صلاحاً في دينهم، وحفظاً لأموالهم قاله ابن عباس وغير واحد⁽⁵⁾، وهكذا قال الفقهاء: متى بلغ الغلام مُصلحاً لدينه وماله، انفكَّ الحجر عنه، فيسلَّم إليه ماله⁽⁶⁾.

وقوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ ينهى الله تعالى عن أكل مال اليتامى من غير حاجة ضرورية إسرافاً أي: بلا حق، وتعجيلاً قبل بلوغهم، ثم قال ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا﴾ أي: من كان

(1) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الوصايا، ب: ما جاء متى ينقطع اليتيم [2873] 2/128.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الشهادات، ب: بلوغ الصبيان وشهادتهم [2664] 3/177، ومسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: بيان سن البلوغ [1868] 3/1490.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [18776] 31/67.

(4) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الحدود، ب: من لا يجب عليه الحد [2541] 2/849، والترمذي في سننه، ك: الذبائح، ب: ما جاء في النزول على الحكم [1584] 3/197، وقال حديث حسن ضعيف، وأخرجه النسائي في سننه، ك: السير، ب: حد الإدراك [8567] 8/25، وأبو داود في سننه، ك: الحدود، ب: في الغلام يصيب الحد [4404] 4/141.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4806] 3/865.

(6) ينظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد الدسوقي، دار الفكر - بيروت 3/296.

في غُنْيَةٍ عن مال اليتيم ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي: فليمتنع عنه، ولا يأكل منه شيئاً، قال الشعبي: هو عليه كالميتة والدم، لا يأكل منه إلا إذا اضطر إليه، ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا﴾ أي: محتاجاً فليأكل منه بالمعروف بحسب سَعْيِهِ فيه، قالت عائشة: «نزلت هذه الآية في وال اليتيم الذي يقوم عليه، ويُصلحه إذا كان محتاجاً، أن يأكل منه بقدر قيامه عليه»⁽¹⁾، وعن عبد الله بن عمرو: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: ليس لي مالٌ وولي يَتِّمُّ؟ فقال: «كُلْ من مال يَتِّمُّكَ غير مُسْرِفٍ ولا مَبَاذِرٍ ولا مُتَأَثِّلٍ مَالًا» رواه أحمد⁽²⁾.

وقوله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ يعني: بعد بلوغهم الحُلُمَ وإيناسِ الرشد منهم، فحينئذ سلموا إليهم أموالهم ﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ هذا أمر للأولياء، أن يشهدوا على الأيتام إذا بلغوا الحلم، ويسلموا إليهم أموالهم؛ لئلا يقع من بعضهم جحود وإنكار لما قبضه وتسلمه، ثم قال ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي: محاسباً ومشاهداً ورقيباً على الأولياء في حال نظرهم للأيتام، وحال تسليمهم الأموال، هل كافيةٌ موفرة؟ أو منقوصةٌ مَبْخُوسَةٌ؟ ولهذا قال رسول الله ﷺ «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي، لا تأمُرَنَّ على اثنين، ولا تُولِينَّ مال اليتيم» رواه مسلم⁽³⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [4575] 43/6.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [7022] 594/11.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: كراهية الإمارة بغير ضرورة [1826] 1457/3.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾^(٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ حَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾^(١)

قال سعيد بن جبير وقتادة: كانوا في الجاهلية يجعلون المال للرجال الكبار، ولا يورثون النساء والأطفال شيئا، فأنزل الله الآية⁽²⁾، أي: الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى في أصل الوراثة، وإن تَفَاوَتْوا بحسب ما فرض الله لكل منهم، بما يدلي به إلى الميت من قرابة، أو زوجية، أو ولاء، فإنه لُحْمَةٌ كلحمة النسب، عن جابر قال: «جاءت أم كجّة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن لي ابنتين، قد مات أبوهما، وليس لهما شيء، فأنزل الله ﷻ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ﴾ الآية» رواه ابن مردويه⁽³⁾.

وقوله ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ أي: ممن ليس لهم من الميراث شيء، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾ فيُرضخُ لهم من التركة نصيب، وكان ذلك واجبا في ابتداء الإسلام وأو مستحبا، واختلفوا: هل نسخ أم لا؟ قال ابن عباس «هي محكمة وليست بمنسوخة» رواه البخاري⁽⁴⁾، وهي قائمة يعمل بها، وعن ابن مسعود وبعض التابعين هي واجبة على أهل الميراث، ما طابت به أنفسهم، وقيل: ذلك أمر بالوصية لهم، وقيل: إن هذه الآية منسوخة بالكلية نسختها الآية التي بعدها، ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ وهذا أيضا منقول عن ابن عباس، فإنه قال: «كان ذلك قبل أن تنزل الفرائض فأنزل الله بعد ذلك الفرائض فأعطى

(1) سورة النساء، الآية (6).

(2) ينظر: جامع البيان 597/7.

(3) ينظر: العجائب في بيان الأسباب 836/2.

(4) أخرجه البخاري، ك: تفسير القرآن، ب: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾ [4576] 43/6.

كل ذي حق حقه، فجعلت الصدقة فيما سمي المتوفى» رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم⁽¹⁾، وعليه الزهري⁽²⁾ وكثير من أئمة التابعين.

وعن ابن جرير قولاً غريباً، وحاصله: أن معنى الآية عنده، وإذا حضر القسمة مال الوصية أو لو قرابة الميت، فارزقوهم منه، وقولوا لليتامى والمساكين -إذا حضرُوا- قولاً معروفاً⁽³⁾، والصحيح: أن المراد فيه الميراث يعني إذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يرثون، واليتامى والمساكين قسمة مال جزيل، فإن أنفسهم مشغوف إلى شيء منه، إذا رأوا هذا يأخذ وهذا يأخذ، وهم يائسون لا شيء يُعطون، فأمر الله تعالى أن يرضخ لهم شيء من الوَسَطِ يكون صدقة عليهم، وإحساناً إليهم، كما جاء نظيره في غيرها من الآيات.

وقوله ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا إِلَىٰ سَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس: هذا في الرجل يحضره الموت فَيَسْمَعُهُ رجل يوصي بوصية يضرُّ بورثته، فأمر الله السامع أن يتقي الله ويوفقه ويسدده للصواب، ولينظر لورثته كما كان يجب أن يصنع لورثته إذا خشي عليهم الضيعة.

والذرية الضعاف: الأولاد الصغار، والسديد: العدل والصواب في القول، وقيل: أي فليتقوا الله في مباشرة أموال اليتامى وهذا عن ابن عباس، وهو حسن، يتأيد بما بعده من التهديد في أكل مال اليتامى ظلماً، أي: كما تحب أن يُعامل ذريتك من بعدك، فعامل الناس في ذرايرهم إذا وليتهم، ثم أعلمهم أن من أكل مال يتيم ظلماً فإنما يأكل في بطنه ناراً، كما قال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ أي: إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب شرعي، فإنما يأكلون ناراً يتأجج في قلوبهم يوم القيامة، وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال:

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4850] 3/ 873.

(2) ينظر: الاستذكار 5/ 520.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 3/ 873.

الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا، وأكل مال اليتيم،
والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»⁽¹⁾.

وقوله ﴿وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ أي: يُدخلون النار ويحرقون بها، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «رأيت ليلة أسري بي قوماً لهم مشافر كمشافر الإبل، إحداهما قالصة على منخره، والأخرى على بطنه، وخزنة النار يُلقمونها جمر جهنم وصخرها، فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾»⁽²⁾ وروى ابن أبي حاتم بمثله⁽³⁾، وعن أبي برزة⁽⁴⁾ أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تآجج أفواههم نارا، قيل يا رسول الله من هم؟ قال: ألم تر أن الله قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ الآية»، رواه ابن مردويه⁽⁵⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الوصايا، ب: قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [2766] 10/4، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: بيان الكبائر وأكبرها [145] 92/1.

(2) ينظر: تفسير البغوي 573/1، وقال عنه ضعيف جدا.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4881] 3/879.

(4) هو: نضلة بن عبيد، أبو برزة الأسلمي، روى عدة أحاديث، وروى عنه: ابنه المغيرة وحفيدته منية بنت عبيد وأبو عثمان النهدي وغيرهم، نزل البصرة وأقام مدة مع معاوية، قال ابن سعد: أسلم قديما وشهد فتح مكة، وزاد الذهبي: وشهد خيبر وقال أبو نعيم: هو الذي قتل عبد العزى بن خطل تحت أستار الكعبة بإذن النبي ﷺ، قال الحاكم: توفي سنة 64هـ، ينظر: الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لسعد الملك بن ماکولا، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1411هـ - 237/1، وأسد العابة 305/5، وسير أعلام النبلاء 40/3.

(5) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ك: الحظر والإباحة، ب: ذكر الإخبار عن وصف ما يعدب به في القيامة أكلة أموال اليتامى [5566] 12/377.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بُوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبُوهُ فَلِلْمِثْلِ ثُلُثٌ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْمِثْلِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَكَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾⁽¹⁾

هذه الآية الكريمة والتي بعدها والتي هي خاتمة هذه السورة أصول علم الفرائض، فإنها مستنبطة منها، ومن الأحاديث الواردة في ذلك فإنها مبيّنة لها، وأما المسائل والفروع فموضعها كتب الفقه، وعلم الفرائض مرغّب فيه محتاج إليه، من أهمّ مهمّات الدين، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «العلم ثلاثة آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة، وما كان سوى ذلك فهو فضل» رواه أبو داود⁽²⁾ وابن ماجه⁽³⁾.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تعلموا الفرائض وعلموه الناس، فإنه نصف العلم وهو يُنسى، وهو أول كل شيء يُتزع من أمّتي» رواه ابن ماجه ضعيف⁽⁴⁾، قال ابن عيّنة⁽⁵⁾: إنما سُمي الفرائض نصف العلم لأنه يبتلى به الناس كلهم⁽⁶⁾.

وسبب نزول هذه الآية في الصحيحين عن جابر قال: «عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ فِي بَنِي سَلَمَةَ مَاشِيْنَ فَوَجَدَنِي النَّبِيَّ ﷺ لَا أَعْقِلُ شَيْئًا، فَدَعَا بِنَاءٍ وَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَشَ عَلَيَّ فَأَفْقَتُ فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرَنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَنَزَلَتْ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ

(1) سورة النساء، الآية (11).

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الفرائض، ب: ما جاء في تعليم الفرائض [2885] 19/3.

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه، في المقدمة، ب: اجتناب الرأي والقياس [56] 65/1.

(4) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الفرائض، ب: الحث على تعليم الفرائض [2823] 313/8.

(5) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكّي، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، روى عن: عمرو بن دينار وزياد بن علاقة والأسود بن قيس وغيرهم، وروى عنه: الأعمش وابن جرج وشعبة وغيرهم، ولقد كان خلق من طلبة الحديث يتكفون الحج للقي سفيان بن عيينة لإمامته وعلو إسناده، توفي سنة 198هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء، و تهذيب التهذيب 4/119.

(6) ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/369.

لِلذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ»⁽¹⁾ ، وعنه أيضا قال: «جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: هاتان ابنتا سعد بن الربيع قُتل أبوهما معك في أحد شهيدا، وأن عمَّهما أخذ ما لهما، فلم يدع لهما مالا، ولا يُنكحان إلا ولهما مال، فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمَّهما، فقال: أعطِ ابنتي سعد الثلثين، وأمَّهُمَا الثُّمْنُ، وما بقي فهو لك» رواه أبو داود⁽²⁾ والترمذي⁽³⁾.

فقوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ أي: يأمركم بالعدل فيهم، فإن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث، فأمر الله بالتسوية بينهم في أصل الميراث، وفاوتين الصنفين، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وذلك أن الرجل يحتاج إلى مؤنة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب⁽⁴⁾، فناسب أن يُعطي مثلي ما تأخذه الأنثى، ومن هذا يعلم أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، حيث وصّى الوالدين بأولادهم، وعن ابن عباس قال: «كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث، وجعل للزوجة الثمن والرابع، وللزوج الشطر والرُّبع» رواه البخاري⁽⁵⁾.

وقوله ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ قيل فوق هنا زائدة وتقديره فإن كن نساء اثنتين، كما في قوله ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ وهذا غير مرضي لا هنا ولا هناك، فإنه ليس في القرآن شيء زائد لا فائدة فيه وهذا ممتنع.

ثم قوله ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ﴾ وإنما استفيد كون ما للبتين الثلثان من حكم الأختين في الآية الأخيرة، فإنه إذا ورثت الأختان الثلثين فلأن ترث البنتان الثلثين أولى، وقوله ﴿وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ﴾

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [4577] 43/6، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفرائض، ب: ميراث الكلاله [1616] 1235/3.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الفرائض، ب: ما جاء في ميراث الصلب [2891] 120/3.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الفرائض، ب: ما جاء في ميراث البنات [2092] 485/3.

(4) زاد ابن كثير "وتحمل المشاق"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 371/3.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الوصايا، ب: لا وصية لوارث [2747] 4/4.

وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ» للأبوين في الميراث أحوال أحدها: أن تجتمعا مع الأولاد، فيفرض لكل واحد منهما السدس، فإن لم يكن للميت إلا بنت واحدة فرض لها النصف، ولكل واحد من الأبوين السدس، ويأخذ الأب السدس الآخر بالتعصيب، والثاني: أن ينفرد الأبوان بالميراث، فيفرض للأم الثلث ويأخذ الأب الباقي بالتعصيب المحض، فلو كان معها -والحالة هذه- زوج أو زوجة أخذ الزوج النصف، والزوجة الربع، وللأبوين الباقي، للأم ثلثه وللأب ثلثاه، وهذا هو الصحيح المختار، وعليه الأئمة الأربعة⁽¹⁾، والثالث من أحوال الأبوين: وهو اجتماعهما مع الإخوة من أي نوع كانوا، فإنهم لا يرثون مع الأب شيئاً، ولكنهم يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس، فيفرض لها مع وجودهم السدس، فإن لم يكن وارث سواها وسوى الأب أخذ الأب الباقي، وحكم الأخوين في ذلك حكم الأخوة عند الجمهور⁽²⁾، قال قتادة: قد أضر الأخوة بالأم ولا يرثون، ولا يحجبها أخ واحد من الثلث، ويحجبها ما فوق ذلك⁽³⁾، وقالوا: إنما حجبتهم من الثلث لأن أباهم يلي إنكاحهم ونفقتهم عليه دون أمهم، والله أعلم.

وقوله ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ أجمعوا أن الدين مقدم على الوصية، لما يفهم من فحوى الآية وعن علي رضي الله عنه قال: «إنكم تقرؤون ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية، وإن أعيان بني الأم يتوارثون دون بني العلات، يرث الرجل أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه» رواه أحمد⁽⁴⁾ والترمذي⁽⁵⁾ وابن ماجه⁽⁶⁾.

وقوله ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ أي: إنما فرضنا للآباء والأبناء وسأوينا بين الكل في أصل الميراث على خلاف ما كان عليه الأمر في الجاهلية، وفي ابتداء الإسلام من كون المال

(1) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط: 4، 418/10.

(2) التبصرة في أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي، دار الفكر - دمشق، ط: 1 - 1403هـ/128.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4905] 3/883.

(4) أخرجه أحمد في مسنده [1091] 2/331.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الفرائض، ب: ما جاء في ميراث الإخوة من الأب والأم [2094] 3/487.

(6) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الوصايا، ب: الدين قبل الوصية [2715] 2/906، وحسنه الألباني.

للولد، وللأبوين بالوصية، كما تقدم عن ابن عباس، لأن الإنسان قد يأتيه النفع الدنيوي -أو الأخروي- أو منهما- من أبيه مالا يأتيه من ابنه، وقد يكون بالعكس؛ فلهذا قال: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُم أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ أي: كما أن النفع مرجو من هذا، متوقع من الآخر، فلهذا فرضنا لهذا ولهذا، وساوينا بين القسمين من أصل الميراث⁽¹⁾.

في قوله ﴿فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: هذا الذي ذكرناه هو فرض من الله الذي حكم به وقضاه، وهو العليم الحكيم الذي يضع الأشياء في محلها، ويُعطي كلا ما يستحقه بحسبه؛ ولهذا قال ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوْصَوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوْصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾⁽²⁾

يعني: ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم إذا مُتْن عن غير ولد، ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ إلى آخره ظاهر، وقد تقدم إن الدين مقدم على الوصية⁽³⁾، وبعده الوصية ثم الميراث، وهذا مجمع عليه⁽⁴⁾، وحكم أولاد البنين وإن سفلوا حكم أولاد الصلب، وقوله ﴿وَلَهُنَّ الرَّبْعُ﴾ إلى آخره، سواء في الربع والثلث والزوجة والزوجتان والثلث والأربع يشركن فيه.

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/ 229.

(2) سورة النساء، الآية (12).

(3) ينظر: أنوار البروق في أنواء الفروق لأبي العباس القرافي، عالم الكتب 2/ 242.

(4) ينظر: فتح القدير 10/ 430.

وقوله ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً﴾ هي مشتقة من الإكليل، وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه، والمراد هاهنا من يرثه حواشيه لا أصوله ولا فروعها، كما روى الشعبي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه سئل عن الكلالة⁽¹⁾، فقال: أقول فيها برأبي، فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، الكلالة: من لا ولد له ولا والد فلما ولي عمر بن الخطاب قال: إني لأستحيي أن أخالف أبا بكر في رأي رآه، كذا رواه ابن جرير وغيره⁽²⁾ وبه قال علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وجمهور السلف، والخلف، والأئمة الأربعة، وانعقد الإجماع على ذلك.

وقوله ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي: من أم، كما هو في قراءة بعض السلف⁽³⁾، وقوله ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ أي: إخوة الأم ﴿فِي الثَّلَاثِ﴾، وهم يخالفون بقية الورثة من وجوه، أحدها: أنهم يرثون مع من أدلوا به وهي الأم، الثاني: أن ذكرهم وأنثاهم سواء، الثالث: أنهم لا يرثون إلا إذا كان ميتهم يورث كلاله، فلا يرثون مع أب، ولا جد، ولا ولد، ولا ولد ابن، الرابع: أنهم لا يزدون على الثلث، وإن كثروا ذكورهم وإنثاهم.

وفي المسألة المشتركة، وهي: زوج، وأم أو جدة، واثنان من ولد الأم، وواحد و أكثر من ولد الأبوين، الجمهور: على أن للزوج النصف، وللأم أو الجدة السدس، ولولدي الأم الثلث، و يشاركهم ولد الأبوين، وهو مذهب مالك⁽⁴⁾ والشافعي⁽⁵⁾ وهو المشهور عن ابن عباس⁽⁶⁾ وبه قال أبو حنيفة وصاحبا⁽⁷⁾ وأحمد وآخرون⁽⁸⁾.

(1) الكلالة: أن يموت المرء وليس له والد أو ولد يرثه بل يرثه ذوو قرابته، ينظر: المعجم الوسيط لإبراهيم محمود - أحمد الزيات - حامد عبدالقادر - محمد النجار، دار الدعوة 2/796.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8746] 8/54.

(3) وهي قراءة سعد بن أبي وقاص، ينظر: النشر في القراءات العشر 1/28.

(4) ينظر: بلغة السالك لأقرب المسالك لأبي العباس الخلوئي، دار المعارف 4/222.

(5) ينظر: الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي لمصطفى الخن - مصطفى البغا - علي الشريبي، دار القلم - دمشق، ط: 4 - 1413هـ/5/114.

(6) ينظر البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر - بيروت، 1420هـ/3/548.

(7) ينظر: المغني شرح مختصر الخرقي لعبد الله بن قدامة، دار إحياء التراث العربي، ط: 1 - 1405هـ/6/172.

(8) ينظر: كشف المخدرات والرياض الزاهرات لشرح أخصر المختصرات لأحمد الحلبي، دار النبلاء 1/365.

وقوله ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ﴾ أي: لتكن وصيته على العدل لا على الإضرار والجور بأن تحرم بعض الورثة، أو تنقصه، أو يزيد على ما قدره الله له من الفريضة، فمن سعى في ذلك كان كمن ضاد الله في حكمته وقسمته، وعن ابن عباس موقوفاً⁽¹⁾ قال: «الإضرار في الوصية من الكبار»⁽²⁾. ولهذا اختلف في الإقرار للوارث: هل هو صحيح أم لا؟ على قولين: أحدهما: لا يصح لأنه مظنة التهمة، والثاني: يصح وعليه الشافعي⁽³⁾ والبخاري، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»⁽⁴⁾، وحُجَّتُهُمَا «أن رافع بن خديج أوصى أن لا تُكشَفَ الفزارية عما أغلق عليه بأبها» رواه البخاري⁽⁵⁾.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁶⁾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾

أي: أن الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم إليه، هي حدود الله فلا تجاوزوها؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: فيها، فلم يزد بعض الورثة ولا نقص بعضا بحيلة ووسيلة، بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ إلى قوله ﴿مُهِينٌ﴾ أي: لكونه غير ما حكم الله به وضاداً الله في حكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم رضاه بقسمة الله وحكمه، ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الرجل ليعمل بعمل

(1) سبق بيان الحديث الموقوف.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [4939/3] 888.

(3) ينظر: الأم لأبي عبد الله الشافعي، دار الفكر، ط: 1 - 1400هـ/6/241.

(4) أخرجه أحمد في مسنده [1766] 512/29، الترمذي في سننه، في أبواب الوصايا، ب: ما جاء لا وصية لوارث [2121] 4/434، وليس في الصحيحين كما ذكر، ويؤكد هذا الكلام ما ذكره الصنعاني في كتابه حقيق قال: "وقد ترجم له البخاري فقال: باب لا وصية لوارث، وكأنه لم يثبت على شرطه فلم يخرج، ينظر: سبل السلام 3/227.

(5) صحيح البخاري 4/4.

(6) سورة النساء، الآيتان (13 - 14).

أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى جار في وصيته، فيختم له بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل يعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيته، فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة، ثم يقول أبو هريرة: اقرأ إن شئتُم ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ إلي قوله ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ رواه أحمد⁽¹⁾.

﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَلْحِشَةَ مِنْ تَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنكُمْ فَتَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾⁽²⁾

كان في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا زنت فثبت زناها بالبيّنة العادلة، حُبست في بيت فلا تُمكن من الخروج منه إلى أن تموت⁽³⁾؛ ولهذا قال: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَلْحِشَةَ﴾ إلى قوله ﴿سَبِيلًا﴾ فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك. قال ابن عباس: كان الحكم كذلك، حتى أنزل الله سورة النور فنسختها الجلد والرجم⁽⁴⁾، وعليه أئمة التابعين، وهو متفق عليه⁽⁵⁾.

وعن عبادة بن الصامت⁽⁶⁾ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي أثر عليه [و] كَرُبَ لذلك وتربّد وجهه، فأنزل الله تعالى عليه ذات يوم، فلما سُرّيعنه قال: خُذُوا عني

(1) أخرجه أحمد في مسنده [7742] 13/167.

(2) سورة النساء، الآيتان (15 - 16).

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8797] 8/74.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الحدود، ب: في الرجم [4413] 4/143.

(5) ينظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن لأبي عبيد الهروي، مكتبة الرشد - الرياض، ط: 2 - 1418هـ/309.

(6) هو: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن الخزرج، أبو الوليد، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان عبادة عقيباً نقيباً بدرياً أنصاريًا، قال محمد القرظي: جمع القرآن في زمن النبي ﷺ خمسة من الأنصار، منهم عبادة بن الصامت، روى عنه: أنس بن مالك وجابر بن عبد الله وفضلة بن عبيد وغيرهم، توفي سنة 34هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 3/412، والثقات لابن حبان 3/302، وأسد الغابة 3/158.

(7) سقط من المخطوط.

خُدُوا عني، قد جعل الله لمن سببها، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» رواه مسلم⁽¹⁾ وأصحاب السنن بطرق وروايات⁽²⁾.

قوله ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾ أي: والذنان يفعلان الفاحشة فأذوهما، قال ابن عباس وغيره: أي بالثتم والتعير، والضرب بالنعال⁽³⁾، وكان الحكم كذلك حتى صار منسوخا بما سبق، وقال بعض التابعين: نزلت في الرجل والمرأة إذا زنيا قبل الإحصان⁽⁴⁾، وقيل: في الرجلين إذا فعلا يعني اللواط⁽⁵⁾، وفي السنن عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»⁽⁶⁾.

وقوله ﴿فَإِنْ تَابَا﴾ أي: ندما ونزعا عما كانا عليه، وصلحت أعمالهما وحسنت، ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ أي: لا تعنفوهما بكلام قبيح ولا تؤذوهما بعد ذلك، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقد ثبت في الصحيحين «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يُثرب عليها»⁽⁷⁾، أي: ثم لا يعيرها بما صنعت بعد إقامة الحد عليها.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحدود، ب: حد الزنى [1690] 1316/3.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الحدود، ب: حد الزنا [2550] 852/2، والنسائي في سننه، ك: الرجم، ب: عقوبة الزاني الثيب [7105] 405/6.

(3) ينظر: زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين الجوزي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: 1 - 1422هـ - 382/1.

(4) كابن زيد. ينظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب لأبي محمد بن وهب، دار الغرب الإسلامي، ط: 1 - 2003م 125/1.

(5) ينظر: جامع البيان 81/8.

(6) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الحدود، ب: من عمل قوم لوط [2561] 856/2، وأبوداود في سننه، ك: الحدود، ب: من عمل قوم لوط [4462] 158/4، كلاهما بلفظ "من وجدتموه".

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: البيوع، ب: بيع المدبر [2234] 83/3، ومسلم في صحيحه، ك: الحدود، ب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى [1703] 1328/3.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ (1)

أي: يقبل الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة، ثم يتوب وكان قبل الغرغرة⁽²⁾، قال مجاهد وغيره: من عصى الله خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع من الذنب⁽³⁾، وكان الصحابة يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة عمداً كان أو خطأ⁽⁴⁾.

وقوله ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قال ابن عباس: أيما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت⁽⁵⁾ وقال الضحاك⁽⁶⁾: ما دون الموت فهو قريب⁽⁷⁾. وقال عكرمة⁽⁸⁾: الدنيا كلها قريب⁽⁹⁾.

(1) سورة النساء الآيتان (17 - 18).

(2) الغرغرة: تردد الروح في الجسد، ينظر: مختار الصحاح 1/225.

(3) ينظر: تفسير مجاهد 1/270.

(4) ينظر: النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان 1/464.

(5) ينظر: جامع البيان 6/512.

(6) سبق ترجمته.

(7) ينظر: تفسير عبدالرزاق لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1419هـ 1/442.

(8) سبق ترجمته.

(9) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1415هـ 2/448.

(1) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» رواه ابن ماجه (2) والترمذي وقال حسن غريب (3) وفيه: أن من تاب إلى الله وهو يرجو الحياة، فإن توبته مقبولة منه، وأما متى أيس عن الحياة، وعاین الملك وحشرجت الروح في الحلق، وضاق بها الصدر، وغرغر النفس، فلا توبة متقبلة حينئذ؛ ولهذا قال: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ كما في غيرها من الآيات.

وقوله ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا﴾ يعني: أن الكافر إذا مات على كفره وشركه، لا ينفعه ندمه ولا توبته، ولا يقبل منه فدية ولو بملا الأرض ذهباً، عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يقبل توبة عبده، أو يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب، قيل: وما وقوع الحجاب؟ قال: تخرج النفس وهي مشركة» رواه أحمد (4)، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: موجعا شديداً مقيماً.

(1) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، وابن ثاني خلفاء المسلمين عمر بن الخطاب، راوى الحديث عالم من علماء الصحابة، لم يشهد بدرا وأحدا لصغر سنه، كان فقيها كريما حسن المعشر طيب القلب لا يأكل إلا وعلى مائدته يتيم يشاركه الطعام، روى عن: الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم، كان شديد الحرص في الفتيا، توفي سنة 84هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 1/219، و تهذيب التهذيب 5/285.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الزهد، ب: ذكر التوبة [4253] 2/1420.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الدعوات، ب: في فضل التوبة والاستغفار وماذكر من رحمة الله بعباده [3537] 5/438.

(4) أخرجه أحمد في مسنده، وقال: إسناده ضعيف [21522] 35/411.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَعَآئِيتُمْ إِحْدَلُهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنَا وَإِنَّمَا مَبِينَا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾⁽¹⁾

قال ابن عباس: «كانوا إذا مات الرجل، كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤا زوجوها، وإن شاؤا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ الآية»، رواه البخاري⁽²⁾ وأبو داود⁽³⁾ والنسائي⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ قال ابن عباس: «إن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته، فيعضلها حتى تموت أو تُرَدُّ إليه صداقها، فأحكم الله عن ذلك، أي: نهى عنه»، تفرد به أبو داود⁽⁵⁾، وروى غير واحد نحوها عن ابن عباس، وقال السدي عن أبي مالك: كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها، جاء وليه فألقى عليها ثوبا، فإن كان له ابن صغير أو أخ حبسها حتى يشب أو تموت فيرثها، فإن هي افتلتت فأتت أهلها، ولم يلتق عليها ثوبا نجت، فأنزل الله هذه الآية⁽⁶⁾، يعني: فلا تضاروهن في العشرة لترك لكم من صداقها أو حقا من

(1) سورة النساء، الآيات (19 - 22).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [4579] 44/6.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، ك: النكاح، ب: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [2089] 230/2.

(4) أخرجه النسائي في سننه، ك: التفسير، ب: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [11028] 60/10.

(5) أخرجه أبو داود في سننه، ك: النكاح، ب: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [2090] 231/2.

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5031] 902/3.

حقوقها على وجه القهر لها، وقال ابن عباس: لا تقهروهن ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ يعني: الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها، ولها عليه مهر، فيضرها لتفتدي به نفسها، وهذا هو الصواب وعليه الأكثر واختاره ابن جرير ⁽²⁾.

وقوله ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ قال الجمهور: يعني بذلك الزنا ⁽³⁾، أي: أنها إذا زنت فلك أن تسترجع منها الصداق الذي أعطيتها، وتضاجرها حتى تتركه لك، وعن بعضهم: أن المراد النشوز والعصيان ⁽⁴⁾، وعند ابن جرير: أنه يعم ذلك كله الزنا والنشوز والعصيان، فإن هذا كله يبيح مضاجرتها حتى تهبه حقها أو بعضه فيفارقها ⁽⁵⁾.

وقوله ﴿وَعَاثِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم بحسب قدرتكم، من الإجمال والمبيت والنفقة ⁽⁶⁾، وقد قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله»، وفي رواية «لأهلي» رواه الترمذي ⁽⁷⁾ والدارمي ⁽⁸⁾.

ومن أخلاقه ﷺ مع أهله أنه كان جميل العشرة دائم البشر، يُداعب أهله، ويتلطف بهن، ويوسع النفقة عليهن، ويُضاحكهن، وكان يسابق عائشة تودُّداً إليها بذلك، كما هو مبين في الصحاح والسنن ⁽⁹⁾.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5035] 3/903.

(2) ينظر: جامع البيان 8/111.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8897] 8/116.

(4) كابن بشير الأزدي. ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/364.

(5) ينظر: جامع البيان 6/534.

(6) ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/242.

(7) أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب المناقب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ب: في فضل أزواج النبي ﷺ [3895] 5/709.

(8) ينظر: مسند الدارمي لأبي محمد الدارمي، دار المغني للنشر والتوزيع - السعودية، ط: 1 - 1412 هـ، ك: النكاح، ب: في حسن معاشره النساء [2260] 2/212.

(9) ينظر: سنن أبي داود 3/29، و السنن الكبرى 8/178.

وقوله ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ الآية، أي: فعسى أن يكون صبركم على إمساكمهن، مع كراهتهن، فيه خير كثير لكم في الدنيا والآخرة، كما قال ابن عباس: هو أن يعطف عليها، فيترزق منها ولداً، ويكون فيه خير كثير⁽¹⁾، وفي الحديث الصحيح «لا يَفْرَكُ مؤمن مؤمنة، إن سَخِطَ منها خُلُقًا رضي منها آخر»⁽²⁾.

وقوله ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي: إذا أراد أحدكم أن يفارق امرأة، ويستبدل مكانها أخرى، فلا تأخذن مما كان أصدق الأول شيئاً، ولو كان قنطاراً، أي: مالا كثيراً، لا يكاد يحصر، وفيه جواز الإصداق بالمال الكثير، وقد كان عمر ابن الخطاب نهى عن كثرة الإصداق، ثم رجع عن ذلك بعد أن عارضته امرأة من قريش، فقالت يا أمير المؤمنين: نهيت النساء عن المغالاة في صداقهن، وقد قال الله تعالى ﴿وَعَاتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ الآية، فقال عمر: اللهم اغفر، أكل الناس أفقه من عمر!، ثم رقي المنبر، فقال أيها الناس: إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صداقهن على أربعمئة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب، فمن طابت نفسه فليفعل، إسناده جيد قوي⁽³⁾، ثم إن عمر قد عمل بخلاف ما نهى عنه أولاً، فإنه أصدق أم كلثوم بنت علي ابن أبي طالب من فاطمة⁽⁴⁾ أربعين ألفاً، إكراماً لها، وعلى ذلك كان عمل الناس فيما بعد، لما فتح عليهم الفتوح.

وقوله ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: وكيف تأخذون الصداق من المرأة وقد أفضت إليها وأفضت إليك؟ والمراد به الجماع، وفي سنن أبي داود عن بصرة بن أبي بصرة⁽⁵⁾ «أنه

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5045] 3/905.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الرضاع، ب: الوصية بالنساء [1469] 2/1091.

(3) ينظر: المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي لأبي الحسن الهيثمي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان [757] 2/335.

(4) ينظر: مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب⁽⁶⁾ وأقواله في باب العلم لإسماعيل بن كثير الشافعي، دار الوفاء - المنصورة، ط: 1-1411هـ/392.

(5) هو: بصرة بن جميل بن بصرة بن وفاض وعرف أبوه بأبي بصرة. له وأبيه صحبة. روى عن: النبي ﷺ حديثاً واحداً لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.. ينظر: الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة لمحمد التلمساني، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع - الرياض، ط: 1 - 1403هـ/163، و تهذيب التهذيب 1/473.

تزوج امرأة بكرا في خدرها، فإذا هي حبلى من الزنا، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، ففضى لها بالصداق وفرق بينهما، وأمر بجلدها، وقال: الولد عبد لك والصداق في مقابله البضع»⁽¹⁾.

وقوله ﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ عن ابن عباس وغيره، أن المراد بذلك العقد، وعنه أيضا إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وعن بعض التابعين هو قوله «أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله». كما في صحيح مسلم عن جابر في خطبة حجة الوداع⁽²⁾ فإن كلمة الله [هي]⁽³⁾ التشهد في الخطبة.

وقوله ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ الآية، حرم الله تعالى زوجات الآباء على الأبناء تكرامة لهم، واحتراما أن يوطئ من بعده، حتى أنها محرّم على الابن لمجرد العقد عليها، وهذا أمر مجمع عليه، قال الأشعث بن سوار⁽⁴⁾: «توفي أبو قيس وكان من صالح الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأة أبيه، على عادة أهل الجاهلية، وقالت: إني اتخذتك ولدا، وأنت من صالحى قومك، ولكنى آتى رسول الله ﷺ أستأمره، فأنت فأخبرته، فأنزل الله هذه الآية» رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾، وعن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يجرمون ما حرّم الله إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين، فأنزل الله هذه الآية⁽⁶⁾، فهو حرام في هذه الأمة، مُشَنع غاية التشنيع.

وقوله ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: لكن ما مضى في الجاهلية فهو معفو عنه، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ أي: من أقبح المعاصي، والمقت: أشد البغض، أي: هو أمر كبير في نفسه، ويؤدي إلى مقت

(1) أخرجه أبو داود في سننه، ك: النكاح، ب: في الرجل يتزوج المرأة فيجدها حبلى [2131] 2/241.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحج، ب: حجة النبي ﷺ [1218] 2/886.

(3) سقط من المخطوط.

(4) هو: أشعث بن سوار الكندي الثقفي، مولى لهم، وكان يعالج الخشب، اشتهر بالتبوتى نسبة إلى عمل التبوت، روى عن: الحسن البصري والشعبي وعدي بن ثابت وغيرهم، وروى عنه: شعبة والثوري وهشيم وغيرهم، قال النسائي والدارقطني: ضعيف، توفي سنة 248هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 356/6، واللّبَاب في تهذيب الأنساب 203/1.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5073] 3/909.

(6) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد 22/2.

الابن أباه بعد أن يتزوج بامرأته، لما علم بالتجربة، ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: بس طريقا لمن سلكه من الناس، فمن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه، يقتل ويصير ماله لبيت المال، عن البراء بن عازب⁽¹⁾ قال: «مرّ بي عمي ومعه لواء قد عقده له النبي ﷺ فقلت له: أيعم، أين بعثك رسول الله ﷺ؟ قال: بعثني إلى رجل تزوج امرأة أبيه وأمرني أن أضرب عنقه» رواه أحمد⁽²⁾.

وقد أجمعوا على تحريم موطوءة الأب، بتزويج أو ملك، أو شبهة أيضا فمن باشرها الأب بشهوة دون الجماع، أو نظر إلى فرجها، فعند أحمد أنها تحرم على الابن أيضا⁽³⁾، وعند آخرين لا يحرم لكن مكروه.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْأَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَاتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾⁽⁴⁾

في الآية الكريمة تحريم المحارم من النسب، وما يتبعه من الرضاة ومن المحارم بالصهر، قال ابن عباس: يحرم من النسب سبع، ومن الصهر سبع، ثم قرأ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾

(1) سبق ترجمته.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [18557] 526 / 30.

(3) ينظر: المغني لابن قدامة 3 / 7.

(4) سورة النساء، الآيتان (23 - 24).

إلى قوله ﴿وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ فهذا النسب⁽¹⁾، واستدل الجمهور على تحريم المخلوق من الماء الزاني عليه بعموم قوله ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ فإنها بنت، كما هو مذهب الأئمة الثلاثة⁽²⁾، وعن الشافعي في إباحتها قول؛ لأنها ليست بنتاً شرعية، وكما لا تترث بالإجماع لا تدخل في هذه⁽³⁾.

وقوله ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ أي: كما تحرم عليك أمك التي ولدتك، كذلك أمك التي أرضعتك، كما في الصحيحين عن عائشة أن الرسول ﷺ قال: «إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة»⁽⁴⁾.

وفي لفظ لمسلم «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب»⁽⁵⁾.

واختلفوا في عدة الرضعات المحرمة⁽⁶⁾، والصحيح من مذهب الشافعي أنه لا يحرم في أقل من خمس رضعات، كما هو مبين في كتب الفقه⁽⁷⁾ لما قالت عائشة: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من، ثم ينسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهي فيما يقرأ من القرآن» رواه مسلم⁽⁸⁾.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8945] 8/140.

(2) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لأبي بكر الحنفي، دار الكتب العلمية، ط: 2 - 1406هـ/2/8257.

(3) ينظر: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي لأبي الحسن البغدادي الماوردي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1419هـ/9/218.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الشهادات، ب: الشهادات على الأنساب، والرضاع المستفيض، والموت القديم [2646] 3/170، ومسلم في صحيحه، ك: الرضاع، ب: يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة [1444] 2/1068.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الرضاع، ب: تحريم الرضاعة من ماء الفحل [1445] 2/170.

(6) ينظر: بستان الأخبار مختصر نيل الأوطار لفيصل النجدي، دار إشبيليا للنشر والتوزيع - الرياض، ط: 1 - 1419هـ/2/322.

(7) ينظر: الأم 5/29.

(8) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الرضاع، ب: التحريم بخمس رضعات 2/1075.

وقوله ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ أما أم فإنها تحرم بمجرد العقد على ابنتها، سواء دخل بها أم لا⁽¹⁾ يدخل، وأما الربيبة فهي بنت المرأة فلا تحرم بمجرد العقد على أمها حتى تدخل بها، فإن طلق الأم قبل الدخول بها جاز له أن يتزوج بنتها، ولهذا قال ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: في تزويجهن، وهذا خاص بالربائب وحدهن، وقد فهم قوم عود الضمير إلى الأمهات والربائب فقالوا: لا تحرم واحدة من الأم والبنت بمجرد العقد على الأخرى حتى يدخل بها؛ لقوله ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ وهو خطأ، وعن علي عليه السلام في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها، ليتزوج أمها، قال: «هي بمنزلة الربيبة»، رواه ابن جرير⁽²⁾ وعليه جمهور، أئمة السلف والخلف، ومنهم الأئمة الأربعة، والله أعلم.

وقوله ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ الجمهور على أن الربيبة⁽³⁾ حرام، سواء كانت في حجر الرجل أم لا⁽⁴⁾، وهذا الخطاب خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، كقوله ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾⁽⁵⁾، وفي الصحيحين أن أم حبيبة قالت: «يا رسول الله أنكح أختي بنت أبي سفيان، قال: أو تحبين ذلك؟ قلت: نعم، لست لك بمخيلة، وأحب من شاركني أختي، قال: فإن ذلك لا تحل لي، قالت: فإننا نتحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، قال: بنت أم سلمة؟ قلت: نعم، قال: إنها لو لم تكن ربيبتني في حجري، ما حلت لي إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثوبة، فلا تعرضن علي بناتكن، ولا أخواتكن»⁽⁶⁾، وفي رواية للبخاري «إني لو لم أتزوج أم سلمة ما حلت

(1) سقط من المخطوط.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [8952] 8/145.

(3) هي: بنت الزوجة، قال الأزهرى: ربيبة الرجل: بنت امرأته من غيره، ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد الحسيني، دار الهداية/2/468.

(4) ينظر: اختلاف الأئمة العلماء، ليحيى الشيباني، دار الكتب العلمية - لبنان، بيروت، ط: 1 - 1423 هـ/2/141.

(5) سورة النور، الآية (33).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: النكاح، ب: قوله تعالى ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [5101] 9/7، ومسلم في صحيحه ك: الرضاع، ب: تحريم الربيبة وأخت المرأة [1449] 2/1072.

(1) لي» ، فجعل مناط التحريم مجرد تزويجه وأم سلمة، وحكم بالتحريم لذلك، وهذا مذهب الأئمة الأربعة وخالفهم داوود الظاهري واعتبر مفهوم قيد ﴿فِي حُجُورِكُمْ﴾ وحكاها الرافعي عن مالك⁽²⁾ أيضاً، وأما الربيعة في ملك اليمين فلا خلاف بينهم أنه لا يحل لأحد أن يطاء امرأة وبناتها من ملك اليمين، لأن الله حرم ذلك في النكاح، وملك اليمين يتبع له⁽³⁾.

وقوله ﴿الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ الصحيح أن المراد هنا الوطاء، والوصول إليها بالجماع، وقوله ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ أي: حرمت عليكم زوجات أبنائكم الذين ولدتموهن من أصلابكم، يحترز بذلك عن أدياء الذين كانوا تبوهم في الجاهلية، كما في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطْرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾⁽⁴⁾ قال الحسن وغيره: إن هذه الآيات مُبهمات ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ أي: عامة في المدخول بها⁽⁵⁾ فتحرم بمجرد العقد عليها، وهذا متفق عليه. وحرم امرأة الابن من الرضاعة، بدليل قوله -عليه الصلاة والسلام- «يُحْرَمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرَمُ مِنَ النِّسْبِ»⁽⁶⁾.

وقوله ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: وحرّم عليكم الجمع بين الأختين معا في التزويج، وكذلك في الوطاء بملك اليمين إلا ما كان منكم في جاهليتكم، فقد عفونا عن ذلك وغفرناه، وقد أجمعوا على أنه يحرم الجمع بين الأختين في النكاح، ومن أسلم وتحتة أختان خَيْرٌ فيمسك إحداهما ويطلق الأخرى لا محالة، وعن فيروز الديلمي قال: «أسلمت

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: النكاح، ب: عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير على أهل الخير [5123] 14/7.

(2) ينظر: الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة لحسين العوايشة، المكتبة الإسلامية - عمان، الأردن، ط: 1 1423 هـ، 14429 هـ/5/77.

(3) ينظر: الأم 4/290.

(4) سورة الأحزاب، الآيتان (37).

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5095] 3/913.

(6) ينظر: الموطاء لملك بن أنس، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط: 1 - 1425 هـ، ك: الطلاق، ب: الرضاع [628] 1/211.

وعندي امرأتان أختان، فأمرني النبي ﷺ أن أطلق أحدهما» رواه أحمد⁽¹⁾ وأبو داود⁽²⁾ والترمذي وفي لفظ له فقال النبي ﷺ «اختر أيهما شئت» ثم قال: هذا حديث حسن⁽³⁾.

وأما الجمع بينهما في الوطء بملك اليمين، فحرام أيضا؛ لعموم الآية، وعليه الجمهور والأئمة الأربعة⁽⁴⁾، وقد توقف بعض السلف في ذلك، فلا يُعتدُّ به، وقال ابن مسعود: «يحرم من الإماء ما يحرم من الحرائر إلا العدد»، رواه أحمد⁽⁵⁾.

وقوله ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي: وحرم عليكم من الأجنبية المحصنات وهن الزوجات ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: الغماء المملوكات بالسبا وغيره، فإنه يحل لكم وطؤهن إذا استبرئتموهن، فإن الآية نزلت في ذلك، عن أبي سعيد الخدري قال: «أصبنا نساء من بني سبئ أوطاس، وهن أزواج، فكرهنا أن نقع عليهن وهن أزواج، فسألنا النبي ﷺ فنزلت هذه الآية، ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قال: فاستحللنا بها فزوجهن» رواه أحمد⁽⁶⁾ ومسلم⁽⁷⁾ والنسائي⁽⁸⁾ والترمذي⁽⁹⁾، وذهب جماعة من السلف كابن مسعود وابن عباس إلى أن بيع الأمة يكون طلاقا لها من زوجها، أخذا بعموم هذه

(1) أخرجه أحمد في مسنده [18041] 577/29.

(2) أخرجه أبو داود بلفظ "طلق أيتها شئت" ك: الطلاق، ب: من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع أو أختان [2243] 272/2.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، ك: النكاح، ب: ما جاء في الرجل يسلم وله أختان [1129] 428/3.

(4) ينظر: الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزري، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 2-1424هـ/4/42.

(5) ينظر: السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 3-1424هـ، ك: النكاح، ب: ما جاء في تحريم الجمع بين الأختين وبين المرأة وابتها في الوطء بملك اليمين [13929] 264/7.

(6) أخرجه أحمد في مسنده [11691] 224/18.

(7) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الرضاع، ب: جواز وطء المسبية بعد الاستبراء، وإن كان لها زوج وانفسخ نكاحها بالسبي [1456] 2/1080.

(8) أخرجه النسائي في سننه، ك: النكاح، ب: تأويل قوله تعالى ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [5467] 211/5.

(9) أخرجه الترمذي فس سننه، ك: النكاح. ب: ما جاء في الرجل يسبي الأمة ولها زوج هل يحل أن يطأها [1132] 429/2.

الآية⁽¹⁾، قال ابن عباس: طلاق الأمة خمسة: بيعها: طلاقها، وعتقها: طلاقها، وسببها: طلاقها، وبراءتها: طلاقها، وطلاق: زوجها طلاقها⁽²⁾، وعليه بعض السلف والجمهور قديما وحديثا، بخلافهم في البيع بأنه ليس بطلاق، لأن البائع خرج عن ملكه، فأما منفعة بُضعها فهي للزوج لا له، ودليل ذلك حديث بريدة حيث اشترتها عائشة وأعتقتها ولم ينفسخ نكاحها من زوجها مُغيث، بل خيرها رسول الله ﷺ بين الفسخ والبقاء، فاختارت الفسخ، وقصتها مشهورة⁽³⁾، فلو كان بيع الأمة طلاقها، لما خيرها النبي ﷺ، وأن المراد من الآية المسييات فقط⁽⁴⁾، وقيل: المراد بهن العفائف حرام عليكم حتى تملكوا عصمتهم بنكاح وشهود ومهور وولي واحدة وثنتين أو ثلاث أو أربع⁽⁵⁾، وقال عمر و عبيدة: أيما عد الأربع حرام عليكم إلا ما ملكت أيمنكم⁽⁶⁾.

وقوله ﴿كِتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: هذا التحريم كتاب الله عليكم، فالزَمُوا كتابه ولا تخرجوا عن حدوده، ولازموا شرعه وما فرضه، فلا تجاوزوا عن أربع، ولا تباشروا ما حرم عليكم.

قوله ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أي: ما عدا ما ذكرت من المحارم، هن لكم حلال، قاله: عطاء وغيره⁽⁷⁾، وقيل معنى ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وهي هذه الآية التي احتج بها من احتج على تحليل الجمع بين الأختين في ملك اليمين، وهي أحد الآيتين اللتين قيل أحلتها آية وحرمتها آية⁽⁸⁾.

(1) ينظر: تفسير عبد الرزاق 1/445.

(2) ينظر: جامع البيان 8/157.

(3) أخرجه مالك في موطنه. ك: العتق والولاء، ب: مصير الولاء لمن أعتق [6393] 5/1134.

(4) ينظر: تفسير مجاهد 1/271.

(5) ينظر: زاد المسير في علم التفسير 1/391.

(6) ينظر: جامع البيان 8/188.

(7) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 2/36.

(8) ينظر: فهم القرآن ومعانيه للحارث بن أسد المحاسبي، دار الكندي، دار الفكر - بيروت، ط: 2-1398 هـ.

416/1.

وقوله ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ أي: تحصلوا بأموالكم من الزوجات إلى أربع أو السّراري ما شتم بالطريق الشرعي؛ ولهذا قال ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ﴾ أي: غير زانين، مأخوذ من سفح الماء، وهو صبّه يعني المنى، وقوله ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ أي: كما تستمتعون بهن فاتوهن أجورهن - يعني الصداق - مقابلة ذلك، كقوله ﴿وَعَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ وقد استدلوا بعموم هذه الآية على جواز نكاح المتعة⁽¹⁾، ولا شك أنه كان مشروعاً في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بعد ذلك⁽²⁾، ومذهب الشافعي وطائفة أنه أبيع ثم نسخ يعني في خير، ثم أبيع أي في حين ضرورة، ثم نسخ إلى الأبد، والجمهور على حرمة، لما ثبت في الصحيحين عن علي - رضي الله عنه - قال: «نهى النبي ﷺ عن نكاح المتعة، وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خير»⁽³⁾، وفي مسلم «عن سبرة بن معبد الجهني⁽⁴⁾ أنه غزا مع رسول الله ﷺ فتح مكة، فقال: يا أيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع بالنساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخلّ سبيله، ولا تأخذوا مما آتيموهن شيئاً»⁽⁵⁾.

وقوله ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ﴾ من حمل الآية على نكاح المتعة إلى أجل مسمى، قال: أي: لا جناح عليكم إذا انقضى الأجل أن يتراضوا على زيادته وزيادة الجعل⁽⁶⁾، قال السدي: إن شاء أرضاها من بعد الفريضة الأولى، يعني الأجر الذي أعطها على متعته

(1) هو: نكاح لأجل مؤقت كيومين أو ثلاثة أو شهر أو غير ذلك، وقد أجمع العلماء على تحريمه ولا يجير نكاح المتعة اليوم إلا الرافضة، ولا معنى لقول يخالف الكتاب والسنة ينظر: الروضة الندية لأبي الطيب القنوجي، دار المعرفة 2/164، و الإشراف على مذاهب العلماء لأبي بكر بن المنذر، مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة - الإمارات، ط: 1 1425هـ/5/72.

(2) ينظر: الدر المنثور 2/485.

(3) أخرجه النسائي، ك: الصيد والذباح، ب: تحريم أكل لحوم الأهلية [4827] 4/484.

(4) هو: سبرة بن معبد بن حرملة الجهني، أبو الربيع روى عن: النبي ﷺ وعمر بن مرة الجهني، وروى عنه: ابنه الربيع في المتعة، وكان له دار بالمدينة في جهينة، توفي في خلافة معاوية في حدود الستين من الهجرة، ينظر: الطبقات الكبرى 4/348، تهذيب الكمال في أسماء الرجال 10/203، و الوافي بالوفيات 15/70.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: النكاح، ب: نكاح المتعة، وبيان أنه أبيع، ثم نسخ، ثم أبيع، ثم نسخ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة [1406] 2/1025.

(6) ما جعله له على عمله وهو أعم من من الأجرة والثواب، ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس 28/209.

بها قبل انقضاء الأجل بينهما، فقال أشفع منك أيضا بكذا وكذا، فإذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل، وهي منه بريئة وعليها أن تستبرئ ما في رحمها، وليس يرث واحد منهما صاحبه، ومن قال بالقول الأول وهو النكاح الصحيح، قال: المراد به الإبراء عن المهر، والافتداء والاعتياض، أي: إذا فرضت لها صداقا فابرائك عنه، أو عن أي شيء منه، فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك، قال ابن زيد⁽¹⁾: أيان وضعت لك منه شيئا فهو لك سائغ⁽²⁾، قال ابن عباس: التراضي أن يوفيهها صداقها، ثم يخيّرهما يعني في المقام أو الفراق⁽³⁾.

قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يناسب ذكر هذين الوضعين بعد شرع هذه المحرمات العظيمة.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأَدْنِ أَهْلِهِنَّ وَعَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْلِفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَحْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أَتَيْتُمْ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ حَثَىٰ أَلْعَنَتْ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁽⁴⁾

أي: من لم يجد سعة وقدرة لنكاح الحرائر العفائف المؤمنات، وقيل: الطول: الهواء⁽⁵⁾، يعني ينكح الأمة إذا كان هواه فيها، وهذا بشرط عجزه عن القدرة على نكاح الحرة.

(1) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، مولى عمر بن الخطاب، هو صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، روى عن: أبيه وابن المنكدر وأبي حازم سلمة بن دينار وغيرهم، روى عنه: أصبغ بن فرج وقتيبة وهشام بن عمار وغيرهم، قال عنه أبو طالب عن أحمد بن حنبل: ضعيف، توفي سنة 182 هـ، ينظر: طبقات المفسرين للأذنه وي، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال 114/17، وتهذيب التهذيب 6/177.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9032] 8/176.

(3) أخرجه ابن منذر في تفسيره [1599] 2/646.

(4) سورة النساء، الآية (25).

(5) أخرجه ابن وهب في تفسيره [168] 2/89.

وقوله ﴿مِن فَتَيَاتِكُمْ﴾ أي: فتزوجوا من الإماء المؤمنات، اللاتي يملكنّ المؤمنون⁽¹⁾، كذا قال السدي ومقاتل بن حيان⁽²⁾، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ أي: هو العالم بحقائق الأمور وسرائرها، وإنما لكم الظاهر في الأمور، وكلكم من نفس واحدة وإخوة لبعض، ثم قال ﴿فَأَنْكَحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ فيه أن السيد وليّ أمته لا تزوّج إلا بإذنه، وكذا هو ولي عبده، ليس لعبده أن يتزوج بغير إذنه، لما جاء في الحديث «أَيُّمَا عَبْدٍ تَزَوَّجَ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلِيهِ فَهُوَ عَاهِرٌ»⁽³⁾، أي: زان. فإن كان مالك الأمة امرأة زوّجها وليها بإذنها، كما جاء في الحديث «لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج نفسها، فإن الزانية هي التي تزوج نفسها»⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَعَاثُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي: ادفعوا إليهنّ مهورهنّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: من طيب نفسك، ولا تبخسوهنّ منه شيئاً استهانة بهنّ، لكونهنّ إماء مملوكات، وقوله ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ أي: عفاف عن الزنا ﴿غَيْرِ مُسْلِفَاتٍ﴾ أي: الزواني اللاتي لا يمتنعن عن أحد أرادهنّ بالفاحشة، ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ يعني أخلاء الصدايق نهى الله عن تزويجها ما دامت كذلك.

وقوله ﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ﴾ قرئ بضم الهمزة وكسر الصاد مجهولاً، وقرئ بفتحها مرفوعاً لازماً⁽⁵⁾، وقيل معنى القراءتين واحد على قولين، أحدهما: أن الإحصان هنا الإسلام، وهذا قول أكثر الصحابة والتابعين، وعليه الشافعي استدلالاً وإجماعاً الأكثر⁽⁶⁾، وقال

(1) ينظر: جامع البيان 8/185.

(2) هو: مقاتل بن حيان بن دوال النبطي، أبوسطام البلخي، مولى بكر بن وائل، الإمام، المحدث، الثقة، روى عن: الشعبي ومجاهد والضحاك وغيرهم، وروى عنه: شيخه علقمة بن مرتد وبكير بن معروف وإبراهيم بن أدهم وغيرهم، قال يحيى بن معين: ثقة، وقال أبو داود: ليس به بأس، توفي في حدود الخمسين ومائة، ينظر: سير أعلام النبلاء 6/340، وتهذيب التهذيب 10/277.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، ك: النكاح، ب: في نكاح العبد بغير إذن سيده [2078] 2/228.

(4) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: النكاح، ب: لا نكاح إلا بولي [1882] 1/606.

(5) قرأ أبو بكر وحمة والكسائي بفتح الهمزة والصاد، وقرأ الباكون بضم الهمزة وكسر الصاد، ينظر: التيسير في القراءات السبع 1/95.

(6) ينظر: تفسير الإمام الشافعي لأبي عبد الله الشافعي، دار التدمرية - السعودية، ط: 1 - 1427هـ/2/586.

القاسم وسالم: إحصانها: إسلامها وعفافها⁽¹⁾ ، وقيل: المراد هاهنا التزويج، وهو قول ابن عباس وبعض التابعين⁽²⁾ ، وقال مجاهد: إحصان العبد أن تنكح الحرة، وإحصان الأمة أن ينكحها الحرُّ، وهكذا عن ابن عباس⁽³⁾ ، وقال الشعبي والنخعي: من قرأ أحصن مجهولاً، فمراده التزويج، ومن قرأ معروفًا، فمراده الإسلام، واختاره ابن جرير وقرَّره ونصره⁽⁴⁾ ، والظاهر: أن المراد بالإحصان هنا التزويج، لأن سياق الآية كُله في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد كما فسَّره ابن عباس ومن تبعه التزويج⁽⁵⁾ ، وعلى كل من القولين إشكال على مذهب الجمهور، لأنهم يقولون: أن الأمة إذا زنت فعليها خمسون جلدة، سواء كانت مسلمة أو كافرة مزوجة أو بكرا⁽⁶⁾ ، ومفهوم الآية يقتضي أنه لا حد على غير المحصنة ممن زنا من الإماء، والجواب من وجهين، قال الجمهور: الاعتبار بالمنطوق⁽⁷⁾ وقد وردت أحاديث عامة في إقامة الحد على الإماء، فمنها عن علي بن أبي طالب «ﷺ أنه خَطَبَ فقال: يا أيها الناس، أقيموا على أرقائكم الحدَّ من أحصنَ منهم ومن لم يُحصنَ، فإن أمة لرسول الله ﷺ زنت فأمرني أن أجلدها، فإذا هي حديث عهد بنفاس، فخشيت إن أنا جلدتها أن أقتلها، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: أَحَسَّنْتَ، أتركها حتى تمَّأتل» رواه مسلم⁽⁸⁾ ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا زنت أمة أحدكم فتيبن زناها، فليجلدها الحد ولا يثرب عليها، ثم إن زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها، ثم إن زنت الثالثة فتيبن زناها، فليبيعها ولو بجبل من شعر»⁽⁹⁾ ، والثاني فيهما

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 3/923.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9102] 8/202.

(3) ينظر: جامع البيان 8/202.

(4) ينظر: المصدر السابق 8/198.

(5) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن 1/600.

(6) الأحكام في أصول الأحكام 1/131.

(7) ينظر: الرسالة للإمام الشافعي 1/133.

(8) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحدود، ب: تأخير الحد على النفساء [1705] 3/1330.

(9) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: البيوع، ب: بيع العبد الزاني [2152] 3/71، و مسلم في صحيحه، ك:

الحدود، ب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى [1703] 3/1328.

أيضا « أن رسول الله ﷺ سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن، قال: إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها ثم يبيعوها ولو بضيفير»⁽¹⁾ وهو الحبل، قالوا ولم يوقت في الحديث عددا كما وقت في المحصنة في القرآن بنصف ما على المحصنات من العذاب، فوجب الجمع بين الآية والحديث بذلك، والله أعلم.

وقوله ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَثِيَ أَلْعَنَتْ مِنْكُمْ﴾ أي: إنما يباح نكاح الإماء بالشروط المتقدمة، لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا، وشق عليه الصبر على الجماع، وله حينئذ أن يتزوج بالأمة⁽²⁾.

وقوله ﴿وَأَنْ تَصِيرُوا﴾ أي: وإن تعفوا وتركوا تزويجها وتجاهدوا أنفسكم فهو خير لكم؛ لئلا توقعوا الأولاد الحاصلة منها في الرق، ومن هذه الآية استدلوا على جواز نكاح الإماء مع العجز عن طول الحرائر، ومع خوف العنت؛ لما في نكاحهن من مفسدة رق الولد، والدناءة من العدول عن الحرائر إليهن.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا^(٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا^(٢٨)⁽³⁾

أي: يريد الله أن يبين لكم -أيه المؤمنون- فيما أحل لكم وحرّم عليكم، مما تقدم ذكره في هذه السورة وغيرها ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ويُرشدكم إلى طرائقكم الحميدة، في اتباع شرائعها التي يجبها ويرضاها، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يتجاوز عنكم، وقيل: يوفقكم للتوبة من المآثم والمحارم⁽⁴⁾، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ في شرعه وقدره، ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله وأقواله.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: البيوع، ب: بيع العبد الزاني [2153] 71/3، ومسلم في صحيحه، ك: الحدود، ب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى [1703] 1329/3.

(2) ينظر: الإشراف على مذاهب العلماء 127/5.

(3) سورة النساء، الآيات (26-28).

(4) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 280/3.

وقوله ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ أي: ومن اتباع الشياطين من أهل الكتاب والزناة، ﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ من الحق إلى الباطل ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ بإتيانكم ما حرم عليكم، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّعَ عَنْكُمْ﴾ أي: في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقرر لكم؛ ولهذا أباح نكاح الإماء بشروطه، ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ فيناسب التخفيف لضعفه في نفسه وفي عزمه وفي سمته، وقيل: ضعيفاً في أمر النساء⁽¹⁾، بحيث يذهب عقله عندهن.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوْنَا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾⁽²⁾

إن الله ينهى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ أي: بأنواع المكاسب التي هي غير مشروعة كالربا والقمار، وما يجري مجراها من سائر صنوف الحيل، وإن كان في لباس الشرع ظاهراً مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا، كما قال ابن عباس - في الرجل - يشري ثوباً إن رضيته أخذته، وإلا رددته ورددت معه درهماً، هو الذي قال الله ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ وقال ابن مسعود: هي آية محكمة لا تنسخ إلى يوم القيامة⁽³⁾.

وقوله ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ قرئ تجارة بالرفع⁽⁴⁾، والنصب هنا استثناء منقطع، كأنه يقول لا تتعاطوا الأسباب المحرمة، في اكتساب الأموال لا التجارة المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فافعلوها، وبهذه الآية احتج الشافعي على أنه

(1) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [553] 1/ 447.

(2) سورة النساء، الآيات (29-31).

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [1701] 1/ 320.

(4) ينظر: السبعة في القراءات 1/ 231.

لا يصح البيع إلا بالقول⁽¹⁾ لأنه يدل على التراضي نصًّا، بخلاف المعاطة⁽²⁾ فإنه قد لا يدل عليه ولا بدّ منه، وخالفه الجمهور من الأئمة الثلاثة وموافقيهم، فرأوا أن الأقوال كما تدل على التراضي، فكذلك الأفعال تدل في بعض المحالّ قطعاً، وصححوا بيع المعاطة قطعاً، وهو قول في مذهب الشافعي⁽³⁾، ومن تمام التراضي إثبات خيار المجلس بعد العقد، كما في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «البيعان بالخيار، ما لم يتفرقا»⁽⁴⁾، ومنه أيضاً خيار الشرط بعد العقد إلى ثلاثة أيام، كما هو متفق عليه بين العلماء⁽⁵⁾.

وقوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: بارتكاب محارم الله، وتعاطي معاصيه، وأكل أموالكم بينكم بالباطل، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ أي: فيما أمركم به ونهاكم عنه، وقيل: أراد به قتل المسلم نفسه⁽⁶⁾، كما في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجاء بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسهم، فسمه في يده، يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»⁽⁷⁾ وفيهما أيضاً أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «من قتل نفسه بشيء عُدّب به يوم القيامة»⁽⁸⁾، ولهذا قال

(1) ينظر: الحاوي الكبير 5/56.

(2) هو: أن يتفق المتعاقدان على ثمن ومثمن ويعطيا منغير إيجاب ولا قبول، ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته 9/5.

(3) ينظر: المجموع شرح المهذب لأبي زكريا النووي، دار الفكر 9/162.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: البيوع، ب: إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا [2079] 58/2.

(5) ينظر: التنف في الفتوى لأبي الحسن السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1404هـ 1/446.

(6) ينظر: تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد الإيجي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1424هـ 1/349.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الطب، ب: شرب السم والدواء به وبما يُخاف منه والخبث [5778] 139/7، و مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عُدّب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة [109] 103/1.

(8) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب، ب: ما ينهى من السباب واللعان [6047]، و مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عُدّب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة [110] 104/1.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوًا وَظُلْمًا﴾ أي: ومن يتعاط ما نهاه الله متعدياً فيه، ظلماً في تعاطيه، أي: عالماً بتحريمه، متجاسراً على انتهاكه، ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا﴾ أي: ندخله في الآخرة ناراً، وأيّ نار ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: هيناً، وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، فليحذر منه كل عاقل، ممن ألقى السمع وهو شهيد.

وقوله ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: إذا اجتنبتكم كبائر الآثام التي نهيتم عنها، كفرنا عنكم صفائر الذنوب، وتجاوزنا لكم عنها، وأدخلناكم الجنة؛ ولهذا قال ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ أي: حسناً، في مسند أحمد عن سلمان الفارسي⁽¹⁾ قال: «قال لي النبي ﷺ: أتدري ما يوم الجمعة؟ قلت: هو اليوم الذي جمع الله فيه آباءكم، قال: لكني أدري ما يوم الجمعة، لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره⁽²⁾، ثم يأتي الجمعة فينصت، حتى يقضي الإمام صلاته، إلا كانت كفارة له ما بينه وما بين الجمعة المقبلة، ما اجتنبت الكبائر»⁽³⁾، وروى البخاري نحوه⁽⁴⁾.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة قال: «خطبنا رسول الله ﷺ يوماً فقال: ما من عبد يُصلي الصلوات الخمس، ويصم رمضان، ويخرج الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع، إلا فتحت له أبواب الجنة، ثم قيل له ادخل الجنة بسلام» رواه النسائي⁽⁵⁾ والحاكم في مستدرکه⁽⁶⁾.

(1) هو: سلمان الفارسي، صحابي، مولى رسول الله ﷺ، يعرف بسلمان الخير، سئل عن نسبه فقال: أنا سلمان الإسلام، أصله من فارس من زامهرمز، وكان اسمه قبل الإسلام ماباً بن بوذخشان، دخل دين الإسلام بعد تقصص عن الحقيقة، كان ينسج الخوص ويأكل الشعير من كسب يده، توفي سنة 35هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 41/4، وأسد الغابة 2/510، والأعلام 3/111.

(2) وردت بفتح الطاء وذلك على السنة الفقهاء، وبالضم وذلك من مسموعي من أهل الإتيقان وهو الصحيح؛ لأن الطهور بالضم الطهارة، بالفتح اسم ما يتطهر به، ينظر: طلبة الطلبة لعمر بن محمد النسفي، المطبعة العامرة، مكتبة المثني - بغداد، 1311هـ 2/1.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [23718] 39/123.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجمعة، ب: الدهن للجمعة [883] 2/3.

(5) أخرجه النسائي في سنته، ك: الزكاة، ب: وجوب الزكاة [2230] 3/6.

(6) أخرجه الحاكم في مستدرکه، ك: الصلاة، ب: في فضل الصلوات الخمس [719] 1/316.

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: «خطبنا رسول الله ﷺ قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»⁽¹⁾، وفيهما أيضا عن أنس بن مالك قال: «ذكر رسول الله ﷺ الكبائر - أو سئل عن الكبائر - فقال: الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور أو شهادة الزور»⁽²⁾، وعن ابن مسعود قال: الكبائر من أول سورة النساء، إلى ثلاثين آية منها، ثم تلا ﴿إِن مَّجْتَبِئُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾⁽³⁾ وقيل لابن عباس: الكبائر سبع؟ قال: إلى سبعين أقرب⁽⁴⁾، وفي رواية أن رجلا قال لابن عباس: كم الكبائر سبع؟ قال: إلى سبعمائة أقرب، غير أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار، وقال: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب⁽⁵⁾.

وفي هذا الباب أحاديث وأقوال كثيرة.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» رواه أبو داود⁽⁶⁾ والترمذي وقال: حديث حسن صحيح⁽⁷⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الوصايا، ب: قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [2766/4/10]، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: بيان الكبائر وأكبرها [89/92/1].

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب، ب: عقوق الوالدين من الكبائر [5977/8/4]، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: بيان الكبائر وأكبرها [88/92/1].

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9168/8/233].

(4) ينظر: تفسير المراغي لأحمد المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ط: 1 - 1365 هـ. 21/5.

(5) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه لأبي محمد القرطبي المالكي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - الشارقة، ط: 1 - 1429 هـ. 1303/2.

(6) أخرجه أبو داود في سننه، ك: السنة، ب: في الشفاعة [4739/4/236].

(7) أخرجه الترمذي في سننه، ك: صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله ﷺ، ب: منه [2435/4/203].

واختلف علماء الأصول والفروع في حد الكبيرة، فمن قائل: هي ما عليه حد في الشرع، ومنهم من قال: هي ما عليه وعيد بخصوصه، وقيل غير ذلك⁽¹⁾، قال الإمام أبو القاسم الرافعي في كتاب الشهادات منه: ثم اختلف الصحابة فمن بعدهم في الكبائر، وفي الفرق بينها وبين الصغائر⁽²⁾، وللأصحاب في تفسير الكبيرة وجوه⁽³⁾، أحدها: أنها المعصية الموجبة للحد، والثاني: أنها المعصية التي تلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص الكتاب والسنة، وهذا أكثر ما يوجد لهم، وهم إلى الأول أميل، والثاني أوفق لما ذكره عند تفصيل الكبائر، والثالث: قال إمام الحرمين⁽⁴⁾ في الإرشاد وغيره: كل جريمة تنبئ بقلة اكتراث مرتكبها بالدين، ودقة الديانة فهي مبطللة للعدالة⁽⁵⁾، والرابع: ذكر القاضي أبو سعيد الهروي⁽⁶⁾: أن الكبيرة كل فعل نصّ الكتاب على تحريمه، وكل معصية توجب في جنسها حداً من فعل أو غيره، وترك كل فريضة مأمور بها على الفور، والكذب في الشهادة، والرواية، واليمين، هذا ما ذكره على سبيل الضبط⁽⁷⁾.

(1) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج لتقي الدين السبكي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1416هـ/2/316، والتحرير شرح التحرير في الأصول الفقهية لعلاء الدين الحنبلي، مكتبة الرشد - الرياض، ط: 1 - 1421هـ/4/1878.

(2) ينظر: فتح العزيز بشرح الوجيز لعبدالكريم الرافعي، دار الفكر 6/13.

(3) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام لأبي محمد السلمي الدمشقي، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، 1414هـ/1/23.

(4) هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله السنسي، أبو المعالي الجويني، الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، صاحب التصانيف، روى عن: أبيه وأبي سعيد النصروري وأبي حسان محمد بن أحمد المزكي وغيرهم، روى عنه: أبو عبد الله الفراوي وزاهر الشحامي وأحمد السجدي وغيرهم، قال أبو سعيد السمعاني: كان أبو المعالي إمام الأئمة على الإطلاق، مجتمعا على إمامته شرقا وغربا، توفي سنة 178هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء 17/14، وطبقات الشافعية الكبرى 5/165.

(5) الأشباه والنظائر لعبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1403هـ/1/386.

(6) هو: محمد بن نصر بن منصور، أبو سعد القاضي الهروي الحنفي، أحد مشاهير الفقهاء، وسادة الكبراء، وكان من قرية هراة، وكان يلقب بزین الإسلام، قدم دمشق ووعظ بها ثم توجه إلى العراق وتولى قضاء الشام وعاد إلى دمشق قاضيا، توفس سنة 519هـ، ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي، دار الكتاب العربي - بيروت، 1407هـ/35/428، و تاريخ دمشق لأبي القاسم بن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/56/107، و البداية والنهاية 16/267.

(7) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته 7/483.

ثم قال: وفصل القاضي الروياني⁽¹⁾ فقال: الكبائر سبع: قتل النفس بغير حق، والزنا، واللواط، وشرب الخمر، والسرقة، وأخذ المال غصبا، والقذف. وزاد في الشامل عليها: شهادة الزور⁽²⁾. وأضاف إليه صاحب العدة: أكل الربا، فالإفطار في رمضان بلا عذر، واليمين الفاجرة، وقطع الرحم، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والخيانة في الكيل والوزن، وتقديم الصلاة على وقتها، وتأخيرها عنه بلا عذر، وضرب المسلم بغير حق، والكذب على النبي ﷺ عمداً، وسب الصحابة، وكتمان الشهادة بلا عذر، وأخذ الرشوة، والقيادة بين الرجال والنساء، والسعاية⁽³⁾ عند السلطان، ومنع الزكاة، وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مع القدرة، ونسيان القرآن بعد تعلمه، وإحراق الحيوان بالنار، وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب، واليأس من رحمة الله، والأمن من مكره، ويقال: الوقعة في أهل العلم، وحملة القرآن، ومما يعد من الكبائر الظاهرة: وأكل لحم الخنزير، والميتة لا عن ضرورة، ثم قال الرافعي: وللتوقف مجال في بعض هذه الخصال، كقطع الرحم، وترك الأمر بالمعروف على إطلاقهما، ونسيان القرآن، وإحراق مطلق الحيوان، وقد أشار الغزالي في الإحياء إلى مثل هذا بالتوقف⁽⁴⁾، وقد جمع شيخنا أبو عبد الله الذهبي فيها ما يبلغ نحواً من سبعين كبيرة⁽⁵⁾، وإذا قيل: إن الكبيرة هي: ما توعده الشارع عليها بالنار بخصوصها، كما سبق عن ابن عباس⁽⁶⁾، وما يتبع ذلك اجتمع عليه شيء كثير، وإذا قيل: كل ما نهى الله عنه فكثير جداً، والله أعلم.

(1) هو: عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد الروياني الطبري، أبو المحاسن الشافعي، القاضي، العلامة فخر الإسلام، روى عن: أبي منصور محمد بن عبد الرحمن الطبري وأبي غانم أحمد بن علي الكراعي المروزي وعبد الصمد بن أبي نصر البخاري وغيرهم روى عنه: زاهر الشحامي وإسماعيل التيمي وأبو طاهر السلفي وغيرهم من كتبه: مناقب الشافعي، توفي سنة 501هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء 233/14، وطبقات الشافعيين لإسماعيل بن كثير، مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ 524/1، و النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب - مصر/5/197.

(2) هو:

(3) هي: الغمز ونقل الكلام للسلطان، ينظر: تاج العروس 3733/1.

(4) ينظر: إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة - بيروت 213/4.

(5) ينظر: كتاب الكبائر لشمس الدين الذهبي، دار الحديث - القاهرة، 1422هـ ص 11.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9212] 246/8.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾⁽¹⁾

قال مجاهد: «قالت أم سلمة: يا رسول الله، يغزو الرجال ولا تغزو، ولنا نصف الميراث فأنزل الله هذه الآية» رواه أحمد⁽²⁾، والترمذي⁽³⁾.

وعن ابن عباس يعني: لا يتمنى الرجل، يقول: ليت لو أن لي مال فلان وأهله، فنهى الله عن ذلك، ولكن يسأل الله من فضله⁽⁴⁾، وتابعه بعض التابعين، وهو الظاهر من الآية، ولا يرد على هذا ما ثبت في الصحيح «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق، فيقول رجل: لو أن لي مثل ما لفلان لعملتُ بمثله، فهما في الأجر سواء»⁽⁵⁾، فإن هذا شيء غير ما نهت الآية عنه، وذلك أن الحديث حصر على تمني مثل نعمة هذا، والآية نهت عن تمني عين نعمة هذا، فقال ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: في الأمور الدنيوية، وكذا في الدينية أيضا؛ لما مر آنفا.

ثم قال: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا﴾ أي: كل له جزاء على عمله بحسبه إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، وقيل: المراد بذلك في الميراث، يأكل يرث بحسبه، قاله ابن عباس⁽⁶⁾، ثم أرشدهم إلى ما يصلحهم فقال: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: لا يتمنوا كما سبق، فإن التمني لا يجدي شيئا، ولكن سلوني من فضلي أعطيكم، فإني كريم وهاب.

(1) سورة النساء، الآية (32).

(2) أخرجه أحمد في مسنده [26736] 320/44.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة النساء [3022] 87/5.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9238] 261/8.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: فضائل القرآن، ب: اغتباط صاحب القرآن [5026] 191/6.

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [1680] 677/2.

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله من فضله، فإن الله يحب من أن يُسأل، فإن أفضل العبادة انتظار الفرج» رواه الترمذي (1).

ثم قال ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: هو عليم لمن يسحق الدنيا فيعطيه منها، ولمن الفقر فيفقره، ولمن يستحق الآخرة فيقيضه لأعمالها، وبمن يسحق الخذلان فيخذه عن تعاطي الخير وأسبابه.

﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (2)

عن ابن عباس، وأكثر التابعين، ﴿مَوْلَىٰ﴾ أي: ورثة وعصبة (3). والعرب تسمي ابن العم عَصَبَةً، كما قال: الفضل ابن عباس

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا * لَا تُظْهَرَنَّ لَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا (4)

ويعني بقوله ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ من تركته والديه وأقربائه بالميراث، فتأويل الكلام: ولكلكم -أيها الناس- جعلنا عصبة ترثونه مما ترك والداه وأقربوه من ميراثهم له.

وقوله ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ والذين تحالفتم بالآيمان المؤكدة -أنتم وهم- فآتوهم نصيبهم من الميراث، كما وعدتموهم في الآيمان المغلظة، إن الله شاهد بينكم في تلك العهود والمعاهدات. وقد كان هذا في ابتداء الإسلام، ثم نسخ، وأمروا أن يوفوا بما عاهدوا، ولا يُنْشِئُوا بعد نزول هذه الآية معاقدة. وفي البخاري عن ابن عباس «﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾ قال: ورثة، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد

(1) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الدعوات عن رسول الله ﷺ، ب: في انتظار الفرج وغير ذلك [3571] 5/565.

(2) سورة النساء، الآية (33).

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5233] 3/937.

(4) ينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن الأرقم - بيروت، ط: 1 - 1420هـ / 1/439.

ذهب الميراث ويوصى له»⁽¹⁾ ، فكان الرجل قبل الإسلام يُعاقد الرجل، يقول: ترثني وأرثك، ويقال للأحياء يتخالفون، فقال رسول الله ﷺ «كلّ حلف في الجاهلية، أو عقد أدركه الإسلام، فلا يزيدُه الإسلام إلا شدة، ولا عقْد ولا حلف في الإسلام»⁽²⁾ ، وعن مسلم نحوه⁽³⁾ ، فنسختها هذه الآية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾ ، وزاد أحمد في روايته «وما يسرني أن لي حمر النعم، وإنني نقضت الحلف الذي كان في دار الندوة»⁽⁵⁾ ، وعن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: «شهدت حلف المطيين وأنا غلام مع عمومي، فما أحب أن لي حمر النعم وأنا أنكته» رواه ابن جرير⁽⁶⁾ ، وذلك نص في الرد على من ذهب إلى التورث بالحلف، كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه⁽⁷⁾ ، والصحيح قول الجمهور كما هو مقرر في المذاهب، ولهذا قال: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾ أي: ورثة من قراباته من أبويه، وأقربيه هم يرثونه دون سائر الناس، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر»⁽⁸⁾ أي: أقسموا الميراث على ذوي الفروض، فما بقي فأعطوه العصة، وقال ابن المسيب⁽⁹⁾ : أنزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبتون رجالا غير أبنائهم، ويورثونهم، فأنزل الله فيهم، فجعل

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الكفالة، ب: قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَأَنْتُمْ أَنْصِبُهُمْ﴾ [2292] 95/3.

(2) ينظر: مسند الشاميين لسليمان الطبراني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1 - 1405هـ [2411] 326/3.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: فضائل الصحابة، ب: مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه ﷺ [2529] 4/1960.

(4) سورة الأنفال، الآية (75).

(5) أخرجه أحمد في مسنده [2909] 80/5.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9296] 8/286.

(7) ينظر: المغني شرح مختصر الخرقي 6/205.

(8) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الفرائض، ب: ميراث الولد من أبيه وأمه [6732] 8/150، ومسلم في صحيحه، ك: الفرائض، ب: ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر [1615] 3/1333.

(9) هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي بن كنانة، أبو محمد، الإمام الجليل، زوجته بنت أبي هريرة، من كبار أهل العلم في الحديث والفقهاء الإسلاميين والتفسير القرآني، سيد فقهاء المدينة والتابعين، يقال له فقيه الفقهاء، روى عن: عدد من الصحابة وأمّهات المؤمنين وكان أعلم بقضايا رسول الله ﷺ، توفي سنة 105هـ، ينظر: طبقات الفقهاء

57/1، و تهذيب الأسماء واللغات 1/219، و تهذيب التهذيب 4/84.

لهم نصيباً في الوصية، وردّ الميراث إلى الموالى في ذي الرحم والعصبة، وأبى الله للمدّعين ميراثاً ممن ادعاهم وتبّاهم⁽¹⁾.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِتَاتٌ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾⁽²⁾

أي: الرجل قيم المرأة وهو رئيسها، وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت، ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ أي: لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم، لقوله - عليه الصلاة والسلام - «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»⁽³⁾، وكذلك منصب القضاء وغير ذلك، ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهنّ في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فالرجل أفضل من المرأة وله الفضل والأفضل، فناسب أن يكون قيماً عليها، وقال ابن عباس: أي أمراء عليهنّ أن تُطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وهي أن تكون محسنة إلى أهله، حافظة لماله⁽⁴⁾، وقال الحسن وغيره: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ يستعديه على زوجها أنه لطمها، فقال رسول الله ﷺ القصاص فأنزل الله هذه الآية»⁽⁵⁾، وفي رواية جعفر الصادق فقال رسول الله ﷺ «أردتُ أمراً فأراد الله غيره» رواه ابن جرير⁽⁶⁾ وابن أبي حاتم وابن

(1) ينظر: جامع البيان 6/ 681.

(2) سورة النساء، الآية (34).

(3) أخرجه البخاري، ك: المغازي، ب: كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى كسرى وقيصر [4425] 8/ 6.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9300] 8/ 290.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5246] 3/ 940.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9304] 8/ 291.

مردويه، قال الشعبي: ألا ترى أنه لو قذفها لاعتنها، ولو قذفته جلدت⁽¹⁾، ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: الصداق الذي أعطاها.

وقوله ﴿فَالصَّلِيحَتْ﴾ أي: من النساء ﴿فَنَبَتَتْ﴾ قال ابن عباس وغيره: أي طيعت لأزواجهن ﴿حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ﴾⁽²⁾، وقال السدي: أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها ومالها، وقوله ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ أي: المحفوظ ما حفظه الله، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظت في مالك ونفسك، ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية» رواه ابن جرير⁽³⁾، وعن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» رواه أحمد⁽⁴⁾.

﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ أي: والنساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن، والنشوز: هو الارتفاع، فالمرأة الناشزة هي المرتفعة على زوجها، التاركة لأمره، المعرضة عنه، المُبغضة له. فمتى ظهر له منها أمارات النشوز فليعضها وليخوفها عقاب الله في عصيانه، فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته، وحرّم عليها معصيته لماله من الفضل والإفضال، وقد قال رسول الله ﷺ «لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها» رواه الترمذي⁽⁵⁾، وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه، لَعَنَتَهَا الملائكة حتى تُصبح» رواه البخاري⁽⁶⁾، ولمسلم نحوه⁽⁷⁾.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5248] 3/940.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9322] 8/294.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9328] 8/295.

(4) أخرجه أحمد في مسنده [1661] 3/199.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الرضاع، ب: ما جاء في حق الزوج على المرأة [1159] 2/456.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: بدء الخلق، ب: إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه [3237] 4/116.

(7) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: النكاح، ب: تحريم امتناعها من فراش زوجها [1436] 2/1059.

وقوله ﴿وَأَهْرُوهَنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ قال ابن عباس وغيره: أن لا يجامعها ويضاجعها على فراشها، ويولها ظهره⁽¹⁾، وزاد آخرون عنه: ويعظها فإن هي قبلت، وإلا فهجرها في المضجع ولا يكلمها غير أن يذر نكاحها، وذلك عليها شديد، وعلى ذلك الأكثر⁽²⁾، وعن معاوية بن حيدة القشيري⁽³⁾ أنه قال: «يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا؟ فقال: أن تُطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبّح، ولا تهجر إلا في البيت» رواه أصحاب السنن⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَأَضْرِبُوهَنَّ﴾ أي: إذا لم ترجع عن ذلك بالموعظة ولا بالهجران، فلكم أن تضربوهن ضربا غير مبرح، هكذا عن ابن عباس وغيره⁽⁵⁾، كما في حديث حجة الوداع في مسلم⁽⁶⁾، فاضربوهن ضربا غير مبرح أي: غير مؤثر، قال الفقهاء: أي لا يكسر فيها عضواً ولا يؤثر شيئاً⁽⁷⁾، وعن عمر عن النبي ﷺ قال: «لا يُسأل الرجل فيما ضرب امرأته عليه» رواه أبو داود⁽⁸⁾ وابن ماجه⁽⁹⁾.

(1) ينظر: محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1418هـ/3/99.

(2) ينظر: تفسير الإمام الشافعي 2/598.

(3) هو: معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة القشيري، وهو جد بهز بن حكيم بن معاوية روى عن: النبي ﷺ، وروى عنه: ابنه حكيم وعروة اللخمي وحמיד اليزني، قال البغوي: نزل البصرة، وقال الكلبي: أخبرني أبي أنه أدرك بخرسان، وقال ابن سعد: له وفادة وصحبة، ينظر: الطبقات الكبرى 7/25، والإصابة 6/118، و تهذيب التهذيب 10/205.

(4) أخرجه أبو داود في سننه ك: النكاح، ب: في حق المرأة على زوجها [2142] 2/244، والنسائي في سننه، ك: عشرة النساء، ب: تحريم ضرب الوجه في الأدب [9126] 8/266.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9381] 8/314.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحج، ب: حجة النبي ﷺ [1218] 2/886.

(7) ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل لشمس الدين أبو عبد الله الطرابلسي، دار الفكر، ط: 3 - 1412هـ/4/15.

(8) أخرجه أبو داود في سننه، ك: النكاح، ب: في ضرب النساء [2147] 2/246.

(9) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: النكاح، ب: ضرب النساء [2062] 6/213.

وقوله ﴿فَإِنْ أَطَعَنَّكُمْ﴾ أي: إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريد منها من المشروعات، فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرائها.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ تهديدا للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلي الكبير وليهن، وهو ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّا اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا﴾⁽¹⁾

هذا فيما إذا كان النشوز بين الزوجين، قال الفقهاء: إذا وقع الشقاق بين الزوجين أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة، ينظر في أمرهما، ويمنع الظالم منهما من الظلم، فإن تشابه أمرهما، أو وطالت خصومتهما، بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة، وثقة من قوم الرجل ليجمعهما وينظرا في أمرهما، ويفعلا ما فيه المصلحة فيما يريانه من التوفيق أو التفريق، وتشوق الشارع إلى التوفيق، ولهذا قال: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾⁽²⁾، وهذا فحوى ما نقل عن ابن عباس وهو مذهب الجمهور في أن الحكامين إليهما الجمع والتفرقة بحسب المصلحة⁽³⁾، حتى قال إبراهيم النخعي⁽⁴⁾: إن شاء الحكمان أن تفرقا بينهما بطلقة أو طلقتين أو ثلاثا فعلا⁽⁵⁾، وقال الحسن البصري: يحكمان في الجمع ولا يحكمان في التفريق⁽⁶⁾، وكذا قال قتادة وزيد بن أسلم⁽⁷⁾ وبه قال أحمد، ودليلهم ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ من

(1) سورة النساء، الآية (35).

(2) ينظر: التلقين في الفقه المالكي لأبي محمد عبد الوهاب المالكي، دار الكتب العلمية، 1425هـ / 131/1.

(3) ينظر: تفسير الأم 606/2.

(4) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس الأسود بن عمرو النخعي اليماني ثم الكوفي، أبو عمران، الإمام الحافظ، فقيه العراق، روى عن: خاله ومسروق وعلقمة بن قيس وغيرهم، روى عنه: الحكم بن عتيبة وعمرو بن مرة وحماد بن أبي سليمان وغيرهم، كان مفتي أهل الكوفة، وكان رجلا صالحا فقيها، توفي سنة 96هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 276/6، و سير أعلام النبلاء 520/4.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9423] 327/8.

(6) ينظر: محاسن التأويل 102/3.

(7) سبق ترجمته.

غير ذكر التفريق، وأما إذا كانا وكيلين من جهة الزوجين فإنه ينفذ حكمهما في الجمع والتفرقة بلا خلاف، ولا بد أن يكونا الحكمان منصوبين من جهة الحاكم حتى ينفذ حكمهما، وإن لم يرض الزوجان وهو الجديد من المذهب الشافعي⁽¹⁾.

واختلف القول في جواز بعث الحكامين من غير رضى الزوجين، وأصح القولين: أنه لا يجوز إلا برضاهما وليس لحكم الزوج أن يطلق إلا بإذنه، ولا لحكم المرأة أن يختلع بماها إلا بإذنها وإذا اختلف قولهما فلا عبرة بالقول الآخر⁽²⁾.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾⁽³⁾.

أمر الله بعبادته وحده لا شريك له، فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآيات والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته، كما في الصحيحين أن رسول الله ﷺ «قال لمعاذ: أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم قال: أتدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم»⁽⁴⁾.

ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين فإنه -سبحانه- جعلهما سبباً لخروجك من العدم إلى الوجود، وكثيراً ما يقرن الله بين عباده والإحسان إلى الوالدين في كتابه، ثم عطف عليه

(1) ينظر: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي 601/9.

(2) ينظر: مختصر اختلاف العلماء لأبي جعفر الأزدي الطحاوي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط: 2 - 428/2هـ 1417.

(3) سورة النساء، الآية (36).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: اللباس، ب: إرداف الرجل خلف الرجل [5967] 170/7، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: من لقي الله بالإيمان وهو غير مشرك فيه دخل الجنة وحرم على النار [30] 58/1.

الإحسان على القربات من الرجال والنساء، كما جاء في الحديث الصحيح «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة»⁽¹⁾.

ثم قال ﴿وَأَلْيَتَمَنَى﴾ وذلك لأنهم قد فقدوا من يقوم بمصالحهم، ومن ينفق عليهم، فأمر الله بالإحسان إليهم والحنو عليهم، ثم قال ﴿وَأَلْمَسَكِينَ﴾ وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفائتهم، فأمر الله بمساعدتهم بما يتم به كفائتهم، وسيأتي الكلام على الفقير والمسكين في سورة براءة.

قوله ﴿وَأَلْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي الذي بينك وبينه قرابة، ﴿وَأَلْجَارِ الْجُنُبِ﴾ وهو الذي ليس بينك وبينه قرابة قاله ابن عباس وآخرون⁽²⁾، وقيل: يعني بالأول المسلم وبالأخر اليهودي والنصراني، وقيل يعني بالأول المرأة وبالثاني الرفيق بالسفر.

وفي الوصاة بالجار أحاديث كثيرة منها: عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورته» روياه في الصحيحين⁽³⁾، وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» رواه الترمذي⁽⁴⁾.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن لا يؤمن قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه» اتفقا عليه⁽⁵⁾.

(1) أخرجه ابن ماجة في سننه، ك: الزكاة، ب: فضل الصدقة [1844] 591/1.

(2) ينظر: جامع البيان 337/8.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب، ب: الوصاة بالجار [6014] 10/8، و مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: الوصية بالجار والإحسان إليه [2625] 2025/4.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، ك: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في حق الجوار [1944] 397/3.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب، ب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه [6016] 10/8، و مسلم في صحيحه، في مقدمته، ب: بيان تحريم إيذاء الجار [46] 68/1.

وقوله ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلَ﴾ عن ابن عباس وجماعة هو: الضيف الذي مر عليك مجتازا في السفر⁽¹⁾.

وقوله ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وصية بالأرقاء لأن الرقيق أسير في أيدي الناس، ولهذا ثبت أن رسول الله ﷺ جعل يوصي أمته في مرض موته يقول «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم فجعل يرددها حتى يفيض بها لسانه»⁽²⁾، وفي مسلم أن رسول الله ﷺ قال «كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوتهم»⁽³⁾. وفيه أيضا أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «للمملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق»⁽⁴⁾.

وفي الصحيحين عن أبي ذر عن النبي ﷺ «هم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم»⁽⁵⁾.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ أي مختالا في نفسه معجبا متكبرا فخورا على الناس، يرى أنه خير منهم فهو عند نفسه كبير، وعند الله حقير بغيض، وقيل: هو الذي لا يشكر الله على نعمه ويفخر على الناس بها⁽⁶⁾.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5308] 950/3.

(2) ينظر: المنتخب من مسند عبد بن حميد لأبي محمد عبد الحميد الكسبي، مكتبة السنة - القاهرة، ط: 1 - 1408هـ. [1542] 445/1.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الزكاة، ب: فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم [996] 692/2.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه [1662] 1284/3.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الإيمان، ب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكلف صاحبها بارتكابها إلا بالشرك [30] 15/1، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه [1661] 1282/3.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9491] 350/8.

وفي الصحيحين عن حارثة بن وهب⁽¹⁾ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ⁽²⁾ مستكبر»⁽³⁾.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾⁽⁴⁾

فقوله ﴿يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾⁽⁵⁾ البخيل: الذي يجحد نعمة الله عليه لا يظهر عليه، ولا ينفق في مأكله ولا في ملبسه ولا في إعطائه وبذله، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» رواه مسلم⁽⁶⁾، والشح: غاية البخل مع الحرص، وفي الحديث المرفوع «أي داء أدوا من البخل»⁽⁷⁾.

(1) هو: حارثة بن وهب الخزاعي، روى عن النبي ﷺ وجندب الأزدي وحفصة بنت عمر، وروى عنه: أبو إسحاق السبيعي ومعبد الجهني وابن رافع وغيرهم، ينظر: تهذيب التهذيب 167/2، و المؤتلف والمختلف 446/1، والاستيعاب في معرفة الأصحاب 308/1.

(2) الجواظ: الغليظ الجافي، ينظر: جمهرة اللغة 1042/2.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب، ب: الكبر [6071] 20/8، ومسلم في صحيحه، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء [2853] 4/2190.

(4) سورة النساء، الآيات (37-39).

(5) اختلفوا في قوله "بالبخل" فقرأ حمزة والكسائي بالبخل مثقلة، وقرأ الباقون مضمومة خفيفة، ينظر: كتاب السبعة في القراءات 627/1.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: تحريم الظلم [2578] 4/1996.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: قصة عمان والبحرين [4383] 5/172.

وقوله ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: ويخفون ذلك، ولهذا توعدهم بقوله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ والكفر: هو الستر والتغطية⁽¹⁾، والبخيل يستر نعمة الله ويكتمها ويجعلها فهو كافر بنعمة الله عليه، وفي الحديث «إن الله إذا أنعم بنعمة على عبد أحب أن يظهر أثرها عليه»⁽²⁾ روى الترمذي نحوه⁽³⁾.

وقد حمل بعض السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من صفة النبي ﷺ وكتمانهم ذلك قاله ابن عباس وغير واحد⁽⁴⁾ والآية محتملة لذلك، والظاهر أن سياقها في البخل بالمال⁽⁵⁾، فإن الكلام في الإنفاق وإن كان البخل بالعلم داخل في ذلك، ثم قال ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ فذكر أولا المسكين المذمومين وهم البخلاء، ثم ذكر الباذلين المرائين الذين يقصدون بإعطائهم السمعة وأن يمدحوا بالكرم لا الإخلاص، وفي الحديث «الذين هم أول من يسجر به النار وهم العالم والغازي والمنفق المراون بأعمالهم»⁽⁶⁾.

وقوله ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ قيل: نزلت في مشركي مكة المنفقين على عداوة رسول الله ﷺ وقيل: في اليهود⁽⁸⁾، وقيل: في المنافقين⁽⁹⁾.

(1) ينظر: تفسير القرآن 45/1.

(2) أخرجه الطبراني في معجمه [281] 135/18.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الأدب، ب: ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده [2819] 421/4.

(4) ينظر: تفسير مجاهد 276/1.

(5) ينظر: تفسير الماتريدي لمحمد بن محمد الماتريدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1426هـ/3/181.

(6) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم 292/11.

(7) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: 3 - 1407هـ/1/511.

(8) ينظر: الهداية إلي بلوغ النهاية 2/1327.

(9) ينظر: تفسير الماتريدي 3/182.

﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ أي إنما حملهم على ذلك الشيطان فإنه سول لهم وقارنهم فحسن لهم القبائح ومن يكن الشيطان له خليلا وصاحباً، فبئس هو قرينا، كما قال الشاعر
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي (1)

ثم قال تعالى ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا﴾ يعني: أي شيء يضرهم ويؤذيهم لو سلكوا الطريق الحميدة وعدلوا عن الربا إلى الإخلاص والإيمان بالله، وجاء موعوده في الدار الآخرة لمن أحسن عملا وأنفقوا مما رزقهم الله في مرضاته.

وقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ أي: هو عليم بنياتهم الصالحة والفاصلة وبمن يستحق التوفيق منهم فيوفقه لذلك، وبمن يستحق الخذلان والطرده والإبعاد عن جناب قبوله فيطرده.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُوتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ (2)

أخبر تعالى أنه لا يظلم عبداً من عباده يوم القيامة مثقال حبة من خردل ولا مثقال ذرة؛ بل يوفيهما له ويضاعفها إن كانت حسنة، كما جاء في سائر الآيات، وفي الصحيحين في حديث الشفاعة فيقول الله «ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار» وفي لفظ «أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقول أبو سعيد اقرؤوا ما شئتم إن الله لا يظلم مثقال ذرة الآية» (3).

(1) ينظر: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب لمحمد بن أحمد الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 2 - 1423هـ/375.

(2) سورة النساء، الآيتان (40-42).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التوحيد، ب: قوله تعالى "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" [7439] 129/9، ومسلم في صحيحه، في المقدمة، ب: معرفة الرؤية [183] 167/1.

وقوله ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا﴾ قال سعيد بن جبیر: فأما المشرك فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا يخرج من النار أبداً⁽¹⁾ كما في الصحيحين «أن العباس قال يا رسول الله: إن عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعته بشيء؟ قال: نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»⁽²⁾، ويمكن أن يكون هذا خاصاً لأبي طالب دون سائر الكفار، ولما رواه الطيالسي⁽³⁾ في مسنده عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بها في الدنيا فإذا جاء يوم القيامة لم يكن له حسنة»⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: الجنة قاله أبو هريرة وآخرون⁽⁵⁾، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول الله يعطيه يعني عبده المؤمن ألفي حسنة ثم تلا يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً، فإذا قال الله أجراً عظيماً فمن يقدر قدره» رواه أحمد⁽⁶⁾.

وقوله ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ هذا إخبار عن هول يوم القيامة وشأنه أي: فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة حين يجيء من كل أمة بشهيد يعني الأنبياء - عليهم السلام -؟ كما في قوله تعالى ﴿وَجَاءَءَ بِالتَّبِيِّعِنَ وَالشُّهَدَاءِ﴾⁽⁷⁾ عن ابن مسعود قال: قال لي

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5336] 3/954.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب، ب: كنية المشرك [6208] 8/46، و مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه [209] 1/194.

(3) هو: سليمان بن داوود بن الجارود، أبو داوود الطيالسي، ثقة، صاحب المسند مولى آل الزبير بن العوام، الحافظ البصري، روى عن: أيمن بن نايل وطلحة بن عمرو وهشام بن عبد الله وغيرهم، روى عنه: جرير بن عبد الحميد وأحمد بن حنبل وعمرو بن علي الفلاس وغيرهم، قال عامر بن إبراهيم الأصبهاني: سمعت أبا داوود يقول: كتبت عن ألف شيخ، توفي سنة 204هـ، ينظر: طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها لأبي محمد عبد الله الأصبهاني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 2 - 1412هـ/2/48، و سير أعلام النبلاء 8/110.

(4) ينظر: مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود الطيالسي، دار هجر - مصر، ط: 1 - 1419هـ [2011] 1/269.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9513] 8/368.

(6) أخرجه أحمد في مسنده [10760] 16/442.

(7) سورة الزمر، الآية (79).

رسول الله ﷺ «اقرأ عليّ قلت يا رسول الله: آقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: نعم إني أحب أن أسمع من غيري، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فقال: حسبك الآن، فإذا عيناها تذر فان»⁽¹⁾.

وقوله ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي: لو انشقت وبلعتهم الأرض وسويت بهم مما يرون من أهوال الموقف، وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ.

وقوله ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ إخبار عنهم بأنهم عارفون بجميع ما فعلوه ولا يكتُمون منه شيئاً قال رجل لابن عباس: «سمعت الله يقول يعني إخباراً من المشركين يوم القيامة أنهم قالوا ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾»⁽²⁾ وقال في الآية الأخرى ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ فقال ابن عباس: أما قوله ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: تعالوا لنجحد، فقالوا ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فحتم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم أي: بما كانوا يفعلون ولا يكتُمون الله حديثاً»⁽³⁾ رواه ابن جرير وروى أحمد نحوه.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التفسير، ب: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [4583] 45/6.

(2) سورة الأنعام، الآية (23).

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9520] 373/8.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ (1)

نهى الله عباده المؤمنين عن فعل الصلاة في حال السكر، الذي لا يدري معه المصلي ما يقول، وعن قربان محلها -وهي المساجد- للجنب، إلا أن يكون مجتازاً من باب إلى باب من غير مُكث، وقد كان هذا قبل تحريم الخمر، كما سبق في الحديث في سورة البقرة، عند قوله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ (2) الآية فإن رسول الله ﷺ تلاها على عمر فقال: «اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا» فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر [بيانا] شافيا وكانوا لا يشربون الخمر في أوقات الصلوات، فلما نزلت قوله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَّا مَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ (3) الآية فقال عمر: انتهينا، انتهينا. (4)

وذكر في سبب نزول هذه الآية أنواعاً منها: ما رواه سعد بن أبي وقاص قال: صنع رجل من الأنصار طعاماً، فدعى أناساً من المهاجرين وأناساً من الأنصار، فأكلنا وشربنا حتى سكرنا ثم افتخرنا، فرفع رجل لحي بغير فقزَّرَ به أنف سعد، فكان سعد مفزور الأنف، وذلك قبل أن تحرم الخمر، فنزلت الآية وهذا مختصر من مطول، رواه مسلم (5) وأكثر أصحاب السنن.

(1) سورة النساء، الآية (43).

(2) سورة البقرة، الآية (219).

(3) سورة المائدة الآية (90).

(4) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة المائدة [3046] 103/5، والنسائي في سننه، ك: الأشربة، ب: تحريم الخمر [3049] 253/5.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: فضائل الصحابة -رضي الله عنهم- ب: في فضل سعد بن أبي وقاص [1748] 1877/4.

وعن علي بن أبي طالب قال: صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموا فلاناً فقراً: قل يا أيها الكافرون، ما أعبد ما تعبدون، نحن نعبد ما تعبدون!! فأنزل الله هذه الآية، كذا رواه الترمذي (1).

وفي سنن أبي داود (2) والنسائي (3) عن علي أنه كان هو وعبدالرحمن بن عوف ورجل آخر فشربوا الخمر، فصلى بهم عبدالرحمن فقراً: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾ فخلط فيها، فنزلت الآية.

وقال الضحَّاك (4): لم يعن بها سُكْرَ الخمر، وإنما عني بها سُكْرُ النوم! (5)، قال ابن جرير: والصواب أن المراد سُكْرُ الشراب لأن النهي توجه للذي يفهم التكليف، والنائم في حكم المجنون (6).

وقوله ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ هذا أحسن ما يقال في حد السكران لأنه الذي لا يدري ما يقول فإن المحذور فيه تخليطه في القراءة وعدم تدبره له وخشوعه فيها، ولا يبعد أن يكون النائم داخلا فيه أيضا لما رواه أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم وهو يصلي فلينصرف ولينم حتى يعلم ما يقول» رواه البخاري (7)، ومسلم في بعض ألفاظه «فلعله يذهب فيستغفر فيسب نفسه» (8).

(1) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة النساء [3026] 88/5.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأشربة، ب: في تحريم الخمر [3671] 3/325.

(3) أخرجه النسائي في سننه، ك: التفسير، ب: قوله تعالى ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [11041] 65/10.

(4) سبق ترجمته.

(5) أخرجه ابن منذر في تفسيره [1802] 2/721.

(6) ينظر: جامع البيان 8/377.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الوضوء ب: الوضوء من النوم، ومن لم ير من النعسة والنعستين، أو الحففة وضوء [213] 53/1.

(8) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: أمر من نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن، أو الذكر بأن يرقد، أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك [786] 1/542..

وقوله ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ قال ابن عباس: لا تدخلوا المسجد وأنتم جنب إلا عابري سبيل يعني تمر مرًا ولا تجلس، وعليه الجمهور.

وعن يزيد بن أبي حبيب⁽¹⁾ أن رجلا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد، وكانت تصيهم الجنابة ولا ماء عندهم، فيريدون الماء، ولا يجدون ممرا إلا في المسجد، فأنزل الله ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾⁽²⁾، وفيه تحريم لبث الجنب في المسجد كما هو مذهب الجمهور⁽³⁾ ويجوز مروره، وكذا الحائض والنفساء إن أمتا التلويث وإلا فلا، وحديث عائشة في سنن أبي داود أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب»⁽⁴⁾ محمول على اللبث والتلويث، وقيل معنى الآية لا تقربوا الصلاة إلا أن يكون مسافرا تصييه الجنابة فلا يجد الماء فيصلي حتى يجد الماء، وهذا عن علي وابن عباس وجماعة⁽⁵⁾ ويشهد له ما رواه أبو ذر أن رسول الله ﷺ قال: «الصعيد الطيب طهور المسلم، وإن لم يجد الماء عشر حجج، فإذا وجدت الماء فأمسسه بشرتك فإن ذلك خير» رواه أحمد⁽⁶⁾ قال ابن جرير والأولى الأول لأن حكم المسافر مبين في قوله ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ إلى آخره

(1) هو: يزيد بن أبي حبيب الأزدي، أبو رجاء، الإمام الحجة، مفتي مصر وعالمها، بل هو أول من أظهر العلم بمصر، تابعي، ثقة، روى عن: أبي الخير اليزني و أبي وهب الجيشاني وأبي الطفيل الليثيوغيرهم، وروى عنه: سعيد بن أبي أيوب ومحمد بن إسحاق وحيوة بن شريح وغيرهم، توفي سنة 128هـ، ينظر: التاريخ الكبير للبخاري 8/336، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم لأبي محمد بن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بجيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1 - 1271هـ/9/267، وتاريخ ابن يونس المصري لعبد الرحمن بن أحمد الصدفي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1421هـ/1/509.

(2) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/374.

(3) ينظر: الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف لأبي بكر بن إبراهيم النيسابوري، دار طيبة - الرياض، ط: 1 - 1405هـ/2/107.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الطهارة، ب: في الجنب يدخل المسجد [232] 60/1.

(5) ينظر: جامع البيان 8/379.

(6) أخرجه أحمد في مسنده [21035] 234/35.

وكانه تعالى كما نهى عن تعاطي الصلاة على هيئة ناقصة، نهى عن الدخول على محلها كذلك وهي الجنابة ⁽¹⁾.

وقوله ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآية المرض المبيح للتميم: هو الذي يخاف معه من استعمال الماء فوات عضو أو شين أو تطويل البرء، ومنهم من جوز التيمم لمجرد المرض لعموم الآية، قال مجاهد: نزلت في رجل من الأنصار كان مريضاً فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ ولم يكن له خادم فيناوله الماء، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزل الله هذه الآية ⁽²⁾ ولا فرق فيه بين السفر الطويل والقصير.

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المطمئن من الأرض كنى بذلك من التغوط وهو الحدث الأصغر.

وأما قوله ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ قرئ بجذف الألف أيضاً ⁽³⁾ واختلفوا في معناه على قولين: أحدهما: إن ذلك كناية عن الجماع، وهو قول ابن عباس وأكثر التابعين فإن اللمس والمس والمباشرة يستعمل غالباً في الجماع، قال: ولكن الله كريم يكتفي ما شاء بما شاء ⁽⁴⁾.

قال ابن جرير: وقال آخرون: هو أعم منه فإن كل لمس بيد كان أو غيرها من أعضاء لجسد الإنسان ينقض الوضوء، إذا كان من غير محرمين، وعليه ابن مسعود، وقال: القبلة من اللمس وفيها الوضوء، وكذا الغمز، وقال: اللمس في الآية ما دون الجماع ووافقه جماعة من الصحابة والتابعين منهم عمر بن الخطاب وإن رُوي عنه أيضاً أنه كان يقبل امرأته ثم يصلي ولا يتوضأ فيكون ذلك عنه محمولاً على استحباب الوضوء منه ⁽⁵⁾، وفي

(1) ينظر: جامع البيان 8/385.

(2) ينظر: تفسير مجاهد 1/301.

(3) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو بالألف وقرأ حمزة والكسائي غيرها، ينظر: كتاب السبعة في القراءات 1/234.

(4) ينظر: تفسير القرآن لأبي مظفر السمعاني، دار الوطن - الرياض، ط: 1 - 1418هـ/1/431.

(5) ينظر: جامع البيان 8/393.

اللغة يطلق على الجس باليد كما يطلق على الجماع كما قيل: وألمستُ كَفِيَّ كَفَّهُ طلب الغِنَى ⁽¹⁾.

قال ابن جرير: والأولى بالصواب القول الأول أي: المراد به الجماع دون غيره ⁽²⁾ لصحة الخبر عن عائشة «أن النبي ﷺ قبل بعض نساءه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ» رواه أبو داود ⁽³⁾ والترمذي ⁽⁴⁾ وضعفه البخاري وإن روى نحوه بطرق.

وقوله ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ فيه وجوب الطلب أولاً، ثم إن لم يجد تيمم، وبيان كيفية الطلب في كتب الفقه ⁽⁵⁾.

وفي الصحيحين «أن رسول الله رأى رجلاً معتزلاً لم يصل في القوم، فقال: يا فلان، ما منعك أن تصلي مع القوم؟ ألسنت برجل مسلم؟ قال: بلى يا رسول الله، ولكن أصابني جنابة ولا ماء، قال: عليك بالصعيد، فإنه يكفيك» ⁽⁶⁾. ولهذا قال تعالى ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، والتيمم في اللغة هو: القصد ⁽⁷⁾، تقول العرب: تيممك الله بحفظه، أي: قصدك، ومنه قول امرئ القيس:

ولما رأت أن المنيّة ورُدّها * وأن الحصى تحت أقدامها دام

تيممت العين التي عند ضارج * يفيء عليها الفيء عرمضها طام ⁽⁸⁾

(1) ينظر: تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1 - 2001م/12/316.

(2) ينظر: جامع البيان 8/389.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الطهارة، ب: الوضوء من القُبلة [178]، وصححه الألباني.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الطهارة عن رسول الله ﷺ، ب: ترك الوضوء من القُبلة [86] 1/143.

(5) ينظر: الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف 2/33.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التيمم، ب: الصعيد الطيب وضوء المسلم، يكفيه من الماء 1/76، و مسلم في صحيحه، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: قضاء الصلاة الفاتئة واستحباب تعجيل قضائها [682] 1/474.

(7) ينظر: إصلاح المنطق لابن السكيت أبو يوسف، دار إحياء التراث العربي، ط: 1 - 1423هـ/1/225.

(8) ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/318.

والصعيد قيل: كل ما صعد على وجه الأرض من التراب وغيره من أنواع الأشياء، وعليه أبو حنيفة⁽¹⁾ ومالك⁽²⁾ والمراد هنا التراب فقط، وهو مذهب الشافعي⁽³⁾ وأحمد⁽⁴⁾ وأصحابهما، محتجين بقوله ﴿فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾⁽⁵⁾ أي: ترابا أملس طيبا، وبما ثبت في صحيح مسلم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء»⁽⁶⁾ فخصّص الطهورية بالتراب في مقام الامتتان، فلو كان غيره يقوم مقامه لذكره معه، والمراد بالطيب: الحلال الطاهر.

وقوله ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ التيمم بدل عن الوضوء في التطهر به، لا أنه بدل عنه في جميع أعضائه، بل يكفي فيه مسح الوجه واليدين فقط بالإجماع، فعند الشافعي يجب أن يمسح الوجه واليدين إلى المرفقين كما في الوضوء⁽⁷⁾، ولما ورد في الحديث «أن رسول الله ﷺ تيمم فمسح وجهه وذراعيه»⁽⁸⁾، وهو الجديد المفتى به، وفي القديم أنه يجب مسح الوجه واليدين إلى الكفين بضربتين، وقول آخر أنه يكفي مسح الوجه واليدين إلى الكفين بضربة واحدة، ولما روي عن عمار «أن رسول الله ﷺ قال: في التيمم ضربة للوجه والكفين» رواه أحمد⁽⁹⁾، وفي مسنده أيضا عن شقيق قال: «كنت قاعدا مع عبد الله وأبي

-
- (1) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي - بيروت، 1982م/53/1.
- (2) ينظر: متن العشماوية في مذهب الإمام مالك لعبد الباري العشماوي، شركة الشمري للطبع والنشر والأدوات الكتابية - مصر/5/1.
- (3) ينظر: الأم 66/1.
- (4) ينظر: متن الخرقى على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني لأبي القاسم الخرقى، دار الصحابة للتراث، 1413هـ/15/1.
- (5) سورة الكهف، الآية (40).
- (6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا 371/1.
- (7) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي لأبي الحسين يحيى الشافعي، دار المنهاج - جدة، ط: 1 - 1421هـ/279/1.
- (8) أخرجه الشافعي في مسنده [130] 44/1.
- (9) أخرجه أحمد في مسنده [18319] 254/30.

موسى فقال أبو موسى لعبد الله: لو أن رجلا لم يجد الماء لم يصل؟ فقال عبد الله: لا. فقال أبو موسى: أما تذكر إذ قال عمار لعمر: ألا تذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ وإياك في سرية، فأصابتي جنابة، فمرغت في التراب، فلما رجعت إلى رسول الله ﷺ أخبرته، فضحك، فقال: إنما كان يكفيك أن تقول هكذا، وضرب بكفه إلى الأرض، ثم مسح كفيه جميعا، ومسح وجهه مسحة واحدة بضربة واحدة، فقال عبد الله: لا جرم، ما رأيت عمر قنع بذاك؟! فقال له أبو موسى: فكيف بهذه الآية في سورة النساء ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ قال: فما درى عبد الله ما يقول، وقال: ولو رخصنا لهم في التيمم لأوشك أحدهم إذا برد الماء على جلده أن يتيمم»⁽¹⁾.

وقال في سورة المائدة ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾⁽²⁾ استدل به الشافعي على أنه لا بد في التيمم أن يكون ترابا طاهرا له غبار يعلق بالوجه واليدين منه شيء، كما روي عن أبي الهيثم⁽³⁾ «أنه مر بالنبى ﷺ وهو يبول، فسلم عليه فلم يرد عليه حتى قام إلى جدار فحطه بعضا كانت معه، فضرب بيده عليه، فمسح وجهه وذراعيه ثم رد عليه السلام» رواه في شرح السنة⁽⁴⁾.

وقوله ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: في الدين الذي شرعه لكم، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ فلهذا أباح لكم التيمم إذا لم تجدوا الماء، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽⁵⁾ ولهذا كانت هذه الأمة مختصة بشرعية التيمم دون سائر الأمم⁽⁶⁾، كما ثبت في

(1) أخرجه أحمد في مسنده [2496] 4/298.

(2) سورة المائدة، الآية (6).

(3) هو: مالك بن التيهان بن مالك بن عتيك بن عمرو الأوسى الأنصاري، أبو الهيثم، قال محمد بن عمر: وكان أبو الهيثم يكره الأصنام في الجاهلية، ويؤفف بها ويقول بالتوحيد، وهو أحد الستة الذين لقوا رسول الله ﷺ أول ما لقيه الأنصار، وشهد العقبة الأولى والثانية، توفي بالمدينة في خلافة عمر سنة 20هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 3/341، و أسد الغابة 4/239، سير أعلام النبلاء 3/121.

(4) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الطهارة وسننها، ب: الرجل يسلم عليه وهو يبول [351] 1/231، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً.

(5) سورة المائدة، الآية (6).

(6) ينظر: الإحكام شرح أصول الأحكام 1/94.

الصحيح «وجعلت لنا الأرض مسجداً وطهوراً»⁽¹⁾ ، وفي رواية «وتربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء»⁽²⁾ .

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ أي: ومن عفوه وغفره⁽³⁾ لكم شرع لكم التيمم، وأباح لكم فعل الصلاة به إذا فقدتم الماء⁽⁴⁾ وهذه الآية تنزيه للصلاة أن تفعل على هيئة ناقصة، من سُكَّر حتى يصحو المكلف ويعقل ما يقول، أو من جنابة حتى يغتسل، أو من حدث حتى يتوضأ، إلا أن يكون مريضاً أو عادماً للماء، فإن الله عز وجل قد أرحص في التيمم والحالة هذه، رحمة لعباده، ورأفة بهم، وتوسعة عليهم، وله الحمد والمنة.

ولما نزلت هذه الآية قبل التي نزلت في سورة المائدة، وكانت قبل تحريم الخمر لأنها حرمت بعد غزوة أحد في سنة أربع والتي في المائدة نزلت في أواخر ما نزلت - لا سيما صدرها - ناسب أن نذكر سبب مشروعية التيمم ههنا، في مسند أحمد عن عائشة «أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فبعث رسول الله ﷺ رجالا في طلبها فوجدوها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فصلوا بغير وضوء، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فأَنْزَلَ اللهُ آية التيمم، فقال أسيد بن حضير: لعائشة جزاك الله خيراً فو الله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً»⁽⁵⁾ .

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: أما ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التيمم، ب: قوله تعالى ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [335] 74/1.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً [522] 371/1.

(3) وفي ابن كثير وغفرانه، ينظر: تفسير القرآن العظيم 282/2.

(4) زاد ابن كثير لفظ "توسعة عليكم ورخصة لكم"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 321/2.

(5) أخرجه أحمد في مسنده [24299] 342/40.

وليس معهم ماء! فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء! قالت: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن حضير: ما هي أول بركتكم يا آل أبي بكر. قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فوجدنا العقد تحته» (1)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ۗ﴾ ﴿٥١﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ﴾ ﴿٥٢﴾ (2)

أخبر الله تعالى عن اليهود أنهم يشترون الضلالة بالهدى، ويُعرضون عما أنزل الله على رسوله، ويتركون ما بأيديهم من العلم، عن الأنبياء الأقدمين في صفة محمد ﷺ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا من حطام الدنيا ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي: تودّون لو تكفرون بما أنزل الله عليكم أيها المؤمنون وتتركوا ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ أي: هو يعلم بهم ويحذرهم منهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ أي: كفى به وليا أن يلجأ إليه ونصيرًا لمن استنصره. ثم قال تعالى ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ «من» هذه لبيان الجنس.

وقوله ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ أي: يتأولون الكلام على غير تأويله، ويفسرونه بغير مراد الله؛ قصدًا منهم وافتراءً ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي: سمعنا ما قلته يا محمد ولا

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أصحاب النبي ﷺ، ب: قول النبي ﷺ "لو كنت متخذًا خليلًا" [3672] 7/5، ومسلم في صحيحه، ك: الحيض، ب: التيمم [367] 279/1.

(2) سورة النساء، الآيات (44-46).

نطيعك فيه. هكذا فسره مجاهد⁽¹⁾ وابن زيد، وهو المراد، وهذا أبلغ في عنادهم وكفرهم، أنهم يتولون عن كتاب الله بعد ما عقلوه، وهم يعلمون ما عليهم في لك من الإثم والعقوبة.

(2) وقوله ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي: اسمع ما نقول، لا سمعت، قاله ابن عباس وموافقوه وقيل: اسمع غير مقبول منك⁽³⁾، والأول أصح. وهذا استهزاء منهم واستهتار، عليهم لعنة الله ﴿وَرَاعِنَا لَيْتًا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أي: يوهمون أنهم يقولون: ارعنا سمعك بقولهم «راعنا»، وإنما يريدون الرعونة⁽⁴⁾، وقد تقدم الكلام في هذا عند قوله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾⁽⁵⁾ ولهذا قال تعالى عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهرونه ﴿لَيْتًا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ يعني: بسبهم النبي ﷺ.

ثم قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ أي: أعدل وأصوب ﴿وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: قلوبهم مطرودة عن الخير مبعدة عنه، فلا يدخلها من الإيمان شيء نافع إلا نفر قليل منهم عبد الله بن سلام.

(1) ينظر: تفسير مجاهد 1/282.

(2) ينظر: جامع البيان 7/105.

(3) ينظر: تفسير القرآن 1/327.

(4) ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء لأحمد بن عبد الكريم الشافعي، دار الحديث - القاهرة، 2008م/1/82.

(5) سورة البقرة، الآية (104).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ
 إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (1)

أمر الله تعالى أهل الكتاب بالإيمان بما أنزل على عبده محمد ﷺ من الكتاب العظيم، الذي فيه تصديق لما في أيديهم من البشارات، ومهدداً لهم أن يأخذوا بقوله ويصدقوه، ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ قال بعضهم: طمسها: هو ردها إلى الأدبار (2)، وجعلها (3) من ورائهم. ويحتمل أن يكون المراد: فلا يبقى لها سمع ولا بصر ولا أثر، مع ردها إلى الأدبار، وهذا معنى ما قاله ابن عباس أي: يجعل وجوههم من قبل أفقيتهم فيمشون القهقري (4)، وهذا أبلغ في العقوبة والنكال، وهو مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبيل الضلالة، يُهْرَعُونَ ويمشون القهقري على أدبارهم، قال مجاهد: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ أي: عن صراط الحق (5) ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ أي: في الضلالة. وقال السدي: فمنعها عن الحق ورجعها كفاراً ونددهم قرده (6) وقد ذكر أن كعب الأخبار أقبل إليه زماناً عمر وهو يريد بيت المقدس فمرّ على المدينة فخرج إليه عمر فقال يا كعب: أسلم، فأبى. فتركه عمر ثم خرج حتى انتهى إلى حمص فسمع رجلاً من أهلها حزينا وهو يقول ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ الآية، فقال كعب: يا رب آمنت، يا رب أسلمت، مخافة أن تصيبه هذه الآية، ثم رجع فأتى أهله باليمن فجاء بهم مسلمين (7).

(1) سورة النساء، الآيتان (47-48).

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9714] 8/441.

(3) زاد ابن كثير لفظ أبصارهم، ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/324.

(4) ينظر: جامع البيان 7/112.

(5) ينظر: تفسير مجاهد 1/283.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9720] 8/442.

(7) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9725] 8/446.

وقوله ﴿أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ آلَسَّبْتِ﴾ يعني: الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة على الاصطياد، وقد مسخوا قرده وخنازير كما يجيء مكانه في سورة الأعراف.

وقوله ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي: إذا أمر بأمر فإنه لا يخالف ولا يمانع، ثم أخبر تعالى أنه ﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: من الذنوب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: من عباده، وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة منها: ما في مسند أحمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدواوين عند الله ثلاثة، ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، فالشرك بالله، قال الله عز وجل ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾⁽¹⁾ وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، من صوم يوم تركه أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ويتجاوز إن شاء الله، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً؛ القصاص لا محالة»⁽²⁾. وفيه أيضاً عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يقول: يا عبدي، ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك على ما كان منك، يا عبدي، إن لقيتني بقرب الأَرْضِ خطيئة ما لم تشرك بي، لقيتني بقربها مغفرة»⁽³⁾.

وفي مسند عبد بن حميد⁽⁴⁾ عن جابر قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: من مات لا يشرك بالله شيئاً وجبت له الجنة، ومن مات يشرك بي شيئاً وجبت له النار»⁽⁵⁾.

وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله - عز وجل - من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئاً» رواه الطبراني⁽⁶⁾.

(1) سورة المائدة، الآية (72).

(2) أخرجه أحمد في مسنده [26031] 156/43.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [21321] 249/35.

(4) هو: عبد بن حميد بن نصر، الكسي، أبو محمد، الإمام الحافظ الحجّة، روى عن: علي بن عاصم الواسطي ومحمد ابن بشر العبدي وابن أبي فديك وغيرهم، روى عنه: مسلم والترمذي والبخاري وغيرهم، قال أبو حاتم البستي: وكان عبد بن حميد ممن جمع وصنف، توفي سنة 240هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء 9/563، و تهذيب التهذيب 6/455.

(5) أخرجه أحمد في مسنده [15200] 375/23.

(6) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير [11615] 241/11.

وعن عمران بن حصين⁽¹⁾ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾»⁽²⁾، وهذا كقوله ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾⁽³⁾

وثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: «قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك»⁽⁴⁾، وذكر تمام الحديث.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٥٩) أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾^(٦٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾^(٦١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾^(٦٢)

قال الحسن وقتادة: نزل قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ في اليهود والنصارى⁽⁶⁾، حين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾⁽⁷⁾.

قال مجاهد وغيره: كان أهل الكتاب يقدمون الصبيان في الدعاء والصلاة أمامهم، ويزعمون أنهم لا ذنوب لهم⁽⁸⁾، وقال ابن عباس: أن اليهود قالوا: إن أبناءنا تُوفِّوا وهم لنا

(1) سبق ترجمته.

(2) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير [293] 140/18.

(3) سورة لقمان، الآية (13).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الذنوب، ب: قتل الولد خشية أن يأكل معه [6001] 8/8، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده [86] 90/1.

(5) سورة النساء، الآيات (49-52).

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [599] 462/1.

(7) سورة المائدة، الآية (18).

(8) ينظر: تفسير مجاهد 283/1.

قربة، ويشفعون لنا ويزكوننا فأنزل الله هذه الآية⁽¹⁾، وقيل: قالوا ليس لنا ذنوب كما ليس لأبنائنا ذنوب فنزلت هذه الآية في ذم التمداح والتزكية⁽²⁾.

وفي الصحيحين عن أبي بكرة⁽³⁾ «أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يُثني على لرجل، فقال: ويحك. قطعت عنق صاحبك! ثم قال: إن كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة، فليقل: أحسبه، ولا أزكي على الله أحداً»⁽⁴⁾.

وعن عمر بن الخطاب قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم، إعجاب المرء برأيه، فمن قال: إنه مؤمن فهو جاهل، ومن قال: إنه في الجنة فهو في النار»⁽⁵⁾.

وعن المقداد⁽⁶⁾ قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثوا في وجوه المدّاحين التراب» رواه مسلم⁽⁷⁾.

وقوله ﴿بَلِ اللَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ أي: المرجع في ذلك إلى الله، فإنه عالم بحقائق الأمور وغوامضها.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9743] 8/454.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5432] 3/972.

(3) هو: نفيق بن الحارث، أبو بكرة الثقفي الطائفي، مولى النبي ﷺ، يقال: إن أبا بكرة تدلى من حصن الطائف ببكرة فكناه رسول الله ﷺ أبا بكرة روى: جملة أحاديث، وروى عنه: بنوه الأربعة عبيد الله وعبد الرحمن وعبد العزيز ومسلم وغيرهم، سكن أبو بكرة البصرة وكان ممن اعتزل يوم الجمل، توفي سنة 51هـ، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب 4/1530، وأسد الغابة 6/35، وسير أعلام النبلاء 6/3.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الشهادات، ب: إذا زكى رجل رجلاً كفاه [2662] 3/176، ومسلم في صحيحه، ك: الزهد والرفائق، ب: النهي عن المدح [3000] 4/2296.

(5) ينظر: مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأقواله على أبواب العلم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الوفاء - المنصورة، ط: 1 - 1411هـ 2/574.

(6) هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة، أبو معبد أو أبو عمرو، كان حالف الأسود بن عبد يغوث في الجاهلية فتنه، فلما نزل القرآن ادعواهم لأبائهم، قيل: المقداد بن عمرو، شهد بدرًا، وله فيها مقام مشهور، توفي سنة 33هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 3/119، وأسد الغابة 5/242، والإصابة في تمييز الصحابة 6/160.

(7) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الزهد والرفائق، ب: النهي عن المدح [3002] 4/2297.

وقوله ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: ولا يتركون لأحد من الأجر ما يوازن مقدار الفتيل. قال ابن عباس وموافقوه: هو ما يكون في شق النواة⁽¹⁾، وعنه أيضا هو ما فتلت بين أصبعيك⁽²⁾ وكلاهما متقارب.

وقوله ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: في تزكيتهم أنفسهم، ودعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وقولهم: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا⁽³⁾ وقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾⁽⁴⁾ واتكاهم على أعمال آبائهم الصالحة، ثم قال ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ أي: كفى بصنيعهم هذا كذبا وافتراء ظاهرا.

وقوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِبْتِ وَالطَّغُوتِ﴾ قال عمر بن الخطاب: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان. وعليه ابن عباس وتابعوه⁽⁵⁾، وعنه أيضا الجبت: الشيطان بالحبشية والشرك والأصنام⁽⁶⁾ وقيل: الكاهن وقيل: المراد هاهنا حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف⁽⁷⁾ قال الجوهري في الصحاح: الجبت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك⁽⁸⁾، وفي الحديث: «الطيرة والعيافة والطرق من الجبت»⁽⁹⁾ وهذا ليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في حرف واحد من غير حرف دَوْلَقِيٍّ، قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخيط يخط في الأرض⁽¹⁰⁾، وسبق الكلام على

(1) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [600] 1/ 462.

(2) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية 2/ 1353.

(3) سورة البقرة، الآية (111).

(4) سورة البقرة، الآية (79).

(5) ينظر: جامع البيان 8/ 463.

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5444].

(7) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 379.

(8) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 1/ 245.

(9) ينظر: مسند ابن أبي شيبة لأبي بكر بن أبي شيبة، دار الوطن - الرياض، ط: 1 - 1997م [884] 2/ 371.

(10) ينظر: المعجم الكبير للطبراني 18/ 369.

الطاغوت في سورة البقرة، قال جابر: الطاغوت: الكاهن ينزل عليه الشيطان⁽¹⁾ ، وقال مجاهد: هو الشيطان في صورة الإنسان يتحاكمون إليه⁽²⁾ ، وقال الإمام مالك: كل ما يعبد من دون الله تعالى⁽³⁾ . وقوله ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ أي: يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم وقلة دينهم، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم، عن عكرمة قال: «جاء حُيَيُّ بن أخطب وكعب بن الأسرف إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهل كتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد؟ فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء⁽⁴⁾ ، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العنأة⁽⁵⁾ ، ونسقي الحجيج ومحمد خالف ديننا، وقطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيج ممن غفار، فنحن خير أم هو؟ قالوا: أنتم خير وأهدى سبيلا، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ الآية⁽⁶⁾ .

وفي رواية عن ابن عباس «أنهم قالوا لكعب بن الأشرف: ألا ترى هذا الصُّنْبُور⁽⁷⁾ المنبتر⁽⁸⁾ من قومه؟ يزعم أنه خير منا، ونحن نصل الأرحام إلى آخره»⁽⁹⁾ .

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ هذا لعن لهم وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنهم استنصروا بالمشركين وقالوا لهم ذلك؛ لينصروهم. وقد أجابوهم وجاءوا معهم يوم الأحزاب، حتى حفر المسلمون الخندق، فكفى الله شرهم وهزمهم ولم ينالوا خيراً.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5452] 3/ 976.

(2) ينظر: تفسير مجاهد 1/ 284.

(3) ينظر: تفسير القرآن 1/ 436.

(4) هي: الناقة العظيمة، ينظر: تهذيب اللغة 10/ 220.

(5) أي: الأسير، ينظر: المغرب في ترتيب المعرب لناصر الخوارزمي المطرزي، دار الكتاب العربي 1/ 330.

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5441] 3/ 974.

(7) الصنْبُور: هي النخلة تخرج من أصل النخلة الأخرى، ينظر: تهذيب اللُّغة 12/ 190.

(8) المنبتر: هو الذي لا ولد له، ينظر: لسان العرب لابن منظور، دار المعارف - القاهرة 1/ 205.

(9) أخرجه ابن المنذر في تفسيره [1882] 2/ 748.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَاتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ (1)

هذا استفهام إنكار، أي: ليس لهم نصيب من الملك. ثم وصفهم بالبخل [فقال] (2) ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي: لأنهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما أعطوا أحداً من الناس- ولا سيما محمداً- شيئاً، ولا ما يملأ النقير، وهو النقطة التي في النواة (3)، ولكمال بخلهم وشحهم، وهذا كقوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ الآية، ولهذا قال: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ فَتُورًا﴾ (4) أي: بخيلاً.

ثم قال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ يعني بذلك: حسداهم النبي ﷺ على ما رزقهم الله من النبوة العظيمة، ومنعهم من تصديقهم إياه حسداهم له؛ لكونه من العرب وليس منهم، قال ابن عباس: «نحن الناس دون الناس» (5).

قال تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾ أي: فقد جعلنا في أسباط بني إسرائيل- الذي هم من ذرية إبراهيم- النبوة، وأنزلنا عليهم الكتاب، وحكموا فيهم السنن- وهي الحكمة- وجعلنا منهم الملوك، ومع هذا ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ أي: بهذا الإيتاء والإنعام ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أي: كفر به وأعرض عنه، وسعى في صد الناس عنه، وهم منهم ومن جنسهم، فكيف بك يا محمد ولست منهم؟ وقال أيضاً ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ أي: فمنهم من آمن بمحمد ﷺ ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ فالكفرة منهم أشد تكذيباً لك، وأبعد عما جئتكم به من الهدى، والحق المبين، ولهذا قال متوعداً لهم: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ أي: وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم لكتب الله ورسوله.

(1) سورة النساء، الآيات (52-55).

(2) سقط من المخطوط.

(3) النقير: نقرة في ظهر النواة، ينظر: تهذيب اللغة 9/ 92.

(4) سورة الإسراء، الآية (100).

(5) أخرجه ابن المنذر في تفسيره [1896] 2/ 753.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا تَضَجَّتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ (1)

أخبر الله عما يعاقب به في نار جهنم من كفر بآياته وصدّ عن رسله، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا﴾ أي: ندخلهم فيها دخولاً يحيط بجميع إجرامهم، وأجزائهم. ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم، فقال: ﴿كَلَّمًا تَضَجَّتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ قال ابن عمر: أحرقت جلودهم ببدلوا جلوداً بيضاء أمثال القراطيس (2)، وقيل: يجعل للكافر مائة جلد، بين كل جلدتين لون من العذاب (3)، وقال الحسن: تنضجهم في اليوم سبعين ألف مرة (4)، وزاد بعضهم: كلما أنضجهم فأكلت لحومهم قيل لهم: عودوا فعادوا (5). روى ذلك كله ابن حاتم.

وقال معاذ بن جبل: تُبدل في الساعة مائة مرة (6)، وقال كعب الأحبار: عشرين ومائة مرة (7) وصدقهما عمر مرفوعاً (8).

وقال الربيع بن أنس (9): مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون ذراعاً، وسنة تسعون ذراعاً، وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه، فإذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلوداً

(1) سورة النساء، الآيتان (56-57).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5494] 3/982.

(3) المصدر السابق [5497] 3/983.

(4) المصدر السابق [4592] 3/830.

(5) المصدر السابق [5496] 3/983.

(6) ينظر: اللُّبَاب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين النعماني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1-1419هـ/6/428.

(7) تفسير المظهري 1412هـ/2/145.

(8) ينظر: فتح القدير للشوكاني 1/554.

(9) سبق ترجمته.

غيرها⁽¹⁾، ويؤكد ذلك الحديث الذي أبلغ منه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «يعظم أهل النار في النار، حتى إن من شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة، وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد» رواه أحمد⁽²⁾.

وقوله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذا إخبار عن مآل السعداء في جنات عدن، التي تجري فيها الأنهار في جميع فجاجها ومحالها وأرجائها، حيث شأؤوا وأين أرادوا، وهم خالدون فيها لا يحولون ولا يزولون ولا يبغون عنها حولا.

قوله ﴿لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ مُّطَهَّرٌ﴾ أي: من الحيض والنفاس والأذى، والأخلاق الرذيلة والصفات الناقصة، كما قال ابن عباس وموافقوه: مطهرة من القذر والأذى⁽³⁾، وقال مجاهد: من النخام والبزاق والمني والولد والإثم ولا حيض ولا كلف⁽⁴⁾ قاله قتادة أيضا⁽⁵⁾.

وقوله ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ أي: ظلا عميقاً كثيراً غزيراً طيباً أنيقاً، وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، قيل: هي شجرة الخلد»⁽⁶⁾.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9835] 8/485.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [4800] 8/419، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [539] 1/395.

(4) ينظر: تفسير مجاهد 1/198.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [266] 1/67.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: بدء الخلق، ب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة [3251] 4/119، ومسلم في صحيحه، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: إن في الجنة شجرة... [2826] 4/2175.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ
 إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (1)

لقد أمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها عموماً، وقد ورد في السنن عن سمرة (2)، أن النبي ﷺ قال: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك» (3)، وهذا عام في حقوق الله وحقوق عباده، مما ياتمنون فيه بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه يوم القيامة، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدّنّ الحقوق إلى أهلها، حتى يقتصر للشاة الجماء» (4) من القرآن» (5)، قال أبو العالية (6): «الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه» (7)، قال ابن عباس: وهي مسجلة للبر والفاجر (8)، وقال كثير من المفسرين: إن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة (9)، واسم أبي طلحة: عبدالله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب،

(1) سورة النساء، الآية (58).

(2) هو: سمرة بن جندب بن هلال بن حريج بن مرة الفزاري، أبو سعيد، من علماء الصحابة، كان عظيم الأمانة يجب الإسلام وأهله، روى عن النبي ﷺ وأبي عبيدة بن الجراح، روى عنه: ابنه سليمان بن سمرة وأبو قلابة الجرمي وعبد الله بن بريدة وغيرهم، وعن ابن سيرين أنه قال: كان سمرة عظيم الأمانة، صدوقاً، ما كان متهماً في الحديث، وكان شديداً على الخوارج، توفي سنة 58هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 108/6، و التاريخ الكبير لابن أبيخيثمة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة، ط: 1-1427هـ 268/1، و معرفة الصحابة لأبي نعيم 1415/3 -.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، ك: البيوع، ب: في الرجل يأخذ حقه من تحت يده [3534] 290/3، صححه الألباني.

(4) الجماء: هي التي لا قرن لها، ينظر: كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال 27/6.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: تحريم الظلم [2582] 1997/4.

(6) هو: رفيع بن مهران، أبو العالية الريحاني البصري، الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أحد الأعلام، أدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر ودخل عليه، روى عن: عمر وابن مسعود وعلي وغيرهم، وروى عنه: قتادة وخالد الحذاء وداود بن أبي هند وغيرهم، وعنه أنه قال: قرأت القرآن على عمر ثلاث مرات، حفظ القرآن وتصدر للإقراء والتعليم وأصبح من مشاهير القراء، توفي سنة 90هـ، ينظر: إكمال تهذيب الكمال 395/4، و طبقات المفسرين للداودي 178/1، و معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ 241/1.

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5516] 985/3.

(8) أخرجه ابن المنذر في تفسيره [1918] 761/2.

(9) ينظر: أسباب النزول للنيسابوري 158/1.

القرشي، حاجب الكعبة، وهو ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة، الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم، أسلم عثمان في هدنة صلح الحديبية، أما عمه عثمان بن أبي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم أحد، وكان يومئذ كافرًا⁽¹⁾، وسبب نزولها فيه: عن صفية بنت شيبه⁽²⁾ «أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة ونزل بها واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت فطاف بها سبعا على راحلته، يستلم الركن بمحجن⁽³⁾ في يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها، فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده وطرحها، ثم وقف على باب الكعبة⁽⁴⁾»، وفي رواية عن غيرها «فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يُدعى، فهو تحت قدمي هاتين إلا سَدَانَةَ البيت وسقاية الحاج، فلما انتهت خطبته ﷺ جلس في المسجد، فقام العباس ﷺ ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية، بأبي أنت وأمي، فقال رسول الله ﷺ أين عثمان بن طلحة؟ فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم وفاء وبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية⁽⁵⁾.

(1) ينظر: أسد الغابة 3/572.

(2) هي: صفية بنت شيبه بن عثمان العبدي من بني عبد الدار، روت عن: النبي ﷺ وعن عائشة وأم حبيبة أمهات المؤمنين وغيرهم، وروى عنها: ابنها منصور بن عبد الرحمن والحسن بن مسلم وإبراهيم بن مهاجر وغيرهم، وفي سنن ابن ماجه: أنها رأت النبي ﷺ يوم الفتح دخل الكعبة ولها عيدان فكسرها، ذكرها ابن حبان في ثقات التابعين، ينظر: أسد الغابة 6/172، وسير أعلام النبلاء 4/484، و تهذيب التهذيب 12/430.

(3) هي: العصا التي اعوج طرفاها خلقة في شجرتها، ينظر: لسان العرب 2/310.

(4) أخرجه أبو الوليد في أخبار مكة وما جاء فيها من آثار 1/169.

(5) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى 8/120.

وقوله ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ قالوا: نزلت في الأمراء والحكام بين الناس، وفي الحديث «إن الله مع الحاكم ما لم يُجر، فإذا جار وكله إلى نفسه»⁽¹⁾ وفي الأثر «عدل يوم كعبادة أربعين سنة»⁽²⁾.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ أي: يأمركم به من أداء الأمانات، والحكم بالعدل بين الناس، وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة الشاملة.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ أي: لأقوالكم ﴿بَصِيرًا﴾ بأعمالكم. «وكان أبو هريرة إذا قرأ هذه الآية يضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه، ويقول: هكذا سمعت رسول الله يقرأ بها ويضع أصبعيه يعني إبهامه اليمنى والتي تليها على الأذن اليمنى» هكذا رواه أبو داود⁽³⁾ وغيره.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾⁽⁴⁾

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبد الله بن حُذافة وهكذا رواه البخاري⁽⁵⁾ وغيره، وفي الصحيحين عن علي عليه السلام قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية، واستعمل عليهم رجلا من الأنصار، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء. قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، فقال: أجمعوا لي حطبا، ثم دعا بنار فأضرمها به منه، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنَّها، فقال لهم شاب: إنما فررتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار، فلا

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الأحكام، ب: التغليظ في الحيف والرشوة [2312] 775/2، بلفظ إن الله مع القاضي.

(2) ينظر: الترغيب والترهيب 109/3.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الطهارة، ب: في الجهمية [4728] 233/4، حكم الألباني: صحيح الإسناد.

(4) سورة النساء، الآية (59).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [4584] 46/6.

تعجلوا حتى تلقوا رسول الله فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها، قال: فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه، فقال لهم: لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدا، إنما الطاعة في المعروف»⁽¹⁾، وفيهما أيضا عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فما أحب وكره، مالم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»⁽²⁾.

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «اسمعوا وأطيعوا، وإن أمر عليكم عبد حبشي» رواه البخاري⁽³⁾، وفي مسلم أن رسول الله ﷺ قال في خطبة حجة الوداع: «ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا له وأطيعوا»⁽⁴⁾، وفيهما أيضا عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، وكلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا يا رسول الله: فما تأمرنا؟ قال: أوفوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»⁽⁵⁾.

وعن ابن عباس قال: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ يعني: أهل الفقه والدين⁽⁶⁾، ووافقه أكثر التابعين، والظاهر: أن الآية عامة في كل من الأمراء والعلماء، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني، ومن عصى أميرى فقد عصاني»⁽⁷⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأحكام ب: السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية [7145] 63/9، ومسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية [1840] 1469/3.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: السمع والطاعة للإمام [2955] 49/4، ومسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية [1839] 1469/3.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأحكام، ب: السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية [7142] 62/9.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية [1838] 1468/3.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: ما ذكر عن بني إسرائيل [3455] 169/4، ومسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول [1842] 1471/3.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9867] 500/8.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأحكام، ب: قوله تعالى قوله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [7137] 61/9، ومسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية [1835] 1466/3.

فهذه أوامر بطاعة الأمراء والعلماء، ولهذا قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ أي: اتبعوا كتابه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي: خذوا بسنته ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما تقدم.

وقوله ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله، وفيه: أن كل شيء يتنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه، يرد إلى كتاب الله والسنة، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهد له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي: ردوا الخصومات إليهما فيما شجر بينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

وقوله ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: التحاكم إلى الكتاب والسنة، والرجوع في فصل النزاع إليهما خير ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: أحسن عاقبة ومآلا وجزاء هكذا قالوا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۗ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنزِلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ (1)

لقد أنكر الله تعالى على من يدعي الله الإيمان، بما أنزل الله على رسوله، ويريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية: أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي [يقول] (2) بيني وبينك محمد. وذاك يقول بيني وبينك كعب بن الأشرف (3). وقيل: من المنافقين ممن أظهر

(1) سورة النساء، الآيات (60-63).

(2) سقط من المخطوط.

(3) ينظر: أسباب نزول القرآن للنيسابوري 1/162.

الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى أحكام الجاهلية. وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة ممن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكما إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا، ولهذا قال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ إلى قوله ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ أي: يعرضون عنك إعراضا كالمستكبرين عن ذلك، كما قال تعالى عن المشركين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الآية، وقال في ذم المنافقين: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ أي: فكيف بهم إذا ساقتهم المقادير إليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم، واحتاجوا إليك في ذلك ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إي: يعتذرون إليك ويحلفون: ما أردنا بذهابنا إلى غيرك، وتحاكمنا إلى من عداك إلا الإحسان والتوفيق، أي: المداراة والمصانعة، لا اعتقاداً⁽¹⁾ بصحة تلك الحكومة.

ثم قال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: هذا الضرب من الناس منافقون، والله أعلم بما في قلوبهم ويجازيهم على ذلك، فإنه لا يخفى عليه خافية، فاكتف به -يا محمد- فيهم⁽²⁾، ولهذا قال له: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تعنفهم على ما في قلوبهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ أي: انهم عما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر ﴿وَقُلْ لَهُمْ﴾ أي: وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾⁽³⁾ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً⁽³⁾

أي: إلا فرضت طاعته على من أرسلته إليهم، ولا يطيع أحد إلا بإذني وبتوقي إياه لذلك، وقوله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يرشد الله تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا

(1) زاد ابن كثير لفظ منا، ينظر: تفسير القرآن العظيم 347/2.

(2) زاد ابن كثير فإنه عالم بظواهرهم وبواطنهم، ينظر: تفسير القرآن العظيم 347/2.

(3) سورة النساء، الآيتان (64-65).

قال: ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا﴾ والحكاية المنقولة عن العُتْبَى في زيارة الأعرابي قبر رسول الله ﷺ واستغفاره عنده والتماسه الاستغفار عنه ﷺ له مشهورة⁽¹⁾.

وقوله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ يقسم الله بنفسه الكريمة: أنه لا يؤمن أحد حتى يُحْكَم الرسول - عليه الصلاة والسلام - في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً أو باطناً، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: إذا حكموك يُطيعوك في مواطنهم⁽²⁾ فلا يجدوا حرجاً مما حكمت به، وينقادوا له في الظاهر، فسلموا لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، كما روي أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» رواه في شرح السنن وصححه النووي⁽³⁾.

وفي البخاري عن عروة بن الزبير⁽⁴⁾ قال: «خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريح من الحرّة، فقال النبي ﷺ اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك، فقال الأنصاري: يا رسول الله، أن كان ابن عمك؟! فتلون وجهه، قال: اسق يا زبير، ثم احبس الماء يعني حتى ترجع إلى الجذر، ثم أرسل الماء إلى جارك، فاستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم، حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار عليهما بأمر فيه سعة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية»، هذا وصورته صورة الإرسال وهو في المعنى متصل، فإن عروة سمع هذا الحديث من أخيه عبد الله عن أبيه الزبير، وهكذا رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾ والنسائي⁽⁶⁾ أيضاً، والرجل الذي خاصمه الزبير هو: حاطب بن أبي بلتعة البدري⁽⁷⁾.

(1) إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر 1/ 54.

(2) وعند ابن كثير "في مواطنهم"، ينظر: تفسير 2/ 349.

(3) أخرجه الشيباني في كتاب السنة [15] 1/ 12.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المساقاة، ب: سكر الأنهار [2359] 3/ 111.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5558] 3/ 993.

(6) أخرجه النسائي في سننه، ك: القضاء، ب: التسهيل للحاكم المأمون أن يحكم وهو غضبان [5924] 5/ 412.

(7) ينظر: الكشف والبيان عن تأويل القرآن 3/ 340.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دَيْرِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ (1)

أخبر الله تعالى عن أكثر الناس لو أمروا بما هم مرتكبونه من المناهي لما فعلوه؛ لأن طبائعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ وقد ورد في حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ «لو نُهيَ الناس عن فتِّ بكرة لفتَّوها» (2)، وفي الحديث مرسلًا أن رسول الله ﷺ قال: «لو نُهيَتْ رجلا أن يأتوا الحَجُون» (3) لأتوها وما لهم بها حاجة» (4) ولهذا قيل: النفس مائلة إلى الممنوع، والعامّة تقول: كل الممنوع حلٌّ، وهذا صحيح، فإن من الفواحش لو أمر به، أو كان مباحًا أو مسكوتًا عنه، لما فعله أحد كالمياط (5).

وعن الحسن البصري قال: «لما نزلت ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ الآية قال أناس من أصحاب النبي ﷺ: لو أمرنا لفعلنا، والحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: إن من أمي رجلا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (7).

(1) سورة النساء، الآيات (66-70).

(2) ينظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين 1/165.

(3) الحَجُون: بفتح الحاء، جبل بمكة، وهي مقبرة، ويقال: غزوة حجون أي: بعيدة، ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 5/2097.

(4) أخرجه ابن كثير في جامع المسانيد والسنن [7145] 5/626.

(5) المياط: اللعاب البطال، ينظر: جمهرة اللغة 2/929.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9921] 8/526.

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5565] 3/995.

ولما نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق: «يا رسول الله، والله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت، قال: صدقت يا أبا بكر»⁽¹⁾، وأشار النبي ﷺ إلى ابن مسعود وابن رواحة بأنهما من أولئك القليلوهذا قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: يؤمرون به، و تركوا ما يُنهون عنه، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أي: مخالفة الأمر وارتكاب النهي ﴿وَأَشَدَّ تَثِيْبًا﴾ أي: تصديقا ﴿وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: من عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: الجنة ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

قال تعالى ﴿وَمَن يُطِْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ أي: عمل بما أمره الله ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقا للأنبياء، ثم لمن بعدهم في المرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين، ثم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلا نيتهم، ثم أثنى عليهم فقال: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ وسبب نزول هذه الآية ما روي عن سعيد بن جبیر أنه قال: «جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ وهو محزون، قال نحن نغدو عليك ونروح، ننظر إلى وجهك ونجالسك، غدا ترفع مع النبيين فلا نصل إليك، فلم يرد النبي ﷺ عليه شيئا، فأتاه جبريل بهذه الآية ﴿وَمَن يُطِْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية قال: فبعث إليه النبي ﷺ فبشره»⁽²⁾، وفي رواية أخرى أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «إن الأعلىين ينحدرون إلى من هو أسفل منهم، فيجتمعون في رياضها، فيذكرون ما أنعم الله عليهم، ويشنون عليه، وينزل هم أهل الدرجات فيبتغون بما يشتهون وما يدعون به، فهم في روضة يجبرون ويتنعمون فيها» رواه ابن جرير⁽³⁾.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5566] 3/ 993.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9924] 8/ 534.

(3) ينظر: جامع البيان 7/ 216.

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي⁽¹⁾ أنه قال: «كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتته بوضوئه وحاجته، فقال لي: سل. فقلت يا رسول الله: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أو غير ذلك؟ فقلت: هو ذلك. قال: فأعني على ذلك بكثرة السجود» رواه مسلم⁽²⁾.

وفي الترمذي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»⁽³⁾، وفي الموطأ والصحيحين عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة ليرآون أهل الغرف من فوقهم، كما تراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق والمغرب، لتفاضل ما بينهم، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى. والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»⁽⁴⁾، ولهذا قال تعالى ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عند الله برحمته هو الذي أهّلهم لذلك، لا بأعمالهم، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ أي: هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق.

(1) هو: ربيعة بن كعب الأسلمي، أبو فراس المدني الحجازي، أسلم وصحب النبي ﷺ قديماً وكان يلزمه وكان محتاجاً من أهل الصفة، روى عن: النبي ﷺ، وروى عنه: أبو سلمة بن عبد الرحمن وحنظلة الأسلمي وأبو عمران الجوني، وهو الذي سأل النبي ﷺ أن يرافقه في الجنة فقال: أعني على نفسك بكثرة السجود، توفي سنة 63هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 4/234، و أسد الغابة 2/268، و تهذيب الكمال في أسماء الرجال 9/141.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الصلاة، ب: فضل السجود والحث عليه [489] 1/353.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، ك: البيوع عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في التجار... [1209] وقال: حديث حسن.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: بدء الخلق، ب: ما جاء في صفة أهل الجنة وأنها مخلوقة [3256] 4/119، ومسلم في صحيحه، ك: الجنة وصفة نعيم أهلها، ب: تراثي أهل الجنة أهل الغرف [2830] 4/2177.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابْتَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾⁽¹⁾

أمر الله تعالى المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم، بإعداد الأسلحة والعدد، وتكثير العدد وبالنفير في سبيل الله ﴿ثُبَاتٍ﴾ أي: جماعة بعد جماعة، وسرية بعد سرية، جمعثة، قال ابن عباس: أي: عُصبا أي: سرايا متفرقين⁽²⁾ ﴿أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ يعني: كلكم ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ قالوا: نزلت في المنافقين⁽³⁾، أي: ليتخلفن عن الجهاد، ويحتمل أن يتباطأ هو نفسه، ويبطئ غيره عن الجهاد ﴿فَإِنْ أَصَابْتُمْ مُصِيبَةً﴾ أي: من قتل أو شهادة وغلبه عدو، لما لله في ذلك من الحكمة ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ أي: إذ لم أحضر معهم وقعة القتال، يعد ذلك من نعم الله عليه، وما يدرى ما فاته من الأجر في الصبر والشهادة إن قتل. ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: نصر وظفر وغنيمة قال: ﴿كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ أي: كأنه ليس من أهل دينكم ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أي: بأن يضرب لي معهم بسهم مما حصل عليه. وهو أكبر قصده وغاية مراده. ثم قال تعالى ﴿فَلْيُقَاتِلْ﴾ أي: المؤمن النافر ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: كل من قاتل في سبيل الله ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ أي: يبيعون دينهم بعرض قليل من الدنيا، وما ذاك إلا بكفرهم وعدم إيمانهم. ثم قال تعالى ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: كل من قاتل في سبيل الله -سواء قتل أو غلب أو سلب- فله عند الله مثوبة عظيمة وأجر جليل، كما ثبت

(1) سورة النساء، الآيات (71-74).

(2) ينظر: جامع البيان 218/7.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5587] 3/999.

في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «انتدب الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا إيمان بي، وتصديق برسلي، أن أرجعه بما نال من أجر، أو غنيمة، أو أدخله الجنة»⁽¹⁾.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ فَفَقَتُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾⁽²⁾

هذا تحريض على الجهاد، وعلى السعي واستنقاذ المستضعفين بمكة، من الكبار والصغار المتبرمين بالمقام بها، ولهذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعني: مكة ثم وصفها بـ ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ أي: سخر لنا من عندك ولياً يلي أمرنا وناصراً يمنع العدو عنا. ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: المؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورسوله، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان، ثم هيج تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله ﴿فَقَتَلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: حُزبه وجنوده وهم: الكفار ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة هرب وخذل حُزبه.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الإيمان، ب: الجهاد من الإيمان [36] 16/1.

(2) سورة النساء، الآيتان (75-76).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ (1)

كان المؤمنون في الابتداء - وهم بمكة - يؤمرون بالصلاة والزكاة، وإن لم يبلغ ما لهم نصاباً ليواسوا الفقراء منهم، وبالصفح والعفو عن المشركين، والصبر إلى حين، وكانوا (2) يودّون لو أمروا بالقتال ليتشفوا من أعدائهم، ولم يكن الحال مناسباً؛ لقلّة عددهم، وكثرة عدوّهم ولكونهم في بلدهم وهو البلد الحرام وأشرف بقاع الأرض، فلم يكن الأمر بالقتال ابتداءً لائقاً بالحال، ولما هاجروا إلى المدينة وحصل لهم منعة وأنصار أمروا بذلك، ومع هذا جزع بعضهم خوفاً من مواجهة الناس ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: لو ما أخرت فرضه إلى مدة أخرى، فإنّ فيه سفك الدماء، ويؤم الأطفال، وتأييم النساء، وهذه الآية في الجهاد في معنى قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ (3) إلى آخر الآية.

عن ابن عباس قال: «إن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة، فقالوا: يا رسول الله، كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنة صرنا أذلة، قال: إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم. فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال، فكفوا، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية» (4)، والمراد بالأجل القريب: الموت.

(1) سورة النساء، الآيات (77-79).

(2) زاد ابن كثير يتحرقون، ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/359.

(3) سورة محمد، الآية (20)

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9951] 8/549.

وقوله ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ أي: آخرة المتقي خير من دنياه ﴿وَلَا تُظَلِّمُونَ فَيِّنًا﴾ أي: من أعمالكم؛ بل توفوا بها أتم الجزاء، وهذا ترغيب لهم في الآخرة وتحريض على الجهاد، وقرأ الحسن هذه الآية، فقال: رحم الله عبداً صحبها على حسب ذلك، وما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجل نام نومة، فرأى في منامه بعض ما يجب، ثم انتبه⁽¹⁾. وكان أبو مسهر⁽²⁾ ينشد:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له * من الله في دار البقاء نصيب
فإن تُعجب الدنيا رجلاً فإنها * متاع قليل والزوال قريب⁽³⁾

وقوله ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أنتم صائرون إلى الموت لا محالة، لا ينجوا أحد منكم، كما في غيرها من الآيات سواء جاهد أو لم يجاهد، فإن له أجلا محتوما وأمرأ مقسوماً، كما قال خالد بن الوليد حين جاءه الموت على فراشه: لقد شهدت كذا وكذا موقفاً، وما من عضو من أعضائي إلا وفيه جرح من طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشي، فلا نامت أعين جناء⁽⁴⁾، وقد مر هذا في سورة البقرة.

وقوله ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ أي: حصينة منيعة عالية، وقيل: هي بروج في السماء وهو ضعيف⁽⁵⁾، فإنه لا يغني حذر ولا تُحصن من الموت كما قال [زهير]⁽⁶⁾:

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5635] 3/1006.

(2) هو: عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى بن مسهر، أبو مسهر بن أبي ذرامة الغساني الدمشقي، قرأ القرآن على أيوب بن تميم، روى عن: عبد الله بن العلاء بن زبر وسعيد بن بشير ومعاوية بن سلام وغيرهم، روى عنه: مروان ابن محمد الطاطري ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم، قال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل يقول: رحم الله أبا مسهر ما كان أثبت، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن أبي مسهر فقال: ثقة، ما رأيت أفصح منه ممن كتبنا عنه هو وأبو الجماهر، توفي سنة 228هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 7/473، وسير أعلام النبلاء 8/352، وتهذيب الكمال 16/376.

(3) ينظر: روض الأخبار المنتخب مع ربيع الأبرار 1/351.

(4) أخرجه الدينوري في كتابة المجالسة [836] 3/194.

(5) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 2/80.

(6) في المخطوط طرفة، والصحيح ما أثبت، وهو: زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح، وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وكان شاعر الشعراء؛ لأنه كان لا يعاقل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه وكان معروفاً بالتنقيح والتهذيب، قيل لابن عباس من أشعر الشعراء؟ قال: زهير بن أبي سلمى، عاش 120 سنة، ينظر: تاريخ الطبري 4/223، و تلقيح فهوم أهل الأثر 1/329، ونشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب 1/79.

وَمَنْ خَافَ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ يَلْقَهَا * وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ⁽¹⁾

والمشيئة بالتشديد المطولة.

وقوله ﴿وَإِنْ تُصِبَّهُمْ حَسَنَةٌ﴾ أي: خصب ورزق من ثمار و زروع وأولاد ونحو ذلك ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: قحط وجذب ونقص في الثمار و الزروع، أو موت في أولاد أو نتاج يقولوا هذه من قبلك، وبسبب اتباعنا لك واقتدائنا بدينك، كما في غيرها من الآيات هذا عن ابن عباس وموافقيه⁽²⁾.

وهكذا حال هؤلاء المنافقين دخلوا في الإسلام ظاهراً وهم كارهون له في نفس الأمر، ولهذا إذا أصابهم شر استندوه إلى متابعتهم للنبي ﷺ.

وقوله ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: الجميع بقضاء الله وقدره، وهو نافذ في البر والفاجر، والمؤمن والكافر، قال ابن عباس: إنما الحسنة والسيئة⁽³⁾ ثم قال تعالى منكرًا عليهم في تلك المقالة الصادرة عن شك وريب، وقلة فهم وعلم، وكثرة جهل وظلم: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ أي: قولاً والمراد به: القرآن⁽⁴⁾. أي: لا يفهمون معنى القرآن، ثم خاطب الرسول - عليه الصلاة والسلام - والمراد: جنس الإنسان؛ ليحصل الجواب ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ أي: من فضل الله ومنه ولطفه ورحمته ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ أي: فمن قبلك وعملك أتيت، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾⁽⁵⁾ وقيل: ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ أي: بذنبك عقوبة لك. قال قتاد⁽⁶⁾: وذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول: «لا يصيب رجلاً خدشُ عود، ولا عشرة قدم، ولا

(1) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب 422/1.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 5/286.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [9967] 8/557.

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5651] 3/1009.

(5) سورة الشورى، الآية (30).

(6) سبق ترجمته.

اختلاج⁽¹⁾ عرق إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر⁽²⁾، وقد روى في الصحيحين أبو سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها»⁽³⁾.

وقوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ أي: تبلغهم شرائع الله فيما يحبه ويرضاه وبما يكرهه ويأباه ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: على أنه أرسلك، وهو شهيد أيضا بينك وبينهم، وعالم بما تبلغهم إياه، وبما يردون عليك من الحق كفرًا وعنادًا.

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾⁽⁴⁾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾⁽⁴⁾

وقد سبق قريبا أنه في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني»⁽⁵⁾.

وقوله ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي: لا عليك منه، إنما عليك الإبلاغ فمن تبعك سعد ونجا، ولك مثل أجره، ومن تولى عنك خاب وخسر، وليس عليك من الأمر شيء، وكما جاء في الحديث «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه»⁽⁶⁾.

(1) الاختلاج: الاضطراب، ينظر: المغرب في تعريب المعرب 150/1.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان [9357] 253/12.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المرضى، ب: ما جاء في كفارة المريض [5641] 114/7، ومسلم في صحيحه،

ك: البر والصلة والآداب، ب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض [2573] 1992/4.

(4) سورة النساء، الآيتان (80-81).

(5) سبق تخريجه .

(6) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الطهارة، ب: الرجل يخطب على القوس [1097] 287/1، ضعفه الألباني.

وقوله ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أي: يظهرون الموافقة والطاعة ﴿فَإِذَا بَرَأُوا﴾ أي: خرجوا من عندك ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ أي: استتروا ليلا فيما بينهم بغير ما أظهره لك، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ أي: يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبتين، الذين هم موكلون بالعباد، يعلمون ما يفعلون، والمعنى في هذا التهديد، أنه تعالى أخبر أنه عالم بما يضمرونه ويسترونه فيما بينهم، وما يتفقون عليه ليلا من مخالفة الرسول وعصيانه، وسيجزئهم على ذلك.

وقوله ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ أي: اصفح عنهم، واحلم عليهم، ولا تكشف أمورهم للناس ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: اتخذه وكيلا ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ أي: كفى به وليا وناصرًا ومعينا لمن توكل عليه وأتاب إليه.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٨٣﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ (1)

التدبر: هو النظر في آخر الأمر (2). ولقد أمر الله بتدبر القرآن، ونهى عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه وألفاظه البليغة مخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه، ولا اضطراب ولا تضاد لأنه تنزيل من حكيم حميد، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: ولو كان مفتعلاً مختلفاً كما يقول جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ أي: اضطراباً وتضاداً كثيراً، وهذا سالم من ذلك كله، فهو من عند الله.

عن عبد الله بن عمرو قال: «سمع النبي ﷺ قوما يتدارعون في القرآن فقال: إنما أهلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه» رواه

(1) سورة النساء، الآيات (82-83).

(2) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن 1/ 667.

(1) أحمد وابن ماجه⁽²⁾، وعنه أيضا قال: «هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَإِنَّا لَجُلُوسٌ إِذَا اِخْتَلَفَ اثْنَانِ فِي آيَةٍ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكْتَ الْأُمَّمُ قَبْلَكُمْ بِاِخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ» رواه مسلم⁽³⁾ والنسائي⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ﴾ إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها ويفشها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة، والإذاعة: الإشاعة والإفشاء⁽⁵⁾. وفي مقدمة صحيح مسلم قال: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع»⁽⁶⁾ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي: الخلفاء الراشدين وذوي الرأي من الصحابة ﴿لَعَلِمَةُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ وهم العلماء علموا ما ينبغي أن يكتفوا وما ينبغي أن يفشى.

والاستنباط: الاستخراج، أي: يستخرجونه ويستعملونه من معادنه، يقال: استنبط الرجل العين إذا حفرها واستخرجها من قرارها.

وقوله ﴿لَا تَبْعُتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: المؤمنين. وعن قتادة: يعني كلكم. مستشهداً بقول الطرمح⁽⁷⁾:

أشَمَّ كثير بوادي النوال * قليل المثالب والقادحة

يعني: لا مثالب له ولا قادحة فيه.

(1) أخرجه أحمد في مسنده [6741] 354/11.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الإيمان، ب: في القدر [85] 33/1.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: العلم، ب: النهي عن اتباع متشابه القرآن [2666] 2053/4.

(4) أخرجه النسائي في سننه، ك: فضائل القرآن، ب: ذكر الاختلاف [8041] 290/7.

(5) ينظر: تفسير الماتريدي 277/3.

(6) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، ب: النهي عن الحديث بكل ما سمع [4] 10/1.

(7) هو: الطرمح بن الحكيم بن الحكم بن نفر بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن جرول، الشاعر الشامي، خارجي المذهب، والطرمح الطويل وجده قيس بن جحدر وله صحبة، توفي سنة 125هـ، ينظر: المؤلف والمختلف من أسماء الشعراء 1/191، و تاريخ دمشق 24/465، و معجم المؤلفين 5/40.

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (٨٤) مَن يَشْفَعُ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعُ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِمَّا أَوْ رَدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ (1)

أمر الله رسوله أن يباشر القتال بنفسه، ومن نكل عنه فلا عليه منه، ولهذا قال: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ وعن البراء قال: «لما نزلت ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال النبي ﷺ لأصحابه: قد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا» (2).

وقوله ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: على القتال ورغبهم فيه وشجعهم عنده، كما قال لهم رسول الله ﷺ يوم بدر وهو يسوي الصفوف: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» (3)، وفي البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا يا رسول الله: أفلا نبشر الناس بذلك؟ فقال: إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» (4).

وقوله ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بتحريضك إياهم على القتال، وعلى مناجزة الأعداء ومدافعتهم عن حوزة الإسلام، ومقاومتهم ومصابرتهم.

(1) سورة النساء، الآيات (84-87).

(2) ينظر: الدر المنثور 2/603.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [12398] 19/389.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: درجات المجاهدين في سبيل الله [2790] 4/16.

وقوله ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ أي: هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة، فإنه أشد دولة وسلطانا وأشد عقوبة.

وقوله ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً﴾ أي: من يسعى في أمر فترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «اشفعوا فلتؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء»⁽¹⁾، قال مجاهد: هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض⁽²⁾ والكفل: النصيب. قال ابن عباس: الشفاعة الحسنة: هي الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة: هي المشي بالنميمة بينهم⁽³⁾، وقيل: الحسنة: حسن القول في الناس، ينال به الثواب والخير، والسيئة: هي الغيبة وإساءة القول في الناس ينال به الشر⁽⁴⁾.

وقوله ﴿كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ أي: من وزرها. وقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ قالوا: أي حفيظا وحسيبا⁽⁵⁾. وقيل: المقيت: الوهاب الرزاق⁽⁶⁾. وقيل: يقيت كل الإنسان بقدر عمله⁽⁷⁾.

وقوله ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ أي: إذا سلم عليكم المسلم السلام فردوا عليه بأفضل مما سلم أو بمثل ما سلم به، والزيادة مندوبة والمماثلة مفروضة، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله. فقال وعليك ورحمة الله، ثم أتى آخر وقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله، فقال له رسول الله ﷺ: وعليك ورحمة الله وبركاته، ثم جاء آخر فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال: وعليك. فقال له الرجل: بأبي أنت وأمي، أتاك فلان وفلان فسلمّا عليك فرددتُ عليهما أكثر مما رددتُ عليّ! فقال: إنك لم تدع لنا شيئا، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأدب، ب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضا [6026] 12/8.

(2) ينظر: تفسير مجاهد 1/287.

(3) ينظر: تفسير القرآن 1/455.

(4) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن 1/668.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10027] 8/583.

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5723] 3/1020.

(7) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 5/296.

رُدُّوْهَا» فرددناها عليك هكذا» رواه ابن جرير⁽¹⁾ وابن أبي حاتم⁽²⁾ ، وفي الحديث دلالة على أن لا زيادة في السلام على هذه الصفة إذ لو كان لزيد رسول الله ﷺ، ولما قال في جوابه ما قال.

وعن عمران بن حصين⁽³⁾ «أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليكم فرد عليه ثم جلس. فقال: عشر. ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه، ثم جلس فقال: عشرون. ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه، ثم جلس. فقال: ثلاثون» رواه أحمد⁽⁴⁾ والترمذي⁽⁵⁾ وأبو داود⁽⁶⁾.

والسلام سنة ورده فريضة⁽⁷⁾ ، وهو فرض على الكفاية، كما أن السلام سنة على الكفاية فإذا سلم واحد من الجماعة كان كافيا في السنة، وإذا سلم واحد على جماعة فرد واحد منهم سقط الفرض عن جميعهم، هذا إذا كان السلام والرد بين المسلمين، فأما أهل الذمة فلا يُبتدئون بالسلام ولا يزدون بل يرد عليهم⁽⁸⁾ ، لما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم: السام عليك فقل:

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10044] 8/589.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5726] 3/1021.

(3) سبق ترجمته.

(4) أخرجه أحمد في مسنده [19948] 33/170.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ، ب: ما ذكر في فضل السلام [2689] 4/349، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(6) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأدب، ب: كيف السلام؟ [5195] 4/350، وصححه الألباني.

(7) ينظر: مختصر اختلاف العلماء 4/397.

(8) ينظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب 4/182.

وعليك»⁽¹⁾ ، وفي مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى ضيقه»⁽²⁾ .

وقوله ﴿حَسِبًا﴾ أي: محاسباً مجازياً في الرد بمثله أو بأحسن منه.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ هذا إخبار بتوحيده وتفرد بالآلهية لجميع المخلوقات، ومتضمن قسماً لقوله ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فإن هذه اللام موطئة للقسم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: بلا شك أنه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيجازي كل عامل بعمله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي: قولاً ووعداً أي: لا أحد أصدق منه⁽³⁾ في حديثه وخبره ووعده ووعيده، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الاستئذان، ب: كيف يرد على أهل الذمة السلام 57/8، ومسلم في صحيحه، ك: السلام، ب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام [2165] 4/1706.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: السلام، ب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام [2167] 4/1705.

(3) ينظر: تفسير القرآن العزيز 1/393.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَذُؤًا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ عَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رُدُّوا إِلَىٰ الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ (1)

قيل: سبب نزول الآية ما في الصحيحين عن زيد بن ثابت (2) «أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد فرجع ناس من الذين خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين: فرقة تقول: نقتلهم. وفرقة تقول: لا. فأنزل الله ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ فقال رسول الله ﷺ: إنها طيبة، وأنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الحديد» (3).

وذكر محمد بن إسحاق أن عبد الله أبي بن سلول رجع يومئذ بثلاث الجيش، رجع بثلاثمائة وبقي النبي ﷺ في سبعمائة (4)، وفي مسند أحمد «أن قوماً من العرب أتوا رسول

(1) سورة النساء، الآيات (88-91).

(2) هو: زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو الأنصاري، أبو سعيد، شيخ المقرئين والفرضيين، قدم المدينة وله إحدى عشرة سنة، روى عن: النبي ﷺ وعن صاحبيه، وروى عنه: أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم، قال فيه النبي ﷺ: «أفرضكم زيد» قال سليمان بن يسار: كان عمر وعثمان لا يقدمان على زيد بن ثابت أحدا في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة، ولما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة: مات حبر الأمة، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس خلفا، توفي سنة 45هـ، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب 537/2، وطبقات الفقهاء للشيرازي 46/1، وسير أعلام النبلاء 67/4.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: فضائل المدينة، ب: المدينة تنفي الخبث [1884] 22/3، ومسلم في صحيحه، ك: صفة المنافقين وأحكامهم [2776] 2142/4.

(4) ينظر: سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام 350/1.

الله ﷺ إلى المدينة فأسلموا، وأصابهم وباء من المدينة حُمَّأها، فأركسوا فخرجوا من المدينة، فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: ما لكم رجعتم؟ فقالوا: أصابنا وباء المدينة فاجتويناها⁽¹⁾، فقالوا: أما كان لكم في رسول الله أسوة؟ فقال بعضهم: نافقوا. وقال بعضهم: لم ينافقوا هم مسلمون. فأنزل الله ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾⁽²⁾ أي: ردهم وأوقعهم في الخطأ⁽³⁾، وقيل: أهلكتهم⁽⁴⁾، وقيل: أضلهم⁽⁵⁾.

وقوله ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي: بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول، واتباعهم الباطل ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ أي: طريق له إلى الهدى والرشاد، ولا مخلص له إليه.

ثم قال: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: هم يودون لكم الضلالة، لتستروا أتم وإياهم فيها، وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يخرجوا معكم إلى الجهاد صابراً محتسباً ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا وتركوا الهجرة، وأظهروا كفرهم ﴿فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ أي: في الحل والحرم ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: لا توالوهم ولا تستنصروا بهم على الأعداء، ما داموا كذلك، ثم استثنى الله سبحانه من هؤلاء فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾ أي: إلا الذين لجؤوا وتحيزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة أو عقد ذمة، فاجعلوا حكمهم كحكمهم. وهذا عن السدي و موافقيه⁽⁶⁾.

وقوله ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقْتَلُوكُمْ﴾ هؤلاء قوم آخرون من المستثنى عن الأمر بقتالهم، وهم الذين يجيئون إلى المصاف، ضيقة صدورهم، محترزين عن قتالهم، ولا يهون

(1) اجتويناها: كرهناها، يقال: اجتوى المدينة إذا كره نزولها، ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس 1/458.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [1667] 3/204.

(3) ينظر: جامع البيان 7/8.

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [614] 1/467.

(5) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/395.

(6) ينظر: جامع البيان 7/292.

عليهم أيضاً أن يقاتلوا قومهم معكم، بل هم لا لكم ولا عليهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: من لطفه بكم أن كفهم عنكم، ولو شاء الله أن يقاتلوكم لقاتلوكم مع قومهم ﴿فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ﴾ أي: عن قتالكم ﴿وَأَلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ﴾ أي: المسالمة والصلح ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: فليس لكم أن تقتلوهم ما دامت حالهم كذلك، وهؤلاء كاجماعة الذين خرجوا من بني هاشم يوم بدر مع المشركين، فحضروا القتال وهم كارهون كالعباس وعقيل، ولهذا نهى النبي ﷺ يومئذ عن قتلهم وأمر بأسرهم (1).

وقوله ﴿سَتَجِدُونَ ءآخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ هؤلاء قوم في الظاهر كمن تقدم، ولكن نية هؤلاء غير نية أولئك، فإن هؤلاء المنافقين يظهرون للمؤمنين الإسلام؛ ليأمنوا بذلك عندهم على دمائهم وأموالهم وأولادهم، ويُصافون الكفار في الباطن، فيتعبدون معهم ما يعبدون ليأمنوا بذلك عندهم، وهم في الباطن مع أولئك. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ (2) الآية.

فقوله ﴿كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ أي: انهمكوا فيها ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ أي: فإن لم يكفوا عن قتالكم ولم يلقوا إليكم السلم، أي: المهادنة والصلح ﴿وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: عن القتال ﴿فَخَذُوهُمْ﴾ أسراء ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ﴾ أي: أهل هذه الصفة ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أي: حجة بينة ظاهرة بالقتل والقتال معهم.

(1) ينظر: البدء والتاريخ للمقدسي 4/ 190.

(2) سورة البقرة، الآية (16).

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمِيْنِكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقُ فِدْيَةٍ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٣﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٤﴾﴾ (1)

أي: ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة» (2)، ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث، فليس لأحد من آحاد الرعية أن يقتله، وإنما ذلك إلى الإمام أو نائبه.

وقوله ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ هو استثناء منقطع، كقول الشاعر:-

من البيض لم تظعن بعيداً ولم تظأ * على الأرض إلا ربط بُردٍ مُرحلٍ (3)

قال مجاهد وغير واحد: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه -وهي أسماء بنت مُخَرَّبَةَ- وذلك أنه قتل رجلاً كان يعذبه مع أخيه على الإسلام، وهو الحارث بن يزيد العامري، وأضمر له عياش السوء، فأسلم له ذلك الرجل وهاجر، وعياش لا يشعر، فلما كان يوم الفتح رآه، فظن أنه على دينه، فحمل عليه فقتله. فأنزل الله هذه الآية (4)، وقال ابن زيد: نزلت في أبي الدرداء (5) لأنه قتل رجلاً، وقد كان قال كلمة لا إله إلا الله

(1) سورة النساء، الآيتان (92-93).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الديات، ب: من أقاد بالحجر [6878] 5/9، ومسلم في صحيحه، ك: القسامة والمحاريين والقصاص والديات، ب: ما يباح به دم المسلم [1676] 3/1302.

(3) ينظر: ديوان جرير 488/1.

(4) ينظر: تفسير مجاهد 288/1.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10093] 9/33.

حين رفع إليه السيف، فأهوى به إليه، فلما ذكر للنبي ﷺ قال: إنما قالها متعوداً، فقال له: «هلاً شققت على قلبه»⁽¹⁾، وفي الصحيح: أن هذا القائل كان أسامة والله أعلم.

وقوله ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا﴾ الواجب في قتل الخطأ اثنان: الكفارة لما ارتكبه من الذنب العظيم وإن كان خطأ، ومن شرطها: أن تكون رقبة مؤمنة، وعن بعض السلف لا يجزئ الصغير حتى يكون قاصداً للإيمان، والجمهور: أنه متى كان مسلماً صح عتقه عن الكفارة، سواء كان صغيراً أو كبيراً⁽²⁾.

وقوله ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ هو الواجب الثاني، فيما بين القاتل وأهل القتيل، عوضاً لهم عما فاتهم من قريبهم، وهذه الدية إنما تجب أخماساً، لما روي ابن مسعود «أن رسول الله ﷺ قضى أن دية الخطأ عشرون بنت مخاض، وعشرون ابن مخاض ذكوراً، وعشرون بنت لبون وعشرون جذعاً وعشرون حقة» هذا لفظ النسائي⁽³⁾، وقال الترمذي: لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه⁽⁴⁾، وإنما يجب على عاقلة القاتل لا في ماله، قال الشافعي ﷺ: لم أعلم مخالفاً أن رسول الله ﷺ قضى بالدية على العاقلة⁽⁵⁾ وباقي أحكامه مبين في كتب الفقه.

وقوله ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ أي: فتجب الدية مسلمة إلى أهله، إلا أن يتصدقوا بالدية، فيعفوا ويتركوا الدية.

وقوله ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ أي: إذا كان القتيل مؤمناً، ولكن أولياؤه من الكفار أهل حرب فلا دية لهم، وعلى قاتله تحرير رقبة مؤمنة لا غير.

(1) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، [562] 226/18.

(2) الإحكام شرح أصول الأحكام 4/369.

(3) أخرجه النسائي في سننه، ك: القسامة، ب: ذكر دية أسنان الخطأ [6977] 356/6.

(4) ينظر: سنن الترمذي 4/660.

(5) ينظر: مختصر المزني 8/354.

وقوله ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمِيكُمْ وَيَنْهَمُ مَيْتًا﴾ أي: وإن كان للقتيل أولياء أهل ذمة أو هدنة، فلهم دية قتلهم، فإن كان مؤمناً فدية كاملة، وإن كان كافراً أيضاً عند طائفة من العلماء، وقيل: يجب في الكافر نصف دية المسلم. وقيل: ثلثها كما هو مبين في كتب الفقه⁽¹⁾، وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ أي: لا إفطار فيهما بل يسرد صومهما إلى آخرهما، فإن أفطر من غير عذر من مرض أو حيض أو نفاس استأنف، وفي السفر قولان.

وقوله ﴿تَوْبَةَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: جعل الله ذلك توبة للقاتل خطأ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمن قتل خطأ ﴿حَكِيمًا﴾ فيما حكم به عليه. واختلفوا: فيمن لا يستطيع الصوم، هل يجب عليه إطعام ستين مسكينا كما في كفارة الظهار؟ على قولين: أحدهما: نعم. كما هو منصوص عليه في الظهار وإنما لم يذكر هنا لأن هذا مقام تهديد وتخويف وتحذير، فلا يناسب أن يذكر الإطعام؛ لما فيه من التسهيل والترخيص. والثاني: لا يعدل إليه لأنه لو كان واجباً لما أخرج شأنه عن وقت الحاجة، ثم لما بين تعالى حكم القتل الخطأ شرع في بيان حكم القتل العمد فقال: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ الآية وهذا تهديد شديد، ووعد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير آية واحدة من كتاب الله.

والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة منها: ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»⁽²⁾ وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ «لا يزال المؤمن مُعْرِقًا صالحاً ما لم يصب دماً حراماً، فإذا أصاب دماً حراماً بلح» رواه أبو داود⁽³⁾، وعن معاوية أن رسول الله ﷺ قال: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو من يقتل مؤمناً متعمداً» رواه أبو داود⁽⁴⁾ والنسائي⁽⁵⁾، وعن

(1) الإشراف على مذاهب العلماء 397/7.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الديات، ب: قوله تعالى ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا﴾ [6864] 2/9، ومسلم في صحيحه، ك: القسامة والمحاريب والقصاص والديات، ب: المجازاة بالدماء في الآخرة. [1678] 3/1304.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الفتن والملاحم، ب: في تعظيم قتل المؤمن [4270] 4/104.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الفتن والملاحم، ب: في تعظيم قتل المؤمن [4270] 4/103.

(5) أخرجه النسائي في سننه، ك: تحريم الدم [3984] 7/81، وصححه الألباني.

سعيد بن جبير في الصحيحين قال: اختلف فيها أهل الكوفة، فَرَحَلْتُ فيها إلى ابن عباس فسأله عنها؟ فقال: نزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام، ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم، ولا توبة له، فذكرت ذلك لمجاهد فقال: إلا من ندم وهذا عن ابن عباس مروى عن طرق كثيرة وممن وافقه في أن لا توبة له ابن عمر وزيد بن ثابت وأبو هريرة وغير واحد من التابعين⁽¹⁾.

وعن ابن عباس وابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دما تقول: يا رب قتلي حتى يدنيه من العرش» رواه الترمذي⁽²⁾ والنسائي⁽³⁾ وابن ماجه⁽⁴⁾.

والذي عليه الجمهور خلفاً وسلفاً: أن للقاتل توبة فيما بينه وبين ربه⁽⁵⁾، فإن تاب وآب ورجع وخضع وعمل عملاً صالحاً يبدل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه للآيات الصريحة المنصوصة الدالة على ذلك، وفي الصحيح خبر الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس ثم سأل عالماً، هل له توبة؟ فقال: «ومن يحول بينك وبين التوبة»⁽⁶⁾ الحديث كما سبق في موضعه، وإذا كان هذا في بني إسرائيل فلأن تكون التوبة في هذه الأمة مقبولة بطريق الأولى.

وأما قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ إلى آخره فقال بعض السلف: أي: هذا جزاؤه إن جازاه أو جوزي عليه، وكذا كل وعيد على ذنب، لكن وقد يكون لذلك الجزاء معارض

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: مناقب الأنصار، ب: ما لقي النبي ﷺ وأصحابه... [3855] 45/5، ومسلم في صحيحه، ك: التفسير [3023] 2317/4.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة النساء [3029] 90/5، وقال: هذا حديث حسن.

(3) أخرجه النسائي في سننه، ك: تحريم الدم، ب: تعظيم الدم [4005] 87/7، وصححه الألباني.

(4) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الديات، ب: هل لقاتل مؤمن توبة؟ [2621] 874/2، وصححه الألباني.

(5) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته 458/7.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: التوبة، ب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله [2766] 2118/4.

من أعمال صالحة، يمنع وصول ذلك الجزاء إليه، على قول أهل الموازنة والاحتياط، وهذا أحسن ما يسلك من باب الوعيد، والله أعلم.

وعلى تقدير قول ابن عباس وموافقيه أو قول الجمهور، حيث لا عمل له صالح ينجُو به⁽¹⁾، لا يكون فيها مخلدًا أبدًا؛ بل الخلود هو المكث الطويل، وقد تواترت الأحاديث من رسول الله ﷺ «أنه قد يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان»⁽²⁾، وأما أحاديث معاوية «كل ذنب عسى الله أن يغفره»⁽³⁾ الحديث، فعسى: للترجي. فإذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين لا ينفي وقوع ذلك في أحدهما، وهو القتل. وأما من مات كافرًا فالنص أنه لا يغفر له البتة، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة، فإنه حق من حقوق الآدميين، وهو لا يسقط بالتوبة، وكذا سائر حقوقهم بل لا بد من أدائها إليهم، حتى تصح التوبة، فإن تعذر ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيامة، ولا يلزم منها وقوع المجازاة إذ قد يكون للقاتل عمل صالح يصرف إلى المقتول، أو بعضها، ثم يفضل له أجر فيدخل به الجنة، أو يعوض الله المقتول من فضله بما يشاء من الدرجات والنعيم، ونحو ذلك، ثم للقتل العمد أحكام في الدنيا وفي الآخرة، أما في الدنيا: فتسلط أولياء المقتول عليه، وهم مخيرون بين القتل قصاصًا، أو العفو، أو أخذ الدية مغلظة، ثلاثون حقة، وثلاثون جذعة، وأربعون خلفة من مال القاتل حائلة، كما هو مبين في كتب الفقه، والصحيح من مذهب الشافعي وموافقيه أنه يجب عليه الكفارة لأنه إذا وجبت عليه في الخطأ كما تقدم فلأن تجب عليه في العمد أولى، وهذا ما يتعلق بالآخرة⁽⁴⁾.

(1) ينظر: جامع البيان 63/9.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، ك: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في الكبير [1999] 4/361، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الفتن والملاحم، ب: في تعظيم قتل المؤمن [4270] 4/103، وصححه الألباني.

(4) ينظر: كتاب الحاوي الكبير للماوردي 13/136.

وعن وائلة بن الأسقع⁽¹⁾ قال: «أتينا رسول الله ﷺ في صاحب لنا قد أوجب -يعني النار- بالقتل، فقال: اعتقوا عنه، يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار» رواه أبو داود⁽²⁾ والنسائي⁽³⁾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾⁽⁴⁾.

عن ابن عباس قال: «مرّ رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسرق غنماً له فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعود منا، فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن⁽⁵⁾.

وعن ابن عباس أيضاً قال: «بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فأهوى إليه المقداد فقتله، فقال له رجل من أصحابه أقتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله؟! لأذكرن ذلك للنبي ﷺ فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد، فقال: ادعوا لي المقداد، فقال: يا مقداد. أقتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله؟ فكيف لك بلا إله إلا الله غداً؟ فأنزل الله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي

(1) هو: وائلة بن الأسقع بن عبد العزى بن بكر، أبو قرصافة، من بني كنانة، كان ينزل ناحية المدينة، ثم وقع الإسلام في قلبه، فقدم على رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فأسلم، وكان من أهل الصفة، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه: أبو إدريس الخولاني وشداد بن عبد الله وربيع بن يزيد القصير وغيرهم، توفي سنة 85 هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 407/7، التاريخ الكبير للبخاري 187/8، وأسد الغابة 399/5.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: العتق، ب: في ثواب العتق [3964] 29/4.

(3) أخرجه النسائي في سننه، ك: الجهاد، ب: ثواب من رمى بسهم في سبيل الله [4338] 289/4.

(4) سورة النساء، الآية (94).

(5) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة النساء [3030] 90/5.

سَبِيلِ اللَّهِ ﴿الآية، فقال رسول الله ﷺ للمقداد: كان رجل مؤمن يُخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه فقتلته، وكذلك كنت تُخفي إيمانك بمكة قبل» رواه البزار ⁽¹⁾. وفي البخاري منه مختصراً معلقاً ⁽²⁾.

وقوله ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي: فتأملوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر، وقوله ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ أي: خير مما رغبتم فيه من عرض الحياة الدنيا، فما عند الله من المغانم الحلال، خير لكم من مال هذا.

وقوله ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ أي: قد كنتم من قبل هذا كهذا الذي يسر إيمانه ويخفيه من قومه، وقيل: أي كنتم تتورعون عن مثل هذا، ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بإظهار الإسلام والهجرة وقبول التوبة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ هذا تأكيد لما تقدم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ قال ابن جبير: هذا تهديد ووعيد ⁽³⁾.

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ ⁽⁴⁾

عن البراء قال: «لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زياداً فكتبها، فجاء ابن مکتوم فشكا ضرارته فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾» رواه البخاري ⁽⁵⁾، وفيه أيضا

(1) أخرجه البزار في مسنده [5127] 317/11.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الديات، ب: قوله تعالى ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا﴾ [6866] 3/9.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم 340/2.

(4) سورة النساء، الآيتان (95-96).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [4593]

عن زيد بن ثابت ⁽¹⁾ «أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاء ابن أم مكتوم وهو يملئها علياً، قال يا رسول الله: لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سرى عنه، فأنزل الله - عز وجل - ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ ⁽²⁾ ، وفيه أيضاً أن ابن عباس قال: لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر ⁽³⁾ والخارجون إلى بدر .

فقوله ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كان مطلقاً فلما نزل ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ صار مخرجاً لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد، وكذا ينبغي أن يكون؛ لما ثبت في البخاري عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم من مسير، ولا قطعتم من واد، إلا وهم معكم فيه، قالوا: وهم بالمدينة يا رسول الله؟ قال: نعم حسبهم العذر» ⁽⁴⁾ ، وفي هذا المعنى قال الشاعر ⁽⁵⁾ :

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد * سرتم جُسوماً وسرنا نحن أرواحاً

إنّا أقمنا على عُذرٍ وعن قَدَرٍ * ومن أقام على عُذرٍ فقد راحاً ⁽⁶⁾

وقوله ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَ﴾ أي: الجنة والجزاء الجزيل. وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بفرض عين بل هو فرض كفاية، ثم قال: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثم أخبر تعالى بما فضلهم به من الدرجات، وغرف الجنات، ومغفرة الذنوب والزلات، ونزول الرحمة والبركات؛ إحساناً منه وتكرماً، فقال: ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ

(1) سبق ترجمته.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [2832] 25/4.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10241] 91/9.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: نزول النبي ﷺ الحجر [4423] 8/6.

(5) هو: جرير بن عطية بن الخطفي، ينظر: طبقات الشعراء لابن سلام 297/2.

(6) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 247/1.

غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾ وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة، أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»⁽¹⁾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الظَّالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾⁽²⁾

عن ابن عباس «أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثِّرون سواد المشركين، على رسول الله ﷺ، يأتي السهم يُرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب عنقه فيقتل، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الظَّالِمِينَ أَنفُسِهِمْ﴾» رواه البخاري⁽³⁾، وعنه أيضاً قال: «كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجوهم المشركون يوم بدر معهم، فاجتنب بعضهم قتل بعض، قال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الظَّالِمِينَ﴾ الآية، قال: فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم»⁽⁴⁾، وقيل: نزلت في أناس من المنافقين⁽⁵⁾، والآية عامة في كل من أقام بين ظهرائي المشركين عاجزاً من إقامة الدين بينهم، وهو قادر على الهجرة، فإنه ظالم لنفسه مرتكباً جرمًا بالإجماع وبنص هذه الآية.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: درجات المجاهدين في سبيل الله.. [2790] 4/16، ومسلم في صحيحه، ك: الإمارة، ب: بيان ما أعدّه الله تعالى للمجاهدين.. [1884] 3/1501.

(2) سورة النساء، الآيات (97-100).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الظَّالِمِينَ أَنفُسِهِمْ﴾ [4596] 6/48.

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5863] 3/1046.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10268] 9/108.

وقوله ﴿ظَالِمٍ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: بترك الهجرة ﴿قَالُوا فِيْمَ كُنْتُمْ﴾ هاهنا وتركتم الهجرة؟ سؤال توبيخ وتقريع، ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ عن سمرة بن جندب⁽¹⁾ قال رسول الله ﷺ «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله» رواه أبو داود⁽²⁾.

وقال السدي «لما أسر العباس وعقيل: قال رسول الله ﷺ للعباس افد نفسك وابن أخيك، قال يا رسول: ألم نصل قبلك، ونشهد شهادتك، قال: يا عباس، إنكم خاصمتم خصومكم، ثم تلا عليه هذه الآية ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾» رواه ابن أبي حاتم⁽³⁾ ﴿فَأُولَئِكَ مَاؤُنْهُمُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ والمأوى: المنزل والمصير والمرجع.

وقوله ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ هذا عذر من الله تعالى لهؤلاء في ترك الهجرة، وذلك أنهم كانوا عاجزين ولا يقدرّون على التخلص من أيدي المشركين، ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ يعني: لا يقدرّون على نفقة. وقيل: أي نهوضاً إلى المدينة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ أي: لا يعرفون طريقاً إلى المدينة ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ أي: يتجاوز عنهم تركهم الهجرة، وعسى من الله واجب، وعن أبي هريرة قال: «بينما النبي ﷺ يصلي العشاء، إذ قال: سمع الله لمن حمده، ثم قال قبل أن يسجد: اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» رواه البخاري⁽⁴⁾.

وقال ابن عباس: كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان⁽⁵⁾، وقوله ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا﴾ هذا تحريض للمؤمنين على الهجرة وترغيب في مفارقة المشركين، فإن المؤمن حينما ذهب وجد ملجأً يتحصن فيه، والمراغم: التحول

(1). سبق ترجمته.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الجهاد، ب: في الإقامة بأرض الشرك [2787] 3/93، وصححه الألباني.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5869] 3/1047.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الدعوات، ب: الدعاء على المشركين [6393] 8/84.

(5) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/389.

من أرض إلى أرض قاله الأكثر⁽¹⁾ مُهاجراً ومَذْهَباً، والظاهر: أن المراغم هو: التمتع الذي يتخلّص به ويراغم به الأعداء، وقوله ﴿وَسَعَةً﴾ يعني: الرزق. وقيل: سعة من الضلالة إلى الهدى، ومن الفقر إلى الغنى.

وقوله ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾ أي: ومن يخرج من منزله بنية الهجرة فمات في أثناء الطريق، فقد حصل له ثواب من هاجر، كما ثبت في الصحاح والسنن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»⁽²⁾، وهذا عام في أنواع الهجرة في كل الأعمال، وعن عبد الله بن عتيك⁽³⁾ قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من خرج من بيته مهاجراً في سبيل الله، ثم قال: بأصبعه الثلاث -الوسطى والسبابة والإبهام- فجمعهنّ وقال: وأين المجاهدون؟ فخرعن دابته فمات، فقد وقع أجره على الله، أو لدغته دابة فمات، فقد وقع أجره على الله، أو مات حتف أنفه، فقد وقع أجره على الله، والله إنها كلمة سمعتها من العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم» رواه أحمد⁽⁴⁾.

وعن أبي مالك الأشعري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من فصل في سبيل الله فمات، أو قتل أو وقصته فرسه أو بعيه أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأيّ حتف شاء الله، فإنه شهيد وإن له الجنة» رواه أبو داود⁽⁵⁾.

(1) ينظر: جامع البيان 9/119.

(2) سبق تحريجه.

(3) هو: عبد الله بن عتيك بن قيس بن الأسود بن كعب بن الخزرج الأنصاري، ذكره ابن حبان في الثقات، روى عن: عبادة بن الصامت ومعاوية بن أبي سفيان، وروى عنه: محمد بن سيرين، قال أبو عمر: وأظنه وأخاه شهد بدرًا، ولم يختلفوا أن عبد الله بن عتيك شهد أحدًا، ينظر: التاريخ الكبير للبخاري 5/13، والجرح والتعديل 5/121، و المعرفة والتاريخ للقسوي 1/103.

(4) أخرجه أحمد في مسنده [16414] 26/340.

(5) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الجهاد، ب: فمن مات غازیاً [2499] 3/9، وضعفه الألباني.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكُفْرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾⁽¹⁾

أي: إذا سافرت في البلاد ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: حرج وإثم ﴿أَنْ تَقْصُرُوا﴾ أي: تخففوا ﴿مِنَ الصَّلَاةِ﴾ بأن ترجع الرباعية ثنائية، كما قال الجمهور على ما هو مبين في الفقه⁽²⁾.

وقوله ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ خرج مخرج الغالب، فإن في ابتداء الإسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم خوفاً فلا مفهوم له، كقوله ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾⁽³⁾ وعن يعلى بن أمية⁽⁴⁾ قال: «سألت عمر بن الخطاب قلت: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد آمن الناس؟ فقال لي عمر: عجبتُ ما عجبتَ منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته» رواه مسلم⁽⁵⁾ وأصحاب السنن⁽⁶⁾.

وفي الصحيحين عن أنس قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، وكان يصلي ركعتين ركعتين، حتى رجعنا إلى المدينة، قيل له: أقمتم بمكة شيئاً؟ قال: أقمنا بها عشراً»⁽⁷⁾، وفي النسائي عن ابن عباس قال: «صليت مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة

(1) سورة النساء، الآية (101).

(2) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته 2/1337.

(3) سورة النور، الآية (33).

(4) هو: يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر، أبو صفوان، وقيل: أبو خالد، أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً والطائف وتبوك، وكان يعلى جواداً معروفاً بالكرم، شهد الجمل مع عائشة، ثم صار من أصحاب علي وقتل معه بصفين، روى عن: النبي ﷺ أحاديث، وروى عنه: ابنه صفوان وعكرمة ومجاهد وغيرهم، توفي سنة 38هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 5/456، و تاريخ دمشق لابن عساكر 74/186، والوافي بالوفيات 29/13.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: صلاة المسافرين وقصرها [686] 1/478.

(6) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: إقامة الصلاة والسنة فيها، ب: تقصير الصلاة في السفر [1065] 1/339، وصححه الألباني، وأخرجه أبو داود في سننه، ك: الصلاة، ب: صلاة المسافر [1199] 2/3.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تقصير الصلاة، ب: ما جاء في التقصير، وكم يقيم حتى يقصر؟ [1081] 2/42، ومسلم في صحيحه، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: صلاة المسافرين وقصرها [693] 1/181.

ونحن آمنون، لا يخاف بينهما، ركعتين ركعتين»⁽¹⁾، وعن حارثة بن وهب⁽²⁾ قال: «صليت مع رسول الله ﷺ الظهر والعصر بمنى، أكثر ما كان الناس وآمنه، ركعتين» رواه البخاري⁽³⁾.

والأحاديث دالة على أن القصر ليس من شرطه وجود الخوف، ولهذا قالوا: المراد بالقصر هاهنا قصر الكيفية لا الكمية⁽⁴⁾؛ لما في الصحيحين عن عائشة أنها قالت: «فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر والحضر، فَأُقِرَّتْ صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر»⁽⁵⁾ وفي مسلم عن ابن عباس قال: «فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة»⁽⁶⁾، ولا منافاة بين هذين الحديثين؛ لأنها أخبرت أن أصل الصلاة ركعتان، ولكن زيد في صلاة الحضر، فلما استقر ذلك صح أن يقال فرض صلاة الحضر أربع، كما قال ابن عباس⁽⁷⁾، لكن اتفق حديثهما على أن صلاة السفر ركعتان، وأنها تامة غير مقصورة، فيكون المراد بقوله ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ صَلَّوْتِكُمْ﴾ قصر الكيفية، كما في صلاة الخوف، ولهذا قال: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ إلى آخره، ولهذا قال بعدها: ﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ﴾ الآية، فتبين المقصود هنا، وذكر صفته وكيفيته، ولهذا صدر البخاري كتاب صلاة الخوف بقوله تعالى ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ وهكذا عن الضحاك في قوله ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا﴾ قال: «ذلك عند القتال، يصلي الرجل الراكب يكبر بهن حيث كان وجهه»⁽⁸⁾ وقال السدي: في قوله ﴿وَإِذَا

(1) أخرجه النسائي في سننه، ك: تقصير الصلاة في السفر [1436] 3/117، وصححه الألباني.

(2) سبق ترجمته.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الحج، ب: الصلاة بمنى [1656] 2/161.

(4) ينظر: الإحكام شرح أصول الأحكام 1/429.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الصلاة، ب: كيف فرضت الصلاة في الإسرائء؟ [350] 1/79، ومسلم في

صحيحه، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: صلاة المسافرين وقصرها [685] 1/478.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: صلاة المسافرين وقصرها [687] 1/479.

(7) ينظر: تفسير الماتريدي 3/338.

(8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5893] 3/1052.

صَرَّبْتُمْ فِي الْأَرْضِ» الآية، «إن الصلاة إذا صليت ركعتين في السفر، فهي تمام التقصير، لا يحل أن تخاف من الذين كفروا أن يفتنوك عن الصلاة، والتقصير ركعة»⁽¹⁾، وقال مجاهد: «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ» يوم كان النبي ﷺ وأصحابه بعسفان والمشركون يَضَجُّنَ»⁽²⁾، وتوافقوا، فصلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الظهر أربع ركعات، ركوعهم وسجودهم وقيامهم معا جميعا، فهم بهم المشركون أن يغيروا على أمتعتهم وأثقالهم»⁽³⁾، هكذا عن ابن عمر وجابر واختاره ابن جرير⁽⁴⁾.

وسئل ابن عمر عن صلاة السفر، فقال: ركعتان تمام غير قصر، إنما القصر صلاة المخافة، فقليل: وما صلاة المخافة؟ فقال: يصلي الإمام بطائفة ركعة، ثم يجيء هؤلاء إلى مكان هؤلاء فيصلي بهم ركعة، فيكون للإمام ركعتان، ولكل طائفة ركعة ركعة⁽⁵⁾.

وقوله «أَنْ يَفْتِنَكُمْ» أي يفتلكم، ويقاقلكم الذين كفروا في الصلاة، وقوله «عَدُوًّا مُبِينًا» أي ظاهر العداوة.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10326] 133/9.

(2) ضجنان: بفتح أوله وسكن ثانيه، جبل بناحية مكة على طريق المدينة، ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع.

(3) ينظر: تفسير مجاهد 1/290.

(4) ينظر: جامع البيان 9/130.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10327] 9/134.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾⁽¹⁾

صلاة الخوف أنواع كثيرة، فإن العدو تارة يكون اتجاه القبلة، وتارة يكون في غير صوبها، والصلاة⁽²⁾ تكون رباعية وتارة ثلاثية كالمغرب، وتارة ثنائية كالصبح وصلاة السفر، ثم تارة يصلون جماعة، وتارة تلتحم الحرب فلا يقدرّون على الجماعة، بل يصلون فرادى مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، رجالا أو ركبانا، ولهم أن يمشوا والحالة هذه، ويضرب الضرب المتتابع في نفس الصلاة⁽³⁾، ومن العلماء من قال: يصلون والحالة هذه ركعة واحدة⁽⁴⁾؛ لما سبق من الحديث، وبه قال أحمد⁽⁵⁾ وجماعة، ومنهم من أباح تأخير الصلاة بعذر القتال والمناجزة، كما أخرّ النبي ﷺ يوم الأحزاب صلاة العصر، قيل: والظهر فصلاهما بعد الغروب، ثم صلى بعدهما المغرب ثم العشاء، وكما قال ذلك يوم بني قريظة، حين جهز إليهم الجيش: «لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة»⁽⁶⁾ فأدرّكتهم الصلاة في أثناء الطريق، فقال منهم قائلون: لم يرد منا رسول الله ﷺ تعجيل السير فصلوا الصلاة لوقتها، وأخرّ آخرون فصلوها في بني قريظة بعد الغروب، ولم يعنّف واحداً من الفريقين، والذين صلوا لوقتها أقرب إلى الصواب، وإن كان الآخرون معذورون أيضا في تأخيرها؛ لأجل الجهاد وامتنال الأمر⁽⁷⁾، وأما الجمهور فقالوا: هذا كله منسوخ بصلاة الخوف، فإنها لم تكن

(1) سورة النساء، الآية (102).

(2) زاد ابن كثير "تارة"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 398/2.

(3) مختصر اختلاف العلماء 366/1.

(4) ينظر: الإشراف على مذاهب العلماء 223/2.

(5) ينظر: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى 748/1.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: المبادرة بالغزو [1770] 1391/3.

(7) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 97/12.

نزلت بعد فلما نزلت نسخ تأخيرها لذلك، كما هو مبين في حديث أبي سعيد الذي رواه الشافعي وأهل السنن⁽¹⁾ وهذا يشك بما حكاه البخاري في صحيحه في باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو⁽²⁾، ومن قول الأوزاعي ومكحول، ثم قول أنس بن مالك في مناهضة حصن تُسْتَر، وكأنه اختار إباحة تأخيرها بعذر القتال كما سبق، ولأن قصة فتح تستر كان في زمن عمر بن الخطاب، ولم ينقل أنه أنكر عليهم، ولا أحد من الصحابة⁽³⁾، وأيضاً قالوا كانت صلاة الخوف مشروعة في الخندق لأن ذات الرقاع كانت قبل الخندق في قول جمهور أهل السير والمغازي⁽⁴⁾، وقال البخاري وغيره كانت ذات الرقاع بعد الخندق⁽⁵⁾ والله أعلم.

فقوله تعالى ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ أي: إذا صليت بهم إماماً في صلاة الخوف وهذه الحالة غير الأولى، فإن ذلك قصرها إلى ركعة، كما دل عليه الحديث فرادى رجالاً وركبانا مستقبلي القبلة، ومستدبريها، ثم ذكر حال الاجتماع والإتمام بإمام واحد، فظاهر الآية تدل على وجوب الجماعة فيها، كما ذهب إليه بعضهم، والجواب ما تقرر عند الجمهور⁽⁶⁾، وسبب نزول هذه الآية ما رواه علي رضي الله عنه قال: «سأل قوم من بني النجار رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله: إنا نضرب في الأرض، فكيف نصلي، فأنزل الله ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ثم انقطع الوحي، فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي الله ﷺ فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم، هلا شددتم عليهم، فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها في أثرها، قال: فأنزل الله - عز وجل - بين الصلاتين ﴿إِنْ حَفِظْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله ﴿مُهِينًا﴾

(1) ينظر: بستان الأخبار مختصر نبيل الأوطار 1/170.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: صلاة الخوف، ب: الصلاة على مناهضة الحصون [944] 2/15.

(3) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال 2/541، و طرح الشريب في شرح التقریب 3/148.

(4) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام 2/608، و ينظر: المغازي للواقدي 4/1.

(5) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري 7/417.

(6) ينظر: اختلاف الأئمة العلماء 1/167.

فنزلت صلاة الخوف» رواه ابن جرير⁽¹⁾ ، وفي مسند أحمد عن ابن عباس قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة، هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، قال: فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح، قال: فصفنا خلفه صفين، قال: ثم ركع فركعنا جميعا، ثم رفع فرفعنا جميعا، ثم سجد النبي ﷺ بالصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا، جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وهؤلاء إلى مصاف هؤلاء، قال: ثم ركع فركعوا جميعا، ثم سجد النبي ﷺ والصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا، ثم سلم عليهم، ثم انصرف. قال: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين: مرة بعسفان ومرة بأرض بني سليم»⁽²⁾.

ولهذا شاهد في البخاري عن ابن عباس قال: «قام النبي ﷺ وقام الناس معه، فكبر وكبروا معه، وركع وركع ناس منهم، ثم سجد وسجدوا معه، ثم قام الثانية فقام الذين سجدوا وحرسوا إخوانهم، وأتت الطائفة الأخرى فركعوا وسجدوا معه، والناس كلهم في الصلاة، ولكن يحرس بعضهم بعضاً»⁽³⁾.

ولأحاديث صلاة الخوف طرق كثيرة، وروايات متنوعة في الصحاح والسنن، فمن رامها فعليه بها، وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف فحمله طائفة على الوجوب، وهو أحد قولي الشافعي⁽⁴⁾ ويدل عليه قول ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية.

﴿وَحُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: هو ما يحذر ويتقى به من العدو من الترس ونحوه، أي: بحيث تكونون على أهبة إذا احتجتم إليه لبستموها، بلا كلفة، والجناح: الإثم.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10314] 9/126.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [16580] 27/120.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: صلاة الخوف، ب: يحرس بعضهم بعضا في صلاة الخوف [944] 2/14.

(4) ينظر: الأم 1/251.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ (1)

أمر الله -تعالى- بكثرة الذكر عقب صلاة الخوف، وإن كان مشروعاً مرغباً فيه (2) بعد غيرها، لكن هاهنا أكد؛ لما وقع فيها من التخفيف في أركانها، ومن الرخصة في الذهاب فيها والإياب وغير ذلك، ما لم يوجد في غيرها، ولهذا قال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ أي: في سائر أحوالكم، ثم قال: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أي: فإذا أمنتهم وذهب الخوف، وحصلت الطمأنينة ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: فأتموها وأقيموها كما أمرتم بحدودها، وخشوعها، وسجودها وركوعها، وجميع شؤونها.

وقوله ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: مفروضاً، وعن ابن مسعود وقت لوقت الحج (3)، وقال زيد بن أسلم: أي: منجماً، كلما مضى نجم جاء نجم، يعني: كلما مضى وقت جاء وقت (4).

وقوله ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي: ولا تضعفوا في طلب عدوكم بل جدوا فيهم وقاتلوهم، فاعدوا لهم كل مرصد ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي: كما يصيبكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم، كما قال: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ (5) ثم قال: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ أي: أنتم وهم سواء فيما يصيبكم وإياهم من الجراح والآلام، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد، كما وعدكم إياه على لسان رسوله ﷺ وهو وعد حق وهم لا يرجون شيئاً من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم، وأشد

(1) سورة النساء، الآيتان (103-104).

(2) زاد ابن كثير "أيضاً"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 403/2.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10397] 169/9.

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5919] 1057/4.

(5) سورة آل عمران، الآية (140).

رغبة في إقامة كلمة الله وإعلائها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي: هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلدَّخَائِنِ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤَلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ (1)

أي: هو حق من الله، ومتضمن للحق في خبره وطلبه، وفي قوله ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ﴾ دليل لمن ذهب إلى أنه له - عليه الصلاة والسلام - أن يحكم بالاجتهاد، وبما ثبت في الصحيحين عن أم سلمة «أن رسول الله ﷺ سمع جَلْبَةَ خَصْمِ بِيَابِ حَجْرَتِهِ، فخرج إليهم فقال: ألا إنما أنا بشر، وإنما أفضي بنحو ما أسمع، ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأفضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من نار فليحملها أو ليذرها» (2).

وسبب نزول الآية ما قال ابن عباس: «أن نفرًا من الأنصار غزو مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، فسُرقت درع لأحدهم، فأظن بها رجل من الأنصار، فأتى صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال: إن طُعْمَةَ بن أُبَيْرِق سرق درعي، فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريء، وقال لنفر من عشيرته: إني غَبَيْتُ الدرع وألقيتها في بيت فلان، وسيوجد عنده. فانطلقوا إلى نبي الله ﷺ ليلاً، فقالوا: يا نبي الله إن صاحبنا بريء، وإن صاحب الدرع فلان، وقد أخطنا بذلك علمًا، فاعدُرْ صاحبنا على رؤوس الناس

(1) سورة النساء، الآيات (105-109).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المظالم والغصب، ب: إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه [2458] 3/131، و مسلم في صحيحه، ك: الأفضية، ب: الحكم بالظاهر، واللحن بالحجة [1713] 3/1337.

وجادل عنه، فإنه أن لا يعصمه الله بك يهلك، فقام رسول الله ﷺ فسوّاه وعذره على رءوس الناس، فأنزل الله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ الآية⁽¹⁾، أي: احكم بما أنزل الله إليك في الكتاب، واستغفر الله، ثم قال: للذين أتوا رسول الله ﷺ مُسْتَخْفِينَ بالكذب ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ إلى قوله ﴿وَكَيْلًا﴾ يعني: الذين أتوا رسول الله ﷺ مستخفين يجادلون عن الخائنين، والخصيم: المعين والمدافع ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾ أي: مما هممت به من جدالك عن طُعمة وإبرائه⁽²⁾ ﴿وَلَا تُجَدِلْ﴾ أي: لا تخاصم عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة والسرقة.

وقوله ﴿خَوَانًا﴾ أي: كثير الخيانة ﴿أَثِيمًا﴾ في تلبسه بالغير، ومعنى الاستغفار هنا: السمع والطاعة بحكم الشرع ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: يستترون ويستحيون من الناس، وهذا إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون قبائحهم من الناس؛ لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها، فإنه مطلع على سرائرهم، وعالم بما في ضمائرهم، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ إلى آخره تهديداً لهم ووعيدا.

ثم قال تعالى لقوم طُعمة: ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية، أي: هب أن هؤلاء انتصروا في الدنيا بما أبدوه وأبدي لهم عند الحكام الذين يحكمون بالظاهر، وهم متعندون بذلك، فماذا يكون صنيعهم يوم القيامة بين يدي الله الذي يعلم السر وأخفى، ومن ذا الذي يتوكل لهم يومئذ في ترويح دعواهم. أي: لا أحد يكون يومئذ لهم وكيلا ولهذا قال: ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ ثم استأنف فقال:

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10413] 9/183.

(2) ينظر: بحر العلوم 1/335.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ (1)

أخبر الله عن كرمه وجوده: أن كل من تاب إليه تاب عليه من أيّ ذنب كان فقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ قال ابن عباس: «أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه، وسعة رحمته ومغفرته، فيمن أذنب ذنباً صغيراً، كان أو كبيراً» (2) ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ولو كانت ذنوبه أعظم من السماوات والأرض والجبال، وقال ابن مسعود: «كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنباً أصبح قد كُتِبَ كفارة ذلك الذنب على بابه، وإذا أصاب البول شيئاً منه قرضه بالمقراض، قال رجل: لقد أتى الله بني إسرائيل خيراً! فقال عبد الله: ما آتاكم خير مما آتاهم، جعل الله لكم الماء طهوراً، وقال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ (3) الآية، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ الآية» (4)، وعن أبي بكر الصديق ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله لذلك الذنب، إلا غفر له» وقرأ هاتين الآيتين يعني: السابقتين آنفاً. رواه أحمد (5) وبعض أصحاب السنن (6).

(1) سورة النساء، الآيات (110-113).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [2345] 2/442.

(3) سورة الأعراف، الآية (28).

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [10422] 9/195.

(5) أخرجه أحمد في مسنده [2] 1/179.

(6) أخرجه النسائي فيسننه، ك: عمل اليوم والليلة، ب: ما يفعل من بلي بذنوب وما يقول [10177] 9/159.

وقوله ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ﴾ هو كقوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾⁽¹⁾ أي: أنه لا يجني أحد على أحد، وإنما على كل نفس ما عملت، لا يحمل عنها غيرها، ولهذا قال تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: من علمه وحكمته وعدله ورحمته كان ذلك، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ حَاطَةً أَوْ إِثْمًا﴾ يعني: كما أثم بنو أُبَيْرِيق بصنيعهم القبح مع ذلك الرجل، وهو لَيْدُ بن سَهْلٍ على قول، أو زيد بن السمين اليهودي على آخر وقد كان بريئًا، وهم الظلمة الخونة، كما نزل به القرآن⁽²⁾، ثم هذا التقريع⁽³⁾ عام فيهم وفي غيرهم، ممن اتصف بصفاتهم، فعليه مثل عقوبتهم.

وقوله ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ أيها النبي المبعوث بالحق ﴿لَهَمَّتْ﴾ أي: لقصدت وأضمرت طائفة منهم، يعني: قوم طعمة ﴿أَنْ يُضَلُّوكَ﴾ أي: يخطئوك ويلبسوا عليك الأمر، حتى تدافع عن طعمة ﴿وَمَا يُضَلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني: يرجع وبال ذلك عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ يريد: أن ضرره يرجع إليهم، ثم امتن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال فقال: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: السنة والقضاء بالوحي ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ أي: قبل نزول ذلك عليه من علم الغيب، كقوله ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ إلى قوله ﴿الْأُمُورُ﴾⁽⁴⁾ وقال: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾⁽⁵⁾ الآية، ولهذا قال: ﴿وَكَانَ فَضْلًا لِلَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

(1) سورة الأنعام، الآية (164).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5953] 4/1063.

(3) زاد ابن كثير " وهذا التوبيخ "، ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/410.

(4) سورة الشورى، الآية (52).

(5) سورة القصص، الآية (86).

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤) وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ (1)

النجوى: هو السرار في التدبر⁽²⁾، وقيل: هو ما ينفرد بتدبره قوم سرًا أي: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ﴾ مما يدبرونه بينهم ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ وعن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ: «كلام ابن آدم كله عليه لا له، ما خلا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله» رواه الترمذي⁽³⁾ وابن ماجه⁽⁴⁾.

وعن أم كلثوم بنت عقبة⁽⁵⁾ قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فينمي خيراً، وقالت: لم أسمع رخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها» رواه أكثر أصحاب السنن⁽⁶⁾.

(1) سورة النساء، الآيتان (114-115).

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه 2/106.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الزهد عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في حفظ اللسان [2412] 4/186.

(4) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الفتن، ب: كف اللسان عن الفتنة [3974]، وضعفه الألباني.

(5) هي: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط: أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس الأموي، روت عن النبي ﷺ عدة أحاديث، روى عنها: ابناها: حميد وإبراهيم وبشرة بن صفوان، هي أول مهاجرة من النساء بعد أن هاجر النبي ﷺ، إلى المدينة ماشية، أسلمت قديماً بمكة، ولم يكن لها بمكة زوج فتزوجها زيد ثم الزبير ثم عبد الرحمن بن عوف ثم عمرو بن العاص فماتت عنده، ينظر: الطبقات الكبرى 8/183، وأسد الغابة 7/376، والإصابة في تمييز الصحابة 8/462.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: تحريم الكذب وبيان ما يباح منه [2605] 4/2011، والنسائي في سننه، ك: السير، ب: الرخصة في الكذب في الحرب [8588] 8/36.

وعن أبي الدرداء⁽¹⁾ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الخالقة» رواه أحمد⁽²⁾ وأبو داود⁽³⁾ والترمذي⁽⁴⁾.

ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أْبْتَعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: مخلصاً في ذلك، محتسباً ثوابه عند الله ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: ثواباً كبيراً واسعاً.

وقوله ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول، وصار في شق متعمداً بعد ما ظهر له الحق وتبين وأنضح له.

وقوله ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا من تنمة الصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمع عليه الأمة فيما اتفقوا عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمن لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لها وتعظيماً لنبئها، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة، ومن العلماء من ادعى تواتر معناها والذي تعول عليه الشافعي⁽⁵⁾ في الاحتجاج على كون الإجماع حجة يحرم مخالفته هذه الآية بعد التروّي والفكر الطويل⁽⁵⁾، وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها عليه، ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله ﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ أي: إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك، بأن نحسنها في صدره استدراجاً ونجعل النار مصيره في الآخرة، لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا النار يوم القيامة.

(1) سبق ترجمته.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [27508] 500/45.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأدب، ب: إصلاح ذات البين [4919] 280/4.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، ك: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في صفة أواني الحوض [2509] 244/4، قال: حديث حسن صحيح.

(5) ينظر: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي 1/26.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١١٦) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضِلَّتْهُمْ وَلَا امْتَنَيْنَهُمْ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَئِنَّا عِزَّ اللَّهِ الْوَعْدُ بِاللَّهِ فَكَذَّبُوا عِزَّهُ فَسَاءَ مَا وَصَّوهُمُ وَمَا يَكْتُمُونَ ﴿١١٩﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴿١﴾

سبق الكلام في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الآية، وما يتعلق بها من بعض الأحاديث في صدر هذه السورة، عن علي عليه السلام أنه قال: «ما في القرآن آية أحب إليّ من هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾» رواه الترمذي ⁽²⁾.

وقوله ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ أي: فقد ذهب عن طريق الحق وضل عن الهدى، وأهلك نفسه في الضلال، وفاتته سعادة الدارين، وقوله ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا﴾ قالت عائشة: أوثاناً ⁽³⁾، ومع كل صنم جنيّة قاله أبي بن كعب ⁽⁴⁾، وعن الضحّاك أي: قال المشركون الملائكة بنات الله ⁽⁵⁾، وإنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، واتخذوها أربابا وصوروهن صور الجوارى، فحكموا وقلدوا، وقالوا: يشبهن بنات الله الذي نعبده. يعنون الملائكة وهذا التفسير شبيه بقوله ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ⁽⁶⁾ الآية، وقال ابن عباس: ﴿إِلَّا

(1) سورة النساء، الآيات (116-122).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة النساء [3037] 97/5.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10442] 9/210.

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5970] 4/1067.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10437] 9/209.

(6) سورة النجم، الآية (19).

إِنْتَأًا﴾ يعني: موتى⁽¹⁾ وقال الحسن: كل شيء ميت ليس فيه روح، إما خشبة يابسة، وإما حجر يابس⁽²⁾.

وقوله ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ أي: هو الذي أمرهم بذلك وحسنه وزينه لهم، وهم إنما يعبدون إبليس في نفس الأمر، كما قال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِي ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾⁽³⁾ والمريد هو: المارد وهو المتمرد العاتي عن الطاعة⁽⁴⁾.

وقوله ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ أي: طرده وأبعده من رحمته، وأخرجه من جواره ﴿وَقَالَ لَا اتَّخَذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ أي: مقدرًا معينًا معلومًا. وقال مقاتل بن حيان⁽⁵⁾: ومن كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة⁽⁶⁾ ﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ﴾ أي: عن الحق، وأغوينهم ﴿وَلَا مُنِيْنَهُمْ﴾ أي: أزين لهم ترك التوبة وأعدهم الأمانى وأمرهم بالتسوية والتأخير، وقوله ﴿فَلْيَبْتِكُنَّ ءَأَذَانَ الْأَنْعَمِ﴾ قال قتادة وغيره: يعني: تشقيها وجعلها سمة وعلامة للبحيرة والسائبة⁽⁷⁾ والبتك: القطع⁽⁸⁾ ﴿وَلَا مُرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ قالوا: يعني خصي الدواب⁽⁹⁾، وقيل: يعني الوشم⁽¹⁰⁾، وفي صحيح مسلم النهي عن الوشم في الوجه، وفي لفظ لعنه من فعل ذلك⁽¹¹⁾، وعن ابن عباس وطائفة في قوله ﴿فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ أي:

(1) ينظر: جامع البيان 7/ 487.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10436] 9/ 208.

(3) سورة يس، الآية (60).

(4) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن 1/ 703.

(5) سبق ترجمته.

(6) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 3/ 114.

(7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [636] 1/ 476.

(8) البتك: القطع، ينظر: فقه اللغة وسر العربية 1/ 160.

(9) ينظر: تفسير مجاهد 1/ 292.

(10) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5986] 4/ 1070.

(11) وهو الحديث الذي رواه ابن عمر أن رسول الله ﷺ "لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة"، أخرجه مسلم في صحيحه، ك: اللباس والزينة، ب: تحريم فعل الواصلة... [2124] 3/ 1677.

دين الله تعالى كما في قوله ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾⁽¹⁾ على قول من جعل ذلك أمراً⁽²⁾ أي: لا تبدلوا فطرة الله ودعوا الناس على فطرتهم، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل يحسون فيها من جدعاء»⁽³⁾، وفي مسلم عن عياض بن حمار⁽⁴⁾ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله - عز وجل -: إني خلقتُ عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم»⁽⁵⁾.

ثم قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ أي: فقد خسر الدنيا والآخرة لا جبر لها، ولا استدراك لفاتتها، وقوله ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَيِّئُهُمْ﴾ أي: يعد الشيطان أوليائه ويمنيهم أنهم هم الفائزون في الدارين، وقد كذب وافترى في ذلك، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: باطلا. وقوله ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المستجيبين له فيما وعدهم، ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مصيرهم ومآلهم يوم حسابهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ أي: ليس لهم مندوحة ولا مصرف ولا خلاص ولا مناص، ثم ذكر حال السعداء والأتقياء وما لهم في مآلهم من الكرامة الثامة، فقال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: صدقت قلوبهم وعمل جوارحهم، بما أمروا به من الخيرات وتركوا ما نهوا عنه من المنكرات ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي يصرفونها حيث شاؤا وأين شاؤا ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: بلا زوال ولا انتقال، ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعده معلوم حقيقة، وحقا: تأكيد لتحقيق الخبر، ثم

(1) سورة الروم، الآية (30).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [17491] 9/3091.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجنائز، ب: إذا أسلم الصبي فمات... [1358] 2/94، ومسلم في صحيحه، ك: القدر، ب: معنى كل مولود يولد على الفطرة [2658] 4/2047.

(4) هو: عياض بن حمار بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن تميم، سكن البصرة، روى عن: النبي ﷺ، وروى عنه: مطرف ويزيد والحسن وغيرهم، كان حليفاً لأبي سفيان بن حرب، وروى له البخاري في الأدب، ينظر: الطبقات الكبرى 1/527، و أسد الغابة 4/310، و تهذيب التهذيب 8/179.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: الصفات التي يُعرف بها... [2865] 4/2197.

قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: لا أحد أصدق منه قولاً وخبراً، وكان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «إن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»⁽¹⁾.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(١٣٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا^(١٣٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا^(١٣٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا^(١٣٦)﴾⁽²⁾

قال قتادة: ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله، فأنزل الله ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية⁽³⁾، وهكذا قال غير واحد. وقال ابن عباس: هذه الآية نزلت في تخاصم أهل الأديان، فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب، أنزل قبل كتابكم، ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل: مثل ذلك، وقال أهل الإسلام: لا دين إلا الإسلام، وكتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا خاتم النبيين، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم، ونعمل بكتابنا قضي الله بينهم فقال: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وخير بين الأديان⁽⁴⁾، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله ﴿خَلِيلًا﴾ والمعنى: أن الدين ليس بالتحلي والتمني، وليس كل من ادعى شيئاً حصل له مجرد دعواه، حتى يكون له من الله برهان، ولهذا قال: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: ليس لكم ولا لهم نجاة بمجرد التمني، بل العبرة بطاعة

(1) أخرجه النسائي في سننه، ك: صلاة العيدين، ب: كيف الخطبة [1799] 2/308.

(2) سورة النساء، الآيتان (123-126).

(3) ينظر: أسباب نزول القرآن 1/183.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10496] 9/230.

الله، واتباع ما شرعه على السنة رسله، ولهذا قال بعده: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ كقوله
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾⁽¹⁾.

وفي مسند أحمد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: «يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية
﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ فكلُّ سوء عملنا جُزينا به؟
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: غفر الله لك يا أبا بكر. ألسنت تمرض؟ ألسنت تنصب؟ ألسنت تحزن؟
ألسنت تُصيبك اللاؤاء؟ قال: بلى. فقال: فهو مما تُجزون به»⁽²⁾.

وعن عائشة قالت: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني: عن هذه الآية؟ فقال يا عائشة: هذه
متابعة الله للعبد بما يصيبه من الحمى، والنكبة والشوكة حتى البضاعة يضعها في كفه
فيفزع لها، فيجدها في جيبه، حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه، كما يخرج التبر الأحمر من
الكير» رواه الترمذي⁽³⁾، وعن أبي هريرة قال: «لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ شق ذلك
على المسلمين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سدّدوا وقاربوا. فإن في كل ما يصاب به المسلم
كفارة، حتى الشوكة يشاكها، والنكبة ينكبها» رواه أحمد⁽⁴⁾ والترمذي⁽⁵⁾ والنسائي⁽⁶⁾. وعن
ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما فسرا السوء بالشرك أيضا⁽⁷⁾.

(1) سورة الزلزلة، الآية (8).

(2) أخرجه أحمد في مسنده [68] / 1 / 230.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ب: ومن سورة البقرة [2991] / 5 / 71، وقال:
هذا حديث حسن غريب.

(4) أخرجه أحمد في مسنده [25338] / 42 / 206.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ب: ومن سورة النساء [3038] / 5 / 247، وقال:
هذا حديث حسن غريب.

(6) أخرجه النسائي في سننه، ك: الطب، ب: كفارة المريض [7443] / 7 / 48.

(7) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10518] / 9 / 239.

وقوله ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ قال ابن عباس: إلا أن يتوب فيتوب الله عليه ⁽¹⁾ والصحيح أن هذا عام في جميع الأعمال على ما تقدم.

وقوله ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، لما ذكر الجزاء على السيئات، وأنه لا بد أن يأخذ مستحقها من العبد، إما في الدنيا وهو الأجود، وإما في الآخرة -والعياذ بالله من ذلك- شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده ذكرانهم وإنائهم، بشرط الإيمان، وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم، ولا مقدار النقيير، وهو: النقرة التي في ظهر نواة التمر ⁽²⁾.

ثم قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: أخلص العمل لربه - عز وجل - فعمل إيماناً واحتساباً ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: متبع في عمله وما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما، أي: يكون خالصاً صواباً، فالخالص: أن يكون لله. والصواب: أن يكون متابعا للشريعة، فيصح ظاهره بالمتابعة وباطنه بالإخلاص، ومتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد، ومن فقد الإخلاص كان منافقاً وهم الذين يراءون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً، ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّاتِ﴾ ⁽³⁾ ولهذا قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ⁽⁴⁾ الآية وغيرها من الآيات.

وقوله ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ هذا من باب الترغيب في اتباعه؛ لأنه إمام يقتدى به، حيث وصل إلى غاية ما يتقرب العباد له، فإنه انتهى إلى درجة الخلّة التي هي أرفع مقامات

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5998] 4/1072.

(2) ينظر: تهذيب اللغة للهروي 9/92.

(3) سورة الأحقاف، الآية (16).

(4) سورة الأحقاف، الآية (16).

المحبة، وما هو إلا بكثرة طاعته لربه، كما وصفه به في كثير من الآيات، والخليل: الصفي من الخلة وهي: صفاء المودة والصدقة⁽¹⁾.

وذكر ابن جرير عن بعضهم أنه إنما سماه الله خليلاً من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جذب، فارتحل إلى خليل له من أهل الموصل⁽²⁾، وقيل: أهل مضر ليمتار طعاماً لأهله من قبله، فلم يصب عنده حاجة، فلما قرب من أهله مر بمفاضة ذات رمل، فقال: لو ملأت غرأري من هذا الرمل، لئلا أغم أهلي برجوعي إليهم بغير ميرة، وليظنوا أنني أتيتهم ما يحبون. ففعل ذلك، فتحول ما في غرأره من الرمل دقيقاً، فلما صار إلى منزله نام وقام أهله ففتحوا الغرائر، فوجدوا دقيقاً فعجنوا منه وخبزوا فاستيقظ، فسألهم عن الدقيق الذي منه خبزوا، فقالوا: من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك قال: نعم، هو من عند خليل الله فسماه الله بذلك خليلاً، وهذا من الإسرائيليات التي جاز نقلها⁽³⁾.

وإنما سُمِّي خليل الله؛ لشدة محبته ربّه - عز وجل - لما قام به له من الطاعة التي يجبها ويرضاها، وعن ابن عباس قال: «جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فخرج فإذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، قال بعضهم: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً. قال آخر: موسى كلمه تكليماً. وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه. وقال آخر: آدم اصطفاه الله. فخرج عليهم رسول الله ﷺ قال: سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، إلا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعني فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر» رواه الترمذي⁽⁴⁾ والدارمي⁽⁵⁾.

(1) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 2/72.

(2) ينظر: جامع البيان 9/251.

(3) ينظر: جامع البيان 1/529.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، ك: المناقب عن رسول الله ﷺ، ب: في فضل النبي ﷺ 6/15، وقال: هذا حديث غريب.

(5) أخرجه الدارمي في مسنده [48] 1/194.

وقوله ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده وخلقه وهو المتصرف في جميع ذلك لا راد لما قضى ولا معقب لما حكم.

وقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ أي: علمه نافذ في جميع ذلك ولا يخفى عليه خافية من عباده، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾⁽¹⁾

في الصحيحين عن عائشة «﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ إلى قوله ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ قالت: هو الرجل يكون عنده اليتيمة، هو وليها ووارثها، قد شركته في ماله، حتى في العدق⁽²⁾، فيرغب أن ينكحها، وتكره أن يزوجه رجلًا، فيشركه في ماله مما شركته، فيعضلها، فنزلت هذه الآية⁽³⁾، وعن أبي حاتم باسناده قالت عائشة: «ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ الآية»⁽⁴⁾، قالت: والذي ذكر الله أنه يتلى عليهم في الكتاب الآية الأولى التي قال الله تعالى فيها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وقوله ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ رغبة أحدكم عن يتيمة التي في حجره، حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط، من أجل رغبتهن عنهن، وأصله ثابت في الصحيحين.

(1) سورة النساء، الآية (127).

(2) هي: العنقود على النخل أو عنقود العنب، ينظر: كتاب العين 1/148.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ [4600] 49/6، ومسلم في صحيحه، ك: التفسير [3018] 4/2313.

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6017] 4/1075.

والمراد: أن الرجل إذا كان في حجره يتيمة يحل له تزويجها، فتارة يرغب في أن يتزوجها، فأمر الله أن يمهرها أسوة أمثالها من النساء، فإن لم يفعل فليعدل إلى غيرها من النساء، وقد سبق هذا المعنى في أول السورة، وتارة لا يكون للرجل فيها رغبة لزامتها عنده، أو في نفس الأمر، فنهاه الله أن يُعْضِلَهَا من الأزواج، خشية أن يشاركوه في ماله الذي بينه وبينها، كما قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة، فيُلقي عليها ثوبه، فإذا فعل ذلك بها لم يقدر أحد أن يتزوجها أبداً، فإن كانت جميلة وهوها يتزوجها ويأكل مالها، وإن كانت ذميمة منعها الرجال أبداً حتى تموت، فإذا ماتت ورثها. فحرم الله ذلك ونهى عنه ⁽¹⁾.

وقال في قوله ﴿وَالْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الْوَالِدِينَ﴾ كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات، وذلك قوله ﴿لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾ أي: لا تعطونهن ﴿مَا كُنِبَ لَهُنَّ﴾ فنهى الله عن ذلك، ويبيّن لكل ذي سهم سهمه، فقال: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾.

وقوله ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ أي: ويفتيكم أن تقوموا لليتامى بالعدل في مهرهن ومواريتهن، وقوله ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ تهيج على فعل الخيرات وامثال الأوامر، وأن الله عالم بجميع ذلك، وسيجزى عليه أوفر الجزاء وأتمه.

﴿وَإِنْ أُمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ مُحْسِنُونَ وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَا مِّن سَعَتِهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ ⁽²⁾

هذا إخبار عن حال الزوجين، وبيان لحكهما حالة نفور أحدهما عن الآخر، واتفاقهما أو فراقه لها، أما الأولى: إذا خافت المرأة أن ينفر عنها زوجها، ويعرض عنها، فلها أن

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6026] 4/ 1077.

(2) سورة النساء، الآيات (128-130).

تسقط عنه حقها أو بعضه، من نفقة أو كسوة، أو مبيت، أو غير ذلك من حقوقها عليه، وله أن يقبل ذلك منها، ولا حرج في ذلك على أحد منهما، ولهذا قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ ثم قال ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ أي: من الفراق.

وقوله ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ هو أقبح البخل⁽¹⁾، وحقيقته: الحرص على منع الخير، أي الصلح عند المشاحة خير من الفراق، ولهذا لما كبرت سودة بنت زمعة وعزم رسول الله ﷺ على فراقها صالحته أن يمسكها وتترك نومها لعائشة، فقبل ذلك منها وأبقاها على ذلك، قال ابن عباس: «خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا تطلقني واجعل يومي لعائشة ففعل ونزلت هذه الآية ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ الآية» رواه الترمذي⁽²⁾.

وفي الصحيحين عن عائشة قلت: «لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان رسول الله ﷺ يقسم لها بيوم سودة»⁽³⁾، وفي البخاري عن عائشة ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها، يريد أن يفارقها فيقول: أجعلك من شأني في حل فنزلت هذه الآية⁽⁴⁾ وعلى هذا جمهور السلف ولم يعلم خلاف ذلك من أحد، وفعله رسول الله ﷺ ذلك ليتأسى به أمته في شرعية ذلك وجوازه، فهو أفضل في حقه - عليه الصلاة والسلام -.

ولما كان الوفاق أحب إلى الله من الفراق، قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ بل الطلاق بغیض إليه سبحانه، ولهذا قال رسول الله ﷺ «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» رواه أبو داود⁽⁵⁾ وابن ماجه⁽⁶⁾.

(1) الشح: هو البخل مع حرص، ينظر: معجم الفروق اللغوية لابن مهران 295/1.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة النساء [3040] 99/5، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: النكاح، ب: المرأة تهب يومها من زوجها لضررتها [5212] 33/7، و مسلم في صحيحه، ك: الرضاع، ب: جواز هبتها نوبتها لضررتها [1463] 1085/2.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المظالم والعصب، ب: إذا حلل من ظلمه فلا رجوع فيه [2450] 130/3.

(5) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الطلاق، ب: في كراهية الطلاق [2178] 255/2، وضعفه الألباني.

(6) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الطلاق، ب: حدثنا سويد بن سعيد [2018] 650/1، وضعفه الألباني.

وقوله ﴿وَإِنْ مُحْسِنًا وَتَقْوًا﴾ أي: وإن تتجشموا مشقة الصبر على من تكرهونه منهن، وتقسموا لهن أسوة أمثالهن، فإن الله عالم بذلك، وسيجزيكم عليه أوفى جزاء.

وقوله ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ أي: لن تستطيعوا ولن تقدرُوا أيها الناس أن تساوا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه وإن جعل القسم الصوري ليلة ليلة، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع، كما قاله ابن عباس وآخرون⁽¹⁾، قال ابن أبي مليكة⁽²⁾ نزلت هذه الآية ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في عائشة⁽³⁾، يعني: أن النبي ﷺ كان يحبها أكثر من غيرها كما جاء في مسند أحمد عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: اللهم هذا قسمني فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني: القلب رواه أبو داود⁽⁴⁾ والترمذي⁽⁵⁾.

وقوله ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ أي: فإذا ملتم إلى واحدة منهن، فلا تبالغوا في الميل بالكلية ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: فُتَبْقَى الأخرى معلقة، لا ذات زوج، ولا مطلقة، قاله ابن عباس وأتباعه⁽⁶⁾.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له امرأتان فمال إلى أحدهما، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط» رواه أحمد⁽⁷⁾ وأكثر أصحاب السنن⁽⁸⁾.

(1) ينظر: جامع البيان 569/7.

(2) هو: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن جدعان بن تميم، أبوبكر، الإمام، الحجة، وكان عالما مفتيا، صاحب حديث وإتقان، وقد ولى القضاء لابن الزبير، وكان ثقة كثير الحديث، روى عن: حميد بن عبد الرحمن بن عوف وذكوان وطلحة بن عبيد الله وغيرهم، وروى عنه: عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار وعبد العزيز بن رفيع وغيرهم، توفي سنة 117هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 24/6، والتاريخ الكبير للبخاري 137/5، تهذيب الكمال في أسماء الرجال 257/15.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6056] 1083/4.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، ك: النكاح، ب: في القسم بين النساء [2134] 242/2.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، ك: النكاح عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في التسوية بين الضرائر [1140] 437/2.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10659] 290/9.

(7) أخرجه أحمد في مسنده [8568] 237/14.

(8) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: النكاح، ب: القسمة بين النساء [1969] 633/1.

وقوله ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا﴾ أي: وإن أصلحتم في أموركم، وقسمتم بالعدل فيما تملكون واتفقتم الله في جميع الأحوال، غفر الله لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض.

ثم قال: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾ هذه هي الحالة الثالثة: وهي حالة الفراق، وقد أخبر تعالى أنهما إذا افترقا فإن الله يغنيهما عنها ويغنيها عنه، بأن يعوضها بها من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ أي: واسع الفضل، عظيم المنّ حكيماً في جميع أفعاله وأقداره.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ﴿١٣١﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ (1)

أخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنه الحاكم فيهما، ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: وصيناكم بما وصيناهم به من تقوى الله بعبادته وحده لا شريك له، ثم قال: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ أي: هو غني عن عباده، محمود في جميع ما يقدره ويشعره، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: هو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب الشهيد على كل شيء، أي: له الملك فاتخذوه وكيلا، ولا تتوكلوا على غيره.

وقوله ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي: هو قادر على إذهابكم وتبديلكم بغيره إذا عصيتموه، قال بعض السلف: ما أهون العباد على الله إذا أضعوا أمره⁽²⁾، والقدير: القادر على كل شيء. ٤.

(1) سورة النساء، الآيات (131-134).

(2) ينظر: البداية والنهاية 7/172.

وقوله ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: من كان همه إلا الدنيا، فاعلم أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة، وإذا سألته من هذه أعطاك وأغناك وأقناك، كما جاء في غيرها من الآيات، وقيل: المعنيُّ من هذه الآية: المنافقون الذين أظهروا الإيمان لأجل ذلك⁽¹⁾، ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا﴾ وهو ما حصل لهم من المغائم وغيرها مع المسلمين.

وقوله ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ أي: وعنده ثواب الآخرة، وهو ما ادّخر لهم من العقوبة بنار جهنم، كما في قوله ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا﴾ إلى قوله ﴿يَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾ والأول: أظهر وأغلب، فإن قوله ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ظاهر في حصول الخير في الدارين، أي: بيده هذا وهذا، فلا يقتصرن قاصر المهمة على السعي للدنيا فقط، بل لكن همته سامية إلى نيل المطالب العالية في الدارين، فإن مرجع ذلك كله إلى الله الكريم، الذي قسم السعادة والشقاوة بين الناس، وعدل بينهم بما علمه فيهم ممن يستحق هذا، ومن يستحق ذلك، ولهذا قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁽³⁾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾⁽⁴⁾

أمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالعدل، فلا يعدلوا عنه يمينا وشمالا، وأن لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متعاضدين فيه، ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾، كما قال: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾⁽⁵⁾ أي: ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صحيحة عادلة، خالية عن التحريف والتبديل، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾

(1) ينظر: جامع البيان 582/7.

(2) سورة هود، الآية (16).

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم 383/2.

(4) سورة النساء، الآية (135).

(5) سورة الطلاق، الآية (2).

أي: أشهد بالحق ولو عاد ضررها عليك، فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجاً ومخرجاً من كل أمر يضيق عليه.

وقوله ﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أي: وإن كانت الشهادة على والديك أو قرابتك، فلا تُراعهم فيها، بل اشهد بالحق ولو عاد ضررها عليهم، فإن الحق حاكم على كل واحد، وهو مقدم على كل أحد.

وقوله ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ أي: لا تراعه لغناه، ولا تشفق عليه لفقره، فالله يتولاهما؛ بل هو أولى بهما منك، وأعلم بما فيه صلاحهما.

وقوله ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى﴾ أي: فلا يحملنكم الهوى والعصبة وبغض الناس، هم بغضاء إليكم على ترك العدل في أموركم، وشؤونكم، بل ألزموا العدل على أي حال كان.

وقوله ﴿وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ نَعَرَضْتُمْ﴾ قالوا: أي تحرفوا الشهادة وتغيروها، واللّي: هو التحريف وتعمد الكذب. والإعراض: هو كتمان الشهادة وتركها، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾⁽¹⁾، وقال النبي ﷺ «ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذي يأتي لشهادته قبل أن يسألها» رواه مسلم⁽²⁾، ولهذا توعدهم بقوله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: سيجازيكم بذلك.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكِتَبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾⁽³⁾

أمر الله عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل؛ بل من باب تكميل الكامل، وتقريره وتثبيتته ولا استمرار عليه،

(1) سورة البقرة، الآية (283).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الأفضية ب: بيان خير الشهود [1719] 3/1344.

(3) سورة النساء، الآية (136).

كما يقول المؤمن في الصلاة ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁽¹⁾ أي: بصّرنا فيه وزدنا هدىً وتثبيتاً عليه، فأمرهم بالإيمان بالله وبرسوله.

وقوله ﴿وَالْكِتَابِ﴾ يعني: القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ هذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة، وقال في القرآن: ﴿نَزَّلَ﴾ لأنه نزل مفزلاً منجماً على الوقائع بحسب ما يحتاج إليه العباد في معاشهم ومعادهم، وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة.

ثم قال ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ أي: فقد خرج عن طريق الهدى وبعد عن المقصد كل بعد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾^(١٣٧) بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾⁽²⁾

أخبر تعالى عن من دخل في الإيمان ثم رجع عنه، ثم عاد فيه، ثم رجع واستمر على الضلالة وازداد حتى مات، فإنه لا توبة له بعد موته، ولا يغفر الله له، ولا يجعل له مما هو فيه فرجاً ومخرجاً، ولا طريقاً إلى الهدى، ولهذا قال: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ قال ابن عباس: ﴿ثُمَّ ءَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ أي: تموا على كفرهم حتى ماتوا⁽³⁾، وعن علي⁽⁴⁾ أنه قال: يستتاب المرتد ثلاثاً، ثم تلا هذه الآية .

(1) سورة الفاتحة، الآية (6).

(2) سورة النساء، الآيات (137-140).

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6115] 4/ 1091.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10705] 9/ 317.

ثم قال: ﴿بَيَّرَ الْمُنْفِقِينَ﴾ أي: من أهل هذه الصفة، فإنهم آمنوا ثم كفروا، فطبع على قلوبهم، ثم وصفهم بأنهم ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: أنهم معهم في الحقيقة يوالونهم، ويسرون إليهم بالموعدة، ثم قال منكرًا عليهم فيما سلكوه: ﴿أَيَّبَتُّوْنَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ ثم أخبر أن العزة كلها له وحده، لا شريك له، ولن جعلها له، كما في غيرها من الآيات، والمراد من هذا التمهيج على طلب العزة من عند الله، والالتجاء إلى عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين، وقال رسول الله ﷺ «من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا وكبرا فهو عاشرهم في النار» رواه أحمد (1).

وقوله ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثُلُكُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾ أي: كما اشاركوا في الكفر، كذلك شارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبداً، وجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال.

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (2)

أخبر تعالى عن المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء، يعني: ينتظرون زوال دولتهم، وظهور الكفرة عليهم، وذهاب ملتهم، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: نصر وتأييد وظهر وغنيمة، ﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: يتوّدون إلى المؤمنين بهذه المقالة، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ أي: إقالة على المؤمنين في بعض الأحيان، كما وقع يوم أحد، فإن الرسل تبلى ثم يكون لها العاقبة، ﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ والاستحواذ: الاستيلاء والغلبة. أي: ساعدناكم في الباطن وخذلناهم حتى انتصرت عليهم، وهذا تودد منهم إليهم، فإنهم كانوا يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحظوا عندهم، ويأمنوا كيدهم، وذلك لضعف إيمانهم، وقلة إيقانهم، وقال تعالى ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: بما يعلمه

(1) أخرجه أحمد في مسنده [17212] 445/28.

(2) سورة النساء، الآية (141).

منكم أيها المنافقون من البواطن الرديّة، فلا تغتروا بجريان الأحكام الشرعية عليكم ظاهراً في الحياة الدنيا؛ لما له تعالى في ذلك من الحكمة، فيوم القيامة لا تنفعكم ظواهركم، بل هو يوم تبلى فيه السرائر، ويحصل ما في الصدور.

وقوله ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ استتصال بالكلية، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس، فإن العاقبة للمتقين في الدارين، وحينئذ يكون رداً على المنافقين فيما أملوه ورجوه وانتظروه، من زوال دولة المؤمنين، وفيها دليل على منع بيع العبد المسلم من الكافر وبطلانه⁽¹⁾؛ لما في صحته من التسليط له عليه، وبه قال الجمهور.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽²⁾ مُدْبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾⁽³⁾

وقد تقدم تفسير ﴿يُخَدِعُونَ اللَّهَ﴾ في أول سورة البقرة، وقوله ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ لا شك أن الله لا يجادع، فإنه العالم بالسرائر والضمائر، لكن المنافقين لجهلهم يتصورون أن أمرهم كما راج عند الناس، وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهراً، فكذا يكون حكمهم يوم القيامة عند الله، كما أخبر تعالى عنهم بقوله ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾⁽³⁾ الآية، فقوله ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ أي: هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم في الدنيا، فكذا في القيامة، كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلى قوله ﴿وَبئْسَ الْمَصِيرُ﴾⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته 5/ 46.

(2) سورة النساء، الآيتان (142-143).

(3) سورة المجادلة، الآية (6).

(4) سورة الحديد، الآية (15).

وعن جندب قال: قال رسول الله ﷺ «من سمع سمع الله به، ومن يرائي يُرائي الله به» متفق عليه⁽¹⁾ وفي الحديث المعتبر «إن الله يأمر بالعبء إلى الجنة فيما يبدو للناس ويُعدّل به إلى النار»⁽²⁾ نعوذ بالله من ذلك.

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَاتَى﴾ هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها، وهي الصلاة إذا قاموا إليها، قاموا وهم كسالى عنها، أي: متثاقلين لا يريدون بها الله، لأنهم لا إيمان لهم بها، ولا نية ولا خشية، قال ابن عباس: يكره أن يقوم الرجل إلى صلاته كسلان، ولكن يقوم إليها طلق الوجه، عظيم الرغبة، شديد الفرح، فإنه يناجي الله، وأن الله أمامه يغفر له ويحييه إذا دعاه⁽³⁾، ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة، فقال: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ أي: لا إخلاص لهم، ولا معاملة مع الله، بل إنهم يشهدون الصلاة تقيّة من الناس، ومصانعة لهم، ولهذا كانوا يتخلّفون كثيراً عن الصلاة التي لا يراؤون فيها غالباً، كصلاة العشاء وصلاة الصبح، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً»⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: في صلواتهم، ولا يخشون، ولا يتدبرون فيما يقولون، بل هم عن صلواتهم لاهون، وعمّا يراد بهم من الخير معرضون، وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً» رواه مسلم⁽⁵⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الرقاق، ب: الرياء والسمعة [6499] 104/8، ومسلم في صحيحه، ك: الزهد والرفائق، ب: من أشرك في عمله غير الله [2986] 2289/4.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/438.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6139] 1095/4.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأذان، ب: فضل العشاء في الجماعة [657] 132/1، ومسلم في صحيحه، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: الذين يتخلّفون عن صلاة الجماعة والجمعة [651] 451/1.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: استحباب التكبير بالعصر [622] 434/1.

قوله ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ يعني: المنافقين متحيرين بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً، ولا مع الكافرين ظاهراً وباطناً، بل ظواهرهم مع المؤمنين، وبواطنهم مع الكافرين، ومنهم من يعتريه الشك، فتارة يميل إلى هؤلاء، وتارة يميل إلى هؤلاء، فالمسار إليه أولاً المؤمنون، وثانياً اليهود.

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة⁽¹⁾ بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدري أيتها تتبع» رواه مسلم⁽²⁾، وعن ابن مسعود قال: «مثل المؤمن والمنافق والكافر، مثل ثلاثة نفر انتهوا إلى واد، فوقع أحدهم فعبر، ثم وقع الآخر حتى إذا أتى على نصف الوادي ناداه الذي على شفير الوادي: ويلك أين تذهب؟ إلى الهلكة! ارجع عودك على بدءك، وناداه الذي عبر: هلمَّ النجاة، فجعل ينظر إلى هذا مرة، وإلى هذا مرة قال: فجاء سيل فأغرقه، فالذي عبر المؤمن، والذي غرق المنافق، ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ والذي مكث الكافر»⁽³⁾، أي: ليسوا بمؤمنين مخلصين، ولا بمشركين مصرحين بالشرك، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ أي: ومن صرفه الله عن طريق الهدى فلن تجد له وليا مرشداً، فإنه من يضل الله فلا هادي له.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾⁽⁴⁾

نهى الله عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يعني: مصاحبتهم ومصادقتهم، وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم، كما قال: ﴿لَا يَتَّخِذِ

(1) العائرة: الساقطة لا يُعرف لها مالك، ينظر: غريب الحديث للخطابي 1/480.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: صفات المنافقين وأحكامهم [2784] 4/2146.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6144] 4/1096.

(4) سورة النساء، الآيتان (142-143).

الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴿١﴾ الآية ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (٢) أي: يحذركم نعمته في مخالفته، وسطوته في عذابه، لمن والى أعداءه، وعادى أوليائه، كما سبق في آل عمران تفسيره، أي عقوبته في ارتكاب نهيه، ولهذا قال: ﴿أَثْرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أي: حجة عليكم في عقوبته إياكم، قال ابن عباس: كل سلطان في القرآن حجة (٣).

ثم أخبر تعالى ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ أي: يوم القيامة، جزاء على كفرهم الغليظ، والنار دركات كما أن الجنة درجات، وهم في توابيت ترتج عليهم في أسفل النار، قاله ابن مسعود وغيره (٤).

وعن أبي هريرة قال: «الدرك الأسفل بيوت لها أبواب، تطبق عليها فتوقد من تحتهم، ومن فوقهم النار» (٥).

وقوله ﴿وَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ أي: ينقذهم مما هم فيه، ويخرجهم من أليم العذاب، ثم أخبر تعالى أن من تاب منهم في الدنيا تاب الله عليه، وقبل منه ندمه، إذا أخلص في توبته، وأصلح عمله، واعتصم بربه في جميع أمره، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ الآية، فإنه ينفعهم العمل الصالح الذي حصل منهم بالإخلاص وإن قلّ، وعن معاذ أن رسول الله ﷺ قال: «أخلص دينك يكفيك القليل من العمل» رواه ابن أبي حاتم (٦).

﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: في زمرة يوم القيامة، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: الجنة وحذفت الياء من يؤت في الحط لسقوطها في اللفظ، لسكون اللام.

(1) سورة آل عمران، الآية (28).

(2) سورة آل عمران، الآية (30).

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [1658] 2/328.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10742] 9/339.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6154] 4/1098.

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6162] 4/1099.

ثم قال مخبراً عن غناهما سواه، وأنه إنما يعذب العباد بذنوبهم، فقال: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ﴾ أي: أصلحتم العمل، وآمتم بالله ورسوله، ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ أي: من شكره شكر له، ومن آمن قلبه به علمه وجزاه على ذلك خير الجزاء.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (148) ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ (149) (1)

قال ابن عباس: أي: لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد، إلا أن يكون مظلوماً؛ فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله ﴿إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ وإن صبر فهو خير له (2)، قال الجزري (3): هو الرجل يشتمك فتشتمه، ولكن من افتري عليك فلا تفتري عليه، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ «المستبان ما قال، فعلى البادئ منهما ما لم يعتد المظلوم» (4) رواه أبو داود .

وعن مجاهد وغيره: هو الرجل ينزل بالرجل، فلا يحسن ضيافته، فيخرج فيقول: أساء ضيافتي ولم يحسن (5)، وفي الصحيحين عن عقبة بن عامر (6) قال: «قلنا يا رسول الله إنك تبعثنا فننزل بقوم فلم يُقرونا، فما ترى في ذلك؟ فقال: إذا نزلتم بقوم فأمروا لكم بما

(1) سورة النساء، الآيتان (148-149).

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10749] 344/9.

(3) هو: عبد الكريم بن مالك الجزري، أبو سعيد الحراني، مولى بني أمية، روى عن: عطاء وعكرمة وسعيد بن المسيب وغيرهم، وروى عنه: أيوب السخيتاني وابن جريج ومالك وغيرهم، قال أحمد: ثقة، ثبت، وهو صاحب سنة، وقال ابن عبد البر: ثقة مأمونا كثير الحديث، توفي سنة 127هـ، ينظر: تهذيب التهذيب 6/373، تهذيب الكمال 18/252.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأدب، ب: المستبان [4894] 274/4، وصححه الألباني.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10753] 345/9.

(6) هو: عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن قضاة الجهني، أبو عمرو، وقيل: أبو حماد، الإمام، الأمير، المقرئ، صاحب رسول الله ﷺ، وهو من مشاهير الصحابة، وهو معدود فيمن خدم النبي ﷺ، كان شجاعاً، فقيهاً، شاعراً، قارئاً، روى عن: النبي ﷺ كثيراً، وروى عنه: ابن عباس وأبو الخير وجبير بن نفير وغيرهم، توفي سنة 58هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 4/343، و التاريخ الكبير للبخاري 6/430، الاستيعاب في معرفة الأصحاب 3/1073.

ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حقّ الضيف الذي ينبغي لهم»⁽¹⁾، وعن المقداد بن معد يكرب⁽²⁾ عن النبي ﷺ قال: «أيما مسلم ضاف قوماً فأصبح الضيف محروماً كان حقاً على كل مسلم نصرته، حتى يأخذ بقري ليلته من زرعه وماله» رواه أحمد⁽³⁾.

وقوله ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ أي: إن تظهروا أيها الناس خيراً أو أخفيتموه أو عفوتم عن أساء إليكم، فإن ذلك مما يقربكم عند الله، ويجزل ثوابكم لديه، فإن من شأنه تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ وفي الحديث الصحيح «ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً»⁽⁴⁾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾⁽⁵⁾

توعد الله من كفر به وبرسله من اليهود والنصارى، حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض مجرد التشهّي والعادة، وما ألفوا عليهم آباءهم لا عن دليل فادهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل لمجرد الهوى والعصبية، فاليهود لعنهم

(1) أخرجه أحمد في مسنده [17345] 579/28، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(2) هو: المقداد بن معد يكرب بن عمرو الزبيدي الكندي، أبو كريمة، ويقال: أبو يحيى، له صحبة، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وروى عنه: يحيى والحسن ابنا جابر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم، سكن الشام، وهو أحد الوفد الذين وفدوا على النبي ﷺ من كندة، وعن حميد بن ربيعة قال: رأيت المقداد خارجاً من عند الوليد بن عبد الملك في ولايته، توفي بالشام سنة 87هـ، ينظر: التاريخ الكبير للبخاري 429/7، و معجم الصحابة للبخاري 299/5، و تاريخ دمشق لابن عساكر 184/60.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [17178] 416/28، وقال: شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: استحباب العفو والتواضع [2588] 2001/4.

(5) سورة النساء، الآيات (150-152).

الله آمنوا بالأنبياء إلا بـعيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام-، والنصارى - عليهم سخط الله - آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ، والسامرة لا يؤمنون بنبي سوى يوشع خليفة موسى بن عمران، والمجوس يقال: أنهم يؤمنون بنبي لهم اسمه زرادشت، ثم كفروا بشرعه، فرجع من بين أظهرهم، والمقصود: أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبيء بعثه الله، فمن ردّ نبوته لحسد وغيره، فإن إيمانه بمن آمن به ليس شرعيًا، إنما هو عن غرض وعصبيّة، ولهذا قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ فوسمهم بأنهم كفار، والسبيل: الطريق والمسلك. ثم أخبر عنهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ أي: كفرهم محقق لا محالة بمن ادّعوا الإيمان به، لأنه ليس شرعيًا، لأنهم لو كانوا مؤمنين لآمنوا بمن هو أوضح دليلًا، وأقوى حجة منه، أو نظروا حق النظر في نبوته.

وقوله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ أي: كما استهانوا بمن كفروا به، إمّا لجهلهم بما جاءهم من الله وإعراضهم عنه وإقبالهم على جمع حطام الدنيا، وإمّا بكفرهم به عند علمهم بنبوته عنادًا، كما فعله كثير من أحبار اليهود في زمان رسول الله ﷺ حسدًا وعداوة حتى قتلوه، فسلط الله عليهم الذل الأبدي الدنيوي والأخروي.

وقوله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ يعني بذلك: أمة محمد ﷺ فهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبيء بعثه الله، كما هو مبين في آخر سورة البقرة، ثم أخبر تعالى بأنه قد أعد الله لهم الجزاء الجزيل، والثواب الجليل، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ أَجْرُهُمْ﴾ أي: على من آمنوا بالله ورسوله ⁽¹⁾ ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لذنوبهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم في الآخرة.

(1) ينظر: جامع البيان 7/ 637.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْبَيْنَتْ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٦﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٧﴾﴾ (1)

قال السدي وغيره: سأل اليهود رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة، أو صحفاً من الله مكتوبة إلى فلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم به (2)، وهذا منهم على سبيل التعنت والعناد، كما سأل كفار قريش قبلهم نظير ذلك، على ما سيجيء في سورة الإسراء - إن شاء الله - ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (3) الآيات، ولهذا قال تعالى ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: عياناً ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ أي: بطغيانهم وعنادهم، كما سبق في سورة البقرة، حيث قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (4).

وقوله ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْبَيْنَتْ﴾ أي: بعدما رأوا الآيات الباهرة، والأدلة القاهرة على يدي موسى في بلاد مصر، وما كان من إهلاك الله عدوهم فرعون، هو وجميع جنوده في اليم فما جاوزوه إلا يسيراً، ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (5) ثم ذكر تعالى قصة اتخاذهم العجل مبسوطه في سورة الأعراف وفي سورة طه بعد ذهاب موسى إلى مناجاة الله - عز وجل - ثم لما رجع وكان ما كان، جعل الله قوتهم من الذين صنعوه وابتدعوه، أن يقتل من لم

(1) سورة النساء، الآيتان (153-154).

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10768] 9/356.

(3) سورة الإسراء، الآية (90).

(4) سورة البقرة، الآية (55).

(5) سورة الأعراف، الآية (138).

يَعْبُدُ الْعَجَلِ مِنْهُمْ مَنْ عِبْدَهُ، فَجَعَلَ بَعْضَهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَعَقُونَا عَنْ ذَلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَنَا مُبِينًا﴾ أي: حجة بينة من المعجزات⁽¹⁾ وهي الآيات التسع.

ثم قال: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بَيِّنَةً لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وذلك حين امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة، وظهر منهم إباء عما جاءهم به موسى - عليه السلام - رفع الله على رؤوسهم جبلا، ثم أُلزِمُوا فَالْتَزَمُوا وَسَجَدُوا، وَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ خَشْيَةً أَنْ تَسْقُطَ عَلَيْهِمْ، ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي: خالفوا القول والفعل كما سبق في موضعه، ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ أي: وصيئناهم بحفظ السبت، والالتزام ما حرم الله عليهم ما دام مشروعاً لهم، ﴿وَآخِذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ أي: عهداً شديداً، فخالفوا وعصوا وتحيلوا على ارتكاب مناهي الله - عز وجل - كما هو مبسوط في سورة الأعراف⁽²⁾.

﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁵⁵⁾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنَانَا عَظِيمًا⁽¹⁵⁶⁾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا⁽¹⁵⁷⁾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا⁽¹⁵⁸⁾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَبِوَمِ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا⁽¹⁵⁹⁾﴾⁽³⁾

هذه من الذنوب التي ارتكبوها، مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى، وهو نقضهم المواثيق والعهود التي أخذت عليهم، ﴿وَكُفِّرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: حججه وبرهانه والمعجزات التي شاهدوها على أيدي الأنبياء - عليهم السلام - .

(1) ينظر: بحر العلوم 1/ 354.

(2) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 2/ 52.

(3) سورة النساء، الآيات (155-159).

وقوله ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ﴾ وذلك كثرة إجرامهم واجترائهم على أنبياء الله قتلوا جما غفيرا منهم - عليهم السلام - ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾⁽¹⁾ قال ابن عباس وآخرون: أي: في غطاء⁽²⁾ ، وقيل معناه أي: غلف للعلم أي: أوعيه للعلم قد حوته وحصلته، وهكذا عنه أيضا⁽³⁾ ، وقد سبق نظيره في سورة البقرة، فعلى الأول كأنهم يعتذرون إليه، بأن قلوبهم لا تعي ما يقول؛ لأنها في غلفٍ وفي أكنة، وعلى الثاني عكس عليهم ما ادّعوه من كل وجه كما سبق في سورة البقرة، ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: مردت قلوبهم على الكفر والطغيان وقلة الإيمان، ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرَمٍ﴾ قال ابن عباس: يعني: أنهم رموها بالزنا⁽⁴⁾ ، وتابعه الأكثر وقالوا: أنهم رموها وابنها بالعظام فجعلوها زانية⁽⁵⁾ ، وقد حملت بولدها من ذلك وهي حائض⁽⁶⁾ .

وقولهم ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ أي: وبدعواهم الكاذبة وبُهتانهم في قولهم ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب الشريف قتلناه، قالوه تهكما واستهزاء، وكان من خبر اليهود - عليهم لعائن الله - أنهم لما بعث الله عيسى بن مريم بالبينات والهدى، حسدوه على ما أتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات، وخالفوه وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل عيسى لا يساكنهم في بلدة؛ بل يكثر السياحة هو وأمه - عليهما السلام - ثم لم يقنعوا بذلك منه حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان، وكان رجلا مشركا من عبدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته اليونان، وأنهوا إليه أن بيت المقدس رجلا يفتن الناس، ويُضلهم ويفسد على الملكِ رعاها، فغضب من ذلك وكتب إلى نائبه بها: أن يأخذه ويصلبه ويكف أذاه عن الناس، فلما قرأ امثله. وذهب هو وطائفة من

(1) اختلف القراءة في قراءة ذلك، فقرأ بعضهم قلوبنا "غلف" مخففة اللام ساكنة وهي قراءة عامة الأمصار، وقرأ أحمد بن اللؤلؤي عن أبي عمرو "غلف" بضم اللام، ينظر: كتاب السبعة في القراءات 1/164.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6221] 4/1108.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [1513] 2/327.

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6230] 4/1109.

(5) ينظر: جامع البيان 7/649.

(6) ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/396.

اليهود إلى منزل عيسى وهو في جماعة من أصحابه اثني عشر أو ثلاثة عشر أو سبعة عشر نفرًا، وكان ذلك بعد العصر يوم الجمعة، فحصره هناك، فلما أحس عيسى بهم أنه لا محالة من دخولهم عليه، أو خروجه عليهم أيكم يلقي عليه شَبْهي وهو رفيقي في الجنة، فانتدب لذلك شابٌ منهم، وكأنه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا يتدب إلا ذلك الشاب، فقال: أنت هو وألقى الله عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو، وفتحت روزنة⁽¹⁾ من سقف البيت، وأخذت عيسى - عليه السلام - سينة من النوم، ورفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَنَعَكَ إِذْ قَالَ اقْبَلِي هَذَا مِنِّي وَارْتَعِبْ إِنِّي مُؤْتَقِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾⁽²⁾ الآية، فلما رفع خرج ذلك النفر، فلما رأوا ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل فصلبوه، وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه، وتحججوا بذلك، وسلم لهم طوائف النصارى ذلك؛ لجهلهم وقلة علمهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقيون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود، أن المصلوب هو المسيح بن مريم، وهذا امتحان من الله عباده؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وقد أوضح الأمر وجلاله، وبيّنه في القرآن العظيم، الذي نزل على رسوله الكريم، فقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: رأوا شبهه فظنوا إياه، ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أي: من ادعى قتله من اليهود ومن سلمه لهم، ومن جهّال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال، ولهذا قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ أي: منيع الجنب، لا يرام جنبه، ولا يضام من لاذ ببابه، ﴿حَكِيمًا﴾ أي: في جميع ما يقدره ويقضيه من الأسرار التي يخلقها، وله الحكمة البالغة والسلطان العظيم، وقيل: إن شبه عيسى ألقى على جميع أصحابه، وهو اختيار بن جرير⁽³⁾، وروى تلك القصة مبسوطه مع زوائد وغرائب من الإسرائيليات، ووافقه ابن أبي حاتم في بعضها⁽⁴⁾، والله أعلم.

(1) الروزنة: هي الفجوة تترك في جانب السقف؛ لينشل التراب منها، ثم تسد متى انتهى العمل، ينظر: يكملة المعاجم العربية 5/ 131.

(2) سورة آل عمران، الآية (55).

(3) ينظر: جامع البيان 9/ 374.

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 4/ 111.

وقوله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾⁽¹⁾ اختلفوا في معناها، فقال بعضهم أي: إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك بأن جميعهم يصدقون به، إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنفية، وعليه ابن عباس⁽¹⁾، والمراد بهم اليهود خاصة وتابعه كثيرون، وهذا هو الحق وقال آخرون: أي قبل موت الكتابي⁽²⁾، فإنه إذا عاين واحتضر علم الحق من الباطل، لأن كل من نزل به الموت رفع الحجاب، وتبين له الحق في دينه، قال ابن عباس: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى، ولو ضربت عنقه لم تخرج نفسه، حتى يؤمن بعيسى⁽³⁾ وتابعه جماعة، وقال آخرون: إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي قال علي رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد ﷺ قال ابن جرير: والقول الأول صحيح وهو كذلك⁽⁴⁾؛ لأنه المقصود من الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود، من قتل عيسى وصلبه، فأخبر الله تعالى أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبيه وهو لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وأنه باق حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة، التي سنورد بعضها، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني: لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، إلا الإسلام والسيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي: بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء، وبعد نزوله إلى الأرض، وأما من فسّر الآية بأن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى، أو بمحمد - عليهما الصلاة والسلام -، فهذا هو الواقع، وذلك أن كل أحد عند احتضاره يتجلى له ما كان جاهلا به، فيؤمن به⁽⁵⁾، ولكن لا يكون ذلك إيمانا نافعا له، وإذا كان قد شاهد الملك كما في

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10794] 9/379.

(2) ينظر: جامع البيان 9/386.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10809] 9/382.

(4) ينظر: جامع البيان 9/386.

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/454.

قوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾⁽¹⁾ الآية، ومن الأحاديث الواردة في شأنه - عليه السلام - ما في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده ليوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: واقراءوا إن شئتم ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾»⁽²⁾ وزاد في رواية بعد قوله عدلاً: يقتل الدجال، وفي مسلم عنه أيضاً أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فيكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص⁽³⁾ فلا يسعى عليها، وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال، فلا يقبله أحد»⁽⁴⁾، وفيه أيضاً عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لِيَهْلَنَّ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرُّوحَاءِ»⁽⁵⁾ بالحج والعمرة، أو لِيُشَيِّهُمَا جَمِيعاً» رواه أحمد⁽⁶⁾، وفي الصحيحين عنه أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم»⁽⁷⁾ وفيهما أيضاً أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وليس بيننا نبيء»⁽⁸⁾، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

(1) سورة النساء، الآية (18).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام [3448] 4/168، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا... [155] 1/135.

(3) القلاص: هي حالب القلوص من الإبل الفتية المجتمعة الخلق، وذلك من حين تتركب إلى التاسعة من عمرها، ينظر: معجم الوسيط 2/755.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا [155] 1/136.

(5) الروحاء: اسم موضع. ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم 4/2678.

(6) أخرجه أحمد في مسنده [10661] 16/387.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: نزول ابن مريم عليهما السلام [3449] 4/168، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا... [155] 1/136.

(8) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [3443] 4/167.

قال: «لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: أن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فيزل عيسى بن مريم فأثمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لا يذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته» رواه مسلم⁽¹⁾، وفي حديث النّوّاس بن سمعان⁽²⁾ في صحيح مسلم «فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مَهْرَوذَيْنِ واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا تحذر منه، مثل جُمان اللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه، يعني: الدجال حتى يدركه بباب لُدّ فيقتله»⁽³⁾ وفي الصحيحين قال: قال رسول الله ﷺ ليلة أسري به: «لقيت موسى، قال: فنعته، فإذا رجل قل حسبته، رجل مضطرب، رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى فقال: رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كأنما خرج من الديات، يعني الحمّام ورأيت إبراهيم، وأنا أشبه ولده به» الحديث⁽⁴⁾.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفتن وأشراف الساعة، ب: في فتح القسطنطينية... [2897] 4/2221.

(2) هو: نوّاس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، سكن الشام، وفد على النبي ﷺ فدعا له، وأهدى إلى النبي ﷺ نعلين فقبلهما وزوجه أخته، فلما دخلت على النبي ﷺ تعوذت منه فتركها، وهي الكلابية، روى عن: النبي ﷺ، وروى عنه: جبير بن نفير وبسر بن عبيد الله وأبو إدريس الخولاني وغيرهم، توفي سنة 50هـ، ينظر: التاريخ الكبير للبخاري 8/126، و معجم الصحابة لابن قانع 3/163، أسد الغابة 5/345.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفتن وأشراف الساعة، ب: ذكر الدجال وصفته وما معه [2937] 4/2250.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [3437] 4/166.

وفي البخاري عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت موسى وعيسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد، عراض الصدر، وأما موسى فأدم جسيم سبط، كأنه من رجال الزُّط»⁽¹⁾ (2).

وفي مسند أحمد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى بن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان مُمصَّران⁽³⁾ كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والدئاب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالحيات، لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»⁽⁴⁾ وكذا رواه أبو داود هذا⁽⁵⁾.

وفي صحيح مسلم «أنه يمكث سبع سنين»⁽⁶⁾، فيحتمل أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة مجموع إقامته فيها قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله، فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون على الصحيح، وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه أنه يدفن مع النبي ﷺ في حجرته⁽⁷⁾، وهذا يوافق ما ذكره ابن الجوزي في كتاب الوفاء عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له،

(1) الزط: جيل من السودان، ينظر: كتاب العين 7/ 347.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [3438] 4/ 166

(3) مصَّراً: مصبوغ بالطين الأحمر أو بحمرة خفيفة. ينظر: جمهرة اللغة 2/ 744.

(4) أخرجه أحمد في مسنده [9270] 15/ 154.

(5) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الملاحم، ب: خروج الدجال [4324] 4/ 117، وصححه الألباني.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض [2940] 4/ 2258.

(7) ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر 47/ 523.

فيمكث خمسا وأربعين سنة، ثم يموت فيدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى بن مريم من قبر واحد، بين أبي بكر وعمر»⁽¹⁾، وفي الترمذي عن عبد الله بن سلام قال: «مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه، قال ابن مودود: وقد بقي في البيت موضع قبر»⁽²⁾.

وقوله ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ قال قتادة: يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله، وأقر بالعبودية لله⁽³⁾، وهذا كقوله تعالى في سورة المائدة ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾ إلى قوله ﴿فَأِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁵⁾.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(٦١) وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦٢﴾ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٣﴾⁽⁶⁾

أخبر تعالى أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبه من الذنوب العظام، حرّم الله عليهم طيبات كان أحلّها لهم، وهذا التحريم قد يكون تقديرياً، بأن الله تعالى قيضهم، لأن يولوا في كتابهم وحرفوا وبدّلوا أشياء كانت حلالاً فحرموها على أنفسهم؛ تشديداً منهم عليها، وتضييقاً، كما روى أنس أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تشدّدوا على أنفسكم، فيشدّد

(1) ينظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسهمودي 2/ 122.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: مناقب النبي ﷺ، ب: في فضل النبي ﷺ [3617] 6/ 16، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10832] 9/ 390.

(4) سورة المائدة، الآية (116).

(5) سورة المائدة، الآية (118).

(6) سورة النساء، الآيات (160-162).

الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم، فشدّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾⁽¹⁾ « رواه أبو داود⁽²⁾ ، ويحتمل أن يكون شرعياً يعني: أنه تعالى حرّم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالاً لهم قبل ذلك، كما قال: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾⁽³⁾ الآية كما سبق، وقد حرم الله عليهم أشياء كثيرة في التوراة كما سبق في سورة الأنعام، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾⁽⁴⁾ الآية، أي: حرّمنا عليهم ذلك بسبب تعنتهم ومخالفتهم رسولهم واختلافهم، ولهذا قال: ﴿فَيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هو ما سبق من نقضهم الميثاق، وكفرهم بآيات الله وبهتانهم على مريم، ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وهي ما مرّ أنفاً ﴿وَبَيَّضَهُمْ﴾ أي: صدّوا الناس وأنفسهم عن اتباع الحق، وهذه سجيّة لهم استمروا بها قديماً، ولهذا كانوا أعداء الرسل، وفعلوا ما فعلوا.

وقوله ﴿وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: أن الله قد نهاهم عن الربا، فتناولوه وأخذوه واحتالوا في تحليلها، وأكلوا أموال الناس بالباطل نحو الرشى في الحكم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: هيأنا لهم عذاباً مؤلماً دائماً.

ثم قال تعالى ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أي: الثابتون فيه، الذين لهم قدم راسخة في العلم النافع، كما سبق في آل عمران، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على الراسخون، وخبره ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قال ابن عباس: نزلت في عبد الله بن سلام وأمثاله، الذين دخلوا في الإسلام وصدقوا بما أرسل الله به على محمد ﷺ⁽⁵⁾.

(1) سورة الحديد، الآية (26).

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأدب، ب: في الحسد [4904] 276/4.

(3) سورة آل عمران، الآية (93).

(4) سورة الأنعام، الآية (146).

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [6269] 1116/4.

وقوله ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ كذا في جميع المصاحف وذكر ابن جرير أنها في مصحف ابن عباس والمقيمون الصلاة⁽¹⁾ ، والصحيح قراءة الجميع، ثم رد على من زعم أن ذلك من غلط الكاتب فقال بعضهم: هو منصوب على المدح⁽²⁾ ، كما في قوله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾⁽³⁾ الآية، قالوا وهذا شائع في كلام العرب، وقيل: هو مخفوض عطفًا على قوله ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني: وبالمقيمين الصلوة أي: وبإقامة الصلاة معترفين بوجودها، وكتابتها عليهم، والمراد بهم الملائكة على قول.

وقوله ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: زكاة الأموال والنفوس، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي: يصدقون بأنه لا إله إلا الله، ويؤمنون بالبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها. وقوله ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: الجنة.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾⁽⁴⁾

قال ابن عباس: قال سكين وعدي بن زيد: يا محمد، ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موت موسى! فأنزل الله في ذلك ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ إلى آخر الآيات⁽⁵⁾ ، وقال محمد بن كعب⁽⁶⁾ : أنزل الله ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا﴾⁽⁷⁾ إلى قوله ﴿بُهْتَنًا

(1) ينظر: جامع البيان 7/ 680.

(2) ينظر: المصدر السابق.

(3) سورة البقرة، الآية (177).

(4) سورة النساء، الآيات (163-165).

(5) ينظر: جامع البيان 7/ 686.

(6) سبق ترجمته.

(7) سورة النساء، الآية (153).

عَظِيمًا⁽¹⁾ - فلما تلاها عليهم - فأخبرهم بأعمالهم الخبيثة، جحدوا كل ما أنزل الله، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، ولا موسى ولا عيسى، ولا على نبي من شيء. قال: فَحَلَّ حُبُّوهُ⁽²⁾ ، وقال: ولا على أحد. فأنزل الله - عز وجل - فقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾⁽³⁾ الآية، وفيه نظر؛ لأن هذه مكة، وتلك في سورة النساء مدنية، بل هي رد عليهم لما سئلوا النبي ﷺ أن يُنزل عليهم كتابا من السماء كما سبق، ثم ذكر فضائحهم ومعائبهم وما كانوا عليه من الكذب والافتراء، ثم ذكر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله محمدا ﷺ كما أوحى إلى غيره من الأنبياء المتقدمين فقال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾ الآية، والزبور: اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود، وسنذكر ترجمة كل نبي من هؤلاء عليهم السلام عند قصصهم في السور الآتية - إن شاء الله -.

وقوله ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل هذه الآية، وهم الذين نص الله على أساميهم في القرآن، وهم آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكرياء ويحيى وعيسى، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين.

وقوله ﴿لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ أي: خلقا آخرين لم يذكروا في القرآن، وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «إني خاتم ألف نبي أو أكثر، وما بعث من نبي يتبع إلا وقد حذر أمته منه، أي: من الدجال، وإني قد بُيِّن لي فيه ما لم يُبيِّن، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وعينه اليمنى عوراء جاحظة⁽⁴⁾ ، لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري، معه من كل لسان، ومعه صورة اللجنة خضراء يجري فيها الماء، وصورة النار سوداء تدأخن⁽⁵⁾» رواه أحمد .

(1) سورة النساء، الآية (156).

(2) الحُبوة: الثوب الذي يجتبي به، ينظر: كتاب العين 3/309.

(3) سورة الزمر، الآية (67).

(4) جاحظة: حدقتا العين إذا كانتا خارجتين، ينظر: كتاب العين 3/73.

(5) أخرجه أحمد في مسنده [1152] 18/276.

وقوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ كان من المعتزلة من قرأ وكلم الله موسى تكليماً بتحريف الفاعل إلى المفعول، بمعنى أن موسى كلم الله على بعض المشائخ⁽¹⁾، فقال له يا ابن اللّخناء⁽²⁾، فكيف تصنع بقوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾⁽³⁾ يعني: أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل⁽⁴⁾، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «كان على موسى يوم كلمه جبة صوف، وكساء صوف، وسراويل صوف، ونعلان من جلد حمار غير ذكي» رواه ابن مردويه⁽⁵⁾، وعن ابن عباس قال: الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة، وأربعين ألف كلمة، في ثلاثة أيام، وصايا كلها، فلما سمع كلام الأدميين مقتهم مما وقع على مسامعه من كلام الرب - عز وجل -⁽⁶⁾.

وعن جابر بن عبد الله⁽⁷⁾ قال: «لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه يوم ناداه، فقال له موسى: يا رب هذا كلامك الذي كلمتني به؟ فقال: يا موسى إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسنة كلها، وأنا أقوى من ذلك، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا: يا موسى صيف لنا كلام الرحمن. قال: لا أستطيعه. قالوا فشبّه لنا قال: ألم تروا إلى صوت الصواعق فإنها قريب منه، وليس به»⁽⁸⁾.

(1) ينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات 204/1.

(2) اللّخناء: المتنته الريح، ينظر: القريب المصنف للهروي 403/2.

(3) سورة الأعراف، الآية (143).

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم 474/2.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، ك: اللباس عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في لبس الصوف [1734] 276/3، وقال: هذا حديث غريب.

(6) أخرجه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال [227] 76/1.

(7) هو: جابر بن عبد الله بن حرام بن كعب بن سلمة، أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي المدني الفقيه، الإمام الكبير، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ من أهل بيعة الرضوان، روى عن: النبي ﷺ وعن عمر وعلي وأبي بكر ﷺ، وروى عنه: ابن المسيب وعطاء بن رباح وسالم بن أبي جعد وغيرهم، قال ابن سعد: شهد جابر العقبة مع السبعين، وكان أصغرهم، غزا مع النبي ﷺ تسع عشرة غزوة، وعنه: كنت أميح أصحابي الماء يوم بدر، وهو آخر من مات من المدينة من أهل العقبة، توفي سنة 78هـ، ينظر: التاريخ الكبير للبخاري 207/2، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم 529/2، وأسد الغابة 492/1.

(8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6286] 1119/4.

وقوله ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ﴾ أي: مبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه في الخيرات، وينذرون من خالف أمره، وكذب رسله العقاب والعذاب.

وقوله ﴿لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أي: أن الله تعالى أنزل كتبه وأرسل كتبه بالبشارة والندارة، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه؛ لئلا يبقى لمعتذر عذر، وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين»⁽¹⁾ وفي لفظ «ومن أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه»⁽²⁾.

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(١٦٦)
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾^(١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١٦٩) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا
خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١٧٠)⁽³⁾

لما تضمن قوله تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ إلى آخر الآيات نبوته، والرد على من أنكرها، قال تعالى ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب، وهو القرآن العظيم.

وقوله ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ أي: فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البيّنات والهدى، وما يحب الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب ماضيا ومستقبلا، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدّسة التي لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، إلا أن يُعلمه الله به.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [4634] 57/6، ومسلم في صحيحه، ك: التوبة، ب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش [2760] 2114/4.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/475.

(3) سورة النساء، الآيات (166-170).

وقوله ﴿وَأَلْمَلَيْكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أي: بصدق ما جاءك، وأوحى إليك، وأنزل معك مع شهادة الله تعالى بذلك، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ قال ابن عباس: «دخل جماعة من اليهود على رسول الله ﷺ فقال لهم: إني - والله أعلم - أنكم لتعلمون أني رسول الله، فقالوا: لا نعلم ذلك. فأنزل الله ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ الآية» (1).

وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في أنفسهم فلم يتبعوا الحق، ومنعوا من اتباعه والافتداء به، قد خرجوا عن الحق، وضلوا عنه، وبعثوا منه بعداً عظيماً شاسعاً، ثم أخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بكتابه ورسوله، وبالصدق عن سبيله وارتكاب محارمه، بأنه لا ﴿لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ أي: سبيلاً إلى الخير، ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ وهذا استثناء منقطع، ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: ماكين فيها مكثاً أبدياً، ثم قال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ﴾ أي: جاءكم محمد - عليه الصلاة والسلام - بالهدى ودين الحق، وبالبيان الشافي من الله، فآمنوا بما جاءكم به، واتبعوه يكن خيراً لكم، ثم قال: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو غني عنكم، وعن إيمانكم ولا يتضرر بكفرانكم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي: بمن يستحق منكم الهداية فيهديه، ويستحق الغواية فيغويه، ﴿حَكِيمًا﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه (2).

﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ وَآلَقْتَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُمْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (3)

قد نهى الله تعالى عن الغلو والإطراء، كما فعلوه النصارى في شأن عيسى - عليه السلام -، حتى اتخذوه إلهاً وغلوا في اتباعه، وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فقلدوهم في كل ما

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6295] 4/1120.

(2) زاد ابن كثير "وقدره"، ينظر: تفسير القرآن العظيم 7/373.

(3) سورة النساء، الآية (171).

قالوه حقا أو باطلا، ولهذا قال: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ وفي البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، وإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»⁽²⁾.

وقوله ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ أي: لا تفتروا عليه، ولا تجعلوا له صاحبة وولداً، تعالى الله عن ذلك، وتنزهه وتقدس، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه، ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أي: إنما هو خلق من خلق الله، وعبد من عباده، قال له: كن، فكان، ورسوله من رسله، ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، ونفخ فيها من روحه بإذن ربه، فكان عيسى بإذن الله، فصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حين ولجت فرجها، بمنزلة لقاح الأب والأم، والجميع مخلوق الله - عز وجل -، ولهذا قال: إنه كلمة الله وروح منه، لأنه لم يكن له أب يولد منه، وإنما هو ناشئ من الكلمة التي قال لها بها، كن، فكان. كما جاء في غيرها من الآيات البينات، قال قتادة: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ هو قوله: كن، فكان⁽³⁾. وقال [شاذ]⁽⁴⁾ بن يحيى⁽⁵⁾: ليس الكلمة صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى⁽⁶⁾ وهذا أحسن مما ادّعاه ابن جرير في قوله: ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي: أعلمها بها⁽⁷⁾ بل الصحيح: أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم، فنفخ فيها بإذن الله، فكان عيسى⁽⁸⁾.

(1) سورة التوبة، الآية (31).

(2) سبق تحريجه.

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [658] 1/485.

(4) وفي المخطوط هتاد، .

(5) هو: شاذ بن يحيى الواسطي، شيخ، صدوق، روى عن: وكيع بن الجراح وزيد بن هارون، وروى عنه: أحمد بن سنان القطان وأحمد بن محمد الواسطي وتميم بن المنتصر وغيرهم، قال أبو داود: سمعت أحمد قيل له: شاذ بن يحيى؟ قال: عرفته، وذكره بخير، توفي سنة 230هـ، ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 4/392، وسير أعلام النبلاء 8/467، وتاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام 5/586.

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6310] 4/1123.

(7) ينظر: جامع البيان 9/419.

(8) ينظر: تفسير القرآن العظيم 2/425.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل»⁽¹⁾.

وقوله ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: من خلقه ومن عنده، كما في قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِی السَّمٰوٰتِ وَمَا فِی الْاَرْضِ جَمِیْعًا مِّنْهُ﴾⁽²⁾ وليست من للتبعيض كما تقول النصارى - عليهم اللعنة - بل جيء بها لابتداء الغاية، وقال مجاهد: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: رسول منه⁽³⁾، والأول أظهر، وهو مخلوق من روح مخلوقة⁽⁴⁾، فأضافة الروح إلى الله على وجه التشريف، كقوله ﴿نٰقَةٌ اَللّٰهِ﴾⁽⁵⁾ ﴿وَطَهْرٌ بَيْتِي لِلطَّٰیْفِيْنَ﴾⁽⁶⁾ وكما جاء في حديث الشفاعة «فأدخل على ربي في داره»⁽⁷⁾ أضافها إليه تشريفاً.

وقوله ﴿فَقَامُوا بِاللّٰهِ وِرْسُلِهِ﴾ أي: وصدقوا بأن الله واحد أحد، لا صاحبة له ولا ولد، واعلموا أن عيسى عبد الله ورسوله، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلٰثَةٌ اٰنْتَهُوا﴾ أي: لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - كما يجيء نظيره في سورة المائدة فالنصارى - لعنهم الله - لجهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشرة، فمنهم من يعتقد إلهاء، ومنهم من يعتقد شريكاً، ومنهم من يعتقد ولداء، وهم طوائف كثيرة، لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلمين فيهم لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولاً⁽⁸⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قوله تعالى ﴿يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لَا تَغْلُوْا فِی دِيْنِكُمْ﴾ [3435] 165/4، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شك... [28] 57/1.

(2) سورة الجاثية، الآية (13).

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6311] 1123/4.

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم 479/2.

(5) سورة الشمس، الآية (13).

(6) سورة الحج، الآية (26).

(7) ينظر: إثبات صفة العلو لأبي محمد بن قدامة، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: 1 - 1409هـ [27] 111/1.

(8) ينظر: منحة القريب المحيب في الرد على عباد الصليب لعبد العزيز آل معمر 158/1.

وقوله ﴿أَنْتَهُوَ خَيْرًا لَكُمْ﴾ أي: يكن خيراً لكم، ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: تعالى وتقدس عن ذلك، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: الجميع ملكه وخلقته، وجميع من فيهما عبيده، وهم تحت تدبيره وتصرفه، وهو وكيل على كل شيء، فكيف تكون له منهم صاحبة أو ولد!

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾⁽¹⁾

أي: لن يأنف، ولن يتعظم، والاستنكاف: التكبر مع الأنفة⁽²⁾، وهذا معنى قول ابن عباس لن يستكبر⁽³⁾، وقال قتادة: لن يحتشم⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ﴾ استدل من قال بتفضل الملائكة على البشر بذلك، وليس له فيه دلالة لأنه إنما عطف الملائكة على المسيح؛ لأن الاستنكاف: هو الامتناع، والملائكة أقدر على ذلك من المسيح ولا يلزم من كونهم أقوى وأقدر عليه، أن يكونوا أفضل، وقيل: إنما ذكروا لأنهم اتخذوهم آلهة مع الله، كما اتخذوا المسيح، فأخبر تعالى أنهم عبيد من عبيده، وخلق من خلقه، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ أي: فيعذبهم ويحييهم بهم يوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه الذي لا يجور فيه، ولا يحيف، ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ أي: فيعطيهم من الثواب على قدر أعمالهم الصالحة، ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه، وسعة رحمته وامتنانه، وجاء في الحديث

(1) سورة النساء، الآيات (172-173).

(2) ينظر: معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط: 1 - 1412 هـ / 1 / 50.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6317] 4 / 1124.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10856] 9 / 424.

«أجورهم: إدخالهم الجنة»⁽¹⁾ ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ «الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليه المعروف في الدنيا»⁽²⁾ والموقوف على رواية ابن مسعود أصح.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا﴾ أي: امتنعوا من طاعة الله وعبادته ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا﴾ عن ذلك ﴿فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾⁽³⁾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمًا﴾⁽³⁾

أخبر الله مخاطبا لجميع الناس، بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم، وهو الدليل القاطع للعدر، والحجة المزيلة للشبهة، ولهذا قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ أي: ضياء واضحا على الحق. قال الأكثر: هو القرآن⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِهِ﴾ أي: جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله، في جميع أمورهم، وقال ابن جرير: آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن⁽⁵⁾ ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ﴾ أي: يرحمهم فيدخلهم الجنة، ويزيدهم ثوابا ومضاعفة ورفعا في درجاتهم، من فضله عليهم وإحسانه إليهم، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: طريقا واضحا لا اعوجاج فيه، ولا انحراف وهذه صفة المؤمنين في الدارين، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة، وطريق السلامة في الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على الصراط المستقيم المفضي إلى رضوان الجنات.

(1) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير [10462] 201/10.

(2) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط [5770] 53/6.

(3) سورة النساء، الآيتان (174-175).

(4) ينظر: جامع البيان 9/428.

(5) ينظر: المصدر السابق 9/429.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرُؤُا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَاوَدٌ وَلَا وَهْرٌ أُوْحَتْ فَلَهَا نِصْفٌ مَّا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَاوَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِحْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (1)

في البخاري: عن البراء قال: «دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل، قال: فتوضأ، ثم صب عليّ أو قال: صبوا عليه. فعقلت، فقلت له: لا يرثني إلا الكلاله، فكيف الميراث؟ فنزلت آية الميراث ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾» (2) الآية، وقد تقدم الكلام على الكلاله، وأنها مأخوذ من الإكليل الذي يحيط بالرأس من جوانبه (3)، ولهذا فسرها أكثر العلماء بمن يموت وليس له ولد ولا والد (4)، ومنهم من قال: الكلاله من لا ولد له بدليل هذه الآية (5)، وقد أشكل حكمها على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كما ثبت في الصحيحين أنه قال: «ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ كان عهد إلينا فيهن عهداً تنتهي إليه: الجد، والكلاله، وأبواب من أبواب الربا» (6)، وفي مسند أحمد عنه أيضاً أنه قال: «ما سألت رسول الله ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله، حتى طعن بأصبعه في صدري، وقال: يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء» رواه مسلم مبسوطاً (8)، وكان المراد بآية الصيف أنها نزلت في فصل الصيف (9) والله أعلم.

(1) سورة النساء، الآيتان (174-175).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الوضوء، ب: صب النبي ﷺ وضوءه على المغمى عليه [194] 50/1.

(3) ينظر: غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي، دار الفكر، 1402هـ/216.

(4) ينظر: غريب الحديث لأبي محمد بن قتيبة، مطبعة العاني - بغداد، ط: 1 - 1397هـ/226.

(5) ينظر: جامع البيان 480/6.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأشربة، ب: ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب [5588]

106/7، ومسلم في صحيحه، ك: التفسير، ب: في نزول تحريم الخمر [3032] 2322/4.

(7) أخرجه أحمد في مسنده [89] 250/1.

(8) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: نهي من أكل ثوماً أو بصلاً... [567] 396/1.

(9) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 422/3.

ولما أرشده النبي ﷺ إلى تفهّمها، نسي أن يسأله عن معناها، ولهذا قال: في رواية أخرى «فلأن أكون سألت رسول الله ﷺ عنها، أحب إليّ من أن تكون لي حمر النعم»⁽¹⁾.

وقوله تعالى ﴿إِنْ أَمْرُوا هَلَكَ﴾ أي: مات كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾⁽²⁾.

وقوله ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ والمراد: لا ولد له، ولا والد، كما قضى عليه الصديق ﷺ وعليه الجمهور⁽³⁾ بدليل قوله ﴿وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ ولو كان هاهنا أخت لم يرث شيئاً لأنها محجوبة بالأب بالإجماع، فدل على أنه من لا ولد ولا والد بالنص والتأمل التام.

وقوله ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ أي: أخ يرث جميع مالها إذا ماتت كلاله ليس لها ولد لأنه لو كان لها ولد لم يرث الأخ شيئاً، فإن فرض أن معه من له فرض صرف فرضه إليه، كزوج وأخ من أم وصرف الباقي إلى الأخ لم ثبت، في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض، فلاولى رجل ذكر»⁽⁴⁾.

وقوله ﴿فَإِنْ كَانَتَا أُثْتَيْنِ﴾ أي: فإن كان لمن مات كلاله أختان، فرض لهما الثلثان، وكذا ما زاد عليهما في حكمهما، ومن هاهنا أخذ الجماعة حكم البنتين، كما استفيد حكم الأخوات من البنات.

وقوله ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً﴾ هذا حكم العصابات من البنين، وبنين البنين، والإخوة إذا اجتمع ذكورهم وإناثهم، أعطي الذكر مثل حظ الأنثيين.

وقوله ﴿بَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يفرض الله لكم فرائضه ويحد لكم حدوده، ويوضح لكم شرائعه.

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الفرائض، ب: الكلاله [2727] 911/2.

(2) سورة القصص، الآية (88).

(3) الإحكام شرح أصول الأحكام 429/3.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفرائض، ب: ألحقوا الفرائض بأهلها [1615] 1233/3.

وقوله: ﴿أَنْ تَضَلُّوا﴾ أي: لئلا تضلوا عن الحق بعد البيان، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: هو عالم بعواقب الأمور، ومصالحها، وما فيه الخير لعباده، وما يستحقه كل واحد من القربات، بحسب قربه من المتوفى، قال ابن جرير: وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إني لأستحي أن أخالف في ذلك أبا بكر، وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول: ما عدا الولد والوالد ⁽¹⁾، وهذا الذي قاله الصديق عليه جمهور الصحابة والتابعين والأئمة في قديم الزمان وحديثه وهو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة، وبه قال علماء الأمصار قاطبة، وهو الذي يدل عليه القرآن كما أرشد الله أنه قد بين ذلك ووضحه، في قوله تعالى ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(1) ينظر: جامع البيان 9/ 430.

هي الرابعة في ترتيب المصحف، وآياتها مائة وعشرين آية، نزلت سورة المائدة بعد الفتح، وهي مدنية من السور الطوال، سميت بذلك؛ لورود المائدة التي طلبها عيسى - عليه السلام - من ربه فأكرمه الله باستجابة دعوته، فأنزل على قومه تلك المائدة كما طلبوا⁽¹⁾ وكذلك تسمى سورة العقود وسورة الأحبار⁽²⁾.

علاقتها بما قبلها

اشتملت سورة النساء على عقود ومواثيق، منها: الأنكحة والصدقات والخلف في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ﴾⁽³⁾ وفي عقد المعاهدة في قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾⁽⁴⁾ وعقود ضمنية الداخلة في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾⁽⁵⁾ فناسب أن تفتح سورة المائدة بالتأكيد على هذه العهود جميعاً، وبيان أهمية الإلتزام بها، في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾⁽⁶⁾ وكأنه قيل كما أشار السيوطي: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود التي فرغت من ذكرها في سورة النساء⁽⁷⁾.

كذلك افتتح الله بداية سورة النساء بقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾⁽⁸⁾ وتكرر ذلك في أكثر من موضع في السورة نفسها كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ

(1) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/488.

(2) ينظر: البحر المحيط في التفسير 3/492.

(3) سورة النساء، الآية (33).

(4) سورة النساء، الآية (90).

(5) سورة النساء، الآية (58).

(6) سورة المائدة، الآية (1).

(7) ينظر: قطف الأزهار في كشف الأسرار للإمام جلال الدين السيوطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية - دولة قطر، ط: 1 - 1414هـ / 1/782.

(8) سورة النساء، الآية (1).

رَبِّكُمْ فَعَامِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ⁽¹⁾ وقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا⁽²⁾ وهذا خطاب عام لكل الناس جميعا، في حين أن في سورة المائدة بدأت بقوله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ⁽³⁾ ، وتكرر في أكثر من موضع من ذلك قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْبِيرَ اللَّهِ⁽⁴⁾ وقوله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ⁽⁵⁾ ، وقوله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ⁽⁶⁾ ، وهذا خطاب خاص، وتقديم العام على الخاص أنسب، كذلك قوله تعالى في سورة النساء ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ⁽⁷⁾ ، فقد نزلت في طعمة بن أبيرق عندما سرق درعا لقتادة بن نعمان في أحد الأقوال⁽⁸⁾ ، فجاءت سورة المائدة تفصل أحكام السراق والخائنين فقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ⁽⁹⁾ ، ثم إن الله - سبحانه وتعالى - لما ذكر أنه أنزل الكتاب إلى رسول الله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ذكر في سورة المائدة آيات الحكم بما أنزل الله، فقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ⁽¹⁰⁾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ⁽¹¹⁾ ، كذلك مهدت سورة النساء لتحريم الخمر في قوله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ⁽¹²⁾ ، ثم جاء تحريمها قاطعا في سورة المائدة

(1) سورة النساء، الآية (170).

(2) سورة النساء، الآية (174).

(3) سورة المائدة، الآية (1).

(4) سورة المائدة، الآية (2).

(5) سورة المائدة، الآية (6).

(6) سورة المائدة، الآية (12).

(7) سورة النساء، الآية (105).

(8) ينظر: التفسير الكبير 11/211.

(9) سورة المائدة، الآية (38).

(10) سورة المائدة، الآية (44).

(11) سورة المائدة، الآية (47).

(12) سورة النساء، الآية (43).

في قوله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽¹⁾ .

ومن تمام الوفاق بين السورتين: أن سورة النساء بدأت بقوله ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾⁽²⁾ وهي بيان للقدرة الإلهية، بينما سورة المائدة ختمت بها وهي قوله ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽³⁾ وأيضا افتتحت سورة النساء ببدء الخلق في قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾⁽⁴⁾ وختمت المائدة بالمتهى من البعث والجزاء في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾⁽⁵⁾ .

ففي هاتين السورتين الكريميتين تلازم واتحاد ووافق، فهما نظير البقرة وآل عمران، فالأخيرتان لتقرير الأصول وهاتان لتقرير الفروع، والله أعلم.

(1) سورة المائدة، الآية (90).

(2) سورة النساء، الآية (1).

(3) سورة المائدة، الآية (120).

(4) سورة النساء، الآية (1).

(5) سورة النساء، الآية (109).

تفسير سورة المائدة وهي مدنية

عن أسماء بنت يزيد⁽¹⁾ قالت: «إني لآخذة بزمام العَصْبَاء ناقة رسول الله ﷺ، إذا نزلت عليه سورة المائدة كلها، وكادت ثقلها تَدُقُّ عَضُدَ الناقة»⁽²⁾ وفي رواية عبد الله بن عمرو قال: «أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة، وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها» رواهما أحمد⁽³⁾، وعن جبير بن نفيير⁽⁴⁾ قال: «حججت فدخلت على عائشة، فقالت لي: يا جبير، تقرأ سورة المائدة؟ فقلت: نعم. فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرّموه» رواه الحاكم في مستدرکه وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرّجاه⁽⁵⁾ والله أعلم.

(1) هي: أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن عبد الأشهل ابنت عمه معاذ بن جبل، أم عامر وأم سلمة، روت عن: النبي ﷺ أحاديث، وروى عنها: شهر بن حوشب ومجاهد وإسحاق بن راشد وغيرهم، قيل: إنها حضرت بيعة الرضوان وبايعت يومئذ، من أخطب نساء العرب ومن ذوات الشجاعة والإقدام، كان يقال لها: خطيبة النساء، حضرت اليرموك، فكانت تسقي الظماء وتضمّد جراح الجرحى، توفيت في حدود 70هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 319/8، و سير أعلام النبلاء 525/3، و الوافي بالوفيات 34/9.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [27575] 557/45.

(3) المصدر السابق [6643] 218/11.

(4) هو: جبير بن نفيير بن مالك الحضرمي، أبو عبد الرحمن، كان جاهلياً، أسلم في خلافة أبي بكر الصديق، وكان ثقة فيما روى من الحديث، روى عن: النبي ﷺ وأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعن أبيه وأبي ذر وغيرهم، وروى عنه: ابنه عبد الرحمن ومكحول وخالد بن معدان وغيرهم، قال جبير: استقبلت الإسلام من أوله ولم أزل في الناس صالحاً وطالحاً، قال العجلي: شامي، تابعي، ثقة، توفي سنة 80هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 440/7، سير أعلام النبلاء 32/5، طبقات الحفاظ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1403هـ/23/1.

(5) أخرجه الحاكم في مستدرکه [3210] 340/2.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَّةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْلُوا شَعْتِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيَّةَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ (1)

«رُوي أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال: اعهد إليّ. فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فأرעהها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه» (2).

وعن خيثمة قال: «كل شيء في القرآن يا أيها الذين ءامنوا، فهو في التورية يا أيها المساكين» رواهما ابن أبي حاتم (3).

قوله تعالى ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: هي العهود (4)، وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك (5).

والعهود: ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره، يعني: ما أحل وما حرّم الله، وما فرض، وما حد في القرآن كله، ولا تغدروا ولا تنكثوا، قاله: ابن عباس (6).

(1) سورة المائدة، الآيتان (1-2).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [3891] 3/718.

(3) المصدر السابق [1036] 1/196.

(4) ينظر: تفسير الماتريدي 3/436.

(5) ينظر: جامع البيان 8/5.

(6) ينظر: المصدر السابق 8/6.

ثم شدد في ذلك وقال: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾⁽¹⁾ الآية.

قال الضحاك⁽²⁾: هي ما أخذ الله من الميثاق على من أقر بالإيمان بالنبى والكتاب، أن يوفوا بما أخذ عليهم من الفرائض والأحكام⁽³⁾، وقال زيد بن أسلم: هي ستة عهد الله، وعقد الحلف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد اليمين⁽⁴⁾، وأحكامها مبينة في كتب الفروع.

وقوله ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَّةُ الْأَنْعَامِ﴾ هي: الإبل، والبقر، والغنم، وإطلاقها يدل على حلية جنينها إذا وجد ميتا في بطن أمه إذا ذجت، كما ورد في سنن أبي داود والترمذي عن أبي سعيد قال: «قلنا يا رسول الله نحر الناقة ونذبح البقرة أو الشاة وفي بطنها الجنين، أنلقيه أم نأكله، فقال: كلوا إن شئتم، فإن ذكاته ذكاة أمه»⁽⁵⁾.

وقوله ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ في موضع النصب على الاستثناء، من بهيمة الأنعام متصلا تقديره أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا الميتة، وما أهل لغير الله، وغيره مما ذكر في الآية الثالثة، من هذه السورة، فإن ذلك حرام لا يمكن استدراكه، وتلاحقه إلا ما يتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال.

وقوله ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ وهو وأنتم حرم، قال بعضهم: هذا منصوب على الحال من الضمير المجرور في عليكم⁽⁶⁾، أو من ضمير الفاعل في أوفوا، والمراد بالأنعام: ما يعم الإنسي والوحشي، واستثنى من الوحشي الصيد في حال الإحرام، وقيل: المراد أحللنا

(1) سورة البقرة، آية (27).

(2) سبق ترجمته.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم 5/3.

(4) ينظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب 128/1.

(5) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الضحايا، ب: ما جاء في ذكاة الجنين [2827] 103/3، والترمذي في سننه ك:

الذبائح، ب: ما جاء في ذكاة الجنين [1476] 124/3.

(6) ينظر: جامع البيان 18/8.

الأنعام إلا ما يستثنى منها، لمن التزم تحريم الصيد، وهو حرام أي: كما أحللتنا الأنعام في جميع الأحوال فحرموا الصيد في حال الإحرام، فإن الله قد حكم بهذا، وهو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهى عنه، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

وقوله ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يعني مناسك الحج، ومعالمه⁽¹⁾، وقيل: شعائر الله: محارمه، أي: لا تحلوا المحارم التي حرم الله تعالى⁽²⁾، ولهذا قال: ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ يعني بذلك: بتحريمه والاعتراف بتعظيمه فيه، من الابتداء بالقتل، وتأکید اجتناب المحارم، كما في غيرها من الآيات البيّنات، وحديث حجة الوداع، وقال ابن عباس: يعني لا تستحلوا قتلا فيه⁽³⁾، وبه قال طائفة، والجمهور أن هذا منسوخ ويجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، واحتجوا بقوله ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ﴾ وقالوا: المراد تسيير الأربعة الأشهر ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾⁽⁴⁾ فلم يستثن شهرا حراما من غيره⁽⁵⁾، وحكى ابن جرير الإجماع: على أن الله قد أحل قتال أهل الشرك لو قلد عنقه أو ذراعيه لحاء جميع أشجار الحرم لم يكن ذلك أمانا من القتل إذا لم يكن له تقدّم عقد الذمة من المسلمين وأمان⁽⁶⁾.

وقوله ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ أي: لا تتركوا الإهداء إلى البيت، فإن فيه تعظيماً لشعائر الله، ولا تتركوا تقليدها في أعناقها لتمييز عما عداها من الأنعام، وليعلم أنها هدى إلى الكعبة فيجتنبها من يريدها بسوء، وتبعث من يراها على الإتيان بمثلها، ولهذا لما حج رسول الله ﷺ بات بذي الحليفة، وهو وادي العقيق، فلما أصبح طاف على نسائه، وكن تسعا، ثم اغتسل وتطيب وصلى ركعتين، ثم أشعر هديه وقلده، وأهل بالحج والعمرة، وكان هديه

(1) ينظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م/2/35.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [10938] 9/462.

(3) ينظر: المصدر السابق [10945] 9/465.

(4) سورة التوبة، الآية (5).

(5) ينظر: المحلى بالآثار لأبي محمد بن حزم الظاهري، دار الفكر - بيروت 11/146.

(6) ينظر: جامع البيان 9/479.

إبلا كثيرة تنيفَ على الستين، من أحسن الأشكال والألوان⁽¹⁾، قال ابن عباس: نسخ من هذه السورة آيتان آية القلائد، وقوله ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾⁽²⁾.

وقال ابن عون⁽³⁾: قلت للحسن: نسخ من المائة شيء؟ قال: لا⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَلَا ءَأَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ أي: ولا تستحلوا قتال القاصدين إلى البيت الحرام، وكذا من قصده طالبا لفضل الله وراغبا في رضوانه، فلا تصدوه، ولا تمنعوه، ولا تهيجوه قال غير واحد ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾ يعني بذلك: التجارة⁽⁵⁾.

وقوله ﴿وَرِضْوَانًا﴾ أي: يبتغون رضوان الله بحجهم، وذكروا أن هذه نزلت في الحطيم بن هند البكري، كان قد أغار على سرح المدينة، فلما كان من العام المقبل اعتمر إلى البيت، فأراد بعض الصحابة أن يعترضوا عليه طريقه إلى البيت، فأنزل الله ﴿وَلَا ءَأَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾⁽⁶⁾ وهذا منسوخ بآية السيف⁽⁷⁾، وبقوله ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾⁽⁸⁾ الآية، فأما من قصده بإلحاد فيه والشرك عنده، والكفر به، فإنه يمنع اتفاقا، ولهذا بعث رسول الله ﷺ عام تسع لما أمر الصديق على الحجيج وأردفه علياً⁽⁹⁾ وأمره أن ينادي نياحة عن رسول الله ﷺ براءة، وأن لا يحجج بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عُريان⁽⁹⁾.

(1) ينظر: محاسن التأويل 10/4.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6388] 4/1135.

(3) هو: عبد الله بن عون بن أرطبان، الإمام، القدوة، عالم البصرة، أبو عون المزني، مولا هم البصري الحافظ، روى عن: أبي وائل والشعبي والحسن وغيرهم، وروى عنه: سفيان وشعبة وابن المبارك وغيرهم، قال هشام ابن حسان: لم تر عينا ي مثل ابن عون، وسئل ابن علي: من حفاظ البصرة؟ فذكر ابن عون وجماعة، وروي عن القعني أنه قال: كان ابن عون لا يغضب، فإذا أغضبه رجل قال: بارك الله فيك، توفي سنة 150هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 193/7، وسير أعلام النبلاء 6/366، والأعلام 4/111.

(4) ينظر: تفسير الدر المنثور 4/3.

(5) ينظر: تفسير مجاهد 1/299.

(6) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1/306.

(7) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/449.

(8) سورة التوبة، الآية (28).

(9) ينظر: تفسير الماتريدي 5/333.

وقوله ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي: إذا حللتكم من إحرامكم وأحللتكم منه، فقد أئجنا لكم ما كان محرماً عليكم في حال الإحرام من الصيد.

وقوله ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قرأ بعضهم: أن بالفتح هو ظاهر⁽¹⁾، أي: لا يئملنكم بغض قوم قد كانوا صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام، يعني: عام الحديبية، على أن تعتدوا في حكم الله فيهم فتقتصوا منهم ظلماً وعدواناً، بل احكموا بما أمركم الله من العدل في كل أحد، فإنه أقرب للتقوى، وهو واجب على كل أحد في كل حال، قال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك، بمثل أن تُطاع الله فيه⁽²⁾، والشنتان: البغض.

وقوله ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ أمر الله عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو: البر، وترك المنكرات، وهو: التقوى، ونهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم، قال ابن جرير: الإثم: ترك ما أمر الله بفعله⁽³⁾، والعدوان: مجاوزة ما حد الله في دينكم، ومجاوزة ما فرض عليكم في أنفسكم، وفي غيركم، وفي الصحيحين عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل يا رسول الله: هذا نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟! قال: تمنعه من الظلم، فذاك نصرته إياه»⁽⁴⁾.

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم» رواه أحمد⁽⁵⁾ والترمذي⁽⁶⁾.

(1) ينظر: القراءات وأثرها في علوم العربية لمحمد محمد محسن، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ط: 1 - 1404هـ/2016.

(2) ينظر: محاسن التأويل 12/4.

(3) ينظر: جامع البيان 377/9.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المظالم والغصب، ب: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً [2444] 128/3.

(5) أخرجه أحمد في مسنده [5022] 64/9.

(6) أخرجه الترمذي في سننه، ك: صفة القيامة والورع عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في صفة أواني الحوض [2507] 243/4.

وعن [أوس بن شرحبيل أحد بني] ⁽¹⁾ المجمع أن رسول الله ﷺ قال: «من مشى مع ظالم
لعيينه وهو يعلم أنه ظالم، فقد خرج من الإسلام» رواه الطبراني ⁽²⁾.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ
وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ
فِي مَحْصَةِ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ⁽³⁾

أخبر الله عباده خبراً متضمناً للنهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة، وهي: ما مات من
الحيوان من غير ذكاة شرعي، ولا اصطياذ لما فيه من المضرة، للدين وللبدن، ويستثنى منه
السّمك فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها، لما رواه الأئمة في سننهم عن أبي هريرة
أن رسول الله ﷺ سئل عن ماء البحر فقال: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته» ⁽⁴⁾، وهكذا
الجراد لما سيأتي من الحديث.

وقوله ﴿وَالْدَّمُ﴾ يعني: الدم المسفوح، لقوله ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ ⁽⁵⁾ قاله: ابن عباس وغير واحد.
وقد سئل هو عن الطحال فقال: «كلوه». فقالوا إنه دم. فقال: إنما حرم عليكم الدم
المسفوح» رواه ابن أبي حاتم ⁽⁶⁾، كما قالت عائشة: أنها نُهي عن الدم المسفوح ⁽⁷⁾.

(1) سقط من المخطوط.
(2) أخرجه الطبراني في معجمه [619] 227 / 1.
(3) سورة المائدة، الآية (3).
(4) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الطهارة وسننها ب: الوضوء بماء البحر [386] 136 / 1، و أخرجه أبو داود في
سننه، ك: الطهارة، ب: الوضوء بماء البحر [83] 2 / 1.
(5) سورة الأنعام، الآية (145).
(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [8009] 5 / 1406.
(7) يدل على ذلك ما أجاب به ابن عباس للرجل الذي سأل أكل الطحال؟ قال: "نعم، إنما حرم الدم المسفوح" ينظر:
مصنف ابن شيبه، ك: الأَطعمة ب: في أكل الطحال [24364] 5 / 125.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «أحل لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: الحوت والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطحال» رواه الشافعي⁽¹⁾ وأحمد⁽²⁾ وابن ماجة⁽³⁾ والدارقطني⁽⁴⁾.

وما أحسن ما قال الأعشي..:

وإياك والميتات لا تقربنها.. ولا تأخذ سهما حديداً لتفصدا⁽⁵⁾.

أي: لا تفعل كما تفعله الجاهلية، وذلك: أن أحدهم كان إذا جاع أخذ ميتاً، محدداً من عظم ونحوه، فيفصد به بغيره، أو حيواناً من أي صنف كان، فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه، ولهذا حرم الدم على هذه الأمة. ثم قال:

وذا النصب المنسوب لا يأتئنه.. ولا تعبد الأصنام والله فاعبد⁽⁶⁾.

وقوله «وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ» يعني: إنسيةً ووحشيه، وكذا شحمه، فإنه داخل في أجزائه، فإنه رجس لشمول اللحم جميع الأجزاء من الشحم وغيره، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقليل يا رسول الله: أرأيت شحوم الميتة؟ فإنها تطلى بها السفن، وتُدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس، فقال: لا هو حرام»⁽⁷⁾.

(1) ينظر: المسند لأبي محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1400 هـ / 1 / 340.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [5723] 16 / 10.

(3) أخرجه ابن ماجة في سننه ك: الأظعمة، ب: الكبد والطحال [3314] 4 / 431.

(4) أخرجه الدارقطني في سننه، ك: الأشربة وغيرها، ب: الصيد والذبائح والأظعمة وغير ذلك [4732] 5 / 490.

(5) ينظر: ديوان الأعشي 1 / 43.

(6) المصدر السابق

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: البيوع، ب: بيع الميتة والأصنام [2236] 3 / 84، و مسلم في صحيحه، ك:

المساقاة، ب: تحريم بيع الخمر، والميتة، والخنزير، والأصنام [1581] 3 / 1207.

وقوله ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله فهو حرام؛ لأن الله أمر أن تُذبح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمن عدل عن ذلك وذكر على ذبحها اسم غيره فإنها حرام بالإجماع⁽¹⁾، وإنما اختلف في تركه عمداً أو نسياناً كما سيأتي في سورة الأنعام.

وقوله ﴿وَالْمُخَنِقَةُ﴾ وهي: التي تموت بالخنق، إما قصداً وإما اتفاقاً بأن يتضيق عليها وثاقها فتموت فيه فهي حرام، وأما الموقوذة فهي: التي تُضرب بشيء يقتل غير محدد حتى تموت، وكان أهل الجاهلية يضربونها بالعصي، حتى إذا ماتت أكلوها، وفي الصحيح أن عدي بن أبي حاتم قال: «قلت يا رسول الله: إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب، فقال: إذا رميت بالمعراض فكله، وإن أصابه بعرضه فلا تأكله، وإنما هو وقيد فلا تأكله»⁽²⁾، ففرق بين ما أصابه بجده فأحله، وما أصابه بعرضه فجعله وقيداً فلم يحلّه، وهذا أمر مجمع عليه، واختلفوا فيما إذا صدم الجارحة الصيد، فقتله بثقله، من غير أن يجرحه، على قولين، والراجح أنه حلال لعموم الحكم بإباحة ما صاده الكلب، ومسائل أحكام الصيد مبسطة، مقررة في كتب الفقه⁽³⁾.

وقوله ﴿وَالْمُتَرَدِّيَّةُ﴾ هي: التي تقع من جبل، أو يتردى في بئر، وأما النطيحة: فهي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها، فهي حرام وإن جرحها القرن، وخرج منها الدم، ولو من مذبحها، وهي فعيلة بمعنى: مفعولة، أي: منطوحة، وأكثر ما ترد هذه البنية بدون تاء التأنيث، كما يقال كف خصيب وعين كحيل، وإنما أتى بتاء التأنيث فيها لإجرائها مجرى الأسماء، كما في قوله طريفة وطويلة.

(1) ينظر: الروضة الندية لأبي الطيب القنوجي، دار ابن القيم للنشر والتوزيع - الرياض، ودار ابن عفان للنشر والتوزيع - مصر، ط: 1 - 1423هـ/3/53.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التوحيد، ب: السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها [7397] 119/9، مسلم في صحيحه، ك: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، ب: الصيد والكلاب المعلّمة [1929] 1529/3.

(3) ينظر: أنوار البروق في أنواء البروق 48/1.

وقوله ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ ما عدا عليها أنواع من السباع العادية، كالأسد والكلب إذا أكل منها فماتت به، فهي حرام وإن سال منها الدم، ولو من مذبحها، فلا يحل بالإجماع، وقد كان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السبع من النعم ونحوه، فحرم الله ذلك في الإسلام.

وقوله ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ عائد إلى ما يمكن عوده إليه، يعني: إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء السابقة، وأصل التذكية: الإتمام، والمراد هاهنا إتمام فري الأوداج وإنهار الدم⁽¹⁾، قال ابن عباس: أي: إلا ما ذبحت من هؤلاء، وفيه روح فكلوه فهو ذكي⁽²⁾ وقال علي⁽³⁾: «إن مصعت بذنبها، أو ركضت برجلها، أو طرفت بعينها فكل»⁽³⁾، والمراد تحقق بقاء الحياة المستقرة فيها، وعليه الجمهور، وفي الصحيحين عن رافع بن خديج⁽⁴⁾ أنه قال: «قلت يا رسول الله إنا لاقو العدو غدًا، وليس معنا مئدي»⁽⁵⁾، أفندبح بالقصَب؟ فقال: ما أنهر الدم، وذكر اسم الله فكلوا، ليس السن والظفر، وسأحدثكم عن ذلك، أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة»⁽⁶⁾، وأما أبو العشاء⁽⁷⁾ عن أبيه أنه قال: «يا رسول الله، أما

(1) ينظر: الإشراف على مذاهب العلماء 3/429.

(2) ينظر: محاسن التأويل 4/23.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11036] 9/503.

(4) هو: رافع بن خديج بن عدي بن زيد بن جشم، أبو عبد الله الأنصاري، الحارثي، الأوسي، المدني، رده النبي ﷺ يوم بدر؛ لأنه استصغره، وشهد أحدا والخندق وأكثر المشاهد روى عن النبي ﷺ وظهير وأبي رافع وغيرهم، وروى عنه: بشير بن يسار وثابت بن أنس وابن عمر وغيرهم، توفي سنة 74 هـ، ينظر: معجم الصحابة لابي القاسم البغوي، مكتبة دار البيان - الكويت 2/348، والاستيعاب في معرفة الأصحاب 2/479، و تهذيب الكمال في أسماء الرجال 9/23.

(5) جمع مُدْيَةٌ وهي: الشفرة، ينظر: مصباح المنير 2/567.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الشركة، ب: قسم الغنم [2488] 3/138، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الأضاحي، ك: جواز الذبح بكل ما أنهر الدم إلا السن والظفر وسائر العظام [1968] 3/1558.

(7) هو: أسامة بن مالك بن قهطم، وقال بعضهم: عطارد بن برز، وقال بعضهم غير ذلك، أبو العشاء الدارمي، اشتهر بكنيته، قال الحافظ أبو موسى: ذكر عبدان بن محمد المروزي، أنه من الصحابة، روى عن أبيه عن النبي ﷺ، وروى عنه: حماد بن سلمة، قال البخاري: في حديثه واسمه وسماعه من أبيه نظر، وقال الترمذي: ولا نعرف لأبي العشاء عن أبيه سواه، ينظر: الطبقات الكبرى 7/254، و تهذيب الكمال في أسماء الرجال 34/85، ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين الذهبي، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1382 هـ/4/551.

تكون الذكاة إلا في الحلق واللبة؟ قال: لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك»⁽¹⁾ فهو صحيح لكنه محمول على ما لم يقدر على ذبحه في الحلق واللبة، كما قال أبو داود: هذا ذكاة المتردي⁽²⁾، والترمذي: هذا في الضرورة⁽³⁾.

وقوله ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ﴾ قال مجاهد وابن جريح وغير واحد: كانت النصب حجارة حول الكعبة ثلاثمائة وستين⁽⁴⁾، كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم، ويضعونه على النصب، فنهى الله المؤمنين عن ذلك، وحرّم الله عليها أكلها، ولو ذكر اسم الله عليها؛ لما في الذبح عندها من الشرك⁽⁵⁾.

وقوله ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ أي: وحرّم عليكم الاستقسام بالأزلام، واحدها زُلم، وقد يفتح الزاي، وكانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك، وهي عبارة عن قداح ثلاثة، على أحدها مكتوب افعل، وعلى الآخر لا تفعل، والثالث غفل ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع إليهم الأمر فعله، أو الناهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد الاستقسام، وهو مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزلام، قاله ابن جرير⁽⁶⁾ وابن أبي حاتم⁽⁷⁾.

وقال ابن إسحاق⁽⁸⁾ وغيره: إن أعظم أصنام قريش صنم يقال له هُبل، وكان داخل الكعبة منصوب على بئر، فيها يوضع الهدايا وأموال الكعبة، وكان عنده سبعة أزلام

(1) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الضحايا، ب: ما جاء في ذبيحة المتردية [2825] 103/3، وأخرجه الترمذي في سننه، ك: الذبائح، ب: ما جاء في الذكاة في الحلق واللبة [1481] 127/3 وقال: هذا حديث غريب.

(2) ورد بلفظ "وهذا لا يصلح إلا في المتردية والمتوحش"، ينظر: سنن أبي داود 103/3.

(3) ينظر: سنن الترمذي 127/3.

(4) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 14/4.

(5) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته 294/4.

(6) ينظر: جامع البيان 510/9.

(7) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 1198/4.

(8) سبق ترجمته.

مكتوب فيها ما يتحاكمون فيه ما أشكل عليهم، فما خرج لهم منها رجعوا ولم يعدلوا
(1) عنه .

وثبت في الصحيح «أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة وجد إبراهيم وإسماعيل مصورين فيها،
وفي أيديهما الأزام، فقال: قاتلهم الله! لقد علموا أنهما لم يستقسما بها أبداً» (2) .

وفي الصحيح: أن سراقه لم يسلم إذ ذاك ثم أسلم بعد ذلك، وكانوا يستعملونها في
الاستخارة تارة، وفي القمار أخرى، كما قال مجاهد: هي سهام العرب، وكعاب فارس
والروم، كانوا يتقامرون بها (3) .

وقوله ﴿ذَلِكَمْ فِسْقٌ﴾ أي: تعاطيه ضلال وجهالة وشرك، وقد أمر الله المؤمنين في مقابلتها
إذا ترددوا في أمورهم، أن يستخيروا بالصلاة والدعاء، كما هو المشروع في السنن.

وقوله ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ قال ابن عباس: يعني يسوا أن يتراجعوا دينهم
وعليه الأكثر (4) وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قد يس أن يعبد
المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم» (5) ، ويحتمل أن يكون المراد أنهم
يسوا من مشابهة المسلمين بما تميزوا به من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله، ولهذا قال
تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار، ولا يخالفوا أحداً إلا الله،
فقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ﴾ أي: لا تخالفوا منهم في مخالفتكم إياهم واخشوني أنصركم
عليهم، وأشف صدوركم منهم، وأجعلكم فوقهم في الدارين.

(1) ينظر: محاسن التأويل 26/4.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الحج، ب: من كبر من نواحي الكعبة [1601] 2/150.

(3) ينظر: تفسير مجاهد 314/1.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11075] 9/516.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: صفة القيامة والجنة والنار ب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع

كل إنسان قرينا [2812] 4/2166.

وقوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذه الآية أكبر نعم الله على هذه الأمة، حيث أكمل لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، ولهذا جعله خاتم النبيين وسيد الأنبياء والمرسلين -صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين- فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه، فلما كُمل الدين لهم تمت النعمة عليهم⁽¹⁾، ولهذا قال: ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الإسلام أخبر الله نبيه والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الذي أرضاه الله وأحبه، وبعث به أفضل رسله، وأنزل فيه أشرف كتبه، قال ابن عباس: هو الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضي الله فلا يسخطه أبداً⁽²⁾.

وقال السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة بها فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله ﷺ فتوفي بعدها بأحد وثمانين يوماً⁽³⁾، وروى أنه لما نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وذلك يوم الحج الأكبر بكأ عمر فقال النبي ﷺ: «وما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: صدقت» رواه ابن جرير⁽⁴⁾.

وفي الصحيحين «أن يهودياً قال: لعمر بن الخطاب، يا أمير المؤمنين: إنكم تقرؤون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية هي؟ قال: قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ قال عمر: والله إنني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها عشية عرفة في يوم الجمعة»⁽⁵⁾

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم 26/3.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11080] 518/9.

(3) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 16/4.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11083] 519/9.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه ك: تفسير القرآن، ب: قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [4606] 50/6.

ورواه أحمد بهذا اللفظ⁽¹⁾ ، وقال ابن عباس: إنها نزلت في يوم عيدين اثنين: يوم عيد ويوم جمعة⁽²⁾ وهذا هو الصحيح الذي عليه الجمهور كما سبق.

وقوله ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ أي: فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرمات لضرورة ألجأه إليه، فله تناول ذلك، والله غفور رحيم له؛ لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر، وافتقاره إلى ذلك، فيتجاوز عنه، ويغفر له، والمخمصة: خلو البطن من الغذاء. والتجانف: الميل، أي: غير مائل إلى إثم، ولا متعاط لمعصية الله، فإن الله قد أباح له ذلك، وهو أن يأكل فوق الشبع، وفي صحيح ابن حبان عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله يحب أن تؤتى رخصته كما يكره أن تؤتى معصيته»⁽³⁾ ، وفي لفظ لأحمد «من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة»⁽⁴⁾ ، ولهذا قالوا: قد يكون تناول الميتة واجبا في بعض الأحيان، وهو ما إذا خاف على مهجته التلف، ولم يجد غيرها، وقد يكون مندوبا، وقد يكون مباحا بحسب الأحوال، ثم اختلفوا هل يتناول منها قدر ما يسدُّ منها الرمق، أو له أن يشبع أو يتزود أيضا؟ على أقوال كما هو مقرر في الفقه⁽⁵⁾ .

وفيما إذا وجد ميتة وطعام الغير، أو صيدا وهو مُحْرَم هل يتناول الميتة، أو ذلك الصيد، ويلزمه الجزاء، أو ذلك الطعام، ويضمن بدله على قولين للشافعي⁽⁶⁾ ، وليس من شرط جواز تناول الميتة مضيَّ أيام بل متى اضطر إلى ذلك جاز له، كما روى أبو واقد الليثي⁽⁷⁾ «أنهم قالوا يا رسول الله: إنا بأرض تصيينا بها خمصة فمتى تحل لنا بها الميتة؟

(1) أخرجه أحمد في مسنده [272] 376 / 1.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11098] 526 / 9.

(3) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ك: الصلاة، ب: ذكر استحباب قبول رخصة الله إذ الله - جل وعلا- يحب قبولها [2742] 451 / 6.

(4) أخرجه أحمد في مسنده [5391] 290 / 9.

(5) ينظر: الفقيه والمتفقه لأبي بكر البغدادي، دار ابن الجوزي - السعودية، ط: 2 - 1421هـ / 2000.

(6) ينظر: التنبيه في الفقه الشافعي لأبي إسحاق الشيرازي، عالم الكتب 84 / 1.

(7) هو: الحارث بن عوف، اختلف في اسمه واسم أبيه، أبو واقد الليثي، أسلم يوم الفتح، وقال أبو أحمد الحاكم: إن أبا واقد هذا شهد بدرا، وكذا قاله البخاري، روى عن: النبي ﷺ وأبي بكر وعمرؓ وروى عنه: سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عتبة وسنان بن أبي سنان وغيرهم، توفي سنة 68هـ، ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، دار الوطن للنشر - الرياض، ط: 1 - 1419هـ / 2000، 757 / 2، وتاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام 750 / 2، والتكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة - اليمن، ط: 1 - 1432هـ / 2011، 23 / 4.

فقال: إذا لم تصطبحوها، ولم تغتبقوها، ولم تحتفتوها بها بقلًا، فشأنكم بها» رواه أحمد⁽¹⁾ أي: ما لم تجدوا غداء ولا عشاء ولا بقلًا تحتفتوها، وتحتفتوها بالهمز والتخفيف هاهنا، وفيه وجوه أخرى، وعن الفجيع العامري⁽²⁾ أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: «ما يحل لنا من الميتة؟ قال: ما طعامكم؟ قلنا: نغتبِق ونصطبِح، أي: قدح غدوة، وقدح عشية، قال: ذلك وأي جوع وأحل لهم الميتة على هذه الحال؟!» رواه أبو داود⁽³⁾، يعني ذلك الجوع المبيح لأكلها، وأي هو جوع! تعجباً وإعظاماً له ويمكن أن يكون واو القسم، وأتى بالباء الموحدة بياء المتكلم أي يأتي قسماً أن ذلك هو الجوع على ما هو في المصاييح والله أعلم.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾⁽⁴⁾

«سئل رسول الله ﷺ قيل: وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾»⁽⁵⁾، قال سعيد بن جبیر⁽⁶⁾: يعني: الذبائح الحلال طيبة لهم⁽⁷⁾، والطيبات: ما أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه وهو الحلال من الرزق.

وقوله ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ أي: وأحل لكم ما اصطدمتموه بالجوارح، وهن الكلاب المعلّمة والبازي، فقال: «ما أمسك عليك فكل» رواه ابن جرير⁽⁸⁾، والجوارح:

(1) أخرجه أحمد في مسنده، وذكر: أن إسناده ضعيف جدا [21898] 227/36.

(2) هو: الفجيع بن عبد الله بن حندج بن البكاء بن عامر بن ربيعة بن عامر العامري، يعد في أعراب البصرة، سكن الكوفة، وله صحبة، روى عن: النبي ﷺ، وروى عنه: أبو داود، ينظر: الطبقات الكبرى 117/6، أسد الغابة 4/334، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال 144/23.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأظعمة، ب: في المضطرب إلى الميتة [3817] 358/3.

(4) سورة المائدة، الآية (4).

(5) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 454/1، و تفسير القرآن 12/2.

(6) سبق ترجمته.

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [8342] 1583/5.

(8) أخرجه ابن جرير في تفسيره [1156] 550/9.

الكواسب من الجرح، وهو: الكسب. يقال: فلان لا جرح له، أي: لا كاسب له، وقيل: سبب نزولها أن النبي ﷺ أمر بقتل الكلاب، قالوا: يا رسول الله، ماذا يجلب لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية⁽¹⁾ فأذن في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها، ونهى عن إمساك ما لا يقع فيه منها.

وقوله ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ يحتمل أن يكون حالا من الضمير في ﴿عَلَّمْتُمْ﴾، فيكون حالا من الفاعل، وأن يكون من المفعول، وهو الجوارح أي: وما عَلَّمْتُمْ من الجوارح في حال كونهن مكَلِّبات للصيد، وذلك بأن يقتنصه بمخالبتها وأظفارها، وبهذا قيل: أن الجارحة إذا قتل الصيد بصدمة، لا بمخالبه وظفره، لا يجلب وهو أحد قولي الشافعي، ولهذا قال: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ أي: تؤدبونهن آداب أخذ الصيد، وهو أنه إذا أرسله استرسل، وإذا دعاه رجع، وإذا أخذ الصيد استمسكه على صاحبه، حتى يجيء إليه، ولا يمسه لنفسه، ولهذا قال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ فمتى كان الجارحة معلما وأمسك على صاحبه، وكان قد ذكر اسم الله عليه عند إرساله حل الصيد، وإن قتله بالإجماع، وقد ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم⁽²⁾ قال: «قلت يا رسول الله، إنا نرسل الكلاب المعلمة؟»، قال: كل ما أمسكن عليك، قلت: وإن قتلن؟ قال: وإن قتلن، قلت: إنا نرمي بالمعراض⁽³⁾، قال: كل ما خرق وما أصاب بعرضه فقتل فإنه وقيد فلا تأكل»⁽⁴⁾، وفي رواية «إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله، فإن أمسك عليك فأدركته حيا فاذبحه، وإن أدركته وقد قتل ولم يأكل منه فكله، وإن أكل فلا تأكله، وإنما أمسك على نفسه، فإن وجدت مع كلبك كلبا غيره وقد قتل فلا تأكل، فإنك لا تدري أيهما قتله وإذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله، فإن غاب عنك يوما فلم تجد فيه إلا أثر سهمك فكل إن شئت، وإن وجدته غريقا في الماء

(1) ينظر: تفسير الماتريدي 3/ 457.

(2) سبق ترجمته.

(3) المعراض: سهم طويل له أربع قدد دقاق، وقيل: السهم الذي لا ريش له. ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم 7/ 4465.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الذبائح والصيد، ب: ما أصاب المعراض بعرضه [5477] 86/ 7، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، ب: الصيد بالكلاب المعلمة [1929] 1529/ 3.

(1) «فلا تأكل» وهذا دليل الجمهور وهو الصحيح من المذهب الشافعي، أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم إن مات قبل التذكية⁽²⁾.

فقوله ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: عند الإرسال، وبهذا شرط بعضهم كأحمد في المشهور عنه التسمية عند إرسال الكلب، وكذا مع الرمي بالسهم⁽³⁾، وقال بعضهم: المراد بهذه التسمية عند الأكل، كما ثبت في البخاري عن عائشة أنهم قالوا: «إن قوما يأتوننا حديث عهدهم بكفرهم، بلحمان لا ندري أذكروا اسم الله عليها أم لا، فقال سموا الله أنتم وكلوا»⁽⁴⁾.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ «علم ربيبه عمر بن أبي سلمة فقال: سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»⁽⁵⁾، وعن جابر عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه، قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء» رواه مسلم⁽⁶⁾ وأكثر أهل السنن⁽⁷⁾، وعن وحشي⁽⁸⁾ «أن

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الذبائح والصيد، ب: إذا أكل الكلب [5483] 87/7.

(2) ينظر: نهاية المطلب في دراية المذهب لعبد الملك الجويني، دار المنهاج، ط: 1 - 1428هـ/18/112.

(3) ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد لأبي محمد بن قدامة، دار الكتب العلمية، ط: 1 - 1414هـ/1/552.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: البيوع، ب: من لم ير الوسواس ونحوها من الشبهات [2057] 54/3.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأطعمة، ب: الأكل مما يليه [5378] 68/7، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الأشربة ب: آداب الطعام والشراب وأحكامها [2022] 3/1599.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الأشربة، ب: آداب الطعام والشراب وأحكامها [2018] 3/1598.

(7) أخرجه النسائي في سننه، ك: الأطعمة، ب: ذكر الله تبارك وتعالى عند الطعام [6724] 6/652.

(8) هو: وحشي بن حرب الحبشي، أبودسمة، مولى جبير بن مطعم قتل حمزة بن عبد المطلب ﷺ وأسلم بعد ذلك، وصحب النبي ﷺ وسمع منه أحاديث، وشارك في قتل مسيلمة الكذاب، فكان يقول: قتلت خير الناس، وقتلت شر الناس، روى عن: النبي ﷺ وأبي بكر الصديق ﷺ، وروى عنه: جعفر بن عمرو بن أمية وابنه حرب وعبيد الله بن عدي بن الخيار، توفي سنة 25هـ، ينظر: التاريخ الكبير لمحمد إسماعيل البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن 8/180، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال 30/429، والأعلام 8/11.

رجلا قال للنبي ﷺ: إنا نأكل ولا نشبع، قال: فلعلكم تأكلون متفرقين، اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه» رواه ابو داود⁽¹⁾ وابن ماجه⁽²⁾.

﴿الْيَوْمَ أَجَلٌ لَكُمْ لَطِيبٌ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَلْفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾⁽³⁾

لما ذكر الله ما حرم على عباده من الخبائث، وما أحل لهم من الطيبات، قال بعده: ﴿الْيَوْمَ أَجَلٌ لَكُمْ لَطِيبٌ﴾ ثم ذكر حكم ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ قال ابن عباس والجمهور: أي: ذبائحهم⁽⁴⁾، وهذا مجمع عليه، أن ذبائحهم حلال للمسلمين، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله، وإن اعتقدوا في الله ما هو منزه عن قولهم - تعالى تقديس-، وقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مغفل⁽⁵⁾ قال: «أصبت جراباً من شحم يوم خيبر فحضنته! فقلت: لا أعطي اليوم أحداً من هذا شيئاً، فالتفت، فإذا رسول الله ﷺ تبسم إليّ»⁽⁶⁾، واستدل به جواز تناول ما يحتاج إليه من الأطعمة، ونحوها من الغنيمة قبل

(1) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأطعمة، ب: الاجتماع على الطعام [3764] 2/373.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الأطعمة، ب: الاجتماع على الطعام [3286] 2/1093.

(3) سورة المائدة، الآية (5).

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11248] 9/578.

(5) هو: عبد الله بن مغفل بن عبد نهم بن عفيف بن أسحم بن ربيع المزني، أبو سعيد، صحابي جليل، كان من أصحاب الشجرة الذين بايعوا النبي ﷺ، سكن المدينة، ثم تحول إلى البصرة، وابتنى بها داراً قرب المسجد الجامع، روى عن: النبي ﷺ وعبد الله بن سلام وأبي بكر الصديق وغيرهم، وروى عنه: عبد الله بن بريدة ومعاوية بن قرة وحמיד بن هلال وغيرهم، توفي سنة 59هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 9/7، والهداية والرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد لأحمد بن محمد الكلاباذي، دار المعرفة - بيروت، ط: 1 - 1407هـ 1/392، تهذيب الكمال في أسماء الرجال 16/173.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه ك: المغازي، ب: غزوة خيبر [4214] 2/135، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك:

الجهاد والسير ب: جواز الأكل من طعام الغنيمة في دار الحرب [1772] 3/1393.

القسمة، وهذا ظاهر، وفي الصحيح «أن أهل خيبر هدّوا لرسول الله ﷺ شاة مصلية⁽¹⁾، وقد سمّوا ذراعها وكان يعجبها الذراع، فتناوله، فنهش منه نهشة فأخبره الذراع أنه مسموم، فلفظ، وأثر ذلك السم في ثنايا رسول الله ﷺ وفي أبيه، وأكل معه بشر بن البراء بن معرور؛ فمات، فقتلت اليهودية التي سمّتها، وكان اسمها زينب»⁽²⁾.

وقوله ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ أي: ويجل لكم أن تطعموهم من ذبائحكم، وليس هذا إخبارا عن الحكم عندهم، اللهم إلا أن تكون خبرا عما أمروا به من الأكل من كل طعام ذكر اسم الله عليه، سواء كان من أهل ملتهم أو غيرها، والمراد: أن لكم أن تطعموهم من ذبائحكم كما أكلتم من ذبائحهم، وهذا من باب المكافأة والمجازاة، كما ألبس النبي ﷺ ثوبه لعبد الله بن أبي سلول حين مات، ودفنه فيه، قالوا: لأنه قد كسى العباس حين قدم المدينة ثوبه فجراه النبي ﷺ ذلك بذلك⁽³⁾ وأما حديث «لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا مؤمن»⁽⁴⁾ فمحمول على الندب والاستحباب.

وقوله ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: وأحل لكم نكاح الحرائر العفاف من النساء المؤمنات، وهذا توطئة لما بعده، وهو قوله ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قيل: أراد بالمحصنات الحرائر دون الإماء، ويحتمل أن يراد بالحرّة العفيفة قاله: مجاهد وعليه الجمهور⁽⁵⁾ وهو الأشبه؛ لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية وهي غير عفيفة، فيفسد حالها بالكلية، والظاهر من الآية: أن المراد بها العفيفات من الزنا، كما في الآية الأخرى ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَفِّحَاتٍ﴾⁽⁶⁾، ثم اختلفوا في المحصنات الثانية، هل تعم كل كتابية

(1) المصلية: المشوية، يقال صليت اللحم وغيره: إذا شويته، ينظر: تهذيب اللغة، ب: الصاد والام من الفعل المعتل .167/12.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الديات، ب: من سقى رجلا سما أو أطعمه فمات أيقاد منه [4510] 173/4. وضعفه الألباني.

(3) ينظر: محاسن التأويل 52/4.

(4) أخرجه الدامي في سننه، ك: الأطعمة ب: من كره أن يطعم طعامه إلا تقيا [2101] 1307.

(5) ينظر: تفسير مجاهد 272/1.

(6) سورة النساء، آية (25).

عفيفة سواء كانت حرّة أو أمة أم لا؟ وقيل: المراد بها هاهنا الإسرائيليات، وهو مذهب الشافعي، وقيل: المراد الذميات دون الحرّيات، وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى، ولم يروا بذلك بأسا أخذوا بهذه الآية، وجعلوا هذه مخصصة للآية التي في البقرة، ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ﴾⁽¹⁾ إن قيل بدخول الكتابيات في عمومها، وإلا فلا معارضة بينهما لأن أهل الكتاب قد يفصل ذكرهم عن المشركين في غير موضع من القرآن.

وقوله ﴿إِذَا عَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ يعني: مهورهن، أي: كما هن محصنات عفائف فابذلوا لهن المهور عن طيب نفس، وقوله ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ فكما شرط الإحصان في النساء وهي العفة عن الزنا، لذلك شرطها في الرجال، وهو: أن يكون الرجل أيضا محصنا عفيفا، ولهذا قال ﴿غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ وهم: الزنا الذين لا يرتدعون عن المعصية، ولا يردّون أنفسهم عنم جاءهم، ﴿وَلَا تُتَّخَذِ الْوَدَائِعُ الْحَلَالُ﴾ أي: ذوي العشيقات اللاتي لا يفعلون إلا معهن، كما سبق في سورة النساء، ولهذا ذهب أحمد بن حنبل إلى أنه لا يصح نكاح المرأة البغي حتى تتوب، وما دامت كذلك لا يصح تزويجها من رجل عفيف، وكذا لا يصح عنده عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى تتوب، ويقلع عما هو فيه من الزنا⁽²⁾.

وقوله ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: بالله الذي لا يجب الإيمان إلا به، وقيل: أي بكلمة التوحيد، وبما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن، ﴿فَقَدْ حَبِطَ﴾ أي: بطل وضاع عمله، ﴿وَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ في ثواب الأعمال.

(1) سورة البقرة، آية (221).

(2) ينظر: مختصر الإنصاف والشرح الكبير لمحمد عبد الوهاب النجدي، مطابع الرياض - الرياض، ط: 1، 648/1.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ
عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا
طَيِّبًا فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ
يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾⁽¹⁾

قالوا: يعني إذا قمتم إلى الصلاة، وأنتم محدثون، وهذه الآية أمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة، ولكن في حق المحدث على سبيل الإيجاب، وفي حق المتطهر على سبيل الندب والاستحباب، وقد قيل: إن الأمر بالوضوء لكل صلاة كان واجبا في ابتداء الإسلام، ثم نسخ.

عن بريدة⁽²⁾ قال: «كان النبي ﷺ يتوضأ لكل صلاة، فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه، وصلى الصلوات بوضوء واحد، فقال له عمر: يا رسول الله، إنك قلت شيئا لم تكن تفعله؟ قال: إني عمداً فعلته يا عمر» رواه أحمد⁽³⁾ ومسلم⁽⁴⁾ وأهل السنن⁽⁵⁾.

وروي عن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل⁽⁶⁾ «أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء عند كل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك عند كل صلاة، ووضع عنه الوضوء إلا من حدث» رواه أحمد⁽⁷⁾ وأبو داود⁽⁸⁾.

(1) سورة المائدة، الآية (6).

(2) سبق ترجمته.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، وذكر أن إسناده صحيح على شرط مسلم، [23039] 134/38.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: جواز الصلوات كلها بوضوء واحد [277] 232/1.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الطهارة ب: ماجاء أنه يصلي بوضوء واحد، وقال: هذا حديث حسن صحيح [61] 89/1.

(6) هو: عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب الأوسي المدني، أبو عبد الرحمن، سكن المدينة، يقال له ابن الغسيل لأن أباه حنظلة غسيل الملائكة، توفي النبي ﷺ وكان لعبد الله سبع سنين، روى عن: النبي ﷺ وعبد الله بن سلام وعمر بن الخطاب، وروى عنه: عبد الله بن يزيد الخطمي وأسماء بنت زيد الخطاب وصالح بن أبي حسان المدني، توفي سنة 63هـ، ينظر: معجم الصحابة للبغوي 94/4، والاستيعاب في معرفة الأصحاب 892/3، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال 436/14.

(7) أخرجه أحمد في مسنده [21960] 291/36.

(8) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الطهارة، ب: السواك [48] 12/1.

وفي الحديث استحباب ذلك كما هو مذهب الجمهور، وكان الخلفاء الراشدون يتوضؤون لكل صلاة، وتوضأ عمر وضوء خفيفاً، فيه تجوُّز، فقال: هذا وضوء من لم يحدث⁽¹⁾، وهكذا نقل عن علي - رضي الله عنهما - وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «من توضأ عن طهر كتبت له عشر حسنات» رواه أبو داود⁽²⁾ والترمذي⁽³⁾.

قال قوم: إن هذه الآية نزلت إعلماً من الله أن الوضوء لا يجب إلا عند القيام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال⁽⁴⁾ وذلك أنه - عليه الصلاة والسلام - كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى توضأ، كما قال علقمة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد البول لا يكلم أحداً، وإذا سلم عليه لا يرد حتى نزلت آية الرخصة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا⁽⁵⁾﴾ الآية .

وعن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ خرج من الخلاء، فقدم إليه الطعام فقالوا: ألا نأتينك بوضوء؟ فقال: إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة» رواه أبو داود⁽⁶⁾ والترمذي⁽⁷⁾.

وقوله ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ استدلوا به على وجوب النية في الوضوء؛ لأن تقرير الكلام إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم لها⁽⁸⁾ كما تقول العرب: إذا رأيت الأمر فقم، أي: له. وفي الصحيحين حديث الأعمال بالنيات، «وإنما لكل امرئ ما نوى»⁽⁹⁾.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11325] 13/10.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الطهارة، ب: الرجل يجدد الوضوء من غير حدث [62] 16/1، وضعفه الألباني.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الوتر، ب: ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ [484] 612/1.

(4) ينظر: جامع البيان 163/8.

(5) أخرجه الطبراني في معجمه، [3] 6/81.

(6) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأطعمة، ب: في غسل اليدين عند الطعام [3760] 372/2، وصححه الألباني.

(7) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الأطعمة، ب: في ترك الطعام قبل الوضوء [1847] 346/3، وقال: حديث حسن.

(8) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد القنوجي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، 1412هـ 3/366.

(9) سبق تخريجه.

وتستحب قبله التسمية على الوضوء، لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله» رواه أحمد⁽¹⁾ وأبو داود⁽²⁾ والترمذي⁽³⁾ وكما مستحب غسل الكف قبل إدخاله الظرف،- لا سيما عند القيام من النوم- لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء، قبل أن يغسلها ثلاثاً، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده»⁽⁴⁾، وحدّ الوجه: ما بين منابت شعر الرأس إلى منتهى اللّحيين والذقن طولاً، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً، ويجب غسل ظاهر اللّحية النازلة، لا غسل موضع التحذيف⁽⁵⁾، ولا موضع الصلع، ولا غسل النزعتين،-وهما البياضان المكتفان للناصية، ويجب إيصال الماء إلى ما تحت الحاجبين وأهداب العينين، والشارب والعدّار⁽⁶⁾ والعنققة⁽⁷⁾، وإن كانت كثيفة، ويستحب تحليل اللّحية الكثّة، لما روي أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفا من ماء، فأدخله تحت حنكه، وتخلل لحيته، وقال هكذا أمرني ربي» رواه أبو داود⁽⁸⁾.

(1) أخرجه أحمد في مسنده [9418] 243/15، وقال: إسناده ضعيف.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الطهارة ب: في التسمية على الوضوء [101] 25/1.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الطهارة، ب: في التسمية عند الوضوء [25] 79/1.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الوضوء ب: الاستجمار وترا [162] 43/1، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك:

الطهارة، ب: كراهية غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثاً [278] 233/1.

(5) هو: كل شيء أخذت من نواحيه حتى سويته، والتحذيف من الرأس ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع خيط على الرأس والأذن والطرف الثاني على زاوية الجبين، ينظر: المصباح المنير في غريب شرح الكبير، ب: ح، ذ، ف 126/1.

(6) هو: الشعر النازل بين اللحيين، ينظر: المصباح المنير في غريب شرح الكبير لأحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت، ب: ع، ذ، ر 398/2.

(7) العنققة: ما بين الشفة السفلى وبين الذقن، ينظر: كتاب العين 301/2.

(8) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الطهارة، ب: تحليل اللّحية [145] 36/1.

وأما العراض واللحية، فإن كانت كثيفة لا ترى البشرة من تحتها، لا يجب غسل باطنها في الوضوء، بل يجب غسل ظاهرها، وأما المضمضة والاستنشاق، فهما سنتان كما هو مبين في كتب فقه⁽¹⁾.

وقوله ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ أي: مع المرافق، كما قال تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾⁽²⁾ الآية وعن جابر قال: «كان رسول الله ﷺ إذا توضأ أدار الماء على مرفقه» رواه الدار قطني⁽³⁾ والبيهقي⁽⁴⁾، ونسخت إدخال العُضد في الغسل، لما في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن أمي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»⁽⁵⁾، وعنه أيضاً قال: «سمعت خليلي ﷺ يقول: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» رواه مسلم⁽⁶⁾.

وقوله ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ اختلفوا في الباء، هل هي هاهنا للإصاق؟ وهو الأظهر، أو للتبعض على قولين، وبيانه في السنة، كما في الصحيحين «أنه قيل لعبد الله زيد بن عاصم: تَوَضَّأْنَا لِنَا وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِمَاءٍ، فَأَكْفَأَ مِنْهُ عَلَى يَدَيْهِ، فغسلهما ثلاثاً، ثم أدخل يده فاستخرجها، فمضمض واستنشق من كف واحدة، ففعل ذلك ثلاثاً، ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثاً، ثم أدخل يده فاستخرجها فَعَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمَرْفِقَيْنِ مرتين مرتين، ثم أخرج يده فاستخرجها فمسح رأسه فأقبل بيديه وأدبر، ثم غسل رجليه

(1) ينظر: الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن بن الجزري، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 2 - 1424هـ/1/57.

(2) سورة النساء، آية (2)

(3) أخرجه الدار قطني في سنته، ك: الطهارة، ب: وضوء رسول الله ﷺ [272] 1/142.

(4) أخرجه البيهقي في سنته، ك: الطهارة، ب: التكرار في غسل اليدين [256] 1/93.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الوضوء ب: فضل الوضوء، والغر المحجلون من آثار الوضوء [136] 1/39، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة ب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء [246] 1/216.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء [250] 1/219.

إلى الكعبين، وقال: هكذا كان وضوء رسول الله ﷺ⁽¹⁾، وفي رواية «فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه، رد بهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه»⁽²⁾ واختلفوا في كمية المسح، فذهب مالك⁽³⁾ وأحمد⁽⁴⁾ إلى وجوب تكميل مسح جميع الرأس لظاهر الحديث، والحنفية إلى وجوب مسح ربع الرأس،⁽⁵⁾ وهو مقدار الناصية، وذهب أصحابنا إلى أنه إنما يجب ما يطلق عليه اسم المسح، ولا يقدر ذلك بجد، بل لو مسح بعض شعره من رأسه أجزاءه⁽⁶⁾، واحتج الفريقان بحديث المغيرة بن شعبة⁽⁷⁾، أنه قال: «أن النبي ﷺ توضأ فمسح بناصيته، وعلى العمامة وعلى الخفين» رواه مسلم⁽⁸⁾، فقال أصحاب أحمد: إنما اقتصر على مسح الناصية لأنه كمل مسح بقية الرأس على العمامة، والمستحب من المذهب الشافعي أن يمسح الرأس ثلاثاً⁽⁹⁾ وعند أحمد مرة⁽¹⁰⁾، ودليل الشافعي حديث عثمان بن عفان «ﷺ أنه توضأ بالمقاعد، فقال: «ألا أريكم وضوء رسول الله ﷺ؟ فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً» رواه مسلم⁽¹¹⁾.

-
- (1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الوضوء ب: مسح الرأس كله [185] 48/1، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: في وضوء النبي ﷺ [235] 210/1.
- (2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: في وضوء النبي ﷺ [235] 211/1.
- (3) ينظر: التاج والإكليل لمختصر خليل محمد بن يوسف الغرناطي، دار الكتب العلمية، ط: 1 - 1416هـ/292/1.
- (4) ينظر: المغني لابن قدامة 92/1.
- (5) ينظر: المبسوط للسرخسي لشمس الدين أبوبكر السرخسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1421هـ/63/1.
- (6) ينظر: الأم 41/1.
- (7) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر مسعود الثقفي، أبو عبد الله، ولد في ثقيف بالطائف ونشأ بها، وكان كثير الأسفار، أسلم عام الخندق، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه: بنوه حمزة وعروة وعقار، والحسن البصري وأبو وائل وغيرهم، كان من دهاء العرب وذوي آرائها، ومن كبار الصحابة، أولي الشجاعة والمكيدة والدهاء، قال عنه الطبري: لا يقع في أمر إلا وجد له مخرجاً، شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ، توفي سنة 50هـ، ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم 2582/5، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال 369/28، والتكميل في الجرح والتعديل لابن كثير 137/1.
- (8) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: المسح على الناصية والعمامة [247] 231/1.
- (9) ينظر: المجموع شرح المهذب 432/1.
- (10) ينظر: الشرح الكبير على متن المقنع لعبد الرحمن بن محمد بن قدامة، دار الكتاب العربي للنشر 141/1.
- (11) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: فضل الوضوء والصلاة عقبه [230] 207/1.

وقوله ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قرئ وأرجلكم بالنصب عطفاً على ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ وعن ابن عباس أنه قرأ: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ ويقول: رجعت إلى الغسل⁽¹⁾، وعن ابن مسعود وجمهور التابعين نحو ذلك، وهذه قراءة ظاهرة في وجوب الغسل كما قاله السلف، ومن هاهنا ذهبوا إلى وجوب الترتيب في الوضوء، كما هو مذهب الجمهور خلافاً لأبي حنيفة حيث لم يشترط الترتيب، لأن الواو في الآية لا تدل على الترتيب، وأجيب عنه بأن الآية تدل على غسل الوجه أولاً، ثم لا يجب الترتيب بعده، ولم يقل به أحد، بل القائل إما بالترتيب التام أو بعدمه مطلقاً، فوجب الترتيب فيما بعده بالإجماع بلا فارق، وأيضاً لا نسلم أن الواو لا تدل على الترتيب، بل هو دال عليه، كما هو مذهب طائفة من أهل العربية وبعض الفقهاء، ولئن سلمنا من حيث العربية فلا نسلم من حيث الشرع، فيما من شأنه أن يرتب، والدليل على ذلك «أن رسول الله ﷺ لما طاف بالبيت خرج من باب الصفا، وهو يتلوا قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾⁽²⁾ فقال: ابدءوا بما بدأ الله به»⁽³⁾، وهو معنى كونها يدل على الترتيب شرعاً، وأيضاً لا شك في سنن أبي داود وغيرها «أن رسول الله ﷺ توضع مرة مرة»⁽⁴⁾، وقال: هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به، فلا يخلوا أن يكون توضع مرتباً، فيجب الترتيب، أو غير مرتب فيجب عدم الترتيب، ولا قائل بهذا، وأما القراءة الأخرى وهي أرجلكم بالخفض فقد احتج به الشيعة في قولهم بوجوب مسح الرجلين، لأنها معطوفة عندهم على مسح الرأس، وقد كان بعض السلف يجمع بين المسح والغسل كأنس بن مالك وقال: نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل، وعن ابن عباس نحوه، وقال: الوضوء غسلتان ومسحتان⁽⁵⁾، وهذا محمول على الغسل الخفيف؛ لما سنذكره من السنة الثابتة في وجوبه، وإنما جازت قراءة الخفض إما على المجاورة، وتناسب الكلام كما

(1) ينظر: جامع البيان 8/ 192.

(2) سورة البقرة، آية (158).

(3) أخرجه النسائي في سننه، ك: مناسك الحج، ب: البداءة بالصفا [3948] 4/ 139.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الطهارة، ب: الوضوء مرة مرة [138] 1/ 34.

(5) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 4/ 28.

في قول العرب جحر ضبٌ خرب، وكقوله تعالى ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾⁽¹⁾ وهذا شائع ذائع في لغة العرب، وقيل: هي محمولة على المسح على الخفين، قاله أبو عبد الله الشافعي⁽²⁾، وقيل: أطلق المسح وأراد به الغسل الخفيف استعارة لما ورد به السنة، وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين فرضاً لا بد منه للآية، ولما يجيء من الحديث، والدليل على أن المراد به الغسل الخفيف ما روى البيهقي بإسناده عن علي بن أبي طالب «أنه صلى الظهر، ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة، حتى حضرت صلاة العصر، ثم أتني بكوزٍ من ماءٍ، فأخذ منه جفنة واحدة، فمسح بها وجهه ويديه، ورأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضله وهو قائم، ثم قال: إن أناسا يكرهون الشرب قائماً وأن رسول الله ﷺ صنع كما صنعتُ، وقال: هذا وضوء من لم يحدث»⁽³⁾ وروى البخاري بعض معناه، ومن أوجب من الشيعة مسح الخف فقد ضل، وكذا من جوز المسح والغسل على التخيير، فقد أخطأ أيضاً، وأما من جمع بينهما فذاك محمول على ذلكهما لأنهما تليان الأرض والطين وغير ذلك، فقال: بوجوب ذلكهما ليذهب ما عليهما ويتنظفا، فعبر عن ذلك بالمسح، والدليل على وجوب غسلهما، وأنه لا بد منه ما رواه أكثر من الصحابة أن رسول الله ﷺ غسل الرجلين في وضوئه⁽⁴⁾، إما مرة وإما مرتين أو ثلاثاً، على اختلاف رواياتهم، وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو، وكذا عن أبي هريرة قال: «تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفر سافرناه، فأدركناه، وقد أرهقتنا الصلاة - صلاة العصر - ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار»⁽⁵⁾، وعن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار»

(1) سورة الإنسان، آية (21).

(2) ينظر: تفسير الأم للشافعي 719/2.

(3) أخرجه البيهقي في سننه، ك: الطهارة، ب: قراءة من قرأ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ نصبا وأن الأمر رجوع إلى الغسل وأن من قرأها خفضاً فإنما هو للمجاورة [354] 121/1.

(4) أخرجه النسائي في سننه، ك: الطهارة، ب: غسل الرجلين باليدين [113] 79/1.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: وجوب غسل الرجلين بكاملهما [241] 214/1.

رواه مسلم⁽¹⁾، وعن عبد الله بن حارث⁽²⁾ «أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ويل للأعقاب
ويطون الأقدام من النار» رواه البيهقي⁽³⁾ والحاكم⁽⁴⁾.

وعن جابر «أن رسول الله ﷺ رأى قوماً يتوضؤون، ولم يصب أعقابهم الماء، فقال: ويل
للعراقيب من النار» رواه ابن جرير⁽⁵⁾.

فلو كان فرض الرجلين مسحهما، أو أنه يجوز ذلك فيهما، لما تواعد على تركه لأن المسح
لا يستوعب جميع الرجل، بل يجري فيه ما يجري في مسح الخف، هكذا وجه هذه الدلالة
على الشيعة أبو جعفر الطبري. وعن جابر عن عمر بن الخطاب «أن رجلاً توضأ فترك
موضع ظفر على قدمه، فأبصره النبي ﷺ فقال: ارجع فأحسن وضوءك» رواه مسلم⁽⁶⁾،
وعن أنس مثله رواه أبو دود⁽⁷⁾ وابن ماجه⁽⁸⁾.

وأما ما ورد بروايات «أن رسول الله ﷺ توضأ ومسح على نعليه وقدميه»⁽⁹⁾ محمول على
أنه توضأ كذلك، وهو غير محدث، إذ ليس من الجائز أن تكون فرائض الله وسنن رسوله
متنافيه متعارضة، وقد صح عنه -عليه الصلاة والسلام- الأمر بعموم غسل الرجلين في

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: وجوب غسل الرجلين بكاملهما [241] 214/1.

(2) هو: عبد الله بن الحارث بن جزء، أبو حارث الزبيدي، الصحابي الجليل، المعمر، شيخ المصريين، شهد فتح مصر
وسكن بها، وكان آخر الصحابة بها موتاً، روى عن: النبي ﷺ، روى عنه: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وسليمان
الخرزمي وعبيد الله بن المغيرة وغيرهم، توفي سنة 86هـ، ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم وسير أعلام النبلاء
412/4، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال 392/14.

(3) أخرجه البيهقي في سنته، ك: الطهارة، ب: الدليل على أن فرض الرجلين الغسل وأن مسحهما لا يجزي [326]
114/1.

(4) أخرجه الحاكم في مستدركه [580] 267/1.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11497] 64/10.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة [243] 215/1.

(7) أخرجه أبو داود في سنته، ك: الطهارة، ب: تفريق الوضوء [173] 44/1.

(8) أخرجه ابن ماجه في سنته، ك: الطهارة، ب: من توضأ فترك موضعاً لم يصبه الماء [665] 218/1.

(9) أخرجه أبو داود في سنته، ك: الطهارة، ب: المسح على الجوربين [160] 41/1.

الوضوء بالماء كما سبق، وليس كما زعم بعض السلف، أن هذه الآية ناسخة لرخصة المسح على الخفين، فإنه قد ثبت أن النبي ﷺ مسح على الخفين، بعد نزول هذه الآية، كما في الصحيحين عن جرير أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ بال، ثم توضأ ومسح على خفيه»⁽¹⁾، وقد أسلم جرير بعد نزول سورة المائدة، وقد خالف الروافض ذلك كله بلا مستند، بل بجهل وضلال، مع أنه ثابت في الصحيحين. عن علي عن النبي ﷺ النهي عن نكاح المتعة، وهم يستباحونها، وكذلك هذه الآية دالة على وجوب غسل الرجلين، مع ما ثبت بالتواتر من فعل رسول الله ﷺ وفق ما دلت عليه الآية، وهم مخالفون لذلك كله، وليس لهم دليل صحيح في نفس الأمر، والله الحمد، وهكذا خالفوا أئمة السلف في الكعبين، الذين في القدمين، فعندهم إنهما ظهر القدم، وفي كل رجل كعب، وعند الجمهور أن الكعبين هما العظامان الناتيان عند مفصل الساق والقدم، قال الربيع: قال الشافعي: لم أعلم مخالفا في أن الكعبين اللذين ذكرهما الله في كتابه، هما الناتان، وهما مجمع مفصل الساق والقدم، فعند الأئمة -رحمهم الله- أن في كل قدم كعبين، كما هو معروف عند الناس، وكما في الصحيحين: أن عثمان توضأ فغسل رجله اليمنى إلى الكعبين، واليسرى مثل ذلك⁽²⁾.

وقوله ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآية، وقد تقدم الكلام على ذلك في تفسير سورة النساء، وفي البخاري عن عائشة قالت: «سقطت قلادة لي بالبيداء، ونحن داخلون المدينة فأناخ رسول الله ﷺ ونزل، فثنى رأسه في حجري، راقداً فأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال: حَبَسْتَ النَّاسَ فِي قِلَادَةٍ! فَبَيَّ الْمَوْتَ لِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي، وَقَدْ أَوْجَعَنِي، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ وَحَضَرَ الصَّبْحَ، فَلْتَمَسَ الْمَاءَ فَلَمْ يُوجَدْ، فَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الصلاة، ب: الصلاة في الجبة الشامية [363] 81/1، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: المسح على الخفين [272] 227/1.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الوضوء، ب: الوضوء ثلاثا ثلاثا [159] 43/1، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: صفة الوضوء وكماله [226] 204/1.

الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴿١﴾ الآية، فقال أسيد بن حُضَيْرٍ: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم»⁽¹⁾.

وقوله ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي: فهذا سهّل عليكم ويسّر ولم يعسر، بل أباح التيمم عند المرض، وعند فقد الماء؛ توسعة عليكم ورحمة بكم، وجعله في حق من شرع له يقوم مقام الماء، إلا من بعض الوجوه، كما هو مقرر في الفقه.

وقوله ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والذنوب، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لكي تشكروا نعمته عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة، والرافة والرحمة والسماحة، وقد وردت السنة بالحث على الدعاء عقب الوضوء، بأن يجعل فاعله من المتطهرين الداخلين في امثال هذه الآية، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يقوم فيصلي ركعتين، مُقبل عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة، قلت ما أجود هذه، فإذا قائل بين يديّ يقول: التي قبلها أجود منها، فنظرت فإذا عمر رضي الله عنه إني قد رأيتك جئت أنفا، قال: ما منكم من أحد يتوضأ، فيبلغ أو يسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، فيدخل من أيها شاء» رواه مسلم⁽²⁾ وزاد الترمذي في آخره «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»⁽³⁾.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة، كان بطشتها يده مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرج كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى خرج نقيا من

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [4608] 51/6.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: الذكر المستحب عقب الوضوء [234] 209/1.

(3) أخرجه الترمذي في سنته، ك: الطهارة عن الرسول الله ﷺ، ب: ما يقال بعد الوضوء [55] 109/1.

الذنوب» رواه مسلم⁽¹⁾، وعن أبي مالك الأشعري⁽²⁾ قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله يملآن أو يملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» رواه مسلم⁽³⁾، وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقبل الله صدقة من غلول، ولا صلاة بغير طهور» رواه مسلم⁽⁴⁾.

﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾⁽⁵⁾

يذكر الله عباده المؤمنين نعمته عليهم، في شرعه لهم هذا الدين، إرساله إليهم الرسول الأمين، وما أخذ عليهم من الميثاق على متابعتهم ومناصرته، والقيام بدينه، وإبلاغه عنه، وقبوله منه فقال: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وهذه هي البيعة التي كانوا يبايعون رسول الله ﷺ عليها، عند إسلامهم، ويقولون: «بايعناك على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعلى أثرة علينا وأن لا تنازع الأمر أهله»⁽⁶⁾، وقيل: هذا تذكاري لما أخذ الله من العهد على

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: خروج الخطايا مع ماء الوضوء [244] 215/1.

(2) سبق ترجمته.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: فضل الوضوء [223] 203/1.

(4) المصدر السابق [224] 204/1.

(5) سورة المائدة، الآيات (7-11).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الفتن، ب: قول النبي ﷺ «سترون بعدي أمورا تنكرونها» [7056] 47/9.

ذرية آدم حين استخرجهم من صلبه، وأشهدهم على أنفسهم، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾⁽¹⁾ قاله: مجاهد وغيره، والأول أظهر، وهو المحكي عن ابن عباس والسدي⁽²⁾.

وقوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تأكيد وتحريض على مواظبة التقوى في كل حال، ثم أعلمهم أنه يعلم ما يخالج في السرائر والضمائر من الأسرار والخواطر، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

وقوله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ﴾ أي: كونوا قائلين بالحق لله تعالى، لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا شهداء بالقسط، أي: بالعدل لا بالجور، وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير أنه قال: «نحلي أبي غلاماً، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فجاءه ليشهده على صدقتي، فقال: أكلّ ولدك نخلت مثله؟ قال: لا. قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم، وقال: إني لا أشهد على جور، قال: فرجع أبي فرد تلك الصدقة»⁽³⁾.

وقوله ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾ أي: ولا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقاً كان أو عدواً، ولهذا قال: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: عدلكم أقرب للتقوى من تركه، ودلّ الفعل على المصدر الذي عاد الضمير إليه كما في نظائره من القرآن وغيره، وهو من باب استعمال أفعل التفضيل، في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء، كما في قوله تعالى ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾⁽⁴⁾ وكقول الصحابيّة لعمر أنت أفض وأغلظ من رسول الله ﷺ.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: سيجازيكم على ما علم من أفعالكم التي علمتها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولهذا قال بعده: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي: لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وهو الجنة التي من رحمته عباده لا ينالونها بأعمالهم؛

(1) سورة الأعراف، الآيات (172).

(2) ينظر: جامع البيان 92/10.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الشهادات، ب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد [2650] 3/171، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الهبات، ب: كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة [1623] 3/1243.

(4) سورة الفرقان، الآية (24).

بل برحمة منه وفضل، وإن كان أعمالهم سبب ذلك، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذا من عدله تعالى، وحكمته وحكمه الذي لا جور فيه.

وقوله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ في الصحيح عن جابر «أن النبي ﷺ نزل منزلاً، وتفرّق الناس في العِصَاهُ⁽¹⁾ يستظلون تحتها، وعلق النبي ﷺ سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله ﷺ وأخذه فسله، ثم أقبل على النبي ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله. قال الأعرابي مرتين أو ثلاثاً: من يمنعك مني؟ والنبي ﷺ يقول: الله. فشام الأعرابي السيف فدعا النبي ﷺ أصحابه فأخبرهم بخبر الأعرابي، وهو جالس إلى جنبه، ولم يعاقبه»⁽²⁾ واسم الأعرابي غورث بن الحارث، وذكر قتادة: أن قوماً من العرب أرادوا أن يفتكوا برسول الله ﷺ فأرسلوه لذلك وتأولوا واذكروا نعمة الله عليكم عليه⁽³⁾، وقال ابن عباس: إن قوماً من اليهود صنعوا لرسول الله ﷺ ولأصحابه طعاماً ليقتلوه، فأوحى الله إليه بشأنهم فلم يأت الطعام، وأمر أصحابه فأتوه⁽⁴⁾، وقيل: هم كعب بن الأشرف وقومه، وقيل: هم بنو النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأس النبي ﷺ الرحا، لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين، فأطلع الله رسوله على ما تمالوا عليه، فرجع إلى المدينة بأصحابه، فأنزل الله هذه الآية.

وقوله ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: ومن يتوكل على الله كفاه ما أهمه، وحفظه من شر الناس وعصمه، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يهدوا إليهم فحاصرهم حتى أنزلهم فأجلاهم.

(1) العِصَاهُ: كل شجر له شوكة يعظم . ينظر: غريب الحديث للحري 926/3.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: تفرق الناس على الإمام عند القائلة والاستئلال بالشجرة [2913] 40/4، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفضائل، ب: توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس [843] 4/1786.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11566] 106/10.

(4) ينظر: المصدر السابق [11564] 105/10.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ (1)

لما أمر الله عباده بالوفاء بالعهد والميثاق الذي أخذ عليهم، كما سبق شرع بين لهم كيف أخذ العهود والميثاق على اليهود والنصارى، فكما نقضوها أعقبهم ذلك لعناً منه لهم وطرداً عن بابه، وحجاباً لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى، ودين الحق، وهو العلم النافع والعمل الصالح، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ يعني: عرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه، وذكر ابن عباس ومحمد بن إسحاق وغير واحد: أن هذا كان لما توجه موسى -عليه السلام- لقتال الجبابرة، فأمر أن يقيم نقباء من كل سبط نقيب⁽²⁾، قال ابن إسحاق: وكان من سبط روبيل شامون بن زكور، ومن سبط شمعون شافاط بن حري، ومن سبط يهوذا كالب بن يوفتأ، ومن سبط أيبن فخايل بن يوسف، ومن سبط يوسف وهو سبط إفرايم يوشع بن نون، ومن سبط بنيامين فلطمي بن رفون، ومن سبط زبلون جدي بن سودي، ومن سبط يوسف وهو منشا بن يوسف جدي بن سوسي، ومن سبط دان خملائيل بن جمل، ومن سبط أسير ساطور بن ملكيل ومن سبط نفتالي نحي بن وفسى، ومن سبط دار جولاييل بن ميكد، وقد رأيت في السفر الرابع من التوراة تعداد النقباء على أسباط بني إسرائيل، وأسماء مخالفة فيما ذكره ابن إسحاق والله أعلم، قال فيها: فعلى بني روبيل النصوى بن شادان

(1) سورة المائدة، الآيات (12-14).

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11569] 10/111.

وعلى بني شمعون شمواًل بن حوزشدي وعلى بني هوذا يحشون بن عمبياذاب، وعلى بني أنها حرشال بن صاعون وعلى بني زابلون إلباب بن حالون، وعلى بني يوسف أفرايم ومنشا بن عمدهود وعلى بني ميشا حملنائل بن يرصون، وعلى بني بنياميل أسدل بن جدعون وعلى بني دان جعيذر بن عميشدي أشير مخائيل بن عجران، وعلى بني جاد السيف بن دعوائيل، وعلى بني نفتالي أجدع بن عميتان، وهكذا لما بايع رسول الله ﷺ الأنصار ليلة العقبة، كان منهم اثني عشر نقيباً، ثلاثة من الأوس أسيد بن الحضير، وسعيد بن خيثمة، ورفاعة بن عبد المنذر، ويقال: بدله أبو الهيثم بن التيهان، وتسعة من الخزرج، وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك بن عجلان، والبراء بن معرور، وعبادة بن الصامت، وسعد بن عبادة، وعبد الله بن عمرو بن حرام، والمنذر بن عمرو بن خُنيسٍ، وهؤلاء كانوا عرفاء على قومهم، ليلتذ بأمر رسول الله ﷺ لهم بذلك، وهم الذين ولوا المبايعة والمعاقدة عن قومهم للنبي ﷺ على السمع والطاعة⁽¹⁾.

وقوله تعالى ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بحفظي وكلائي ونصري، ﴿لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ أي: صدقتموهم يحيؤونكم به من الوحي، ﴿وَعَزَّزْتُوهُمْ﴾ أي: نصرتموهم وآزرتموهم على الحق، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وهو الإنفاق في سبيله، وابتغاء مرضاته، ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: ذنوبكم أحصها وأسترها، ولا أؤاخذكم بها ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾ أي: أدفع عنكم المحذور، وأحصل لكم المقصود.

وقوله ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: فمن خاف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده وشده وجحده، وعامله معاملة من لم يعرفه، فقد أخطأ طريق الحق، وعزل عن الهدى إلى الضلال، ثم أخبر تعالى بما أحل بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه، ونقضهم عهده، فقال: ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أي: فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم أبعدهم عن الحق، وطردهم عن الهدى، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً﴾ أي: يابسة غليظة لا تلين، فلا يخلص إليها الإيمان، ولا تتنفع بموعظة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾ أي: وفسدت فهوهم،

(1) ينظر: جامع البيان 8/238.

وساءت تصرفاتهم في آيات الله، وتأولوا كتابه بغير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، ﴿وَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: وتركوا العمل به رغبة عنه، قال الحسن: تركوا عرى دينهم، ووظائف الله التي لا يقبل العمل إلا بها⁽¹⁾، وقال غيره: تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة، فلا قلوب سليمة، ولا فطرة مستقيمة، ولا أعمال قويمية، ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ بمكرهم وَعَدْرهم لك، ولأصحابك وتمايلهم إلى الفتك بك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾ هذا عين النصر والظفر، كما قال بعض السلف: ما عملت لمن عصى الله فيك، بمثل أن تطيع الله فيه⁽²⁾ وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق، ولعل الله أن يهديهم، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني: به الصّحح عما أساء إليك، وقال قتادة: «قوله ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾ منسوخة بقوله ﴿فَتِلْوَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁽³⁾ الآية»⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى﴾ أي: ومن الذين ادّعوا لأنفسهم أنهم نصارى متابعون المسيح بن مريم، وليسوا كذلك أخذنا العهد والميثاق على متابعة الرسول، ومناصرتة ومؤازرتة واقتفاء آثاره، أي: ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود، ولهذا قال: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا﴾ أي: فألقينا بينهم العداوة والتباغض لبعضهم بعضاً، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة، وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم، لا يزالون متباغضين متعادين، يكفر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، فالملكية تكفر اليعقوبية، وكذا النسطورية والآريوسية، كل طائفة تلعن الأخرى في هذه الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

ثم قال تعالى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وهذا تهديد ووعيد شديد للنصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله وعلى رسوله، وما نسبوه إلى الرب تعالى عن قولهم من جعلهم له صاحبة وولداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [1588] 10/130.

(2) ينظر: تفسير المراغي 24/131.

(3) سورة التوبة، آية (29).

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [687] 2/11.

﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ (1)

أخبر الله تعالى عن نفسه الكريمة، أنه قد أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، إلى جميع أهل الأرض، عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم، أنه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل، فقال ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أي: بين ما بدلوه وحرفوه وأولوه، وافتروا على الله فيه، ويسكت عن كثير، مما غيروه مما لا فائدة في بيانه، وقال ابن عباس: «من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب لقوله ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وكان الرجم مما أخفوه» رواه الحاكم في مستدركه (2)، ثم أخبر عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ والمراد بسبل السلام: طريق النجاة والسلامة، قيل: السلام: هو الله، وطريقه دينه الذي شرعه لعباده، وبعث به رسله، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: وينجيهم من المهالك، ويوضح لهم آيين المسالك، فيصرف عنهم المحذور، ويحصل أحب الأمور، وينفي عنهم الضلالة ويرشدهم لأقوم حالة.

(1) سورة المائدة، الآيتان (15-16).

(2) أخرجه الحاكم في مستدركه [8069] 4/400.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾⁽¹⁾

أخبر تعالى عن كفر النصارى في ادعائهم في المسيح بن مريم، وهو عبد من خلق الله، بأنه هو الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، ثم أخبر عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قدرته وسلطانه، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: لو أراد ذلك فمن كان يمنع منه، أو من الذي يقدر على صرفه عن ذلك، ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: جميع الموجودات ملكه وخلقها، وهو القادر على ما يشاء بعظمته وسلطانه، وهذا ردٌّ على النصارى -لعنهم الله - ثم ردٌّ على اليهود والنصارى في كلامهم وافتراءهم، ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ أي: نحن منتسبون إلى أنبيائه، وهم بنوه وله بهم عناية، وهو يحبنا، ونقلوا عن كتابهم أن الله قال لعبده إسرائيل: أنت ابني بكري! فحملوا هذا على غير تأويله، وحرفوه وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم، وقالوا: هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام، كما نقل النصارى عن كتابهم، أن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم، يعني: ربي وربكم، ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من النبوة ما ادعوا في عيسى، وإنما أرادوا من ذلك معرفتهم لدينه، وحظوظهم عنده، ولهذا قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ فقال تعالى ردّاً عليهم ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي: لو كنتم كما تدعون أبناؤه وأحباؤه، فلم أعدت لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم؟ وقال بعض الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يردّ عليه فتلا عليه الصوفي: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾ وهذا الذي قاله: حسن⁽²⁾ وله شاهد، عن أنس قال: «مرّ النبي ﷺ في نفر من أصحابه، وصبيّ في الطريق، فلما رأت أمه القوم

(1) سورة المائدة، الآيتان (17-18).

(2) ينظر: فتح القدير 30/2.

خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقى ابنها في النار، قال فحفظهم النبي ﷺ فقال: لا والله، لا يلقي حبيبه في النار» رواه أحمد ⁽¹⁾.

وقوله ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ أي: لكم أسوة أمثالكم من بني آدم، وهو تعالى هو الحاكم في جميع عبادته، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ أي: هو فعال لما يريد، لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملكه، وتحت قهره وسلطانه، ﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب، فيحكم في عباده ما يشاء.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُولِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ⁽²⁾

خاطب الله أهل الكتاب بأنه أرسل إليهم رسوله محمد الذي لا نبي بعده، ولا رسول، بل هو لمعقب لجميعهم، ولهذا قال: ﴿عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُولِ﴾ أي: بعد مدة متطاوله ما بين إرساله وعيسى بن مريم، وكانت ستمائة سنة، قاله: أبو عثمان النهدي ⁽³⁾، وقال سلمان وقتادة خمسمائة وستون ⁽⁴⁾ رواه البخاري وقيل: خمسمائة وأربعون، وقيل أربعمائة وثلاثون، وقال ابن عساکر عن الشعبي أنه قال: من رفع المسيح إلى هجرة النبي ﷺ تسعمائة وثلاثة وثلاثون سنة والمشهور الأول، وهو أنها ستمائة سنة شمسية أو قمرية، والمقصود أنه - عليه الصلاة والسلام - بُعث على فترة من الرسل، وطُمُوس من السبل، وتغيّر الأديان، وكثرة الأوثان، والصلبان والنيران، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد شمل جميع البلاد، والجهل قد ظهر في سائر العباد، والدين قد التبس على أهل الأرض كلهم، حتى بعث الله محمداً ﷺ فهدى الخلائق من الظلمات إلى النور،

(1) أخرجه أحمد في مسنده [12018] 75/19.

(2) سورة المائدة، الآية (19).

(3) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن 2/33.

(4) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره [691] 13/2.

وتركهم على المحجة البيضاء والشيعة الغراء، ولهذا قال: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على ثواب من أطاعه، وعقاب من عصاه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مِمَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكُمُ عَضْلُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (1)

أخبر الله كليمة موسى فيما ذكر به قومه، نعم الله عليهم، وآلاءه لديهم في جمعه لهم خيري الدنيا والآخرة، لو استقاموا على طريقتهم، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ أي: كلما هلك نبي قام فيكم نبي من لدن أبيكم إبراهيم، وإلى ما بعده، وكذلك كانوا لا يزالون يدعون إلى الله ويحذرون نقمته حتى ختموا بعيسى بن مريم، ثم أوحى الله إلى رسوله محمد المنتسب إلى إسماعيل بن إبراهيم، وهو أشرف من جميعهم.

وقوله ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ قال ابن عباس: كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخدام والدار سمي ملكاً⁽²⁾، وسأل رجل عبد الله بن عمرو فقال: ألسنا من فقراء

(1) سورة المائدة، الآيات (20-26).

(2) ينظر: فتح القدير 34/2.

المهاجرين؟ فقال عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. فقال: إن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك⁽¹⁾.

عن عبد الله بن محصن قال: قال رسول الله ﷺ «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوتُ يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» رواه الترمذي⁽²⁾ وغيره⁽³⁾.

وقوله ﴿وَأَتَدْنِكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم، فإنهم كانوا أشرف الناس من اليونان والقبط، وسائر أصناف بني آدم، كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ إلى قوله ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽⁴⁾ فهم كانوا أفضل أهل زمانهم، لكن هذه الأمة أشرف وأفضل منهم عند الله، وأكمل شريعة، وأقوم منهاجا وأكرم نبياً، وأعظم ملكاً قال الله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾⁽⁵⁾ وقد سبق بيانه، وبعض الأحاديث في فضل هذه الأمة في سورة آل عمران، وقيل: هذا الخطاب مع أمة محمد ﷺ والجمهور أنه خطاب من موسى لقومه، وهو محمول على عالمي زمانهم، وقيل: يعني بذلك المن والسلوى، وتظليل الغمام وغير ذلك، مما خصهم الله به من خوارق العادات، ثم قال مخبراً تحريض موسى بني إسرائيل على الجهاد، والدخول إلى بيت المقدس الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب، لما ارتحل هو وبنوه، وأهله إلى بلاد مصر أيام يوسف - عليهم السلام -، فوجدوا فيها قوماً من العمالقة الجبارين، وقد استحوذوا عليها، وتملكوها، فأمر موسى بالدخول إليها، وقتال أعدائهم، وبشرهم بالنصر والظفر عليهم، فتكلموا وعصوا أمره، فتوقفوا في التيه والتمادي في سيرهم حائرين، لا يدرون كيف يتوجهون فيه إلى المقصد، مدة أربعين سنة؛ عقوبة لهم على تفريطهم في أمر الله، فقال تعالى مخبراً عن موسى أنه قال: ﴿يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ أي: المطهرة. قال ابن عباس: هي

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11625] 10/161.

(2) أخرجه الترمذي في سنته، ك: الزهد عن رسول الله ﷺ، ب: التوكل على الله [2346] 4/152.

(3) أخرجه ابن ماجه في سنته، ك: الزهد، ب: القناعة [4280] 12/324.

(4) سورة الجاثية، آية (16).

(5) سورة آل عمران، آية (110).

الطور وما حوله⁽¹⁾، وقيل: أريحا، يعني: أرض بيت المقدس⁽²⁾، وقيل: البلد المعروفة في طرف العُور شرقي بيت المقدس.

وقوله ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: التي وعدكموها الله على لسان أبيكم إسرائيل، أنه وراثته من آمن منكم، ولا ترتدوا على أديباركم، ولا تَنكَلُوا عن الجهاد، فتتقلبوا خاسرين، فاعْتَدُوا وقالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا﴾ أي: في هذه البلدة التي أمرتنا بدخولها، وقتال أهلها ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ أي: ذوي خَلْقٍ هائلة، وقُوَى شديدة، وإنا لا نقدر على مقاومتهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها، فإن خرجوا منها دخلناها، وإلا فلا طاقة لنا بهم، قال ابن عباس: «لما نزل موسى في قومه قريبا من المدينة، بعث منهم اثني عشر رجلا، وهم النقباء الذين ذكرهم الله، فبعثهم ليأتوه بخبرهم، فساروا فلقبهم رجل من الجبارين، فجعلهم في كسائه فحملهم حتى أتى بهم المدينة، ونادى في قومه فاجتمعوا إليه، فقالوا من أنتم؟ قالوا: نحن قوم موسى، بَعَثْنَا نَأْتِيكُمْ نُخْبِرْكُمْ، فَأَعْطَوْهُمْ حَبَّةَ مِنْ عِنَبٍ يَكْفِي الرَّجُلَ، فَقَالُوا لَهُمْ: اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى وَقَوْمِهِ فَقُولُوا لَهُمْ قَدَّرُوا قَدْرَ فَكِهِتْكُمْ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ، قَالُوا يَا مُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ» رواه ابن أبي حاتم⁽³⁾، وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخباراً من وضع بني إسرائيل، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وإنه كان فيهم عُوْجُ بن عُنُقُ بن بنت آدم - عليه السلام -، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً، وثلاث ذراعٍ تحرير الحساب وهذا شيء يستحي من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَطَوْلَهُ سِتُونَ ذِرَاعاً، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ إِلَى الْآنَ»⁽⁴⁾، ثم ذكروا أنه كان كافراً وكان ولد زُنَيْيَةَ، وأنه لم يصل الطوفان إلى ركبته، ولم يغرق، وهذا كذب وافتراء، فإن الله ذكر أن نوحاً دعا

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11646] 167/10.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [14628] 2604/8.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [8805] 1659/5.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: خلق آدم - صلوات الله عليه - وذريته [3326] 131/4، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير [2841] 2183/4.

فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكُفْرِينَ دَيَّارًا﴾⁽¹⁾ وقال: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّكَ الْأَمْشُحُونَ﴾⁽²⁾ ثم أغرقنا بعد الباقيين⁽³⁾ وقال: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾⁽³⁾ ، وإذا كان بن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عُوج بن عُتُق وهو كافر وولد زنية؟! هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود عُوج نظر، والله أعلم.

وقوله ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أي: فلما نكل بنوا إسرائيل عن طاعته حرَضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة، يخافان أمر الله وعقابه، وقرئ يُخَافُونَ على صيغة ما لم يسم فاعله، أي: ممن لها مهابة وموضع في الناس، قال ابن عباس: هما يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا، وعليه الأكثر⁽⁴⁾ فقالا ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ الآية أي: متى توكلتم على الله، واتبعتم أمره ووافقتم رسوله نصركم الله على أعدائكم، وأيدكم وأظفركم بهم، ودخلتم البلدة التي كتب الله لكم، فلم ينفع ذلك فيهم شيئاً، ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ وهذا نكول منهم عن الجهاد، ومخالفة لرسوله، وتحلف عن مقاتلة الأعداء شوقاً منهم على الانصراف والرجوع إلى بلاد مصر، وما أحسن ما أجاب به الصحابة يوم بدر رسول الله ﷺ حين استشارهم في قتال النضير، الذين جاؤوا لمنع العير الذي كان مع أبي سفيان، وهم ما بين التسعمائة إلى الألف في العدد، فتكلم أكابر المهاجرين فأحسنوا، فقال رسول الله ﷺ «أشيروا عليّ أيها المسلمون وأراد به الأنصار، فقال: سعد بن معاذ وغيره، وكأنك تعرض بنا يا رسول الله، فو الذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، إنا لا نقول كما قال بنو إسرائيل اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد، لاتبعناك»⁽⁵⁾ وفي البخاري عن المقداد نحوه، وقال: ولكننا نقاتل عن يمينك

(1) سورة نوح، آية (26).

(2) سورة الشعراء، آية (120) وقد ذكرت في المخطوط «فأنجيناه ومن معه أجمعين ثم أغرقنا بعد الباقيين» وهو خطأ.

(3) سورة هود، آية (43).

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 6/ 127.

(5) أخرجه النسائي في سننه، ك: السير، ب: مشاورة الإمام الناس إذا كثر العدو وقل من معه [8527] 5/8.

وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك⁽¹⁾ ، قال ابن مسعود: فرأيت وجه رسول الله ﷺ يُسرق لذلك وسره⁽²⁾ .

وقوله ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ يعني: لما نكل هؤلاء عن القتال غضب عليهم موسى، وقال داعيا عليهم: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ قال ابن عباس: يعني اقض بيني وبينهم وافصل، كما قال الشاعر:

يارب فافرق بينه وبينني * أشد ما فرقت بين اثنين.

قوله ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ لما دعى عليهم موسى حكم الله عليهم بتحريم دخولها، قدر مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسرون ولا يهتدون للخروج منه، فتأهوا أربعين سنة يصبحون كل يوم يسرون ليس لهم قرار، فإذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المن والسلوى، وهناك أنزلت التورية وشرعت لهم أمور الأحكام، ثم كانت وفاة هارون، ثم بعده بمدة وفاة موسى، وأقام الله فيهم يوشع بن نون وكالب، ومن هاهنا قال بعض المفسرين: قوله ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ هذا وقف تام، وقوله ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ منصوب بقوله ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون، أو بمن بقي منهم وسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني، فقصدهم بيت المقدس، فحاصرها، وكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر، فلما تضيقت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم، قال: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها عليا، فحبسها الله حتى فتحها، وأمر الله يوشع، أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلوا بيت المقدس، أن يدخلوا بابها سجداً وهم يقولون حطة، أي: حطّ عنا ذنوبنا، فبدلوا ما أمروا به، ودخلوا يزحفون على أستاههم، وهم يقولون حبة في شعرة، وقد سبق هذا كله في سورة البقرة، قال ابن عباس: فهلك موسى وهارون - عليهما السلام - وكل من جاوز الأربعين سنة في التيه⁽³⁾ .

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: قصة غزوة بدر [3952] 73/5.

(2) ينظر: الدر المنثور 1/51.

(3) ينظر: فتح القدير 2/35.

وقوله ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ تسلية لموسى عنهم، أي: لا تأسف وتحزن فيما حكمت عليهم به، فإنهم يستحقون ذلك، وفي هذه تقرير اليهود وبيان فضائحهم، ومخالفتهم لله ولرسوله، ونكولهم عن طاعتها، في الذي أمرهم به من الجهاد، وضعت نفوسهم عن مصابرة الأعداء، ومجادلتهم ومقابلتهم، فظهرت قبائح صنيعهم، وهم بَعْضَاء إلى الله وأعداؤه، ويقولون مع ذلك: نحن أبناء الله وأحباؤه، ألزمهم الله لعنة تصحبهم إلى النار.

﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ أَبِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيْلَتَى أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ (1)

لقد أنبا الله وختم عاقبة البغي والحسد في خبر ابني آدم لصُلبه، وهما هابيل وقابيل كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله، بغياً وحسداً له فيما وهبه الله من النعمة، وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله تعالى، ففاز المقتول بدخول الجنة، وخاب القاتل وخسر في الدارين، فقال تعالى ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: واقصص على هؤلاء البغاة الحسدة من اليهود وأمثالهم، خبر ابني آدم فيما ذكره المفسرون، وقوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: كما كان لا لبس فيه ولا زيادة ولا نقصان، وذلك أن الله تعالى كان قد شرع لآدم - عليه السلام -، أنه يزوج بناته من بنيه، لضرورة الحال، وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، وكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر، وكانت أخت هابيل ذميمة وأخت قابيل وضيئة، فأراد أن يستأثر بها على أخيه، فأبى آدم ذلك إلا أن تقرّباً قربانا، فمن تقرّب منه فهو له، فقرّباً فقبل من هابيل

(1) سورة المائدة، الآيات (27-31).

ولم يُتَقَبَّلَ من قبايل، وكان من أمرهما ما قص الله في كتابه، وما نقل عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة رضي الله عنهم: أنه كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد له غلام وجارية ⁽¹⁾، وكان يزوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر، حتى ولد له ابنان يقال لهما هايل وقبايل، وكان قبايل صاحب زرع وهايل صاحب ضرع، وكان قبايل أكثرهما وكانت له أخت أحسن من أخت هايل، وإن هايل طلب أن ينكح أخت قبايل فأبى عليه، وقال: هي أختي ولدت معي، وهي أحسن من أختك، وأنا أحق أن يتزوج بها فأمره أبوه، أن يزوجه هايل فأبى، وأنهما قربا قربانا إلى الله - عز وجل -، أيما أحق بالجارية، وكان آدم قد غاب عنهما إلى مكة ينظر إليها، وقد قال الله له: هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض؟ قال: لا، قال: إن لي بيتاً بمكة، فأتته فقال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة، فأبت، وقال للأرض: فأبت، وقال للجبال: فأبت، فقال لقبايل، فقال: نعم، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك، فلما انطلق آدم قربا قرباناً، وكان قبايل يفخر عليه، فقال: أنا أحقٌ بذا منك هي أختي، وأنا أكبر منك، وأنا وصيُّ والدي، فلما قربا قرب هايل جذعة سمينة، وقرب قبايل حُزْمة سنبل فوجد فيها سنبلَةً عظيمةً، ففركها فأكلها، فنزلت النار، فأكلت قربان هايل، وتركت قربان قبايل، فغضب وقال: لأقتلك حتى لا تنكح أختي، فقال هايل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: ممن اتقى الله في فعله ذلك، قال ابن عباس: فخرن الله تلك الجذعة في الجنة أربعين خريفاً يرتع فيها، وهو: الكبش الذي فدى به إبراهيم - عليه السلام -، فذبحه ⁽²⁾، وعن معاذ بن جبل فقال: «يحبس الناس في مقنع واحد، فينادي مناد: أين المتقون؟ فيقومون في كنف الرحمن لا يحتجب الله عنهم، ولا يستتر، قيل: ومن المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك، وعبادة الأوثان، وأخلصوا العبادة لله، فيمرون إلى الجنة» ⁽³⁾.

(1) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1416هـ/2-578.

(2) ينظر: جامع البيان 19/603.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [61] 1/35.

وقوله ﴿لَيْنِ بَسَطَتْ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾ قال هابيل لقابيل حين تواعده بالقتل: لئن مددت إليّ يدك لتقتلني، ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ أي: لا أقابلك على صنيعك الفاسد بمثله، فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة، ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: من أن أصنع كما تريد أن تصنع، بل أصبر وأحتسب، قال عبد الله بن عمرو: وأيم الله، إن كان لأشدّ الرجلين، لكن منعه التحرّج، يعني: الورع أن يبسط إلى أخيه ⁽¹⁾.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إذا توجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار، قالوا يا رسول الله: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» ⁽²⁾، وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، فقلت يا رسول الله: أرأيت إن دخل بيتي وبسط يده ليقتلني؟ قال: قال رسول الله ﷺ: كن كابن آدم، وتلا ﴿لَيْنِ بَسَطَتْ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾ الآية» قاله: سعد عند فتنة عثمان. رواه أحمد ⁽³⁾ وأبو داود ⁽⁴⁾، «وكان أول من عمل بهذه الآية من هذه الأمة عثمان بن عفان» ⁽⁵⁾ رواه ابن أبي حاتم.

وقوله ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ قال ابن عباس وآخرون: أي: بإثم قتلي وإثمك الذي عليك قبل ذلك ⁽⁶⁾، وقيل: أن ترجع بخطيئتي فتحمل وزرها، وإثمك في قتلك إياي، قال ابن جرير: والصواب في ذلك أن يقال في تأويله، إني أريد أن تنصرف بخطيئتك في

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11727] 213/10.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الإيمان، ب: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. [31] 15/1، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفتن وأشراف الساعة، ب: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما [2888] 2213/4

(3) أخرجه أحمد في مسنده [1609] 161/3.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الفتن والملاحم، ب: النهي عن السعي في الفتنة [4256] 99/4، وصححه الألباني.

(5) لم أجده فيما بحثت.

(6) زاد المسير في علم التفسير 537/1.

قتلك إياي⁽¹⁾ ، وذلك هو معنى قوله ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾ وأما معنى ﴿وَأِثْمِكَ﴾ فهو إثمه الذي كان قبله، وذلك معصية الله في أعمال سواه، لإجماع أهل التأويل عليه.

وقوله ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾ أي: فحسنت وسوّلت له نفسه، وشجعتة على قتل أخيه فقتله بجديدة في يده، قاله: محمد الباقر⁽²⁾ ، وعن بعض الصحابة قال: فطلبه ليقنته فراغ الغلام منه في رؤوس الجبال، فأتاه يوماً، وهو يرعى غنماً له، وهو نائم فرفع صخرة فشدخ رأسه فمات، فتركه بالعراء، وكان أخذه فأضجعه، ويغمز رأسه وعظامه، ولا يدري كيف يقتله، فقال له إبليس: خذ هذه الصخرة فاطرحها على رأسه، فأخذها فألقاها عليه فشدخ رأسه فقتله، ثم جاء إبليس إلى حواء مسرعاً فقال لها: إن قابيل قتل هاويل، فقالت له: ويحك، وأي شيء القتل؟ قال: لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك، قالت: ذلك الموت، قال: فهو الموت. فجعلت تصيح حتى دخل عليها آدم، وهي تصيح فقال: فلم تكلمه؟ ثم رجع إليها مرتين، فلم تكلمه، فقال: عليك الصيحة، وعلى بناتك وأنا وبنّي منها براء.

وقوله ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: في الدارين، وأي خسارة أعظم من هذه، وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « لا تُقتل نفساً ظمماً، إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها، لأنه كان أول من سنّ القتل »⁽³⁾.

وقوله ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾ قال السدي بإسناده عن بعض الصحابة: لما مات الغلام تركه بالعراء، ولا يعلم كيف يدفن، فبعث الله غرابين أخوين فاقنتلا، فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له ثم حثى عليه، فلما رآه ﴿قَالَ يَوَيْلَئِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأَوْرِي سَوْءَةَ أَخِي﴾ أي: جيفته وقيل: عورته، لأنه كان قد سلب ثيابه، فدفن أخاه ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّدِيمِينَ﴾ قال عطية العوفي: لما قتله ندم، فضمه إليه حتى أروح، وعكفت عليه الطير

(1) جامع البيان 216/10.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 6/138.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: خلق آدم - صلوات الله عليه - وذريته [3335]

133/4، و أخرجه مسلم في صحيحه، ك: القسامة والمحاربين والقصاص والديات [1677] 3/1303.

والسباع، متى يرمي به فتأكله، وكان ذلك أول قتيل من بني آدم، وأول ميت⁽¹⁾، قال الحسن: ابتلاه الله بندامة بعد الخسران هنا، قاله: المفسرون المتفقون على أن هذين ابنا آدم لصلبه كما هو ظاهر القرآن، وكما هو منطوق الحديث في قوله «إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها لأنه أول من سن القتل»⁽²⁾. ونقل ابن جرير بإسناده عن الحسن قال: كان رجلاً في قوله ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ أَبِي عَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم من صلبه، وإنما كان القربان في بني إسرائيل⁽³⁾، وكان آدم أول من مات هذا غريب جداً⁽⁴⁾، وعن الحسن مرسلًا قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً، فخذوا من خيرهم، ودعوا الشر» رواه ابن جرير⁽⁵⁾، ثم روى بإسناده عن علي ابن أبي طالب عليه السلام «أنه لما قتل ابن آدم أخاه، بكاه آدم فقال: تغيرت البلاد ومن عليها، ولون الأرض مغبر قبيح، تغير كل ذي لون وطعم، وقل بشاشة الوجه المليح، فأجيب آدم - عليه السلام - أبا هابيل قد قتل جميعاً، وصار الحي بالمت الذبيح، وجاء بشرة قد كان منه، على خوف فجاء بها يصيح»⁽⁶⁾. ولعل هذا قد أنشد على لسان آدم وقبله كما أجيب عنه، لا أنه قال شعراً، فإن الأنبياء منهيون عن قول الشعر من عندهم، والظاهر: أن قابيل عوجل بالعقوبة، كما ذكره مجاهد، أنه عُلِقَتْ ساقه بفخذه يوم قتله، وجعل الله وجهه إلى الشمس حيث ما دارت دار عليه، في الصيف حظيرة من نار، وعليه في الشتاء حظيرة من ثلج، عقوبة له وتنكيلاً به⁽⁷⁾، وعن أبي بكر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11765] 228/10.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الديات، ب: التغليظ في قتل مسلم ظلماً [2616] 873/2.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11719] 208/10.

(4) ينظر: جامع البيان 335/8.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11769] 230/10.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11721] 209/10.

(7) ينظر: الدر المنثور 141/1.

الرحم» رواه أبو داود⁽¹⁾ والترمذي⁽²⁾ وقد اجتمع كلاهما في قابيل فإننا لله وإنا إليه راجعون.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إِنَّمَا جَزَأُ الَّذِينَ يُجَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾⁽³⁾

أي: من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: شرعنا لهم وأعلمناهم أنه ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب، ولا جناية ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي: ومن حرم قتلها وكف عنه، واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم منه، بهذا الاعتبار، قال سعيد بن جبیر: أي: من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعاً ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعاً⁽⁴⁾، وقال ابن عباس: من قتل نبياً أو إمام عدل، فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن شدَّ عضد نبي، أو إمام عدل، فكأنما أحيا الناس جميعاً⁽⁵⁾ وقال مجاهد: من قتل نفساً مؤمنة متعمداً جعل الله جزاءه جهنم، وغضب عليه ولعنه، كما لو قتل الناس جميعاً، لم يزد على مثل ذلك العذاب، ومن لم يقتل أحداً فقد حيي الناس منه⁽⁶⁾ وقال عبد الرحمن بن زيد عن أبيه: من قتل نفساً فقد

(1) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأدب، ب: في النهي عن البغي [4902] 276/4.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، ك: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، ب: 57 [2517] 245/4.

(3) سورة المائدة، الآيات (32-34).

(4) ينظر: زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي 2140/4.

(5) ينظر: زاد المسير في علم التفسير 540/1.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [1778] 235/10.

وجب عليه القصاص، فلا فرق بين الواحد والجماعة، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي: عفى عن قاتل وليه، ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وقيل: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي: من أنجأها من غرق، أو حرق، وهذا تعظيم لتعاطي القتل، قال قتادة: عظيم والله وزرها، وعظيم والله أجرها⁽¹⁾، وعن عبد الله بن عمرو قال: «جاء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: اجعلني على شيء أعيش به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حمزة نفسٌ تحييها أحب إليك أم نفسٌ تميتها؟ قال: بل نفسٌ أحييها، قال: عليك بنفسك» رواه أحمد⁽²⁾.

وقوله ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالحجج والبراهين، والدلالات الواضحة، ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ وهذا تقريع لهم، وتوبيخ على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها، كما كانت بنو قريظة والنضير وغيرهم من يهود المدينة، الذين كانوا يقاتلون مع الأوس والخزرج إذا وقعت بينهم حروب في الجاهلية، ثم وضعت الحروب أوزارها، فدوا من أسروه، وودوا من قتلوه، وقد أنكر الله عليهم ذلك في سورة البقرة، حيث قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾⁽³⁾ الآية.

وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ المحاربة: المضادة والمخالفة، وهي صادقة على الكفر، وعلى قطع الطريق، وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض، ويطلق على أنواع من الشر، ثم قال بعضهم: نزلت هذه الآية في المشركين منهم: الحسن⁽⁴⁾، فمن تاب منهم من قبل أن تقدروا عليه، لم يكن عليه سبيل، وليس تحرز الآية الرجل المسلم من الحد، إن قتل أو أفسد في الأرض، أو حارب الله ورسوله، ثم لحق بالكفار قبل أن تقدر عليه لم يمنع ذلك، أن يقام عليه الحد، الذي أصاب، و عليه ابن عباس، كذا رواه أبوودود⁽⁵⁾ والنسائي: من طريق عكرمة عنه⁽⁶⁾، وقيل: نزلت في اليهود، وقيل: في الحرورية،

(1) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: 1 - 1393 هـ/4/127.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [6639] 214/11.

(3) سورة البقرة، آية (84).

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11806] 244/10.

(5) أخرجه أبوودود في سننه، ك: الحدود، ب: ما جاء في المحاربة [4372] 132/4.

(6) أخرجه النسائي في سننه، ك: المحاربة، ب: ذكر اختلاف طلحة بن مصرف ومعاوية بن صالح على يحيى بن سعيد في هذا الحديث [3495] 437/3.

والصحيح: أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم، ممن ارتكب هذه الصفات، كما في الصحيحين من حديث أبي قلابة واسمه عبد الله بن زيد الجرمي البصري عن أنس بن مالك «أن نفر من عُكْلٍ ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام، فاستوخوا المدينة، وسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: ألا تخرجون مع راعينا في إبله، فتصييون من أبوالها وألبانها، فقالوا: بلى فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها فصحُّوا، وقتلوا الراعي، وطرَدوا الإبل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث في آثارهم. فَأُذِرِكُوا فجيء بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمّرت أعينهم، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا»⁽¹⁾، وفي رواية «من عُكْلٍ وَعُرَيْتَةٍ»⁽²⁾، وفي لفظ «وَأَلْقُوا فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يَسْقُونَ»⁽³⁾، وفي لفظ لمسلم «وَلَمْ يَحْسِمَهُمْ»، وعند البخاري قال أبو قلابة: «فَهُؤُلَاءِ سَرَقُوا وَقَتَلُوا وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»⁽⁴⁾.

وعن أنس قال: «إِنَّمَا سَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْيُنَ أَوْلَتِكَ، لِأَنَّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرَّعَاةِ»⁽⁵⁾، ولهذا الحديث طرق كثيرة، وروايات وعبارات في الصحاح والسنن، وبهذا يحصل المراد فإن ذلك كان بسبب نزول هذه الآية، واختلفوا في حكم هؤلاء العُرَيْنِينَ، هل هو منسوخ بهذه الآية؟ وأن فيها عتاباً للنبي ﷺ كما في قوله تعالى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾⁽⁶⁾ وقيل: منسوخ بحديث النهي عن المثلة، وفيه نظر، وعلى القائل بيان تأخر النسخ، وقال بعضهم: هذا كان قبل نزول الحدود، وفيه نظر، لأن قصتهم متأخرة، فإن جريراً يرويهما وقد أسلم بعد نزول المائدة، ولا يَلْتَفَتُ إِلَى قَوْلٍ مِنْ قَالٍ: أَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَمْ يَسْمَلْ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الوضوء، ب: أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها [233] 56/1، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: القسامة والمحاريب والقصاص والديات، ب: حكم المحاريب والمرتدين [1671] 3/1296.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [12668] 20/103.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الوضوء، ب: أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها [233] 56/1، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: القسامة والمحاريب والقصاص والديات، ب: حكم المحاريب والمرتدين [1671] 3/1296.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الوضوء، ب: أبوال الأبل، والدواب، والغنم، ومرابضها [233] 56/1.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الطهارة عن رسول الله ﷺ، ك: ما جاء في بول ما يؤكل لحمه [73]، وقال: حديث غريب.

(6) سورة التوبة، آية (43).

أعينهم، وإنما عزم على ذلك حتى نزل القرآن فبين حكمهم؛ لمخالفته الحديث الصحيح المتفق عليه، وكانت تلك عقوبة لأولئك النفر بأعيانهم، ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم ممن حارب بعدهم، ورُفِع عنهم السَّمَل، قاله: الأوزاعي⁽¹⁾، واحتج الجمهور بعمومها في ذهابهم إلى أن حكم المحاربة في الأمصار، وفيالسبلان على السواء؛ لقوله ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وعليه مالك، والشافعي، وأحمد وموافقوه، حتى قال مالك في الذي يغتال الرجل فيخدعه ويدخله بيتا فيقتله ويأخذ ما معه: أن هذا محاربه ودمه إلى السلطان، لا إلى ولي المقتول، فلا اعتبار بعفوه عنه في إسقاط القتل، وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا تكون المحاربة إلا في الطرقات، وأما في الأمصار فلا، لأنه لا يلحقه الغوث إذا استغاث بخلاف الطريق لبعده لمن يغيثه ويعينه.

وأما قوله ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ قال ابن عباس: من شهر السلاح في قبة الإسلام، فأخاف السبل ثم ظفر به، وقدر عليه فإمام المسلمين بالخيار، إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله⁽²⁾، وعليه كثير من التابعين، وبه قال مالك عملا بظاهر القرآن من التخيير كما في نظائره من القرآن، كقوله في جزاء الصيد ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾⁽³⁾ الآية منزلة على أحوال كما قال أبو عبد الله الشافعي ناقلا بإسناده عن ابن عباس في قطاع الطريق: إذا قتلوا وأخذوا المال قُتلوا وصلبوا وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قُتلوا ولم يُصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نُفوا من الأرض، هذا ما عليه الجمهور من أئمة السلف⁽⁴⁾، وأما فروع هذه المسألة وقيودها مبسطة في كتب الفقه.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11818] 253/10.

(2) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 4/56.

(3) سورة المائدة، آية (95).

(4) ينظر: تفسير الشافعي 2/733.

وأما قوله تعالى ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال بعضهم: هو أن يطلب حتى تقدر عليه فيقام عليه الحد، أو يهرب من دار الإسلام قاله: ابن عباس وموافقوه⁽¹⁾ وقيل: هو أن ينفي من بلده إلى بلد آخر، أو يخرج السلطان، أو نائبه من معاملته بالكلية، وقال بعضهم: ينفيه من جند إلى جند سنين، ولا يخرج من أرض الإسلام، وقيل المراد بالنفي هنا: الحبس في السجن، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه⁽²⁾، واختار ابن جرير أن يخرج من بلد إلى بلد آخر فيسجن فيه⁽³⁾.

وقوله ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: هذا الذي ذكرته من قتلهم وصلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ونفيهم، خزي لهم بين الناس في هذه الحياة الدنيا، مع ما ادخر الله لهم من العذاب العظيم يوم القيامة، وهذا يؤيد قول من قال: نزلت هذه الآية في المشركين، فأما أهل الإسلام فقد ثبت في الصحيح عن عبادة بن الصامت قال: «أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء، ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزن، ولا نقتل أولادنا، ولا يعضه بعضنا بعضاً، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفارة له، ومن ستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»⁽⁴⁾.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أذنب في الدنيا ذنباً، فعوقب به، فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنباً في الدنيا فستره الله عليه، وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفى عنه» رواه أحمد⁽⁵⁾، والترمذي وقال حسن غريب⁽⁶⁾.

(1) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد 2/181.

(2) ينظر: المبسوط 9/95.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11939] 10/259.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ﴾ [4894] 6/150، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحدود، ب: الحدود والكفارات لأهلها [1709] 3/1333.

(5) أخرجه أحمد في مسنده [775] 2/165.

(6) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الإيمان عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن [2626] 5/16، وقال: حديث حسن غريب.

قال ابن جرير في قوله: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾: أي: شر وعار ونكال وذلة وعقوبة فيها قبل الآخرة⁽¹⁾، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: إذا لم يتوبوا من فعلهم ذلك، حتى هلكوا في الآخرة مع الجزاء الذي جازيتهم في الدنيا فيها عذاب جهنم.

وقوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ الآية، أما على قول من قال: هي في أهل الشرك فظاهر، وأما المحاربون المسلمون فإذا تابوا قبل القدرة عليهم، فإنه يسقط عنهم انحتم القتل والصلب وقطع الرجل، وهل تسقط عنهم قطع اليد أم لا؟ فيه قولان فظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع وعليه عمل الصحابة منهم علي بن أبي طالب، وابن عباس، والحسن بن علي، وأبو موسى وعبد الله بن جعفر وأبو هريرة رضي الله عنهم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ⁽³⁾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ⁽⁴⁾

أمر الله عباده بتقواه: وهو ملازمة الطاعة، والانكفاف عن المحارم والمنهيات، وقوله ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ قال ابن عباس: أي: القربة⁽³⁾ وعليه كثيرون، أي: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وأنشد ابن جرير عليه قول الشاعر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا * وعاد التصافي بيننا والوسائل⁽⁴⁾

والوسيلة: هي ما يتوسل به إلى نيل المقصود، وهي أيضا علم لأعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، وعن جابر قال:

(1) ينظر: جامع البيان 276/10.

(2) سورة المائدة، الآيات (35-37).

(3) ينظر: التفسير المظهري 91/3.

(4) ينظر: جامع البيان 403/8.

قال رسول الله ﷺ من قال: « حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة» رواه البخاري (1)، وعن عبد الله بن عمرو أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا: مثل ما يقول وصلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلى الله عليه عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة» رواه مسلم (2).

وقوله ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ هذا أمر بقتال الأعداء من الكفار المعاندين، للذين القويم ترغيباً لهم في ذلك؛ لما أعدّه للمجاهدين في سبيله يوم القيامة، من الفلاح والسعادة العظيمة، الخالدة، التي لا تبديد ولا تزول، في الغرف العالية الرفيعة، الحسنة مناظرها، الطيبة مساكنها، ثم أخبر تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والنكال في الآخرة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بماء الأرض ذهباً، وبمثله معه، ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به، وتيقن وصوله إليه، لا يقبل ذلك منه، بل لا مندوحة عنه، ولهذا قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجه يريدون أن يخرجوا من النار، فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته، وأليم مسه، ولا سبيل لهم إلى ذلك، كلّموا رفعهم اللهب فصاروا إلى أعالي جهنم، ضربتهم الزبانية بمقامع الحديد، فردوهم إلى أسفلها، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم مستمر، لا خروج لهم منها، ولا محيد لهم عنها.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل من أهل النار فيقول الله: يا ابن آدم كيف وجدت مضجعتك؟ فيقول: شر مضجع، هل يفتدي بقراب الأرض ذهباً، فيقول: نعم يا رب، فيقول: كذبت، قد سألتك أقل من ذلك، ولم تفعل، فيؤمر به إلى النار» (3) رواه مسلم، هذا حال الكفار، وأما أهل التوحيد فإن الله يجبس أقواماً بخطاياهم في النار ما شاء، ولا يكلمهم، فإذا أراد أن يخرجهم أخرجهم بشفاعة محمد ﷺ.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأذان، ب: الدعاء عند الأذان [614] 1/126.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الصلاة ب: القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة [384] 1/288.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [13162] 20/402.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾
فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
اللَّهَ لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ (1)

حكم الله أمرا بقطع يد السارق والسارقة، وكان في قراءة ابن مسعود أيأتهما بدل أيديهما وهي: شاذة⁽²⁾، وإن كان الحكم عند الجمهور موافقاً لها لا بها؛ بل هو مستفاد من دليل آخر، وقد كان القطع معمولاً به في الجاهلية، فتقرر في الإسلام مع شروط آخر، كما كانت القسامة والدية والقراض، وغير ذلك من الأشياء التي ورد الشرع بتقريرها، على ما كانت عليه، وزيادات هي من تمام المصالح. ويقال: إن أول من قطع الأيدي في الجاهلية قريش، قطعوا رجلاً يقال له: دُوَيْك، مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة، كان قد سرق كنز الكعبة، ويقال: سرقه قوم فوضعوه عنده⁽³⁾.

وقد ذهب بعض الفقهاء: من أهل الظاهر، إلى أنه متى سرق السارق قطعت يده، سواء كان قليلاً أو كثيراً لعموم الآية، فلم يعتبروا نصاباً ولا حرزاً، كما سئل عن ابن عباس عن هذه الآية، أخاص أم عام؟ فقال: بل عام⁽⁴⁾، وهذا يحتمل أن يكون موافقاً لما ذهب إليه هؤلاء، ويحتمل غير ذلك، والله أعلم، وتمسكوا بظاهر ما ثبت في الصحيحين، أن رسول الله قال: «لعن الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»⁽⁵⁾، وأما الجمهور فاعتبروا النصاب في السرقة، وإن كان قد وقع الخلاف بينهم في قدره، فذهب كل من الأئمة الأربعة إلى قول علي حدة، فعند مالك أن النصاب ثلاثة دراهم مضروبة،

(1) سورة المائدة، الآيات (38-40).

(2) ينظر: الإتقان في علوم القرآن 1/279.

(3) ينظر: محاسن التأويل 4/131.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11914] 10/296.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الحدود، ب: لعن السارق إذا لم يسم [6783] 8/159، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحدود، ب: حد السرقة ونصابها [1687] 3/1314.

خالصة، فمتى سرقها أو ما يبلغ ثمنها، أو ما فوقها وجب القطع، لما في الصحيحين عن ابن عمر «أن رسول الله ﷺ قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم»⁽¹⁾ وذهب الشافعي إلى أن الاعتبار في القطع بربع دينار، أو يساويه من الأثمان، أو العروض فصاعداً لما في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً»⁽²⁾، وفي رواية لمسلم «لا يقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً»⁽³⁾ وروته عائشة مرفوعاً، وحديث ثمن المجن، وأنه كان ثلاثة دراهم لا ينافي هذا، لأنه إذ ذاك كان الدينار اثني عشر درهماً، فهي ثمن ربع دينار، فأمكن الجمع بهذه الطريقة، وهذا مذهب أكثر الصحابة والتابعين، وذهب أحمد وموافقه إلى أن كل واحد من ربع الدينار، والثلاثة دراهم، مردّ شرعي، فمن سرق واحداً منهما، أو ما يساويه قطع عملاً بالحديثين المقدمين⁽⁴⁾، وأما أبو حنيفة وأصحابه أبو يوسف، ومحمد وزفر وكذا سفيان الثوري، فإنهم ذهبوا إلى أن النصاب عشرة دراهم مضروبة غير مغشوشة⁽⁵⁾، واحتجوا: بأن ثمن المجن الذي قطع فيه السارق على عهد النبي ﷺ كان عشرة دراهم، لما روي عن ابن عباس قال: كان ثمن المجن على عهد النبي ﷺ عشرة دراهم⁽⁶⁾، وعن عبد الله بن عمرو نحوه، قالوا فهذان صحابييان خالفا ابن عمر في قدر ثمن المجن، والاحتياط الأخذ بالأكثر، لأن الحدود تدرأ بالشبهات، وللجمهور أجوبة شافية، وإيرادات على كل منهم وأحكامها وشروطها مبسطة في كتب الفقه.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الحدود، ب: قول الله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ وفي كم يقطع؟ [6795] 8/161، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحدود، ب: حد السرقة ونصابها [1686] 3/1313.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الحدود، ب: قول الله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ وفي كم يقطع؟ [6789] 8/160.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحدود، ب: حد السرقة ونصابها [1684] 3/1312.

(4) ينظر: متن الخرقى على مذهب أبي عبد الله بن حنبل الشيباني 1/135.

(5) الاختيار لتعليل المختار لعبد الله بن محمود البلدحي، مطبعة الحلبي - القاهرة، 1356هـ/4/103.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11913] 10/296.

وقوله ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَسَبَا﴾ أي: مجازاة على صنيعهما السيء في أخذهما أموال الناس بأيديهما، فناسب أن يقطع ما استعانا به في ذلك، ﴿نَكَلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: تنكيلا وعقوبة من الله بهما، على ارتكاب ذلك، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: في انتقامه ﴿حَكِيمٌ﴾ في أمره ونهيه وشرعه وقدره، ثم قال تعالى ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ أي: من تاب بعد سرقة وأتاب إلى الله، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ فيما بينه وبينه، وأما الأموال فلا بد من ردها، أو بدلها إلى المستحق عند الجمهور، وقال أبو حنيفة: متى قطع وقد تلف في يده فإنه لا يرد بدله، وعن أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ أتى بسارق قد سرق شملة، فقال: ما إخاله سرق، فقال السارق: بلى يا رسول الله، قال: اذهبوا به فاقطعوه، ثم احسموه، ثم ايتوني به، فقطع فأتي به، فقال: تب إلى الله، فقال تبت إلى الله، فقال: تاب الله عليك» رواه الدار قطني⁽¹⁾، وفي مسند أحمد وغيره «أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ فجاء بها الذين سرقتهم، فقالوا يا رسول الله: إن هذه المرأة سرقت، قال قومها: نحن نُفديها، فقال رسول الله ﷺ: اقطعوا يدها، فقالوا: نحن نفديها بخمسمائة دينار، فقال: اقطعوا يدها، فقطعت يدها اليمنى، فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: نعم، أنت اليوم من خطيئتكم كيوم ولدتك أمك، فأنزل الله في سورة المائدة ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁽²⁾ وهذه المرأة هي: فاطمة المخزومية التي سرقت، وحديثها ثابت مبين في الصحيحين، حيث روت عائشة: أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح الحديث⁽³⁾، وقد ورد في أحكام السرقة أحاديث كثيرة مذكورة في كتب السنن.

ثم قال تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو المالك لجميع ذلك، الحاكم فيه الذي لا معقب لحكمه، ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ من ممت على كفره، ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ من تاب من كفره ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(1) أخرجه الدار قطني في سننه، ك: الحدود والديات وغيره [3163] 97/4.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [6657] 237/11.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: حديث الغار [3475] 175/4، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحدود، ب: قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود [1688] 1315/3.

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحُرْفٍ وَلَا كَلِمَةٍ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (1)

هذه الآيات نزلت في المسارعين في الكفر، الخارجين عن طائفة الله ورسوله، المقدمين أهواءهم وآراءهم على الشرع المبين، ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم وقلوبهم خراب، خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أعداء الإسلام وأهله، وكلهم ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي: مستجيبون له ﴿سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي: مستجيبون لأقوام لا يأتون مجلسك يا محمد، وهم الجواسيس، وقيل: أراد أنهم يتسمعون الكلام، وينهونه إلى أقوام آخرين، ممن لا يحضر عندك من أعدائك، ﴿بِحُرْفٍ وَلَا كَلِمَةٍ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: يتأولوه على غير تأويله، وبدلوه من بعد ما عقلوه، ووضعوا مواضعه وهم يعلمون، ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ قيل: نزلت في أقوام من اليهود قتلوا قتيلًا، وقالوا تعالوا حتى نتحاكم إلى محمد، فإن أفتاكم بالدية فخذوا ما قال، وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه (2) والصحيح: أنها نزلت في اليهوديين اللذين زنيا، وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحسن منهم، فحرفوه

(1) سورة المائدة، الآيات (41-44).

(2) ينظر: محاسن التأويل 4/140.

واصطلحوا فيما بينهم، فقالوا حتى نتحاكم إليه، فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه، واجعلوا حجة بينكم وبين الله، ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك، كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أنه قال: «إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما تجدون في التورية في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويُجلدون، قال: عبد الله بن سلام: كذبتُم، إنَّ فيها الرجم، فأتوا بالتورية فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام، ارفع يدك فرفع يده، فإذا آية الرجم، قالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجِمَا، فرأيت الرجل يَحْنِي على المرأة، يقيها الحجارة»⁽¹⁾، وفي لفظ للبخاري «فقال لليهود: ما تصنعون بهما؟ قالوا: نَسَخِمُ وجوههما، ونخزيهما، قال: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَآتُلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾»⁽²⁾، فجاءوا فقالوا لرجل منهم ممن يرضون أعور: أقرأ. فقرأ حتى انتهى موضع فيها، فوضع يده عليه، قال: ارفع يدك، فإذا آية الرجم تلوح، وقل يا محمد: إن فيها آية الرجم، ولكننا نتكأته بيننا، فأمر بهما فرجما»⁽³⁾، وعند مسلم «أن رسول الله ﷺ أتى بيهودي ويهوديه قد زنيا، فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء اليهود، فقال: ما تجدون في التورية على من زنا؟ قالوا: نسود وجوههما ونختمهما، ونخالف بين وجوههما، ويظاف بهما، قال: ﴿فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَآتُلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قال: فجاءوا بها، فقرأوها حتى مر بآية الرجم، وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها، وما ورائها، فقال له عبد الله بن سلام: وهو مع رسول الله ﷺ مره فليرفع يده، فرفع يده، فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجِمَا، قال عبد الله بن عمر: كنتُ فيمن رجمهما، فلقد رأيتُه يقيها من الحجارة بنفسه»⁽⁴⁾

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المناقب، ب: قول الله تعالى ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [3635] 4/206، و مسلم في صحيحه، ك: الحدود، ب: رجم اليهودي أهل الذمة في الزنا [1699] 3/1326.

(2) سورة آل عمران، آية (93).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التوحيد، ب: ما يجوز في تفسير التوراة، وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها [7543] 9/158.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحدود، ب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا [1699] 3/1326.

فالحديث دال على أن رسول الله ﷺ حكم موافقة التورية، وليس هذا من باب الإلزام لهم مما يعتقدون صحته، لأنهم مأمورون باتباع الشرع المحمدي، ولكن هذا بوحى خاص من الله إليه بذلك، وسؤالهم إياهم عن ذلك، ليقرّروهم على ما بأيديهم، مما تواصلوا على كتمانهم وجحدته، وعدم العلم به، تلك الدهور الطويلة، فلما اعترفوا به مع علمهم على خلافه بأن زيغهم وعنادهم وتكذيبهم مما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم عدوهم، إلى تحاكم الرسول - عليه الصلاة والسلام - إنما كان على هوى وشهوة لموافقة آرائهم، لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به، ولهذا قالوا: ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا﴾ أي: الجلد والتحميم، ﴿فَخُذُوهُ﴾ أي: اقبلوا ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ أي: في قبوله واتباعه قال تعالى ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ أي: كفره وضلاله ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: فلن تقدر على دفع أمر الله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: من الكفر والضلال، وفيه ردٌ على منكري القدر، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: للمنافقين واليهود، فخزي المنافقين فيها: الفضيحة، وهتك الستر، بإظهار نفاقهم، وخزي اليهود: القتل والسبي والإجلاء، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: الخلود في النار ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي: الباطل ﴿أَكْثَلُونَ لِلْسُّحْرِ﴾ أي: الحرام وهو الرشوة وعليه الأكثر، أي: ومن كانت هذه صفته، كيف يطهر الله قلبه؟، وأنى يستجاب له!، ثم قال لنبية ﷺ ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ أي: ليتحاكموا إليك ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ أي: فلا عليك أن لا يحكم بينهم، لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إليك اتباع الحق، بل ما يوافق هواهم، قال ابن عباس وآخرون: هي منسوخة بقوله ﴿وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (1).

وقوله ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالحق والعدل وإن كانوا ظلمة، خارجين عن طريق العدل، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: العادلين، ثم قال تعالى إنكاراً عليهم في آرائهم الفاسدة، وقصودهم الزائغة في تركهم ما يعتقدون صحته عن الكتاب، الذي بأيديهم وعدوهم إلى غيره، مما يعتقدون بطلانه ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ﴾ أي: وكيف يجعلونك حكماً بينهم فيرضون بحكمك ﴿وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ وهو:

(1) سورة المائدة، آية (49).

الرجم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بمصدقين لك، ثم مدح التوراة فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ أي: انقادوا لأمر الله، كما أخبر عن إبراهيم - عليه السلام - ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾ والمراد بهم: النبيون بعثوا بعد موسى ليحكموا بما في التوراة، أي: لا يخرجون عن حكمها ولا يبدلون منها ولا يحرفونها ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ فيه تقديم وتأخير تقديره فيه هدى ونور للذين هادوا.

ثم قال: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾ أي: وكذلك الربانيون منهم، وهم: العلماء العبَّاد والأخبار، وهم: العلماء والحكماء ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا﴾ أي: بما استودعوا من كتاب الله الذي أمروا أن يظهروه، ويعملوا به ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ أنه كذلك ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا اللَّهَ﴾ أي: لا تخافوا منهم وخافوا مني. ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقال ابن جرير بإسناده عن ابن عباس: «أن الآيات التي في المائة قوله ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ إلى قوله ﴿الْمُقْسِطِينَ﴾ نزلت في الدية في بني النضير وبني قريظة، وذلك أن قتل بني النضير كان لهم شرف يؤدي الدية كاملة، وإن قريظة كانوا يؤدِّون نصف الدية، فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله ذلك فيهم، فحملهم رسول الله ﷺ على الحق في ذلك، فجعل الدية في ذلك سواء فالله أعلم أي ذلك كان»، رواه أحمد⁽²⁾ وأبوداود⁽³⁾ والنسائي⁽⁴⁾.

ثم قال أيضا عن ابن عباس: «كانت قريظة والنضير، وكانت النضير أشرف من قريظة وكان إذا قُتل رجل من قريظة رجلا من النضير قُتل، وإذا قتل رجل من النضير رجلا من

(1) سورة البقرة، آية (131).

(2) أخرجه أحمد في مسنده [3434] 5/401.

(3) أخرجه أبوداود في سننه، ك: الأفضية، ب: الحكم بين أهل الذمة [3591] 3/303.

(4) أخرجه النسائي في سننه، ك: القسامة، ب: تأويل قول الله جل ثناؤه ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾، وذكر الاختلاف على عكرمة في ذلك [6909] 6/330.

قريظة ودّى مائة وساق من تمر، فلما بعث رسول الله ﷺ قتل رجل من النصير رجلا من قريظة، فقالوا: ادفعوا إليه، فقالوا: بيننا وبينكم رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾⁽¹⁾ رواه أبو داود⁽²⁾ والنسائي⁽³⁾، ويمكن أن يكون اجتمع السببان في وقت واحد فنزلت هذه الآيات في ذلك كله، والله أعلم، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، وهذا تقوي: أن سبب نزولها قضية القصاص.

وقوله ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس وكثيرون: نزلت في أهل الكتاب⁽⁴⁾، وزاد الحسن البصري: وهي علينا واجب⁽⁵⁾، وقال آخرون نزلت في بني إسرائيل ورضي الله لهذه الأمة، وقال الشعبي: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ هذا في المسلمين، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال: هذا في اليهود ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ في النصارى⁽⁶⁾.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽⁷⁾

وهذا أيضا مما وبّخت به اليهود وقرعوا عليه، فإن عندهم في نص التورية ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ وهم يخالفون حكم ذلك عمداً وعناداً، وقال: هاهنا ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنهم

(1) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الديات، ب: النفس بالنفس [4494] 4/168.

(2) أخرجه النسائي في سننه، ك: القسامة، ب: تأويل قول الله جل ثناؤه ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾، وذكر الاختلاف على عكرمة في ذلك [6908] 6/329.

(3) أخرجه الحاكم في مستدرکه [8094] 4/407.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [15054] 10/355.

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 4/1142.

(6) ينظر: تفسير الماوردي 2/43.

(7) سورة المائدة، الآية (45).

لم ينصفوا المظلوم من الظالم، الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه، فخالفوا وتعدّوا على بعض بعضا، وفي مسند أحمد عن أنس «أن رسول الله ﷺ قرأها ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ بنصب النفس ورفع العين» رواه أبو داود⁽¹⁾ والترمذي وقال حسن غريب⁽²⁾، وقد ذهب كثير من أهل الأصول والفروع إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا حكى مقررًا ولم ينسخ⁽³⁾، كما هو المشهور عن الجمهور، وكما حكاه أبو إسحاق الإسفراييني عن نص الشافعي، وأكثر الأصحاب مستدلين بهذه الآية حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنایات، عند جميع الأئمة، قال الحسن البصري: هي عليهم وعلى الناس عامة وقد حكى النووي في هذه المسألة ثلاثة أوجه، ثالثها: أن شرع إبراهيم حجة دون غيره، وصحح منها عدم الحجة، ونقلها الشيخ أبو إسحاق الإسفراييني قولاً عن الشافعي، ورجح أنه حجة عند الجمهور من أصحابنا، والله أعلم، وحكى ابن صباغ في كتابه الشامل الإجماع على الاحتجاج بهذه الآية⁽⁴⁾ على ما دلت عليه، وقد احتج الأئمة كلهم على أن الرجل يقتل بالمرأة لعموم هذه الآية، وكذا ورد في الحديث الذي رواه النسائي وغيره، «أن رسول الله ﷺ كتب في كتاب عمرو بن حزم، أن الرجل يقتل بالمرأة»⁽⁵⁾، وفي الحديث الآخر «المسلمون تتكافأ دماؤهم»⁽⁶⁾، وهذا قول جمهور العلماء، وعن علي بن أبي طالب «ﷺ أن الرجل لا يقتل بالمرأة، إلا أن يدفع وليها إلى أوليائه نصف الدية»⁽⁷⁾ لأن ديتها على النصف من دية الرجل، وإليه ذهب أحمد في رواية، وعن

(1) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الحروف والقراءات [3977] 32/4، وضعفه الألباني.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، ك: القراءات، ب: في فاتحة الكتاب [2929] 36/5.

(3) ينظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي لعبد العزيز البخاري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1418هـ/3-236.

(4) ينظر: الشامل لابن الصباغ، 7/ لوحة 140.

(5) أخرجه النسائي في سننه، ك: القسامة والقود والديات، ب: ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له [7029] 373/6.

(6) أخرجه ابن ماجة في سننه، ك: الديات، ب: المسلمون تتكافأ دماؤهم [2683] 895/2.

(7) أخرجه ابن جرير في تفسيره [2569] 362/3.

الحسن وغيره: أنه لا يقتل بها بل يجب ديتها⁽¹⁾ وهكذا احتج أبو حنيفة بعموم هذه الآية على أنه يُقتل المسلم بالكافر الذمي، وعلى قتل الحر بال عبد⁽²⁾ وخالفه الجمهور فيهما، بما في الصحيحين عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُقتل مسلم بكافر»⁽³⁾، وأما العبد، فعن السلف في آثار متعددة أنهم لم يكونوا يُقيدون العبد من الحر ولا يقتلون حراً بعبد، وقد حكى الشافعي الإجماع، على خلاف قول الحنفية، ولكن لا يلزم منه بطلان قولهم إلا بدليل مخصص للآية.

وقوله ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ قال ابن عباس: تقتل النفس بالنفس، وتفقد العين بالعين، وتقطع الأنف بالأنف، وتنزع السن بالسن، ويُقتص الجراح بالجراح⁽⁴⁾ فهذا يستوي فيه أحرار المسلمين فيما بينهم، ويستوي فيه العبيد رجالهم ونسأؤهم فيما بينهم، إذا كان عمداً في النفس وما دون النفس.

وقوله ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ قال ابن عباس: أي: فمن عفا عنه وتصدق عليه فهو كفارة للمطلوب وأجر الطالب⁽⁵⁾، وعنه أيضاً فهو كفارة للجراح وأجر المجروح على الله⁽⁶⁾ وقيل: يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به، وعن بعض الصحابة مرفوعاً قال: «هو الذي يُكسر سنه، أو يقطع يده، أو يُقطع الشيء منه، أو يجرح في يده، فيعفو عن ذلك فيحطّ عنه قدر خطاياه، فإن كان ربع الدية فربّع خطاياه، وإن كان الثلث فثلث خطاياه، وإن كانت الدية حطّت عنه خطاياه» كذلك رواه ابن مردويه⁽⁷⁾، وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يُصاب بشيء من جسده، فيتصدق به إلا رفعه

(1) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان 1/372.

(2) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الرقائق لزين الدين بن إبراهيم، دار الكتاب الإسلامي، ط: 2، 8/336.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الجهاد والسير، ب: فكاك الأسير [3047] 4/69.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12072] 10/361.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6447] 4/1145.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [1286] 10/366.

(7) ينظر: تفسير المظهري 3/121.

الله به درجة، أو حط عنه بها خطيئة» رواه أحمد⁽¹⁾ والترمذي⁽²⁾، وعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يجرح في جسده جرحه، فيتصدق بها، إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به» رواه أحمد⁽³⁾ والنسائي⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال طاوس وعطاء: في الآيات الثلاث كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق⁽⁵⁾.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾⁽⁶⁾

أي: اتبعنا على آثارهم يعني: أنبياء بني إسرائيل، ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: مؤمنا بها، حاكما بما فيها، ﴿وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ أي: هدى إلى الحق، ونور يستضاء به في إزالة الشبهات، وحل المشكلات ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: متبعا لها غير مخالف لما فيها، إلا في القليل مما تبين لبني إسرائيل، بعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخباراً عن المسيح، أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾⁽⁷⁾ ولهذا أشتهر أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة، وقوله ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: وجعلنا الإنجيل هدى يهتدي به، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي: زاجرا عن ارتكاب المحارم، والمآثم لمن اتقى الله، وخاف وعيده وعقابه.

(1) أخرجه أحمد في مسنده [27534] 522/45.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الديات عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في العفو [1393] 14/4.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [22701] 375/37.

(4) أخرجه النسائي في سننه، ك: التفسير، ب: قوله تعالى ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴿﴾ [11081] 83/10.

(5) ينظر: تفسير الثوري 1/101.

(6) سورة المائدة، الآيتان (46-47).

(7) سورة آل عمران، آية (50).

وقوله ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْأَنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ قرئ وليحكم بالنصب على أن اللام لا كي، أي: آتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ليحكم أهل ملته به في زمانهم، وقرئ بالجزم، وأن اللام لام الأمر، أي: ليؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة محمد ﷺ والأمر باتباعه وتصديقه، إذا وجد كما قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾⁽¹⁾ الآية، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾⁽²⁾ الآية، ولهذا قال هاهنا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن طاعة ربهم، التاركون للحق، وقد سبق أن هذه الآية نزلت في النصارى، وهو ظاهر من السياق.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُم شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٤٨) وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾^(٤٩) أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾⁽³⁾

لما ذكر الله التورية ومدحها، وأثنى عليها، وأمر باتباعها، وذكر الإنجيل ومدحه، وأمر أهله بإقامته واتباع ما فيه، كما سبق بيانه، شرع تعالى في ذكر القرآن العظيم، الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم، فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق الذي لا ريب فيه، أنه من عند الله ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المتقدمة الناطقة بذكره، ومدحه، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ مكان نزوله، كما أخبرت به، مما زادها

(1) سورة المائدة، آية (68).

(2) سورة الأعراف، آية (157).

(3) سورة المائدة، الآيات (48-50).

صدقا عند حاملها من ذوي البصائر، الذين انقادوا لأمر الله، واتبعوا شرائعه، وصدقوا رسله.

وقوله ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ قال ابن عباس: أي: مؤتمناً وشهيداً عليه⁽¹⁾، والمهيمن: الأمين، والقرآن أمين وشهيد على كل كتاب قبله، فما وافقه منها فحق، وما خالفه منها فهو باطل، قاله: الأكثر، وعنه أيضا: أي حاكما على ما قبله من الكتب، والمعنى: أن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، لأن الله جعل هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب، خاتما وأشملها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، وتكفل حفظه كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽²⁾ وما قاله مجاهد وغيره: في قوله ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ يعني: أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - أمين على القرآن فهو صحيح في نفس الأمر، ولكن في تفسير هذا بهذا وتنزيله عليه من حيث العربية نظر، والصحيح الأول كما قال ابن جرير⁽³⁾.

وقوله ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيهم بما أنزل الله إليك من هذا الكتاب العظيم، وبما قرره لك من حكم كتاب من كان قبلكم من الأنبياء، ولم ينسخه في شرعك، قال ابن عباس: كان النبي - عليه الصلاة والسلام - مخيراً إن شاء حكم، وإن شاء أعرض عنهم، فردهم إلى أحكامهم، فنزلت ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾⁽⁴⁾، فأمر أن يحكم بينهم بما في كتابنا، ولا تتبع آراءهم التي اصطلحوا عليها كما سبق.

وقوله ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء الجهلة الأشقياء.

(1) ينظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب 1/121.

(2) سورة الحجر، آية (9).

(3) ينظر: جامع البيان 10/377.

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6388] 4/1136.

وقوله ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ قال ابن عباس: سبيلا وسنة⁽¹⁾، وعليه الجمهور وهذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله من الشرائع المختلفة، في الأحكام المتفقة في التوحيد، كما في البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد»⁽²⁾ يعني بذلك: التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمّنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽³⁾ وأما الشرائع المختلفة في الأوامر والنواهي، فقد تكون الشيء في هذه الشريعة حراما، ثم يحل في الشريعة الأخرى، وبالعكس، وخفيفا فيزداد بالشدة في هذه دون هذه، وذلك لما له تعالى من الحكمة البالغة، والحجة اللامعة، والسنن أيضا مختلفة، هي في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، و يحرم ما يشاء؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والإخلاص.

وقوله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أي: أنه تعالى شرع هذه الشرائع مختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم، ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته، بما فعلوه وعزموا عليه من ذلك كله، وقوله ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ يعني: من الكتاب، ثم إنه تعالى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات، والمبادرة إليها فقال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ وهي طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله نسخا لما قبله، والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله، ثم قال: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: فيخيركم بما اختلفتم فيه من الحق، فيجزئ الصادقين بصدقهم، ويعذب الجاحدين المكذبين بالحق المعاندين له بكذبهم، ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إليك تأكيد لما تقدم من الأمر والنهي عن خلافه، ثم قال: ﴿وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ أي: احذر أعداءك اليهود أن يُدلسوا عليك الحق، فيما ينهونه إليك من الأمور،

(1) ينظر: تفسير الثوري 103/1.

(2) أخرجه البخاري في تفسيره، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قول الله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرِيَمَ﴾ [3443] 167/4.

(3) سورة الأنبياء، الآية (25).

فلا تغترّ بهم كذبة، كفرّة، خونة، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عما يحكم به بينهم من الحق، وخالفوا شرع الله، ﴿فَاعَلَمْنَا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي: فاعلم أن ذلك كائن عن قدرة الله وحكمته فيهم، أن يصرفهم عن الهدى، لما لهم من الذنوب السالفة، التي اقتضت إضلالهم ونكالمهم ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ أي: أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم، مخالفون للحق ناكبون عنه، وقال ابن عباس: «إن كعب بن أسد وجماعة من اليهود قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلمنا نفتنه عن دينه، فأتوه، فقالوا يا محمد: إنك قد عرفت أنا أحبار اليهود، وأشرافهم وساداتهم، وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله فيهم ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾» الآية رواه ابن جرير (1) وابن أبي حاتم (2).

وقوله ﴿أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أنكر الله على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شيء، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، وكما يحكم به الأتراك المزدكية، وهم التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم شنكيزخان، الذي وضع لهم السياق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيّه شرعا متبعا يقدّمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله، ومن فعل ذلك منهم فهو كافر، يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير.

قال تعالى ﴿أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أي: يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه، لمن عقل عن الله في شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين؟ قال الحسن: ومن حكم بغير حكم الله فحكم

(1) ينظر: جامع 502/8.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6498] 4/1154.

الجاهلية⁽¹⁾ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «أبغض الناس إلى الله مبتغي في الإسلام سنة الجاهلية، وطاب دم امرئ بغير حق ليريق دمه»⁽²⁾ رواه البخاري نحوه بزيادة⁽³⁾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾⁽⁴⁾

نهى الله عباده المؤمنين عن موالاته اليهود والنصارى، فإنهم أعداء الإسلام وأهله، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض في العون والنصرة، ثم تهدد وتوعد من تعاطى ذلك، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾ قال عبد الله بن عتبة⁽¹⁾: «ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً، وهو لا يشعر»⁽²⁾، مريداً لما في هذه الآية من التهديد.

وقوله ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: ريب وشك ونفاق ﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: ينادون إلى ولايتهم ومودّتهم في الباطن والظاهر، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي: أنهم يخشون

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [6504] 4/1155.

(2) ينظر: الدر المنثور 3/98.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الديات، ب: من طلب دم امرئ بغير حق [4882] 6/9.

(4) سورة المائدة الآيات (51-53).

(1) هو: عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، ثقة، من كبار التابعين، مدني، كوفي، وكان على قضاء الكوفة، وكان كاتبه سعيد بن جبير، روى عن: النبي ﷺ والجراح الأشجعي وعمه عبد الله بن مسعود، وروى عنه: ابنه عبيد الله وحמיד بن عبد الرحمن ومحمد بن سيرين وغيرهم، قال محمد بن سعد: كان ثقة، رفيعا، كثير الحديث والفتيا، فقيها، وذكره البخاري في التابعين، توفي سنة 54هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 5/43، أسد الغابة 3/306، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال 15/269.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6511] 4/1155.

أن يقع أمر من ظفر الكفار بالمسلمين، فيكون لهم أياد عند اليهود والنصارى، فتتفهم ذلك حينئذ، قال تعالى ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ﴾ قال السدي: يعني: فتح مكة⁽¹⁾ وقال غيره: يعني القضاء أو الفصل⁽²⁾، أو ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ أي عني: ضرب الجزية عليهم ﴿فَيُضِصِحُّوهُ﴾ يعني: الذين والوهم من المنافقين ﴿عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الموالاة ﴿تَدْمِينٍ﴾ أي: على ما كان منهم مما لم يغن عنهم شيئاً، ولا دفع عنهم محذورا، بل كان عين المفسدة، فإنهم فضحوا وهتك الله سترهم، فبين أمرهم لعباده المؤمنين، فتعجبوا منهم، كيف كانوا يظهرون الإسلام ويحلفون على ذلك؟! فبان كذبهم ونفاقهم، ولهذا قال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْلُؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ قرأ أهل الكوفة: ويقول بالواو والرفع على الاستئناف، وأهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفاً على أن يأتي، أي: عسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ الآخرون بجذف الواو ورفع اللام، وهكذا في مصاحف أهل المدينة، وقال مجاهد: أي: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾، وحينئذ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾⁽³⁾ الآية، واختلفوا في سبب نزولها، وإن كان حكمها عاما لجميع المؤمنين، قال السدي: نزلت في رجلين، قال أحدهما لصاحبه بعد وقعة أحد: أما أنا فإني ذاهب إلى ذلك اليهودي، فأواليه وأتهدد معه لعله ينفعني، إذا وقع أمر أو حدث حادث، وقال الآخر: أما أنا فذاهب إلى فلان النصراني بالشام، وأواليه وأتنصر معه، فأنزل الله هذه الآيات⁽¹⁾، وقيل: نزلت في عبد الله ابن أبي سلول حين جاء عبادة بن الصامت الخزرجي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: «إن لي موالى من يهود كثيرة عددهم، شديدة شوكتهم، فإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود، وأتولى الله ورسوله، وقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالى فقال رسول الله ﷺ لعبد الله ابن

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12173] 405/10.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6525] 1158/4.

(3) ينظر: تفسير مجاهد 310/1.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6507] 1156/4.

أبي يا أبا الخباب، ما نحللت به على ولاية يهود من عبادة بن الصامت فهو لك دونه، قال:
قد قبلت. فأنزل الله هذه الآيات» رواه ابن جرير⁽¹⁾.

وقوله ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ أي: حلفوا بأغلظ الأيمان، أنهم مؤمنون يعني: أنهم يتعجبون حينئذ
كذبهم وحلفهم بالباطل، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ أي: بطل كل خير عملوه، ﴿فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾
خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعقاب وفوت الثواب.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ وَ
أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾⁽²⁾

أخبر تعالى عن قدرته العظيمة، أنه من تولى عن نصره دينه، وإقامة شريعته، فإن الله يستدل
به من هو خير لها منهم، أشد منعة، وأقوم سبيلا، كما قال تعالى ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾⁽³⁾.

فقوله ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ أي: يرجع عن الحق إلى الباطل، قال محمد بن كعب:
نزلت في الولاية من قريش⁽¹⁾، وقال الحسن: نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي
اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه⁽²⁾ وقيل: هم أهل

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12156] 396/10.

(2) سورة المائدة، الآيات (54-56).

(3) سورة محمد، آية (38).

(1) أخرجه ابن وهب في تفسيره [139] 62/1.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12181] 410/10.

القادسية⁽¹⁾ ، وقال مجاهد: قوم من سبأ⁽²⁾ ، وعن ابن عباس «هم ناس من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السُّكُون، ثم من تجيب» ورواه جابر⁽³⁾ .

وقوله ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذه صفات المؤمنين الكُمَّل، أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليّه متعززا على خصمه وعدوه، كما جاء في وصفه النبي ﷺ «أنا لضحوك القتال»⁽⁴⁾ ، أي: ضحوك لأوليائه، وقتال لأعدائه.

وقوله ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ أي: لا يرُدُّهم عمّا هم فيه من طاعة الله، وقتال أعدائه، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رادّ، ولا يصدّهم عنه صادّ، ولا تؤثر فيهم لومة لائم، ولا عذل عاذل. وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»⁽⁵⁾ ، وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «ألا لا يمنعن أحدكم رهبة للناس، أن يقول بحق إذا رآه، أو شهده، فإنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق، أن يقول بحق أو أن يذكر بعظيم» رواه أحمد⁽⁶⁾ .

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ أي: من اتصف بهذه الصفات، فإنما هو من فضل الله عليه، وتوفيقه له ﴿وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ﴾ لمن يستحق ذلك ممن يجرمه إياه.

وقوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ أي: ليس اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين، وقوله ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من إقامة الصلاة التي أكبر أركان الإسلام، وإيتاء الزكاة التي هي حق للمخلوقين ومساعدة

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6539] 4/ 1161.

(2) ينظر: المصدر السابق [6540] 4/ 1161.

(3) ينظر: المصدر السابق [6534] 4/ 1160.

(4) ينظر: مجموع الفتاوى لتقي الدين الحاراني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة، 1416 هـ .257 / 28

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأحكام، ب: كيف يبائع الإمام الناس [7199] 9/ 77.

(6) أخرجه أحمد في مسنده [11474] 18/ 54.

المحتاجين، وأما قوله ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ قد يتوهم بعضهم أن هذه الجملة في موضع الحال، من قوله ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: في حال ركوعهم، ولو كان كذلك لكان رفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره، لأنه ممدوح وليس كذلك عند أحد من العلماء، وأئمة الفتوى، حتى أنهم ذكروا أثراً عن علي بن أبي طالب أن هذه الآية نزلت فيه، وذلك أنه مر به سائل في حال ركوعه، فأعطاه خاتمه ولا يصح في ذلك حديث، وإن روي بطرق وروايات فإن كلها متروكة مطعون، ولا يحتج بذلك وقد تقدم أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت حين تبرأ من جلف اليهود ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إلى آخره، أي: يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين، فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو منصور في الدنيا والآخرة.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾⁽¹⁾

وهذا تنفير من موالاته أعداء الإسلام وأهله، من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون شرائع الإسلام المطهرة هُزُوءًا، يستهزؤون بها لعباً، يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد. وكم من عائب معنى صحيحاً * وآفته من الطبع السقيم.

وقوله ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من هاهنا، لبيان الجنس كقوله ﴿فَأَجْتَبِئُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾⁽¹⁾ وقرأ بعضهم: الكفار بالخفض عطفاً⁽²⁾، وقرأ آخرون: بالنصب على أنه معمول⁽³⁾، ولا يتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء، والمراد بالكفار هاهنا: المشركون.

(1) سورة المائدة، الآيتان (57-58).

(1) سورة الحج، آية (30).

(2) ينظر: كتاب السبعة في القراءات 1/245.

(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع 1/132.

وقوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: اتقوا الله، ولا تتخذوا هؤلاء الأعداء أولياء، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بشرع الله الذي اتخذ هؤلاء هزوا ولعبا.

وقوله ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: كذلك إذا ناديتم داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال ﴿اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ شأن عبادة الله وشرائعه، وهذه صفات أتباع الشيطان كما في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضرار، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء، أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، وتقول أذكر كذا أذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى»⁽¹⁾، وعن السدي قال: «كان رجل من النصارى بالمدينة، إذا سمع المنادي أشهد أن محمداً رسول الله قال: حرّق الكاذب، ودخلت خادمه ليلة من الليالي بنار، وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فاحترقت البنت واحترق هو وأهله» رواه ابن جرير⁽²⁾ وابن أبي حاتم⁽³⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأذان، ب: فضل التأذين [608] 125/1، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الصلاة، ب: فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه [389] 291/1.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12218] 432/10.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6557] 1164/4.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٦٥) قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٦﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا ﴿٦٧﴾ وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٨﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٩﴾ (1)

أي: قل يا محمد: للذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من أهل الكتاب، ﴿هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا﴾ أي: هل تكرهون منا، يعني: هل لكم علينا مطعن أو عيب ﴿إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ وهذا ليس بعيب ولا مذمة، فيكون الاستثناء منقطعاً كما في قوله ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (2) وقوله ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ وما عطف عليه، أي: وآمنا بأن أكثركم فاسقون أي: خارجون عن الطريق المستقيم.

ثم قال ﴿هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ﴾ أي: هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونونه بنا، وهم أتم الذين متصفون بهذه الصفات، المفسرة بقوله ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي: أبعدته من رحمته ﴿وَعَظِبَ عَلَيْهِ﴾ أي: غضبا لا يرضى بعده أبداً، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ﴾ كما تقدم بيانه في سورة البقرة، ويجيء أيضاً في سورة الأعراف، وعن ابن مسعود قال: «سئل رسول الله ﷺ عن القردة والحنازير، أهى ما مسخ الله؟ فقال: إن الله لم يهلك قوماً، فيجعل لهم نسلاً، ولا عاقبة، وإن القردة والحنازير كانت قبل ذلك» رواه مسلم (3).

وقوله ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ قرئ بصيغة الماضي، والطاغوت منصوب به، أي: وجعل منهم من عبد الطاغوت، وقرئ وعبد الطاغوت بالإضافة، على أن المعنى وجعل منهم خدام

(1) سورة المائدة، الآيات (59-63).

(2) سورة البروج، آية (8).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: القدر، ب: بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق القدر

الطاغوت، أي: خدامه وعبيده⁽¹⁾، وقرئ وعُبدَ الطاغوت على أنه جمع الجمع عُبدٌ وعبيد وعُبد، مثل ثمار وثمر، وقرأ بريدة: وعابدِ الطاغوت⁽²⁾، وقرأ أبي وابن مسعود: وعبدوا⁽³⁾ ومعنى هذه القراءات ترجع: إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا، الذي هو: توحيدُه وإفراده بالعبادة. كيف يصدر منكم هذا، وقد وجد فيكم جميع ما ذكر؟! ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ أي: مما تظنون بنا، ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وهذا من باب استعمال أفعال التفضيل، فيما ليس من الطرف الآخر مشاركة كما سبق.

وقوله ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ وهذه صفة المنافقين منهم، أنهم يظاهرون المؤمنين في الظاهر، وقلوبهم منطوية على الكفر، ولهذا قال: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا﴾ أي: إلى مجلسكم يا محمد بِالْكَفْرِ أي: مستصحين الكفر في قلوبهم، ثم خرجوا وهو كامن فيها، لم ينتفعوا بما سمعوا منك، ولا أثرت فيهم المواعظ ولا الزواجر، ولهذا قال: ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ فخصَّهم به دون غيرهم.

وقوله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ أي: والله عالم بسرئهم وما ينطوي عليه فيما بينهم، وإن أظهروا لخلقه خلاف ذلك، وتزيَّنوا بما ليس فيهم، فإن الله عالم الغيب والشهادة، أعلم بهم منهم، وسيجزئهم على ذلك أتم الجزاء.

وقوله ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾ أي: يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم، والاعتداء على الناس، وأكل أموالهم بالباطل ﴿لَيْئَسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لبئس العمل كان عملهم، وبئس الاعتماد اعتمادهم، والسحت هو: الرشى.

وقوله ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾ يعني: هلا كان ينهاهم عن تعاطي ذلك علماءهم العمَّال، أرباب الولايات عليهم ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ وهم العلماء فقط، ﴿لَيْئَسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني: الربانيين بأنهم بئس ما كانوا يصنعون، أي: في تركهم ذلك⁽⁴⁾، وقال عبد

(1) ينظر: العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر إسماعيل السرقسطي، عالم الكتب - بيروت، 1405هـ - 88/1.

(2) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 85/4.

(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن 8/544.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12239] 10/449.

الرحمن بن زيد⁽¹⁾: قال لهؤلاء حين لم ينهوا، ولهؤلاء حين عملوا وذلك الأركان، ويعملون ويصنعون واحد⁽²⁾، وقال ابن عباس: ما في القرآن أشد توبيخاً من هذه الآية ﴿لَوْلَا يَنْهَهُمُ الرَّبَّيْنِيُّونَ﴾ الآية⁽³⁾، وعن يحيى بن يعمر⁽⁴⁾ قال: خطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس: إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلماً تمادوا فيها، أخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم، مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا، ولا يقرب أجلا⁽⁵⁾.

وعن جرير⁽⁶⁾ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل، هم أعز منهم وأمنع، لم يغيروا إلا أصابهم الله منه بعذاب» رواه أحمد⁽⁷⁾، وأبو داود وفي روايته «قبل أن يموتوا»⁽⁸⁾.

(1) سبق ترجمته.

(2) ينظر: جامع البيان 549/8.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12239] 449/10.

(4) هو: يحيى بن يعمر الليثي البصري، أبو سليمان، الفقيه، العلامة، المقرئ، قاضي مرو، كان من أوعية العلم وحملة الحجة، روى عن: أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وأبي هريرة وغيرهم، وروى عنه: عبد الله بن بريدة وقتادة وعطاء الخرساني وغيرهم، قال الحاكم: يحيى بن يعمر فقيه، أديب، نحوي، مروزي، تابعي، وأكثر رواياته عن التابعين، توفي سنة 129هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 260/7، التاريخ الكبير للبخاري 312/8، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لعبد الرحمن بن محمد الأنباري، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن 24/1.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6571] 1166/4.

(6) سبق ترجمته.

(7) أخرجه أحمد في مسنده [19216] 548/31.

(8) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الملاحم، ب: الأمر والنهي [4339] 122/4.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ التَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ (1)

أخبر الله عن اليهود -عليهم اللعنة - وصفوا الله تعالى عن قولهم بأنه بخيل، كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء، وعبروا عن البخل بقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أي: بخيلة لا أن يده موثقة، قاله: ابن عباس (2)، وقال عكرمة: أنها نزلت في فنحاص اليهودي لعنه الله (3)، وقد تقدم أنه الذي قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (4) فضربه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال ابن عباس: قال رجل من اليهود يقال له الشاس بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله هذه الآية (5) ورد ما قالوه وقابلهم فيما افتروه واتفكوه، فقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ هكذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة ما لا يوصف.

ثم قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي: بل هو: الواسع الفضل الجزيل العطاء، الذي ما من شيء إلا وعنده خزائنه، وهو الذي خلق لنا كل شيء، مما نحتاج إليه في ليلتنا ونهارنا، في جميع أحوالنا، كما قال: ﴿وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (6) الآية.

(1) سورة المائدة، الآيات (64-66).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6575] 4 / 1167.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12247] 10 / 453.

(4) سورة آل عمران، الآية (181).

(5) الدر المنثور 3 / 112.

(6) سورة إبراهيم، الآية (34).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة سحاً الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق مُدْ خلق السموت والأرض، فإنه لم يغيض ما في يمينه، قال: وعرشه على الماء وفي يده الأخرى الفيض، يرفع ويخفض»⁽¹⁾.

وقوله ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: تكون يا محمد ما آتاك الله من النعمة نعمة، في حق أعدائك من اليهود وأشباههم، فكما يزداد به المؤمنون تصديقاً وعملاً صالحاً، يزداد الكفرة الجاحدون لك ﴿ظُعِينًا﴾، وهو: المبالغة والمجازة للحد في الأشياء ﴿وَكُفْرًا﴾ أي: تكديباً.

وقوله ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أي: أنه لا تجتمع قلوبهم بل العداوة واقعة في فراقهم بعضهم في بعض دائماً، لأنهم لا يجتمعون على حق، وقد خالفوك وكذبوك، وقال إبراهيم النخعي: يعني: الخصومات والجدال في الدين.

وقوله ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا﴾ أي: كلما عقدوا أسباباً يكيدونك بها، وكلما أبرموا أمراً يجاربونك بها، يُبطلها الله ويرد كيدهم عليهم، ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: من سجيبتهم أنهم يسعون في الإفساد في الأرض ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ من هذه صفته، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ أي: لو أنهم آمنوا بالله وبرسوله، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ما كانوا يتعاطونه من المحارم، والمآثم ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: لأزلنا عنهم المحذور، ولحصلنا لهم المقصود.

وقوله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ﴾ قال ابن عباس وغيره: يعني: القرآن⁽²⁾ أي: لو أنهم عملوا بما في كتبهم كما هو حقه من غير تحريف، ولا تبديل، لقادهم ذلك إلى اتباع الحق، والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمداً ﷺ فإن كتبهم ناطقة بتصديقه، والأمر باتباعه حتماً لا محالة.

وقوله ﴿لَأَكْلُوا مِن فَوْقِهِمْ﴾ يعني بذلك: كثرة الرزق النازل عليهم من السماء، والنابت لهم من الأرض، وهذا معنى ما قاله ابن عباس يعني: لأرسل السماء عليهم مدراراً، ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ يعني: تخرج الأرض بركاتها، كما قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا﴾

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التوحيد، ب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [7419]
124/9، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الزكاة، ب: الحث على النفقة وتبشير بالمنفق بالخلف [993] 2/691.

(2) ينظر: تفسير الماوردي 2/52.

وَأَتَقَوْا⁽¹⁾ الآية وقيل معناها: لأكلوا أرزاقهم من غير كد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء، وعن زياد بن لييد⁽²⁾ قال: «ذكر النبي ﷺ شيئاً فقال: وذاك عند ذهاب العلم، قال يا رسول الله: وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، ويقرؤه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: ثكلتك أمك يا بن أم لييد، إن كنت لأراك من أفاقه رجل بالمدينة، أليس هذه يقرؤون التوراة والإنجيل، لا يتتبعون مما فيه بشيء» رواه أحمد⁽³⁾ وابن ماجه⁽⁴⁾.

وقوله ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ هذا كقوله ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾⁽⁵⁾ فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد، وهي أوسط مقامات هذه الأمة، والمراد: مؤمنوا أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأمثاله، ﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ أي: عادلة غير غالية، ولا مقصرة وجافية، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ يعني: كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بسئ شيئاً عملوه من العناد والتكذيب.

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾⁽⁶⁾

خاطب الله رسوله - عليه الصلاة والسلام - باسم الرسالة، أمراً له بالإبلاغ لجميع ما أرسله به، وقد امثل ذلك، وقام به أتم القيام، كما قالت عائشة لمسروق: «ومن حدثك أن محمداً قد كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب، وهو يقول: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ

(1) سورة الأعراف، الآية (97).

(2) هو: زياد بن لييد بن ثعلبة بن سنان بن عامر الأنصاري، أبو عبد الله الخزرجي البياضي، شهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستعمله على حضر موت، روى عن: النبي ﷺ، وروى عنه: سالم بن أبي الجعد وعوف بن مالك الأشجعي وأبو الدرداء، توفي سنة 41هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 3/598، والإستيعاب في معرفة الأصحاب 2/533، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال 9/506.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [17919] 29/442.

(4) أخرجه ابن ماجه في تفسيره، ك: الفتن، ب: ذهاب القرآن والعلم [4048] 2/1344.

(5) سورة الأعراف، الآية (159).

(6) سورة المائدة، الآية (67).

مِنْ رَبِّكَ ﴿١﴾ هكذا في الصحيحين ⁽¹⁾ ، وفيهما أيضا: عنها أنها قالت: «لو كان محمداً ﷺ كاتماً شيئاً من القرآن، كتم هذه الآية، ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ ⁽²⁾ » ⁽³⁾ ، وعن أبي جحيفة ⁽⁴⁾ قال: «قلت لعلي بن أبي طالب ﷺ هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ قال: لا. والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر» رواه البخاري ⁽⁵⁾ ، قال الزهري ⁽⁶⁾ : من الله تعالى الرسالة، وعلى رسوله الإبلاغ، وعلينا التسليم، وقد شهدت له الأمة بإبلاغ الرسالة، وأداء الأمانة، كما هو مبين في خطبة يوم حجة الوداع، ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ يعني: فإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلت به ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ أي: وقد علم ما ترتب على ذلك لو وقع، وقال ابن عباس: يعني: إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك، لم تبلغ رسالته ⁽¹⁾ .

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: قوله ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [4612] 52/6. وأخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، ب: معنى قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء [177] 159/1 .
(2) سورة الأحزاب، الآية (37).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التوحيد، ب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [7420] 124/9 .

(4) هو: وهب بن عبد الله بن مسلم بن جنادة السوائي الكوفي، يقال له: وهب الخير، أبو جحيفة، من صغار الصحابة، روى عن النبي ﷺ وعن علي و البراء، روى عنه: علي بن الأقرم والحكم بن عتبة وسلمة بن كهيل وغيرهم، قدم على النبي ﷺ في أواخر عمره وحفظ عنه، ثم صحب علياً بعده، وولاه على شرطة الكوفة لما ولي الخلافة، وهو آخر من مات من الصحابة في الكوفة، توفي سنة 74هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء 4/302 و الإصابة 6/490، الأعلام 8/125 .
(5) سبق تخريجه.

(6) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري، أبو بكر المدني، أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام، ولد في السنة التي ماتت فيها السيدة عائشة زوج النبي ﷺ، نشأ فقيراً فأكب على العلم، ولازم بعض صغار الصحابة وعلماء التابعين، روى عن: مالك بن أوس وأنس بن مالك وثابت بن قيس وغيرهم وروى عنه: أبان بن صالح وإسماعيل بن أمية وبكر بن وائل وغيرهم، توفي سنة 124هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 1/157، وسير أعلام النبلاء 5/326، وتهذيب التهذيب 9/445 .

(1) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية 3/1805 .

وقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أي: بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد إليك منهم بسوء يؤذيك، وقد كان النبي ﷺ قبل نزول هذه الآية يحرس نفسه، كما في الصحيحين عن عائشة قالت: «أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة، وهي إلى جنبه قالت: قلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، فبينما أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح، فقال: من هذا؟ قال: أنا سعد بن مالك، فقال: ما جاء بك؟ قال: جئت لأحرسك يا رسول الله، قال: فسمعت غطيظ رسول الله ﷺ في نومه، وكان ذلك في سنة اثنتين من الهجرة، بعد دخوله بعائشة»⁽¹⁾، وعنهما أيضاً قالت: «كان النبي ﷺ يحرس، حتى نزلت هذه الآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ قالت: فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة، فقال: يا أيها الناس انصرفوا، فقد عصمني الله» رواه الترمذي⁽²⁾، ومن عصمة الله تعالى له - عليه الصلاة والسلام - حفظه من كفار مكة، وصناديدها، وحسادها، ومُعانديها مع شدة العداوة وقصدهم إهلاكه فصانه في ابتداء الإسلام بعمه أبي طالب، إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية له لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر، هابوه واحترموه، فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيراً، ثم قيض الله الأنصار، فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحول إلى دارهم، وهي المدينة فلما صار إليها حموه من الأحمر والأسود، فكلما هم أحد من المشركين، وأهل الكتاب، كاده الله ورد كيده عليه.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: بلغ أنت، والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، كما قال: ﴿فَاتِمَّا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾⁽¹⁾.

(1) سبق تخريجه.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة المائدة [3046] 5/101.

(1) سورة الرعد، الآية (40).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٩﴾﴾ (1)

أي: قل يا محمد ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من الدين ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ﴾ أي: حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة على الأنبياء، ويعملوا بما فيها، ومنه الأمر باتباع محمد ﷺ والإيمان ببعثته، والافتداء بشريعته، ولهذا قال مجاهد: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن العظيم (2).

وقوله ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ سبق تفسيره قريبا، ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: فلا تحزن عليهم، ولا يهمنك ذلك منهم، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهم: المسلمون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ وهم: حملة التوراة ﴿وَالصَّالِحُونَ﴾ وهم: طائفة من النصارى، والمجوس ليس لهم دين، أو من اليهود والمجوس، قاله: مجاهد (3)، وقال قتادة: هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى غير القبلة، ويقرؤون الزبور (4)، وقال وهب (5): هم قوم يعرفون الله وحده، وليس لهم شريعة يعملون بها، ولم يحدثوا كفرا (6)، وقال أبو الزناد (7): هم قوم مما يلي العراق، وهم بكونا وهم يؤمنون بالنبئين كلهم، ويصومون كل سنة ثلاثين يوما، ويصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات (8)، وقيل غير ذلك، وأما

(1) سورة المائدة، الآيتان (68-69).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6621] 4/1175.

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [59] 1/272.

(4) ينظر: تفسير يحيى بن سلام 1/143.

(5) سبق ترجمته.

(6) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 12/344.

(7) هو: عبد الله بن ذكوان، أبو عبد الرحمن القرشي، ويلقب بأبي الزناد، الإمام، الفقيه، الحافظ، المفتي، المدني، وثقه أحمد وابن معين، قال حرب بن إسماعيل عن أحمد بن حنبل، قال: كان سفيان يسمي أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث، وقال العجلي: تابعي ثقة، سمع من أنس، توفي سنة 182هـ، ينظر: تاريخ الثقات للعجلي 1/254، وسير أعلام النبلاء 6/161، وشذرات الذهب 1/176.

(8) أخرجه ابن وهب في تفسيره [141] 1/63.

النصارى: فهم حملة الإنجيل، والمقصود: أن كل فرقة آمنت بالله واليوم الآخر والمعاد ويوم الجزاء، وعملت عملاً صالحاً، ولا يكون ذلك كذلك، حتى يكون موافقاً للشريعة المحمدية، بعد إرساله إلى جميع الثقليين، فمن اتصف بذلك فلا خوف عليهم فيما يستقبلون، ولا على ما تركوا وراء ظهورهم يجزون، وسبق الكلام على نظيرها في سورة البقرة.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلِّمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾⁽¹⁾

ذكر الله تعالى أنه أخذ العهود والمواثيق على بني إسرائيل، على السمع والطاعة لله ولرسوله، فنقضوا تلك العهود والمواثيق، واتبعوا آراءهم وأهواءهم، وقدموها على الشرائع فما وافقهم منها قبلوه، وما خالفهم ردّوه، ولهذا قال: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ وَحَسِبُوا﴾ أي: ظنوا أن لا يترتب لهم شر على ما صنعوا، فترتب وهو أنهم عموا عن الحق، ﴿وَصَمُوا﴾ يعني: بعد موسى - عليه السلام - فلا يسمعون خيراً ولا يهتدون إليه ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: مما كانوا فيه ﴿ثُمَّ عَمُوا﴾ أي: بعد ذلك ﴿وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ أي: بالكفر لمحمد ﷺ ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ أي: مطلع عليهم وعليم بمن يستحق الهداية، وبمن يستحق الغواية.

(1) سورة المائدة، الآيات (70-71).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ ۖ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (1)

قال تعالى حاكماً بتكفير فرق النصارى من الملكنية (2) ، واليعقوبية (3) ، والنسطورية (4) ، ممن قال منهم: بأن المسيح هو الله!!، تعالى عن قولهم، وتنزهه وتقديسه علواً كبيراً، هذا وقد أقر لديهم المسيح، أنه عبد الله ورسوله، وكان أول كلمة نطق وهو صغير في المهدي، أن قال: إني عبد الله ولم يقل: أنا الله، ولا ابن الله، بل قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (5) إلى أن قال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (6) ، وكذلك قال في حال نبوته، آمراً لهم بعبادة الله ربه، وربهم وحده لا شريك له، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ ۖ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ أي: فقد أوجب له النار وحرّم عليه الجنة، كما في غيرها من

(1) سورة المائدة، الآيات (72-75).

(2) وهي: من فرق النصارى، وتسمى الملكانية "نسبة إلى الملك الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها. ينظر: الملل والنحل ص 244.

(3) وهي: أيضاً من فرق النصارى، وسميت كذلك نسبة إلى نسطور الذي كان بطريك القسطنطينية عام 431، يقال له: "نسطور الحكيم". ينظر: المصدر السابق ص 246.

(4) وهي كذلك من فرق النصارى، سميت بهذا الاسم نسبة إلى يعقوب البراذعي، أسقف أنطاكية في القرن السادس للميلاد، ونسبوا إليه لأنه كان من أنشط الدعاة إلى المذهب. ينظر: المصدر السابق ص 247.

(5) سورة مريم، الآية (30).

(6) سورة مريم، الآية (36).

الآيات، وفي الصحيح «أن رسول الله ﷺ بعث مناديا ينادي في الناس، أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة»⁽¹⁾، وفي لفظ «مؤمنة»⁽²⁾، وقد سبق في أول سورة البقرة تفسير نظيره.

وقوله ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ الصحيح: أن هذا قول النصارى خاصة، قاله: الأكثر، ثم اختلفوا في ذلك، ف قيل المراد بذلك: أكفاركم في قولهم بالآقانيم الثلاثة، وهو أقنوم الآب، وأقنوم الإبن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الآب إلى الإبن، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، وقال السدي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار كما في آخر السورة ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴿3﴾ الآية، وهذا القول هو الأظهر، قال الله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أي: ليس متعددا بل هو وحده لا شريك له، إله جميع الكائنات، وسائر الموجودات.

ثم قال تعالى متوعدا لهم ومتهددا ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: من هذا الافتراء والبهتان ﴿لَيَمَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الآخرة من الأغلال والنكال، ثم قال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ إلى آخره، وهذا من كرمه وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم، حيث يدعوهم إلى التوبة، فمن تاب إليه تاب عليه.

ثم قال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أي: لا مزية له على سائر المرسلين المتقدمين، فإنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام، كما قال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾⁽⁴⁾.

وقوله ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أي: مؤمنة⁽⁵⁾ مصدقة له، وهذا على مقاماتها، فدلّت على أنها ليست بنبية، كما زعم ابن حزم وغيره، فمن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق، و نبوة أم

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة [111] 105/1.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة التوبة [3092] 127/5.

(3) سورة المائدة، الآية (116).

(4) سورة الزخرف، الآية (56).

(5) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 629/2.

موسى، ونبوة مريم أم عيسى استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم، ويقوله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾⁽¹⁾ قالوا: وهذا معنى النبوة، والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾⁽²⁾، وحكى الشيخ أبو حسن الأشعري الإجماع على ذلك.

وقوله ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ أي: محتاجان إلى التغذية، وإلى خروجه منها، فهما عبدان كسائر الناس، وليسا يلهين كما زعمته فرق النصارى الجهلة - عليهم اللعنة -.

قال تعالى ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ أي: نظرها، ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ أُنَىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء، أين يذهبون؟ وبأي قول يتمسكون؟ وكيف ينصرفون عن الحق؟!.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٧٦)
 قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ
 وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٧٧)⁽³⁾

لقد أنكر الله على من عبد غيره من الأصنام والأنداد والأوثان، وبيّن أنها لا تستحق شيئاً من الإلهية، فقال: ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: لا يقدر على إيصال ضرر إليكم، ولا إيجاد نفع ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: فلم عدلتهم عن أفراد السميع لأقوال عباده، العليم بكل شيء، إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً، ولا يملك ضراً ولا نفعاً لغيره، ولا لنفسه، ثم قال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطرّوا من أمركم بتعظيمه فتبالغوا فيه، حتى تخرجوه من خبر النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه لها من دون الله، وما ذاك إلا لافتدائكم

(1) سورة القصص، الآية (7).

(2) سورة يوسف، الآية (109).

(3) سورة المائدة، الآيات (76-77).

بشيوخ الضلالة، الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً، ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(١)
 أي: وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال، والأهواء: جمع
 هوى، وهو ما يدعو إليه شهوة النفس.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
 وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا
 مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي
 الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ
 وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾^(١)

أخبر الله أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل، من دهر طويل، فيما أنزله على نبيه داود -
 عليه السلام - وعلى لسان عيسى بن مريم، عصيانهم لله، وعلى اعتدائهم على خلقه، قال
 ابن عباس: لعنوا في الكتب الثلاثة، وفي القرآن^(٢)، ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه على
 زمانهم فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ﴾ أي: كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب
 المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك، ليحذر أن يركب مثل ما ارتكبه، فقال: ﴿لَبِئْسَ مَا
 كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

في مسند أحمد^(٣) عن عبد الله بن مسعود قال: «قال رسول الله ﷺ لما وقعت بنوا إسرائيل
 في المعاصي نهتهم علماءهم، فلم ينتهوا فجالسهم في مجالسهم، وأسواقهم وواكلوهم
 وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم
 ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾»، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فقال: لا والذي

(1) سورة المائدة، الآيات (78-81).

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12302] 489/10.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [3713] 250/6.

نفسى بيده حتى تأطروهم عن الحق أطرا» رواه الترمذي⁽¹⁾ وابن ماجة⁽²⁾ وأبو داود نحوه وزاد «ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو تقصرنه عن الحق قصراً»⁽³⁾.

وعن حذيفة بن اليمان⁽⁴⁾ أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعئنه فلا يستجيب لكم» رواه الترمذي⁽⁵⁾، وعن عدي بن عميرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة» رواه أحمد⁽⁶⁾.

وقوله ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: المنافقين، وقوله ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني بذلك: موالاتهم للكافرين، وتركهم موالاتة المؤمنين، التي أعقبتهم نفاقاً في قلوبهم، وأسخطت الله عليهم، سخطاً مستمراً إلى يوم معادهم؛ ولهذا قال: ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ثم أخبر عنهم أنهم في العذاب خالدون إلى يوم القيامة.

(1) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة المائدة [3047] 102/5، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(2) أخرجه ابن ماجة في سننه، ك: الفتن، ب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [4006] 1327/2.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الملاحم، ب: الأمر والنهي [4336] 121/4.

(4) هو: حذيفة بن حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة العبسي، أبو عبد الله اليماني، سماه قومه اليمان؛ لأنه حالف اليمانية، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين، ومن كبار الصحابة، شهد أحداً والخندق وله بها ذكر حسن وما بعدها، وشهد فتوح العراق وله بها آثاراً، روى عن: النبي ﷺ وعن عمر، وروى عنه: جابر وجندب وعبد الله ابن يزيد وغيرهم، قال العجلي: استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتى مات، بعد قتل عثمان وبعد بيعة علي بأربعين يوماً، وعن حذيفة خيرني رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة فاخترت النصر، توفي سنة 36هـ، ينظر: أسد الغابة 1/706، الإصابة 2/39، تهذيب التهذيب 2/219.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الفتن عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [2169] 468/4، وحسنه الألباني.

(6) أخرجه أحمد في مسنده [17720] 258/29.

ثم قال تعالى ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي: لو آمنوا حق الإيمان بالله والرسول والقرآن، لما ارتكبوا ما ارتكبه من موالاته الكافرين في الباطن، ومعاداة المؤمنين بالله والنبى، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ أي: خارجون عن طاعة الله ورسوله، مخالفون عن آيات وحيه وتنزيله.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦) (1)

قال ابن عباس: نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن: بكوا حتى أخضلوا (2) لحاهم (3)، وفيه نظر، لأن هذه الآية مدنية وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة، وقال سعيد بن جبير وغير واحد: نزلت في وفد بعثهم النجاشي إلى النبي ﷺ ليسمعوا كلامه، ويروا صفاته، فلما قرأ عليهم النبي ﷺ القرآن أسلموا، وبكوا وخشعوا، ورجعوا إلى النجاشي فأخبروه (4)، قيل: كانوا اثني عشر رجلا، سبعة قساوسة وخمسة رهابين، وقيل: بالعكس، وقيل: أكثر من ذلك، والله أعلم.

فقوله ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ وما ذاك إلا لأن كفر اليهود عناد وجحود ومباهة للحق وعمط للناس، وتنقص بحملة العلم، ولهذا قتلوا كثيرا

(1) سورة المائدة، الآيات (82-86).

(2) أي: بلوها بالدموع. ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة 1/306.

(3) ينظر: صفوة التفاسير 1/334.

(4) ينظر: جامع البيان 8/594.

من الأنبياء، حتى همُّوا بقتل نبينا ﷺ غير مرة، وسحروه، وأكَّبوا عليه أشباههم من المشركين - لعنهم الله - .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما خلا يهودي بمسلم قط إلا هم بقتله» رواه ابن مردويه⁽¹⁾ .

وقوله ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ﴾ أي: الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع عيسى المسيح، وعلى منهاج إنجيله، فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة. وذلك لما في قلوبهم من الرقة والرفقة، كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾⁽²⁾ وفي كتابهم: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر⁽³⁾ ، وليس القتال مشروعة في دينهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا﴾ الآية أي: وجد فيهم القسيسون وهم خطباؤهم وعلمائهم، واحدهم قسيس، وقسّ أيضا⁽⁴⁾ ، وقد يجمع على قسوس، والرهبان: جمع راهب، وهو العابد مشتق من الرهبة، وهو الخوف كراكب وركبان، قال ابن جرير: وقد يكون الرهبان واحداً وجمعه راهبين، مثل قربان وقرايين⁽⁵⁾ ، وقد يجمع على رهابنة، ومن الدليل على أنه واحد قول الشاعر⁽⁶⁾ :

لو عاينت رهبانا دير من القلل * لانحدر الرهبان يمشي ونزل⁽⁷⁾ .

قال سلمان: وسئل عن قوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا﴾ قال: قرأت على النبي ﷺ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ﴾ فأقرأني ذلك، بأن منهم صديقين ورهبانا، وأنهم لا يستكبرون⁽¹⁾ ،

(1) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، ك: أهل الكتابين، ب: القبط [19376] 362/10.

(2) سورة الحديد، الآية (27).

(3) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت 2/1190.

(4) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس 371/16.

(5) ينظر: جامع البيان 502/10.

(6) لم أجده فيما بحثت.

(7) ينظر: المصدر السابق 503/10.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6672] 4/1183.

وتضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالإنقياد للحق واتباعه والإنصاف، فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: مما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ.

وقوله ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع من يشهد بصحة هذا، ويؤمن به، وعن الزبير⁽¹⁾ أنه قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه كما سبق⁽²⁾، وقال ابن عباس في قوله ﴿فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع محمد وأُمَّتِهِ⁽³⁾، وهم الشاهدون نبئهم، أنه قد بلغ، ولرسل أنهم قد بلغوا، قال الحاكم: صحيح⁽⁴⁾، وعن ابن عباس أيضا: أنهم كانوا نواتين أي ملاحين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة، قرأ عليهم رسول الله ﷺ: القرآن آمنوا وفاضت أعينهم، فقال لهم: لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم، فقالوا: لن نتقل عن ديننا فأنزل الله من قولهم ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية رواه الطبراني⁽⁵⁾، والمراد بالصلحين: أمة محمد ﷺ ولهذا قال: ﴿فَأَتَّبَعَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ أي: فجازاهم على إيمانهم وتصديقهم واعترفهم بالحق، ﴿جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ما كثر فيها أبدا، لا يحولون ولا يزولون، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: في اتباعهم الحق، وانقيادهم له حيث كان وأين كان، ثم أخبر عن حال الأشقياء، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا﴾ أي: جحدوا بآياتنا وخالفوها، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أي: هم أهلها والداخلون إليها.

(1) هو: عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو بكر، وأبو خبيب القرشي الأسدي المكي، ثم المدني، أحد الأعلام، أول مولود للمهاجرين بالمدينة، له صحبة، من صغار الصحابة، وإن كان كبيرا في العلم والشرف والجهاد والعبادة، روى عن: أبيه وجده الصديق وأمه أسماء وغيرهم، وروى عنه: أخوه عروة الفقيه وأبناه عامر وعباد وابن أخيه محمد بن عروة وغيرهم، توفي سنة 72هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 2/26، وسير أعلام النبلاء 397/4، وتهذيب التهذيب 5/312.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6680] 4/1185.

(3) ينظر: جامع البيان 8/603.

(4) أخرجه الحاكم في مستدركه [3222] 2/343.

(5) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير [12455] 12/55.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِء مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (1)

قال ابن عباس: «نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي ﷺ قالوا: أنقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا، ونسيح في الأرض، كما تفعل الرهبان، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأرسل إليهم، فذكر لهم ذلك، فقالوا: نعم، فقال النبي ﷺ: لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأنكح النساء، فمن أخذ بسنتي فهو مني، ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني» رواه ابن أبي حاتم (2).

وفي الصحيحين عن عائشة «أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ في السر، فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ما بال أقوام يقول أحدهم: كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (3)، والمراد بالطيبات: اللذات التي تشتهيها النفوس، مما أحل الله لنا، من المطاعم الطيبة، والمشارب اللذيذة، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: ولا تجاوزوا الحد، ولا تبالغوا في التضييق على أنفسكم، في تحريم المباحات عليكم، وقيل: أي: كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحرام، ولا تسرفوا فيه، بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم، ولا تجاوزوا الحد فيه، كما قال: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (4) فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، لا إفراط ولا تفريط، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وقال: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ أي: في حال كونه حلالاً يصلح للغداء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في جميع أموركم، وابتغوا طاعته ورضوانه، واتركوا مخالفته وعصيانه حتى يكمل إيمانكم.

(1) سورة المائدة، الآيات (87-88).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6689] 4/1187.

(3) سبق تخريجه.

(4) سورة الأعراف، الآية (31).

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ وَ
إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ
يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾⁽¹⁾

قد سبق في سورة البقرة الكلام على لغو اليمين، وأنه قول الإنسان من غير قصد اليمين
لا والله، بلى والله، وهذا مذهب الشافعي⁽²⁾، وقيل: هو في الهزل، وقيل: في المعصية،
وقيل: على غلبة الظن، وهو قول أبي حنيفة⁽³⁾ وأحمد⁽⁴⁾، وقيل: غير ذلك، والصحيح
الأول، بدليل قوله ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ أي: بما صمتم عليه من
الأيام، وقصدتموها ﴿فَكَفَرْتُمْ وَإِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ أي: محاييج من الفقراء، ومن لا يجد
ما يكفيه.

وقوله ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي: من أعدل ما تطعمون أهليكم، وقيل: من أمثله
وقيل: من عسرهم ويُسره، وقيل: في القلة والكثرة مقدار ما يغذيهم ويُعشيهم، وقيل:
لكل واحد من العشرة نصف صاع من البر والتمر، وقال ابن عمر: الخبز والسمن والخبز
والزيت والخبز والتمر، ومن أفضل ما تطعمون الخبز واللحم⁽⁵⁾، وعن ابن عباس قال: مدًّا
من بر يعني: لكل مسكين ومعه إدامه⁽⁶⁾، وقاله: أكثر السلف، وقال الشافعي: الواجب في
كفارة اليمين مدٌّ بمد النبي ﷺ لكل مسكين⁽⁷⁾، ولم يتعرض للإدام، واحتج بأمر النبي ﷺ

(1) سورة المائدة، الآية (89).

(2) ينظر: الأم 257/7.

(3) ينظر: المغني شرح مختصر الخرقي 393/9.

(4) ينظر: المبدع في شرح المقنع لإبراهيم بن مفلح، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: الأولى 1418هـ - 69/8.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12381] 532/10.

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6716] 1192/4.

(7) ينظر: الأم 67/7.

الذي جامع في رمضان، بأن يطعم ستين مسكيناً، من مكيل يسع خمسة عشر صاعاً، فلكل واحد منهم مد⁽¹⁾.

وقوله ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال الشافعي: لو دفع إلى كل واحد من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة، من قميص، أو سراويل، أو إزار، أو عمامة، أو مقنعة أجزاء ذلك⁽²⁾، واختلف في القلنسوة⁽³⁾ هل تجزئ أم لا؟ فيه وجهان: الإجزاء، لأنه يطلق عليه الكسوة، وعدمه، وهكذا حكى أبو حامد الإسفراييني⁽⁴⁾ في الخف، وجهين، والصحيح عدم الإجزاء.

وقوله ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أخذ أبو حنيفة بإطلاقها، فقال: تجزئ الكافرة، كما تجزئ المؤمنة⁽⁵⁾ وقال الشافعي وآخرون: لا بد أن تكون مؤمنة حاملاً هنا المطلق على المقيد في كفارة القتل؛ لاتحاد الموجب، وإن اختلف السبب⁽⁶⁾، ولما في الموطأ⁽⁷⁾ «أن معاوية بن الحكم، ذكر أنه كان عليه رقبة، وجاء معه بجزيرة سوداء إلى رسول الله ﷺ فقال لها: أين الله؟ فقالت: في السماء. قال من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مسلم⁽¹⁾.

(1) ينظر: الأم 2/107.

(2) ينظر: المصدر السابق 7/68.

(3) هي: ما يلاصق على الرأس تكويراً، ينظر: المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل المرسي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1 - 1417هـ/392.

(4) هو: أحمد بن طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني، أبو حامد، الأستاذ العلامة، شيخ الشافعية ببغداد، قدم بغداد وله عشرون سنة، فتفقه على أبي الحسن بن المرزبان وأبي القاسم الداركي، وبرع في المذهب، وله فيه التعليقات الكبرى وكتاب البستان، روى عن: عبد الله بن عدي وأبي بكر الإسماعيلي والدارقطني، وروى عنه: أبو الحسن الماوردي والفقهاء سليم الرازي وأبو علي السنجي وغيرهم، قال الخطيب: كان ثقة، حضرت تدرسه في مسجد ابن المبارك، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح، حتى كان يقال له: الشافعي الثاني، توفي سنة 406هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء 13/13، والوافي بالوفيات 7/233، وطبقات الشافعيين لابن كثير 1/345.

(5) ينظر: تحفة الفقهاء لمحمد بن أحمد السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 2 - 1414هـ/343.

(6) ينظر: جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود لشمس الدين الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1 - 1417هـ/263.

(7) أخرجه مالك في موطئه، ك: العتق، ب: ما يجوز من العتق في الرقاب [2730] 2/404.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته [537] 1/381.

فهذه خصال ثلاث في كفارة اليمين، أيما فعل الحانث، أجزأه عنه بالإجماع، فبدأ بالأسهل فلاسهل، فالإطعام أسهل وأيسر من الكسوة، كما أن الكسوة أيسر من العتق، وترقى فيها من الأدنى إلى الأعلى، فإن لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث، يكفر بصيام ثلاثة أيام، وهو الذي لا يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه ذلك ما يخرج به كفارة اليمين، والمنصوص عن الشافعي: أنه لا يجب التتابع⁽¹⁾، وعليه مالك⁽²⁾، لإطلاق الآية وهي صادقة على المجموعة، والمتفرقة كما في قضاء رمضان، وقالت الحنفية: بوجوبها⁽³⁾، وعليه أحمد⁽⁴⁾ وهو قول قديم للشافعي. وقد روي عن أبي بن كعب وابن مسعود وأصحابه، أنهم كانوا يقرؤونها، فصيام ثلاثة أيام متتابعات⁽⁵⁾، وهذه وإن لم تثبت كونها قرآناً متواتراً، فلا أقل أن يكون خبراً واحداً وتفسيراً من الصحابي، وهو في حكم المرفوع.

وقوله ﴿ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ أي: هذه هي كفارة اليمين الشرعية ولا تبدلونها ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي: لا تتركوها بغير تكفير، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: يوضحها ويفسرها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكل ما وقع.

(1) هذا هو الأصح في المذهب، ينظر: البيان في المذهب الشافعي 591/10.

(2) ينظر: الوجيز الميسر في أصول الفقه المالكي لمحمد عبد الغني الباجنقي، ط: 1 - 1968م، ط: 2 - 1983م، ط: 3 - 2005م/4.

(3) ينظر: الأصل المعروف بالمبسوط لأبي عبد الله محمد الشيباني، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي 228/3.

(4) ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد 194/4.

(5) ينظر: كتاب المصاحف لأبي بكر بن أبي داود السجستاني، الناشر الفاروق الحديثة - مصر، 1423هـ/165.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَعَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾⁽¹⁾

قال تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن تعاطي الخمر والميسر، وهو القمار، وقال علي بن أبي طالب: الشطرنج من الميسر⁽²⁾، وعن السلف: كل شيء من القمار فهو من الميسر حتى الكعب، والجوز والبيض التي يلعب بها الصبيان⁽³⁾، وعن ابن المسيب قال: من ميسر أهل الجاهلية بيع اللحم بالشاة⁽⁴⁾، وعن أبي موسى مرفوعاً: «اجتنبوا هذه الكعب الموسومة، التي يزجر بها زجراً، فإنها من الميسر»⁽⁵⁾، والمراد بها: النرد، كما ورد في صحيح مسلم عن بريدة قال: قال: رسول الله ﷺ «من لعب بالنردشير، فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه»⁽⁶⁾، وأما الشطرنج، فنص على تحريمه مالك⁽⁷⁾ وأبو حنيفة⁽⁸⁾ وأحمد⁽⁹⁾ وكرهه

(1) سورة المائدة، الآيات (90-93).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [2054] 2/391.

(3) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية 1/715.

(4) أخرجه مالك في موطنه، ك: البيوع، ب: بيع الحيوان باللحم [2614] 2/361.

(5) ينظر: شعب الإيمان [6083] 8/461.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الشُّعر، ب: تحريم اللعب بالنردشير [2260] 4/1770.

(7) ينظر: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة لأبي الوليد محمد بن رشد القرطبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط: 2 - 1408هـ/17/577.

(8) ينظر: تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي لعثمان بن علي البارعي، الطبعة الكبرى الأميرية، بولاق - القاهرة، ط: 1 - 1313هـ/6/31.

(9) ينظر: المغني لابن قدامة 10/151.

الشافعي - رحمه الله - ⁽¹⁾ ، وأما الأنصاب: فقال ابن عباس وأتباعه: هي حجرة كانوا يذبحون قرابينهم عندها ⁽²⁾ ، وأما الأزلام فقالوا: إنما هي قداح كانوا يستقسمون بها ⁽³⁾ .

وقوله ﴿رَجَسُ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: شر وإثم وسخط من تزينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ الضمير عائد إلى الرجس، أي: اتركوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ثم قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ الآية هذا تهديد وترهيب، والعداوة في الخمر: أن الشاربين إذا سكروا تدادأوا وتشاجروا، كما فعل الأنصاري شجّ سعد بن أبي وقاص بلحي الجمل ⁽⁴⁾ ، وأما العداوة في الميسر، قال قتادة: كان الرجل يقامر على الأهل والمال، ثم يبقى حزينا مسلوب المال والأهل، مقتاتا حرقاته ⁽⁵⁾ ، والصد: المنع.

وقوله ﴿مُنْتَهُونَ﴾ أي: انتهوا، وقوله ﴿وَأَحْذَرُوا﴾ أي: المحارم والمناهي، والتولي: الإعراض عن الانقياد، وقد ورد في شأن الخمر أحاديث كثيرة، منها: عن أبي هريرة قال: «حرمت الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله ﷺ المدينة، وهم يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، وسألوا رسول الله ﷺ عنهما، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ﴾ ⁽⁶⁾ إلى آخر الآية، فقال: لم يحرم علينا، إنما قال: فيهما إثم كبير، وكانوا يشربون الخمر، حتى كان يوما من الأيام صلى رجل من المهاجرين، أم أصحابه في المغرب، فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلظ منها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ ⁽⁷⁾ وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو

(1) ينظر: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي 17/177.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [11056] 9/509.

(3) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 1/502.

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6768] 4/1200.

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12524] 10/573.

(6) سورة البقرة، الآية (219).

(7) سورة النساء، الآية (43).

مغبوق، ثم نزلت آية أغلظ من ذلك ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا ءَلْحَمْرُ وَءَلْمَيْسِرُ وَءَلَأَنْصَابُ وَءَلَأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطٰنِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قالوا: انتهينا ربنا، وقال الناس: يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله، وماتوا على فرشهم، كانوا يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان، فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ إلى آخرة الآية، وقال النبي ﷺ لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم» رواه أحمد (1).

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته على منبر رسول الله ﷺ «أنه نزل تحريم الخمر وهي من الخمسة: من العنب والتمر والعسل والحنظلة والشعير، والخمر: ما خامر العقل» (2).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «لُعنت الخمر على عشرة وجوه، لُعنت الخمر بعينها، وشاربها، وساقبها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وأكل ثمنها» رواه أحمد (3) وأبوداود (4) وابن ماجه (5).

وعن أنس «أن أبا طلحة سأل النبي ﷺ في حجرة ورثوا خمرا، قال: أهرقوها، قال: أفلا أجعلها خلا، قال: لا» رواه مسلم (6).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا، فإن عاد في

(1) أخرجه أحمد في مسنده [8620] 268 / 14.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ءَلْحَمْرُ وَءَلْمَيْسِرُ وَءَلَأَنْصَابُ وَءَلَأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطٰنِ فَأَجْتَنِبُوهُ﴾ [4619] 53 / 6، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: التفسير، ب: في نزول تحريم الخمر [3032] 2322 / 4.

(3) أخرجه أحمد في مسنده [4787] 405 / 8.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأشربة، ب: العنب يُعصر للخمر [3674] 326 / 3.

(5) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الأشربة، ب: لعنت الخمر على عشرة أوجه [3380] 1121 / 2.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الأشربة، ب: تحريم تخليل الخمر [1983] 1573 / 3.

الرابعة لم يقبل الله صلاة أربعين صباحا، فإن تاب لم يتب الله عليه، وسقاه من نهر الخبال»
رواه الترمذي⁽¹⁾ ورواه النسائي⁽²⁾ والدارمي⁽³⁾ وابن ماجة⁽⁴⁾ عن عبد الله بن عمرو.

وفي الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها حُرْمها في الآخرة»⁽⁵⁾، وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة عاق، ولا مئان، ولا مدمن خمر» رواه أحمد⁽⁶⁾ والنسائي نحوه⁽⁷⁾.

وقوله ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ أي: الشرك ﴿وَوَآمَنُوا﴾ أي: وصدقوا الله ورسوله، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ أي: الخمر والميسر بعد تحريمها، وداوموا على ذلك التقوى ﴿وَوَآمَنُوا﴾ أي: ازدادوا
تصديقا ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ أي: ما حرم الله عليهم كله، وبالإحسان؛ تأكيدا فإن كل محسن متقي.

(1) أخرجه الترمذي في سننه، ك: الأشربة عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء في شارب الخمر [1862] 3/355، وقال: هذا حديث حسن.

(2) أخرجه النسائي في سننه، ك: الأشربة، ب: ذكر الرواية المبيّنة عن صلوات شارب الخمر [5664] 8/314، وصححه الألباني.

(3) أخرجه الدارمي في سننه، ك: الأشربة، ب: في التشديد على شارب الخمر [2136] 2/1328.

(4) أخرجه ابن ماجة في سننه، ك: الأشربة، ب: من شرب الخمر لم تقبل له صلاة [3377] 2/1120.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الأشربة، ب: قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [5575] 7/104، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الأشربة، ب: عقوبة من شر الخمر إذا لم يتب منها بمنعه إياها في الآخرة [2003] 3/1588.

(6) أخرجه أحمد في مسنده [6882] 11/473.

(7) أخرجه النسائي في سننه، ك: الأشربة، ب: ذكر الرواية في المدمنين في الخمر [5162] 5/104.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٦﴾﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدِيًّا بَلِيعَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَقَرَّةٍ طَعَامٍ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (1)

قال ابن عباس: هو الضعيف من الصيد وصغيره، يتبلي الله به عباده في إحرامهم حتى لو شاءوا تناولوه بأيديهم، فنهاهم الله أن يقربوه (2) ، وقال مجاهد: يعني: صغار الصيد وفراخه ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ يعني: كباره (3) ، وقال مقاتل بن حيان (4) : نزلت هذه الآية في الحديبية، وكانت الوحش والطيور والصيد يغشاهم في رحالهم، لم يروا مثله قط فيما خلا، فنهاهم الله عن قتله، وهم محرمون (5) ؛ ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ يعني: أنه تعالى يتبليهم بالصيد، ويغشاهم في رحالهم يتمكنون من أخذه بالأيدي، وبالرماح جهراً وسراً؛ ليظهر طاعة من يطيع في سره وجهره.

وقوله ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ قال السدي وغيره: يعني: بعد هذا الإعلام والإنذار والتقدم (6) ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: بمخالفة أمر الله وشرعه.

ثم قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ هذا تحريم من الله لقتل الصيد في حال الإحرام، ونهى عن تعاطيه فيه، وهذا إنما يتناول من حيث المعنى: المأكول ولو ما

(1) سورة المائدة، الآيات (94-96).

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12542] 584 / 10.

(3) ينظر: تفسير مجاهد 1 / 315.

(4) سبق ترجمته.

(5) ينظر: زاد المسير في علم التفسير 1 / 584.

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [67903] 4 / 1204.

تولد منه ومن غيره، وأما غير المأكول من حيوانات البر، فعند الشافعي يجوز للمحرم قتلها⁽¹⁾، والجمهور على تحريم قتلها أيضاً، ولا يستثنى من ذلك إلا ما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «خمس فواسق يُقتلن في الحل والحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»⁽²⁾ وقيل: عن نافع فيما رواه ابن عمر نحو ذلك فالحية؟ قال: الحية لا شك فيها، ولا خلاف في قتلها⁽³⁾، وعند مالك⁽⁴⁾ وأحمد⁽⁵⁾ ومن وافقهما يلحق بالكلب العقور الذئب والسبع والنمر والفهد لأنها أشد ضرراً منه، وقال سفيان ابن عيينه وغيره: الكلب العقور يشمل هذه السباع العادية كلها، والمراد بالغراب الأبقع وغيره، عموماً قاله: الجمهور.

وقوله «وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا» قال مجاهد: المراد بالمتعمد هاهنا: القاصد إلى قتل الصيد الناسي لإحرامه، وأما غير الناسي له فأمره أعظم أن يكفر⁽⁶⁾ وعند الجمهور العامد والناسي سواء في وجوب الجزاء عليه، لكن كان العامد أثماً؛ لقوله «لَيَذُوقَنَّ وَبَالَ أَمْرِهِ» فالخطيء ملوم والمتعمد مأثوم.

وقوله «فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ» قرأ بعضهم بالإضافة، والآخرون بقطعها، وعلى كل من القراءتين دليل لما ذهب إليه مالك⁽⁷⁾ والشافعي⁽⁸⁾ وأحمد⁽⁹⁾ والجمهور من وجوب

-
- (1) ينظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب لزكريا بن محمد الأنصاري، دار الكتاب الإسلامي 513/1.
- (2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: بدء الخلق، ب: خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم [3314] 129/4، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحج، ب: ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم [1198] 856/2.
- (3) أخرجه أحمد في مسنده [4737] 356/8.
- (4) فقه العبادات على المذهب المالكي للحاجة كوكب عبيد، مطبعة الإنشاء، دمشق - سوريا، ط: 1 - 1406هـ/1-350.
- (5) ينظر: مختصر الإنصاف والشرح الكبير لمحمد بن عبد الوهاب النجدي، مطابع الرياض - الرياض، ط: 1، 291/1، 1.
- (6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12544] 8/10.
- (7) ينظر: المدونة للإمام مالك بن أنس، الناشر دار صادر - بيروت 455/1.
- (8) ينظر: الأم 210/2.
- (9) ينظر: مسائل أحمد بن حنبل ورواية ابنه عبدالله لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: 1 - 1401هـ/1-209.

الجزء بمثل ما قتل المحرم، إذا كان له مثل من الحيوان الإنسي، خلافاً لأبي حنيفة حيث أوجب القيمة سواء كان المقتول مثلياً أو غيره، قال: وهو مخير إن شاء تصدق بثمنه وإن شاء اشترى هدياً، والذي حكم به الصحابة في المثل أولى بالإتباع، فإنهم حكموا في النعمة ببدنة، وفي بقرة الوحش ببقرة، وفي الغزال بعنز، كما هو مبين في كتب الفقه.

وقوله ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يعني: أنه يحكم بالجزاء في المثل، أو بالقيمة في غير المثل عدلان من المسلمين، ولو كان القتل أحدهما على الصحيح؛ لعموم الآية.

وقوله ﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ أي: واصلاً إلى الكعبة، والمراد: وصوله إلى الحرم؛ ليذبح هناك ويفرق لحمه على مساكينه.

وقوله ﴿أَوْ كَفَّرَهُ﴾ أي: إذا لم يجد المحرم مثل ما قتل من النعم، ثم يشري به طعام، ويتصدق به فيصرف إلى كل مسكين مدّ منه عند الشافعي⁽¹⁾ ومالك⁽²⁾ وموافقيه، وعند أبي حنيفة⁽³⁾ وأصحابه كل مسكين مدين، وقال أحمد: مدّ من الحنطة ومدّان من غيره⁽⁴⁾ وإن لم يجد، أو قلنا بالتخيير صيام عن إطعام كل مسكين يوماً، ومحل الإطعام الحرم، قاله: الشافعي⁽⁵⁾، وعند مالك المكان الذي أصاب فيه الصيد⁽⁶⁾، إذا قرب الأماكن إليه، وعند أبي حنيفة إن شاء أطعم في الحرم، وإن شاء أطعم من غيره⁽⁷⁾، قال ابن عباس: إذا أصاب المحرم الصيد حكم بجزائه من النعم، فإن لم يقدر نظر كم ثمنه، ثم قوم منه طعاماً، فصام مكان كل نصف صاع يوماً⁽⁸⁾، قيل: ﴿أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامَ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ﴾ قال: إنما يريد

(1) ينظر: الأم 67/7.

(2) ينظر: المدونة 591/1.

(3) ينظر: الحجة على أهل المدينة لأبي عبد الله محمد الشيباني، عالم الكتب - بيروت، ط: 3 - 1403هـ/2/366.

(4) ينظر: متن الخرقى على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني 150/1.

(5) ينظر: التنبيه في الفقه الشافعي 75/1.

(6) ينظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني لأحمد بن غانم، دار الفكر، 1415هـ/1/373.

(7) ينظر: المبسوط 75/4.

(8) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12569] 15/10.

ارتكاب فيه المخالفة، ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي: في زمان الجاهلية لمن أحسن في الإسلام،
واتبع شرع الله.

ثم قال: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ أي: فمن فعل ذلك بعد تحريمه في الإسلام، وبلوغ
الحكم الشرعي إليه، ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ بالكفارة، قاله: ابن جبير وغيره⁽¹⁾، والجمهور على
أنه متى قتل المحرم الصيد وجب الجزاء، ولا فرق بين الأولى والثانية والثالثة، وإن تكرر ما
تكرر، سواء الخطأ في ذلك والعمد ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ أي: والله منيع في سلطانه، لا
يقهره قاهر، ولا يمنعه من الانتقام والعقوبة مانع، لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، له العزة
والمنعة.

وأما قوله ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ أي: ذو معاقبة لمن عصاه، وقوله ﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ قال أبو
بكر الصديق رضي الله عنه وكثير من الصحابة والتابعين: صيده ما أخذ منه حيا، وطعامه ما لفظه
ميتا⁽²⁾ وقيل: طعامه ما يتزود منه مليحا يابسا، وعليه ابن عباس⁽³⁾، وقيل: طعامه كل ما
فيه وما لفظه من ميتة.

وقوله ﴿مَتَنَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ أي: منفعة وعونا لكم، والسيارة: جمع سيار، وهو المسافر في
البحر، وقيل: الطري منه ما اصطيد، وطعام ما مات فيه ملح وقدد، زاد للمسافرين،
والنائين عن البحر، قاله: ابن عباس وجماعة⁽⁴⁾، وقد استدلوا على حل ميتة البحر بهذه
الآية، وبما في الصحيحين والموطأ عن جابر قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا، قبيل الساحل
فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح، ثلاثمائة، قال: وأنا فيهم، قال: فخرجنا حتى إذا كنا
ببعض الطريق، فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش، فجمع ذلك كله، وكان

(1) المصدر السابق [12649] 50/10.

(2) المصدر السابق [12686] 61/11.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6835] 4/1211.

(4) ينظر: جامع البيان 8/736.

فقدّها حين فנית، ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظرب⁽¹⁾، فأكل منه ذلك الجيش، ثماني عشر ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلّاعه، فُنصبا، ثم أمر براحلة فرحلت، ومرت تحتها فلم يصبهما⁽²⁾، وفي رواية لمسلم عن جابر «فإذا على ساحل البحر مثل الكثيب الضخم، فأثناه فإذا دابة، يقال لها: العنبر قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا، نحن رسل رسول الله ﷺ، وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا. ولقد رأيتنا نغترف من وَقْبٍ⁽³⁾ عينه بالقلال الدهن، ونقتطع منه الفدر⁽⁴⁾ كالثور، قال: ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا، وأفعدهم في وقب عينه، وأخذ ضلعاً من أضلّاعه فأقامها، ثم رحل أعظم بعير منا فمرّ من تحته، وتزودنا من لحمه، وشائق. فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال: هو رزق أخرجه الله لكم، هل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟ قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله⁽⁵⁾.

وعن أبي هريرة قال: «سأل رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفترضاً بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ هو الطهور ماؤه الحل ميتته» رواه مالك⁽⁶⁾ والشافعي⁽⁷⁾ وأصحاب السنن⁽⁸⁾ وصححه البخاري.

(1) الظرب: بكسر الراء، كل ما نتأ من الحجارة وحد طرفه، وقيل: هو الجبل المنبسط، وقيل: هو الجبل الصغير. ينظر: لسان العرب 1/569.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: غزوة سيف البحر وهم يتلقون عيرا لقريش وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح ﷺ [4360] 5/166.

(3) أي: غارها ما تحت الحجاج. ينظر: جمهرة اللغة 2/1026.

(4) الفدر: بكسر الفاء وفتح الدال، هي القطع منه. ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار 2/148.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، ب: إباحة ميتات البحر [1935] 3/1535.

(6) أخرجه مالك في موطئه، ك: الضحايا، ب: في صيد البحر [2163] 2/198.

(7) ينظر: الأم 1/16.

(8) أخرجه ابن ماجة في سننه، ك: الطهارة وسننها، ب: الوضوء بماء البحر [386] 1/136، وأخرجه أبو داود في سننه، ك: الطهارة، ب: الوضوء بماء البحر [3246] 2/1081.

وعن أبي هريرة قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في حج أو عمرة رجل جراد فجعلنا نضربهن بعضينا وسيطانا نقتلهن، ما سقط في أيدينا، فقلنا ما نصنع ونحن محرمون؟، فسألنا رسول الله ﷺ فقال: لا بأس صيد البحر» رواه أحمد⁽¹⁾ وأبوداود⁽²⁾، والجمهور على أنه يؤكل كل دواب البحر بلا استثناء، وقيل: لا يؤكل الضفدع، ويؤكل سائر ذلك، وقيل: ما يؤكل شبهه في البر أكل مثله في البحر، وما لا فلا، وهذا وجوه مذهب الشافعي⁽³⁾، وقال أبو حنيفة: لا يؤكل ما مات في البحر، كما لا يؤكل ما مات في البر⁽⁴⁾؛ لعموم قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾⁽⁵⁾، وما تقدم من حديث العنبر يخصه، وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أحلت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالحوت والجراد وأما الدمان: فالكبد والطحال» رواه أحمد⁽⁶⁾ والشافعي⁽⁷⁾.

وقوله ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ أي: في حال إحرامكم، يحرم عليكم الاصطياد ففيه دلالة على تحريم ذلك، فإذا اصطاد المحرم الصيد عمدا أثم وغرم، أو خطأ غرم وحرّم أكله، لأنه في حقه ميتة، وكذا في حق غيره مطلقا، على الأصح، وأما إذا صاد الحلال، فإن لم يقصد المحرم بالاصطياد، ولا إعانة ولم يكن بدلالته، فيجوز الأكل منه، وإلا فلا⁽⁸⁾، هذا نص مذهب الشافعي والأحاديث فيه مشهورة.

(1) أخرجه أحمد في مسنده [8060] 423/13.

(2) أخرجه أبوداود في سننه، ك: المناسك، ب: في الجراد للمحرم [1853] 171/2، وضعفه الألباني.

(3) ينظر: التنبيه في الفقه الشافعي 84/1.

(4) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع 35/5.

(5) سورة المائدة، الآية (5).

(6) أخرجه أحمد في مسنده [5723] 16/10.

(7) ينظر: الأم 256/2.

(8) ينظر: شرح المقدمة الحضرمية المسمى بشرى الكريم بشرح مسائل التعليم لسعيد بن محمد الشافعي، دار المنهاج

للنشر والتوزيع - جدة، ط: 1 - 1425هـ 675/1.

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٩٧) اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ (1)

لما فرغ تعالى عن بيان أحكام الصيد في الإحرام برياً وبحرياً، شرع في بيان شأن الكعبة وما يتعلق بها، وأنه عالم بالسرائر والضمائر، مجاز للمطيعين والمعاندين بحسب استحقاقهم، فقال: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ﴾ لتربيعها، والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة (2)، وقيل: لانفرادها من البناء وارتفاعها من الأرض، وأصلها من الخروج والارتفاع، ولهذا سمي الكعب كعباً؛ لثُتُوّه وخروجه عن جانبي القدم، وسمي البيت الحرام لأن الله حرّمه وعظم حرّمته، كما في الحديث الصحيح «إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، وهو حرام بجرمة الله إلى يوم القيامة» (3) كما سبق في سورة البقرة.

وقوله ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ قرأ ابن عامر: قيما بغير ألف، وقرأ الباقون: بالألف (4) أي: قواماً لهم في أمور دينهم ودنياهم، لأن به تقوم المناسك والحجّ ويجبى إليه من ثمرات، كانوا يأمنون فيه من النهب، ولا يتعرض لهم أحد في الحرم، كما قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ (5) الآية، وجعل الشهر الحرام: يعني الأشهر الحرم: وهي ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ يأمنون فيه للقتال وجعل الهدى والقلائد التي تجعل في عنقه شعاراً لذلك وقواماً فيه، وذلك لأنه يعلم صلاح العباد، كما يعلم ما في السماوات وما في الأرض، ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقد سبق في هذه السورة الأخبار عن الغيوب، والكشف عن الأسرار، مثل

(1) سورة المائدة، الآيات (97-99).

(2) ينظر: فقه اللغة وسر العربية لعبد الملك بن محمد الثعالبي، إحياء التراث العربي، ط: 1 - 1422هـ/25.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: المغازي، ب: مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح [4313] 5/153.

(4) ينظر: كتاب السبعة في القراءات 1/226.

(5) سورة العنكبوت، الآية (67)

قوله: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾⁽¹⁾ وأخباره، بتحريفهم الكتب فقال تأكيداً: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ثم قال تحذيراً وتهديداً ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: بمن يستحقه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: لمن تاب وعمل صالحاً، ثم قال: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ أي: إلا تبليغ الرسالة إليكم، وأما الإهداء إلى صراط الصواب إلينا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ من الإستسلام ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ من النيات في الطَّوَيَّاتِ.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١١٣﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١١٤﴾⁽²⁾

أي: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ﴾ وهو: الحرام ﴿وَالطَّيِّبُ﴾ وهو: الحلال ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ أي: سرّك أيها الإنسان ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ فإن القليل النافع من الحلال، خير من الكثير الحرام، كما جاء في الحديث «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»⁽³⁾، روي: أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري، قال: يا رسول الله، ادع الله يرزقني مالا، فقال - عليه الصلاة والسلام - «قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه» رواه الطبراني⁽⁴⁾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يا ذوي العقول الصحيحة المستقيمة، وتجنبوا الحرام ودعوه، واقنعوا بالحلال واكتفوا به ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: في الدارين.

ثم قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ هذا تأديب للمؤمنين، ونهي لهم أن سألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال، والتفتيش عنها، لأنها إن ظهرت لهم تلك الأمور لساءتهم، وشتق عليهم سماعها.

(1) سورة المائدة، الآية (42).

(2) سورة المائدة، الآيات (100-102).

(3) أخرجه الطيالسي في مسنده [1072] 2/323.

(4) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير [7873] 8/218.

عن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ سأله أحفوه بالمسئلة، فخرج عليهم ذات يوم، فصعد المنبر فقال: لا تسألوني اليوم من شيء إلا بيئت لكم، فأشفق أصحاب رسول الله ﷺ أن تكون بين يدي أمر قد حضر، قال: فجعلت لا ألتفت يمينا ولا شمالا إلا وجدت كلا لافاً رأسه في ثوبه يبكي، فأنشأ رجل كان إذا لحي فیدعی إلى غير أبيه، فقال يا نبي الله: من أبي؟ قال: أبوك حذافة، قال: ثم قام عمر، أو قال: فأنشأ عمر، فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا، أو قال: أعوذ بالله من شر الفتن، قال: وقال رسول الله ﷺ لم أرى في الخير والشر كالיום قطّ، صوّرت لي الجنة والنار، حتى رأيتهما دون الحائط، روى البخاري⁽¹⁾ ومسلم نحوه⁽²⁾، وفي رواية فقالت أم عبد الله بن حذافة: ما رأيت ولداً أعق منك قطّ، كنت تأمن أن تكون أمك قد قارفت، ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رأس الناس، فقال: والله لو ألحقتني بعبد أسود للحقته»⁽³⁾.

وعن ابن عباس قال: «كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل: أضل ناقته، أين ناقتي؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ حتى فرغ من الآية» كلها تفرد به البخاري⁽⁴⁾.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا يبلغني أحدٌ عن أحدٍ شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم، وأنا سليم الصدر» رواه أبو داود⁽⁵⁾ والترمذي⁽⁶⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الفتن، ب: التعوذ من الفتن [7089] 53/9.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفضائل، ب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أولاً يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك [2359] 1832/4.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفضائل، ب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه [2356] 1832/4.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [4622] 54/6.

(5) أخرجه أبو داود في سننه، ك: الأدب، ب: في رفع الحديث من المجلس [4860] 265/4.

(6) أخرجه الترمذي في سننه، ك: المناقب عن رسول الله ﷺ، ب: في فضل أزواج النبي ﷺ [3896] 710/5.

وقوله ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾ أي: وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي نهيتم عن السؤال عنها، حتى نزل الوحي على الرسول فبين لكم، وذلك على الله يسير، ثم قال: ﴿حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلْ لَكُمْ عَقَاً اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: عما كان منكم قبل ذلك ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ وقيل المراد بقوله ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾ أي: لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها، فلعله قد ينزل لسبب سؤالكم تشديد، أو تضييق، وقد ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على الناس، فحرم من أجل مسألته، ولكن إذا نزل القرآن بها جملة، فسألتم عن بيانها حينئذ بينت لكم لاحتياجكم إليها»⁽¹⁾، ﴿عَقَاً اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: ما لم يذكره في كتابه، فهو مما عفا عنه فاسكتوا أتم عنها، كما سكت عنها.

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ذروني ما تركتم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم»⁽²⁾، وعن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرمات فلا تنتهكوها، وحدد حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء عن غير نسيان فلا تتجسسوا عنها»، وفي رواية «رحمة بكم غير نسيان فلا تسئلوا عنها» رواه الدارقطني⁽³⁾.

ثم قال تعالى ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: سأل هذه المسائل المنهي عنها، قوم من قبلكم فأجيبوا عنها، ثم لم يؤمنوا بها فأصبحوا بها كافرين، أي: بسببها إن بينت لهم، ولم يتتبعوا بها لأنهم سألوا على وجه التعنت والعناد، قال ابن عباس: لما نزلت آية الحج نادى النبي ﷺ فقال يا أيها الناس: «إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا، فقالوا يا رسول الله: أعام واحد أم كل عام؟ فقال: لا، بل عام واحد، ولو قلت: كل عام لوجبت، ولو وجبت

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: قوله تعالى ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلْ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [95/9][7289]، أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الفضائل، ب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أولاً يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك [2358] 4/1831.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الحج، ب: فرض الحج مرة في العمر [1337] 2/975.

(3) أخرجه الدارقطني في سننه، ك: الرضاع [4396] 5/325.

لكفرتهم، ثم قال الله تعالى ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ إلى قوله ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ رواه ابن جرير (1).

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَاكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُ مَا كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٤﴾ (2)

في الصحيحين عن سعيد بن المسيب قال: «البحيرة التي مُنِعَ دَرُّهَا للطواغيت، فلا يجلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لأهنتهم لا يحمل منها شيء، قال: فقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب، والوصيلة: الناقة البكر في أول نتاج الإبل، ثم تشى بعد بأنتى، فكانوا يسيبونها للطواغيت، أي: وصلت إحداها بالأخرى ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعداد، فإذا قضى ضرابه، ودعوه للطواغيت، ويعفوه عن الحمل، فلم يحمل عليه شيء، وسموه الحامي» (3).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضها، ورأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وهو أول من سيب السوائب» رواه البخاري (4) وقد فسر الآخرون البحيرة وما عطف عليها بعبارات ووجوه أخرى، وحاصل ذلك راجع إلى ما سبق والله أعلم.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12804] 105/11.

(2) سورة المائدة، الآيتان (103-104).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [4623] 54/6، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء [2856] 2192/4.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ب: إذا انفلتت الدابة في الصلاة [1212] 65/2.

وقوله ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: ما شرع الله هذه الأشياء ولا هي عنده قرينة، ولكن المشركين افتروا ذلك وجعلوه شرعاً لهم وقرينة يتقربون بها إليه، وليس ذلك إلا وبالاعتماد عليهم.

وقوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: إذا دعوا إلى دين الله وشرعه، وما أوجبه وترك ما حرّمه، قالوا: يكفيننا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمسالك، فقال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ أي: لا يفهمون حقاً ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه، فكيف يتبعونهم والحالة هذه؟! لا تبعوهم إلا من هو أجهل منهم، وأضل سبيلاً⁽¹⁾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾

أمر الله عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم، ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقاتهم خيراً لهم، أنه من صلح أمره لا يضره من ضل بعد ما عمل بما أمرته به.

وقوله ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ نصب على الإغراء، وليس في الآية دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا كان فعل ذلك ممكناً، فإن المعنى ليجازي كل عامل بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، عن قيس بن أبي حازم⁽³⁾ قال: «قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، وقال يا أيها الناس: إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الآية وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن

(1) ينظر: التنزيل في تفسير القرآن 95/2.

(2) سورة المائدة، الآية (105).

(3) هو: قيس بن أبي حازم، أبو عبد الله البجلي الأحس الكوفي، العالم، الثقة، الحافظ، أسلم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم ليبياعه فقبض النبي صلى الله عليه وسلم وقيس في الطريق، ولأبي حازم صحبة، وأما صحبة قيس فلم تثبت، روى عن: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وروى عنه: أبو إسحاق السبيعي والمغيرة بن شبيب وبيان بن بشر وغيرهم، قال سفيان بن عيينة: ما كان بالكوفة أحد أروى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قيس بن أبي حازم، ووثقه العجلي، توفي سنة 94هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 67/6، وتاريخ الثقات لأبي الحسن أحمد العجلي، دار الباز، ط: 1 - 1405هـ/220، ورجال صحيح مسلم لأحمد بن علي بن منجويه، دار المعرفة - بيروت، ط: 1 - 1407هـ/2144.

الناس إذا أرادوا المنكر ولا يغيرونه، أو شك الله أن يعمهم بعقاب منه» رواه أحمد⁽¹⁾ وأصحاب السنن الأربعة⁽²⁾ ورواه كثيرون هكذا مرفوعاً ورجحه الدار قطني وغيره.

وعن أبي ثعلبة الخشني⁽³⁾ في قوله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ فقال: «أما والله لقد سألت عنها رسول الله ﷺ، قال: بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، وأعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لا بدّ لك منه، فعليك نفسك، ودع أمر العوام، فإن وراءكم أيام صبر، فمن صبر فيهن قبض على الجمر، فللعامل فيهن، أجر خمسين رجلاً، يعملون مثل عمله، قالوا يا رسول الله: أجر خمسين منهم!، قال: أجر خمسين منكم» رواه الترمذي⁽⁴⁾ وابن ماجه⁽⁵⁾. وقال ابن مسعود في هذه الآية: «مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر، فإن رد عليكم فعليكم أنفسكم، ثم قال: إن القرآن نزل منه آي وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ يسير، ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان، ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيامة، ما ذكر من الحساب، والجنة، والنار، فما دامت قلوبكم وأهواءكم واحدة، ولم تلبسوا شيعاً، ولم يذق بعضكم بأس بعض، فأمرؤا وانهوا وإذا اختلفت القلوب والأهواء،

(1) أخرجه أحمد في مسنده [16] 1/197.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الفتن، ب: أمر بالمعروف والنهي عن المنكر [4005] 2/1327، وأخرجه أبو داود في سننه، ك: الفتن والملاحم، ب: الأمر والنهي [4338] 4/122، وأخرجه الترمذي في سننه، ك: الفتن، ب: ما جاء في نزول العذاب إذا لم يُغيّر المنكر [2168] 4/37، وأخرجه النسائي في سننه، ك: التفسير، ب: قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [11092] 10/88.

(3) هو: أبو ثعلبة الخشني، اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، فقليل: جرثوم بن نائب، وقيل: ابن ناشم، وقيل غير ذلك، ولم يختلفوا في صحبته ولا في نسبه إلى خشين، كان من أصحاب النبي ﷺ، غلبت عليه كنيته، وكان ممن بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان، روى عن: أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، وروى عنه: أبو إدريس الخولاني وسعيد بن المسيب وعمر بن هاني وغيرهم، توفي سنة 75هـ، ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر 66/84، وأسد الغابة 6/43، وبغية الطلب لعمر بن أحمد بن العديم، دار الفكر 10/4371.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة المائدة [3058] 5/117، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(5) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: الفتن، ب: قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [4014] 2/1330.

والبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية «
رواه ابن جرير⁽¹⁾ وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الآية في اليهود والنصارى يعني: عليكم
أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، فخذوا منهم الجزية واتركوهم⁽²⁾، وقوله
﴿جَمِيعًا﴾ أي: الضال والمهتدي.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ
تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ آرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَّمِنَ الْاٰثِمِينَ ﴿١٧٦﴾ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اُسْتَحَقَّا إِنَّمَا فَءَاخِرَانِ
يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اُسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْاٰوَلِيْنَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتْنَا اٰحَقُّ مِنْ
شَهَدَتَيْهِمَا وَمَا اَعْتَدَيْنَا اِنَّا إِذَا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٧﴾ ذَلِكَ اَدْنَىٰ اَنْ يَأْتُوا بِالشَّهْدَةِ عَلَىٰ وَجْهَهَا أَوْ
يَخَافُوا اَنْ تُرَدَّ اٰيْمَنُ بَعْدَ اٰيْمَنِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَسْمَعُوا ۗ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰسِقِينَ ﴿١٧٨﴾﴾⁽³⁾

عن ابن عباس وغيره: أن هذه الآية على حكم عزيز وهي منسوخة، وقال الأكثرون بل
هي محكمة وعلى مدعي النسخ البيان⁽⁴⁾.

فقوله ﴿شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ﴾ مبتدأ واثان خبره، وقيل: أي شهادة اثنين، فحذف المضاف وأقيم
المضاف إليه مقامه، وقيل: دل الكلام على تقدير أن يشهد اثنان، وذوا عدل صفة الاثنان.
وقوله ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من المسلمين، قاله الجمهور⁽⁵⁾، وقيل: ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من حيّ
الموصي⁽⁶⁾، وقوله ﴿أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ قال ابن عباس: أي: من أهل الكتاب⁽⁷⁾ وعليه
الجمهور، وقيل: ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من قبيلة الموصي، ومن غيركم، أي: من غير قبيلة الموصي.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12859] 11/144.

(2) ينظر: تفسير القرآن 2/73.

(3) سورة المائدة، الآيات (106-108).

(4) ينظر: جامع البيان 9/107.

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6933] 4/1229.

(6) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 4/119.

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [5934] 4/1229.

وقوله ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتُمْ، ﴿فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً أَلْمُوتِ﴾ هذان شرطان لجواز استشهاد الذميين عند فقد المؤمنين، أن يكون ذلك في سفره، وأن تكون في وصية كما صرح به شريح القاضي⁽¹⁾، «أنه لا يجوز شهادة اليهودي والنصراني إلا في سفر، ولا يجوز في سفر إلا في وصية»⁽²⁾ وعليه أحمد⁽³⁾، وقال الثلاثة: لا يجوز شهادة أهل الذمة على المسلمين⁽⁴⁾، وأجازها أبو حنيفة فيما بين بعضهم بعضاً⁽⁵⁾، وقال الزهري: مضت السنة أن لا يجوز شهادة كافر في حضره ولا سفره، إنما هي في المسلمين⁽⁶⁾، وقال ابن جرير: اختلفوا هل المراد أن يوصي إليهما أو يشهدهما؟ على قولين: أحدهما: أن يوصي إليهما، كما قال ابن مسعود: هذا رجل سافر ومعه مال فأدركه قدره، فإن وجد رجلين من المسلمين دفع إليهما، وكتبه وأشهد عليهما عدلين من المسلمين⁽⁷⁾، والثاني: أنهما يكونان شاهدين، وهو ظاهر سياق الآية، فإن لم يكن وصي ثالث معهما اجتمع فيهما الوصفان: الوصية والشهادة، كما في قصة تميم الداري وعدي بن بداء⁽⁸⁾ كما سيأتي، واستشكل ابن جرير: كونهما شاهدين، قال: لأننا نعلم حكماً يختلف فيه الشاهد، وهذا لا يمنع الحكم الذي تتضمنه هذه الآية، وهو حكم مستقل بنفسه لا يلزم أن يكون جارياً على قياس جميع الأحكام⁽⁹⁾؛ بل هو حكم خاص بشهادة خاصة، في محل خاص، وقد اغتفر فيه ما لم يغتفر في غيره، فإذا قامت قرائن الريب، حلف الشاهد بمقتضى ما دلت عليه هذه الآية، قال تعالى ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ قال الأكثر: يعني صلاة العصر⁽¹⁰⁾، وقيل: صلاة

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6933] 4/1229.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12911] 11/163.

(3) ينظر: المبدع في شرح المقنع لإبراهيم بن محمد بن مفلح، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1418هـ - 301/8.

(4) ينظر: المدونة 4/21، والأم 6/251، والمبسوط 9/42.

(5) ينظر: المبسوط 9/42.

(6) ينظر: بحر العلوم 1/392.

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6931] 4/1229.

(8) أخرجه ابن جرير في تفسيره [1267] 11/186.

(9) ينظر: جامع البيان 11/157.

(10) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6940] 4/1230.

المسلمين، وقيل: صلاة أهل دينهما، والمراد أن يقال هذان الشاهدان بعد صلاة اجتمع الناس فيها بحضرتهم، ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ أي: فيحلفان بالله ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ أي: إن ظهرت لكم منها ريبة، أنهما قد خانا أو غلانا، فيحلفان حينئذ بالله، ﴿لَا نَشْتَرِي﴾ أي: بأيماننا ثمنًا قليلًا أي: لا نعتاض عنه بعوض قليل من الدنيا الفانية، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ أي: ولو كان المشهود عليه أو له قريباً منا، لا نحايبه، ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ إضافتها إلى الله تشريفا لها، وقرأ بعضهم لا نكتم شهادة الله مجروراً على القسم، وقرأ بعضهم ولا نكتم شهادة بالنصب والتنوين، والله بالنصب أيضاً، والمشهور الأول ⁽¹⁾ ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ﴾ أي: إن فعلنا شيئاً من ذلك من تحريف الشهادة، أو تبديلها وتغيرها، أو كتمها بالكلية.

ثم قال تعالى ﴿فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾ أي: فإن اشتهر وظهر من الشاهدين الوصيين أنهما خانا أو غلانا شيئاً من المال الموصى به إليهما، ﴿فَقَاخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ﴾ قراءة الجمهور بضم التاء ⁽²⁾، يعني: الذين استحق عليهم أي: فيهم ولأجلهم الإثم، وهم ورثة الميت، استحق الحالفان بسببهم الإثم، وقرأ حفص استحق بالفتح ⁽³⁾، أي: حق ووجب عليهم الإثم، يقال: حق واستحق بمعنى واحد، والأوليان صفة آخران، على أنهما في المعنى معرفة، والأوليان ثنية الأولى، وهي: الأقرب، وقرئ بالجمع على أنها بدل من الذين ⁽⁴⁾، والمراد منهم أولياء الميت، أي: إذا ظهرت خيانة الخائنين يقوم اثنان آخران من أقارب الميت، فيقسمان.

وقوله ﴿وَمَا أَعْتَدَيْنَا﴾ أي: فيما قلنا فيهما من الخيانة ﴿إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن كنا قد كذبنا عليهما، وهذا التحليف للورثة، والرجوع إلى قولهما والحالة هذه، كما يحلف أولياء المقتول في القسامة، وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه الآية، عن ابن عباس عن تميم

(1) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح الموصلي، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ - 221/1، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء 228/1.

(2) ينظر: حجة القراءات 238/1.

(3) ينظر: التيسير في القراءات السبع 100/1.

(4) ينظر: الكنز في القراءات العشر لأبي محمد عبد الله بن الوجيه، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط: 1 - 1425هـ.

الداري في هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ قال: « برئ الناس منهما غيري، وغير عدي بن بداء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأتيا الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني تميم، يقال له: بديل بن أبي مريم، بتجارة معه جام من فضة، تريد بها الملك، وهو أعظم تجارته، فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله، قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام، فبعناه بألف درهم، ثم اقتسمناه أنا وعدي بن بداء، فلما قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا، وفقدوا الجام فسألونا عنه، فقلنا ما ترك غير هذا، وما دفع إلينا غيره، قال تميم: فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة تأثمت من ذلك، فأتيت أهله فأخبرتهم بالخبر، وأدبت إليهم خمسمائة درهم، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فوثبوا إليه فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به أهل دينه، فحلف فأنزل الله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ﴾ إلى قوله ﴿فَيُقْسَمَانِ بِاللَّهِ﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء»، هكذا رواه الترمذي⁽¹⁾ وابن جرير⁽²⁾ وابن أبي حاتم⁽³⁾.

وعن محمد بن إسحاق وذكره فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البيعة، فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به أهل دينه، فحلف فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ﴾ إلى قوله ﴿بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر: فحلفا فنزعت الخمسمائة من عدي بن نداء قال الترمذي: هذا حديث غريب⁽⁴⁾، وذكروا: أن التحليف بعد صلاة العصر، ويؤيد هذه القصة في الصحة ما رواه ابن جرير، بإسناده عن الشعبي: أن رجلا من المسلمين حضره الوفاة بدقوقا، قال: ولم يجد أحدا من المسلمين يشهد على وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب قال: فقدمنا الكوفة، فأتيا أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فأخبراه، وقدمنا بتركته ووصيته، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن يعد الذي كان في عهد النبي ﷺ قال:

(1) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة المائدة [3059] 103/5، وقال: هذا حديث غريب.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12967].

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [61941] 1230/4.

(4) سبق تخريجه.

فأحلفهما بعد العصر ما خانا ولا كذبا ولا كتما ولا بدلاً ولا غيراً، وإنها لوصية الرجل وتركته، قال: فامض شهادتهما⁽¹⁾، فقوله: هذا أمر لم يكن يعد، الذي كان في عهد النبي ﷺ أراد به قصة تميم الداري وعدي بن النداء، وقد ذكروا: أن إسلام تميم الداري كان سنة تسع من الهجرة، فكان هذا الحكم متأخراً، فعلى مدع النسخ البيان والإثبات، والله أعلم.

وقوله ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَهَا﴾ أي: شرعية هذا الحكم على هذا الوجه من تحليف الشاهدين، إذا كانا ذميين، وقد استريب بهما أقرب إلى إقامتهما الشهادة على الوجه المرضي، وقوله ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُهُ﴾ أي: يكون الحامل لهم على الإتيان بالشهادة على وجهها هو تعظيم الحلف بالله ومراعاة جانبه وإجلاله أو الخوف من الفضيحة بين الناس إذا ردت اليمين على الورثة فيحلفون ويستحقون ما يدعون ولهذا قال: ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُهُ﴾ ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في جميع أموركم ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ أي: وأطيعوا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته.⁽²⁾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾⁽³⁾

هذا إخبار عما يخاطب الله به المرسلين يوم القيامة، وعما أجبوا عن أمهم الذين أرسلهم إليهم، كما قال تعالى ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽⁴⁾ وإنما يقول الرسل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ من هول ذلك اليوم وفزعه، قال السدي: لأنهم نزلوا منزلاً ذهلت فيه العقول⁽⁵⁾، فلما سئلوا، قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ فلما نزلوا منزلاً آخر، فشهدوا على قومهم، وعن ابن جريج ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أي: ماذا عملوا بعدكم؟، وماذا أحدثوا؟⁽⁶⁾ ﴿قَالُوا لَا

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12948] 174 / 11.

(2) ينظر: البحر المحيط 4 / 401.

(3) سورة المائدة، الآية (109).

(4) سورة الأعراف، الآية (6).

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [6973] 1236 / 4.

(6) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 4 / 122.

عَلَّمَ لَنَا ﴿١﴾ وقال ابن عباس: يقولون للرب تعالى، لا علم لنا إلا علم ما أنت أعلم به منا⁽¹⁾، وهذا أحسن ما قيل فيه، فإنه من باب التأديب مع الرب، أي: لا علم بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء، فنحن وإن كنا قد أجبننا وعرفنا من إجابتنا، ولكن منهم من كنا إنما اطلعنا على ظاهره، ولا علم لنا بباطنه، وأنت العليم بكل شيء، المطلع على كل شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم، فإنك أنت ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣١﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنَّا وَشَهِدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ (2).

لقد ذكر الله تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى بن مريم، مما أجراه على يديه من المعجزات، فقال: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ أي: من خلقي إياك من أم بلا ذكر، وجعلني إياك آية ودلالة قاطعة، على كمال قدرتي على الأشياء، ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ حيث جعلك لها برهانا، على براءتها مما نسبها الجاهلون الظالمون إليه، من الفاحشة ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ وهو جبريل - عليه السلام - وجعلك نبيا داعيا إلى الله في صغرك وكبرك، فأنطقتك في المهد صغيرا، فشهدت ببراءة أمك من كل عيب، واعترفت لي بالعبودية، وأخبرت عن رسالتي إليك، ودعوت إلى عبادتي، ولهذا قال: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ أي: تدعوا الناس إلى الله في صغرك وكبرك، وضمنت تكلم تدعو لأن كلامه الناس في كهولته ليس بأمر عجيب.

(1) ينظر: جامع البيان 9/ 111.

(2) سورة المائدة، الآيتان (110-111).

وقوله ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ﴾ أي: الخط والفهم والتورية، وقد يرد لفظ التورية في بعض الأحاديث، ويراد بها ما هو أعم من ذلك.

وقوله ﴿وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ أي: تصوّره وتشكله على هيئة الطائر بإذني لك في ذلك، فتنفخ فيها فتكون طيرا، إذا روح تطير بإذن الله.

وقوله ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾ سبق تفسيره في سورة آل عمران، وقوله ﴿وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ أي: تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله وقدرته، وعن أبي الهذيل⁽¹⁾ قال: «كان عيسى إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين، يقرأ في الأولى ﴿تَبْرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾⁽²⁾ وفي الثانية ﴿آلَمْ تَنْزِيلُ﴾⁽³⁾ السجدة، فإذا فرغ منهما، مدح الله وأثنى عليه، ثم دعا بسبعة أسماء: يا قديم، يا خفي، يا دائم، يا فرد، يا وتر، يا أحد، يا صمد، وكان إذا أصابته شدة دعا بسبعة أسماء أخرى: يا حي يا قيوم، يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا ذا الجلال والإكرام، يا نور السموات والأرض، وما بينهما، ورب العرش العظيم، يا رب» رواه ابن أبي حاتم⁽⁴⁾، وهذا أثر عجيب جدًا ولعل هذا على تقدير الصحة، كان بلسان العبري، ومعناه في كتابه، وهو شبيه بما قال آدم لموسى - عليهما السلام - في قصة احتجاجهما عند ربّهما، فهل وجدت فيها ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾⁽⁵⁾؟ ولا شك أن ذلك كان بعبارة التورية، لا بلغة العرب، والله أعلم.

(1) هو: محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول العبدي، أبو الهذيل العلاف، مولى عبد القيس، شيخ المعتزلة ورأسها، ومصنف الكتب في مذاهبهم، وهو من أهل البصرة ورد بغداد، وكان خبيث القول، فارق إجماع المسلمين، ورد نص كتاب الله - عزوجل - إذا زعم أن أهل الجنة تنقطع حركاتهم فيها، وزعم أن علم الله هو الله، وقدرة الله هي الله، فجعل الله علما وقدرة، تعالى الله عما وصفه به علواً كبيراً، يروى أن المأمون قال لحاجبه من الباب؟ قال: أبو هذيل المعتزلي وعبد الله بن أباض الخزرجي و هشام بن الكلبي الرافضي، فقال: ما بقي من رؤوس جهنم أحد إلا وقد حضر، توفي سنة 235هـ، تاريخ بغداد وذيوله، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1 - 1417هـ / 4 / 136، وسير أعلام النبلاء 529/8، و تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام 473/16.

(2) سورة الملك، الآية (1).

(3) سورة السجدة، الآيتان (1-2).

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [7003] 4 / 1241.

(5) سورة طه، الآية (121).

وقوله ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ أي: اذكر نعمتي عليك في كفى إياهم عنك، حين جتتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم، فكذبوك واتهموك بأنك ساحر، وسعوا في قتلك وصلبك فنحيتك منهم، ورفعتك إليّ، وطهرتك من دنسهم، وكفيتك شرهم، وهذا يدل على أن هذا الامتنان من الله إليه، كان بعد أن رفعه إلى السماء الدنيا، أو يكون هذا واقعاً يوم القيامة، وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة، وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها رسوله محمداً - عليه الصلاة والسلام -.

وقوله ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ هذا أيضا من الامتنان عليه، بأن جعل له أصحاباً وأنصاراً والمراد به: وحي الإلهام، كما قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾⁽¹⁾.

وقوله ﴿قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ﴾ أي: يا الله أو يا رسول الله.

﴿يَأْتِنَا مُسْلِمُونَ﴾ أي: ألهموا ذلك وامثلوا بما ألهموا، قال السدي: قذف الله ذلك في قلوبهم⁽²⁾، ويحتمل أن يكون المعنى أوحيت إلى الحواريين بواسطتك فدعوتهم إلى الإيمان بالله ورسوله، فاستجابوا لك وانقادوا فقالوا آمنا وأشهدنا بأننا مسلمون.

(1) سورة القصص، الآية (7).

(2) ينظر: جامع البيان 9/116

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ أَتَقْوُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَعَايَةً مِنْكَ ۗ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٧﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ وَأَعَذِّبُ آلَهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ (1)

سميت هذه السورة مائدة؛ لأجل هذه القصة (2)، وهي: ما متن الله على عبده ورسوله عيسى - عليه السلام - فيما أجاب دعاءه، بنزولها فأنزلها آية، ودلالة ومعجزة ظاهرة وحجة قاطعة (3)، وذكر بعض الأئمة: أن قصة المائدة ليست مذكورة في الإنجيل، وما عرفها النصارى إلا من المسلمين (4)، والله أعلم.

قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ هم أتباع عيسى عليه السلام، ﴿يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هذه قراءة كثيرين، وقرأ آخرون هل تستطيع ربك بتاء الخطاب، ونصب باء ربك، هكذا قرأ: علي وعائشة وابن عباس ومجاهد (5)، أي: هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ وهي الخوان (6) عليه طعام، وذكر بعضهم: أنهم إنما سألوا ذلك إلا لحاجتهم وفقيرهم، فسألوا أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها، ويتقوون على العبادة، فأجابهم المسيح بقوله: ﴿أَتَقْوُونَ اللَّهَ﴾ ولا تسألوا هذا فعساه أن يكون فتنة

(1) سورة المائدة، الآيات (112-115).

(2) ينظر: التيسير في أحاديث التفسير لمحمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي - بيروت، لبنان، ط: 1 - 1405هـ / 2 / 103.

(3) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 518/1.

(4) ينظر: التفسير الحديث لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، 1383هـ / 9 / 261.

(5) ينظر: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية لمحمد حبش، دار الفكر - دمشق، ط: 1 - 1419هـ / 1 / 181.

(6) هو: الذي يخبز عليه وموضعه إلى جنب التنور. ينظر: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق، ط: 2 - 1996م / 1 / 238.

لكم، وتوكلوا على الله في طلب الرزق ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَضْمِينَ قُلُوبَنَا﴾ إذا شاهدنا نزولها، رزقا من السماء ﴿وَنَعْلَمُ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أي: ونزداد إيمانا بك، وعلمنا برسالتك، ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: ونشهد أنها آية من عند الله، ودلالة وحجة على نبوتك، وصدق ما جئت به، ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾ أي: نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدًا، نعظمه نحن ومن بعدنا، وقال سفيان الثوري: يعني يوما نصلي فيه ⁽¹⁾، وقال قتادة: أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم ⁽²⁾، وعن سلمان: عطية لنا ولمن بعدنا ⁽³⁾، وقيل: كافية لأولنا وآخرنا ﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾ أي: دليلا تنصبه على قدرتك على الأشياء، وعلى إجابتك دعوتي، فيصدقوني فيما أبلغه عنك ﴿وَأَرْزُقْنَا﴾ أي: من عندك رزقا هينا، بلا كلفة ولا تعب ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾ أي: فمن كذب بهامن أمتك يا عيسى وعاندها، ﴿فَيَأْتِي أَعْدَابُهُ عَذَابًا لَّا أَعْدَابُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي: من عالمي زمانكم، قال عبد الله بن عمرو: «إن أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائة وآل عمران وقصة نزول المائة» ⁽⁴⁾، عن ابن عباس «أنه كان يحدث عن عيسى بن مريم، أنه قال لبي إسرائيل: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوما، ثم تسألوه فيعطيك ما سألتم فإن أجر العامل على من عمل له؟ ففعلوا، فقالوا يا معلّم الخير: قلت لنا أن أجر العامل على من عمل له، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا، ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوما إلا أطعمنا حتى نفرغ طعاما، فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ قال عيسى: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ إلى قوله ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ قال: فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء، عليها سبعة أخوات، وسبعة أرغفة، حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس، كما أكل منها أولهم» كذا رواه

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [13000] 225/11.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [7037] 1249/4.

(3) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه 3/1940.

(4) ينظر: مساوي الأخلاق ومذمومها لأبي بكر محمد الخراطمي، مكتبة السوادي للتوزيع - جدة، ط: 1 - 1413هـ.

[296] 144/1.

ابن جرير⁽¹⁾، وعن عمار بن ياسر⁽²⁾ عن النبي ﷺ قال: «نزلت المائدة من السماء خبزاً ولحمً فأمرُوا أن لا يخونوا ولا يرفعوا ولا يدّخروا لغد، فخانوا وادّخروا ورفعوا فمُسَخُوا قردة وخنازير» رواه ابن أبي حاتم⁽³⁾ وابن جرير⁽⁴⁾.

وعن عمار أيضاً: نزلت المائدة وعليها ثمر من ثمار الجنة، وأمرُوا إلى آخره، وعن ابن عباس نزلت المائدة، خوان عليه خبز وسمك، يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاءوا⁽⁵⁾، وقال مجاهد: هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا⁽⁶⁾، وقال وهب بن منبه⁽⁷⁾: ينزل عليهم في كل في تلك المائدة من ثمار الجنة فأكلوا ما شاءوا من ضروب شتى، فكان يقعد عليها أربعة آلاف فإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك مثلهم، فلبثوا على ذلك ما شاء الله⁽⁸⁾، قال عكرمة: وخبز المائدة من الأرز⁽⁹⁾، وقال سلمن الخير⁽¹⁰⁾ في قصتها الطويلة: كانت سفرة عليها سمكة ضخمة مشوية، ليس عليها بواسير، وليس في جوفها شوك يسيل السمن منها سيلاً، قد نضد حولها بقول من كل صنف غير الكراث، وعند رأسها خل، وعند ذنبها ملح، وحول البقول خمسة أرغفة، على واحدة منها زيتون، وعلى الآخر تمرات، وعلى

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره [12995] 222/11.

(2) هو: عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين العنسي، أبو اليقظان، مولى بني مخزوم، من السابقين الأولين، والمعدّين في الله، صاحب رسول الله ﷺ، ذو المهجرتين، مختلف في هجرته إلى الحبشة، بدري، ابن المؤمن، أسلم أبوه ياسر، وأمه سمية، وكانت أول شهيدة في الإسلام، بعثه عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة أميراً سماه رسول الله ﷺ الطيب المطيب، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، روى عن النبي ﷺ وعن حذيفة بن اليمان، وروى عنه: علي وابن عباس وأبو موسى الأشعري وغيرهم، توفي سنة 37هـ، ينظر: الطبقات الكبرى 3/186، ومعرفة الصحابة لابن نعيم 4/2070، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال 21/215.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [7045] 125/4.

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره [13012] 229/11.

(5) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 2/516.

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره [13009] 228/11.

(7) سبق ترجمته.

(8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [7032] 1248/4.

(9) المصدر السابق [7028] 1246/4.

(10) المصدر السابق [7032] 1248/4.

الآخر خمس رمانات، وعلى الآخر سمن، وعلى الآخر قديد⁽¹⁾، والآية دالة على أن المائدة نزلت على بني إسرائيل أيام عيسى - عليه السلام -؛ إجابة من الله لدعوته، وعن مجاهد وغيره: أن المائدة لم تنزل بل هو مثل ضرب⁽²⁾، قال الحسن: لما قيل لهم ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ قالوا: لا حاجة لنا فيها، فلم تنزل⁽³⁾، وتقوى قولهما أن خبر المائدة لا يعرفه النصارى وليس هو في كتابهم، ولو كان قد نزلت لكان ذلك مما يتوفر الدواعي على نقله، وكان موجودا في كتابهم، ولكن الذي عليه الجمهور: أنها نزلت وهو اختيار ابن جرير، قال: لأنه تعالى أخبر بنزولها بقوله ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ووعد الله ووعيده حق وصدق، والله أعلم.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قُلْتُ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّقٍ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تَعَدَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾⁽⁴⁾

أي: وإذ يقول تعالى يوم القيامة، بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله، ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ كذا، وهذا تهديد للصارى، وتقريع على رؤوس الأشهاد، هكذا قال قتادة⁽⁵⁾، مستدلا بقوله تعالى ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾⁽⁶⁾ وقال السدي: هذا الخطاب

(1) المصدر السابق [7029] 4/1246.

(2) ينظر: تفسير القرآن 2/80.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره [13020] 11/231.

(4) سورة المائدة، الآيات (116-118).

(5) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره [766] 2/38.

(6) سورة المائدة، الآية (119).

والجواب في الدنيا⁽¹⁾ قال ابن جرير: وهذا هو الصواب⁽²⁾، وكان ذلك حين رفعه إلى السماء الدنيا، والأظهر ما قاله قتادة: من أن يكون ذلك يوم القيامة توبيخاً للنصارى، وتقريعا لهم، ويؤيد ذلك ما رواه ابن عساكر⁽³⁾ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة دُعِيَ الله بالأنبياء وأممهم، ثم يُدعى بعيسى، فيذكر الله بنعمته عليه، فيقررها كما سبق، ثم يقول: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيُنكر أن يكون قال ذلك، فيؤتى بالنصارى فيُسألون فيقولون: نعم. هو أمرنا بذلك، قال فيطول شعر عيسى حتى يأخذ كل ملك من الملائكة بشعرة من شعر رأسه وحده، فيجاثيهم بين يدي الله مقدار ألف عام، حتى يوقع عليهم الحجة، ويُرفع لهم الصليب، وينطلق بهم إلى النار»⁽⁴⁾ هذا حديث غريب.

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ هذا من كمال الأدب كما روي عن أبي هريرة قال: «يلقى عيسى حجته، لقيه الله في قوله ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَنَعَكَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ يُعِيسَى﴾ إلى آخره، قال: عن النبي ﷺ فلقيه الله ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾»⁽⁵⁾.

(1) ينظر: بحر العلوم 431/1.

(2) ينظر: جامع البيان 234/11.

(3) هو: علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، أبو القاسم، الشافعي، أحد من اشتهر ذكره، وشاع علمه، وعرف حفظه وإتقانه، صاحب تاريخ دمشق، محدث الشام، قال ابن شهبة: فخر الشافعية وإمام الحديث، رحل إلى بلاد كثيرة، وسمع الكثير من نحو ألف وثلاثمائة شيخ، معرضاً عن المناصب بعد عرضها عليه، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قليل الالتفات إلى الأمراء وأبناء الدنيا، جمع بين معرفة المتون والأسانيد، رحل وبالغ في الطلب إلى أن جمع ما لم يجمع غيره، وصنف التصانيف وخرج التخاريج، توفي سنة 239هـ، ينظر: تاريخ بغداد وذبوله للبغدادي 265/15، والتقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد لمحمد بن عبد الغني البغدادي، دار الكتب العلمية، ط: 1 - 1408هـ 405/1، وشذرات الذهب 286/4.

(4) ينظر: أمالي ابن بشران لأبي القاسم عبد الملك بن بشران، دار الوطن - الرياض، ط: 1 - 1418هـ [18] 31/1.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ب: ومن سورة المائدة [3062] 110/5، وقال: حديث حسن صحيح.

وقوله ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ﴾ أي: إن كان صدر مني هذا، ﴿فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ فإنه لا يخفى عليك شيء مما قلت، ولا أردته في نفسي، ولا أضمرته، ولهذا قال: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي﴾ أي: ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به، وأمرتني بإبلاغه ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي: هذا هو الذي قلت لهم، قال الزجاج⁽¹⁾: النفس: عبارة عن جملة الشيء وحقيقته، يقول: يعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك⁽²⁾، ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي: كنت أشهد على أعمالهم، حين كنت بين أظهرهم، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فلما قبضتني ورفعتني إلى السماء، كنت أنت الحفيظ عليهم بحفظ أعمالهم.

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورون حفاة عراة غرلا، كما بدأنا أول خلق نعيده، وعدا علينا إنا كنا فاعلين، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن ناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم، مذ فارقتهم، فأقول: كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾»⁽³⁾.

وقوله ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ﴾ هذا الكلام تضمن رد المشيئة إلى الله تعالى، فإنه الفعال لما يشاء، والتبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله، وجعلوا لله نداً وصاحبة وولداً- تعالى الله عن ذلك- وقد ورد في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام، قام بهذه الآية

(1) هو: إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، أبو إسحاق، الإمام، نحوي زمانه، مصنف كتاب معاني القرآن، وله تأليف جمّة، قال الخطيب: كان من أهل الدين والفضل، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، أخذ الأدب عن المبرد وشعبة -رحمهما الله-، وكان يخرط الزجاج، ثم تركه واشتغل بالأدب، فنسب إليه، واختص بصحبة الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب وعلم ولده القاسم الأدب، ولما استوزر القاسم أفاد بطريقه مالا جزيلا، توفي سنة 321هـ، ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط: 1- 1406هـ 1/194، ووفيات الأعيان 1/50.

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه 2/222.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قوله تعالى ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [3349] 4/139، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة [2860] 4/2194.

ليلة حتى الصباح يردّها، عن أبي ذر⁽¹⁾ قال: «صلى رسول الله ﷺ يقرأ بآية حتى أصبح، يركع بها، ويسجد بها ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فلما أصبح قلت يا رسول الله: ما زلت تقرأ بهذه الآية حتى أصبحت، تركع بها وتسجد بها؟! قال: إني سألت ربي - عز وجل - الشفاعة لأمتي، فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً» رواه أحمد⁽²⁾.

وعن عبد الله بن عمرو «أن رسول الله ﷺ تلا قول عيسى بن مريم ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فرفع يديه فقال: اللهم أمتي أمتي، وبكا. فقال الله يا جبريل: اذهب يا محمد، وربك أعلم فسله ما يبكيك؟ فاتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، فقال الله يا جبريل: اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك» رواه مسلم⁽³⁾.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾⁽⁴⁾

هذا جواب لعيسى بن مريم فيما أنهى إليه من التبري من النصارى، ومن ردّ المشيئة فيهم إلى ربه تعالى، فقال: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ قال ابن عباس: أي ينفع الموحدين توحيدهم⁽⁵⁾ ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: ما كثر فيها لا يتحولون ولا يزولون ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾⁽⁶⁾.

(1) سبق ترجمته.

(2) أخرجه أحمد في مسنده [21328] 257/35

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم [202] 191/1.

(4) سورة المائدة، الآيات (119-120).

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [7063] 1256/4.

(6) سورة التوبة، الآية (72).

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «ثم ينجلي لهم الرب، فيقول: سلوني سلوني أعطيكم، قال: فيسألونه الرضا، فيقول: رضائي أحلكم داري، وأنا لكم كرامتي، فسلوني أعطيكم، فسأله: الرضا، قال: فيشهدهم أنه قد رضي عنهم» رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾.

وقوله ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: هذا هو الفوز العظيم الكبير، الذي لا أعظم منه، كما قال: ﴿لِيُثَلِّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ﴾⁽²⁾.

وقوله ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو الخالق للأشياء، المالك لها، المتصرف فيها، القادر عليها، فالجميع ملكه، وتحت قهره وقدرته، وفي مشيئته فلا نظير له، ولا وزير، فلا رب سواه ولا إله غيره.

آخر الربع الأول من كتاب «البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير» ويتلوه الثاني إن شاء الله سورة الأنعام، والله الحمد أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً.

وصلى الله على خير خلقه محمد المصطفى، وعلى آله وصحبه الأكرمين، والحمد لله على إتمام هذا الربع في يوم الثلاثاء، أول أيام التشريق من ذي حجة تسع عشر و تسعمائة، على يمين كاتبه صاحبه محمد بن شيخ إبراهيم بن محمود الحافظ، أحسن الله عواقب داريه، وغفر له ولوالديه، عن أبي هريرة رضي الله عنه «قلنا يا رسول الله: مما خلق الله الخلق؟ قال: من الماء، قلنا: أخبرنا عن بناء الجنة، قال: لبنه من ذهب، ولبنه من فضة، وملاطها المسك الأوفر، ترابها الزعفران، حصاها اللؤلؤ واليواقيت، من يدخلها ينعم، ولا يبؤس، ويخلد ولا يموت، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»⁽³⁾

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [10307] 1869/6.

(2) سورة الصافات، الآية (61).

(3) أخرجه الترمذي في سننه، ك: صفة الجنة عن رسول الله ﷺ ب: ما جاء في صفة الجنة ونعيمها [2526] 253/4، قال الألباني: صحيح دون قوله "م خلق الخلق".

(1) وعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا وأدخلنا الجنة وأنجانا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه، والذي نفسي بيده ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، فينظرون إليه، والذي نفسي بيده، ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه»⁽²⁾.

وروي أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «إن الله تعالى يقول: أطعموا أوليائي، فيؤتى بألوان الأطعمة، فيجدون لكل لقمة غير ما يجدون للأخرى، فإذا فرغوا من الطعام يقول الله - عز وجل - : اسقوا عبادي، فيؤتى بأشربة فيجدون لكل شربة لذة، بخلاف الأخرى، فإذا فرغوا يقول لهم: أنا ربكم صدقتكم وعدي، فسلوني أعطيكم، قالوا: ربنا نسألك رضوانك مرتين، أو ثلاثاً، فيقول: قد رضيت عنكم ولديّ المزيد، واليوم أكرمكم بكرامة أعظم من ذلك كله، فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، كما شاء الله تعالى، فيخرون له سجداً، فكانوا في السجود، ما شاء الله تعالى، ثم يقول لهم: ارفعوا رءوسكم، ليس هذا موضع عبادة، فينسبون كل نعمة كانوا فيها، ويكون النظر إليه أحب إليهم من جميع النعم»، روى الأحاديث أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين⁽³⁾.

(1) هو: صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل الربيعي النمري، أبو يحيى، المعروف بالرومي، قيل له ذلك: لأن الروم سبوه صغيراً، أسلم قديماً، وهاجر فأدرك النبي ﷺ بقاء، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، روى عن النبي ﷺ وعن عمر وعلي رضي الله عنهما، وروى عنه: بنوه حبيب وضمرة وابن عمر وعبد الرحمن بن أبي ليلى وغيرهم، وإليه أوصى عمر أن يصلي بالناس، حتى يجتمع الناس على رجل، توفي سنة 38هـ، ينظر: أسد الغابة 2/25، والإصابة 3/364، وتهذيب التهذيب 4/438.

(2) أخرجه ابن ماجة في مقدمته، ب: فيما أنكرت الجهمية [192] 1/228.

(3) ينظر: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين للسمرقندي لأبي الليث نصر السمرقندي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط: 3 - 1421هـ [65] 1/78.

الخلاصة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم وبعد:-

بعدما أنعم الله عليّ مدارسة مخطوط مهم من مخطوطات العلم الشرعي، وبخاصة ما يتعلق منها بكتاب الله العزيز، حيث الشرف والعزة والحق والهداية، لمن أخلص نيته لله رب العالمين، وخلص نفسه من هواها .

لقد كانت رحلة الدراسة مليئة بالبحث والتصويب - ما أمكن - مع الإهمال والتقصير، فاستفدت من ذلك أيما استفادة، فأسأل الله أن يكون ذلك خالصا لوجهه الكريم، ويمكن أن نلخص النتائج على النحو التالي:-

- 1- الرسم القرآني الذي اختاره المؤلف وهو رسم حفص عن عاصم.
- 2- اعتمد المؤلف على أقوال ابن عباس المروية عن الصحابة - رضي الله عنهم-.
- 3- أكثر المؤلف في روايته للحديث على مسند الإمام أحمد والكتب الستة.
- 4- سار المؤلف على عقيدة السلف الصالح الكريم في كثير من مسأله.
- 5- من الألفاظ المطلقة التي أكثر منها المؤلف قوله: وآخرون - وغيرهم - وغير واحد.
- 6- استعمل المؤلف الأبيات الشعرية في بعض المواضع.
- 7- كان يزيد المؤلف بعضا من الأقوال والأمثال عن شيخه ابن كثير.
- 8- اعتمد المؤلف في تفسيره على النقل من كتب التفسير كتفسير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم.
- 9- تبع المؤلف منهج شيخه في الأحاديث، فغالبا ما كان يذكر الصحيح منها، وينبه عن الضعيف والموضوع.

10- يفتح مختصر الكازروني مجالا لدراسات أخرى، مثل دراسة الأمثال والأقوال التي تفرد بها.

11- ذكر المؤلف بعض الإسرائيليات مع التنبيه عليها، حاله حال شيخه ابن كثير.

12- ذكر المؤلف اسم الكتاب واضحا في نهاية سورة المائدة.

ولا شك أن أي عمل مهم يعتره بعض الصعوبات، من هذه الصعوبات التي واجهتني:-

1- قلة المادة العلمية التي تتعلق بحياة الكازروني والأشقر - رحمهما الله - .

2- عدم الوقوف على بعض الآيات الذي ذكرها .

3- سرده للأقوال دون أن يذكر قائلها أو مصدرها، فقد حاولت أن ألاحقها في مظانها، إلا أنه بعد جهد لم أتوصل إليها .

4- بعض الكلمات غير واضحة والتي لا يستقيم معها الكلام، ما أدى إلى مضاعفة الجهد بالرجوع إلى أهل الخبرة بأسلوب ومنهج المؤلف.

وفي الختام أحمد الله على التمام، وأسأله أن أكون موفقا فيما قمت به من دراسة وتحقيق، وأن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، فهو أحق بالإخلاص له، وهو بكل شيء عليم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأبيات
- فهرس الأعلام
- المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

ت	الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
-1	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	6	الفاتحة	297
-2	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ﴾	2	البقرة	30
-3	﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾	16	البقرة	258
-4	﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	24	البقرة	31
-5	﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾	27	البقرة	333
-6	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	30	البقرة	31
-7	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾	55	البقرة	306
-8	﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾	79	البقرة	229
-9	﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾	83	البقرة	32
-10	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾	84	البقرة	381
-11	﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾	98	البقرة	87
-12	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا نَنْظُرْنَا﴾	104	البقرة	224
-13	﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِي﴾	111	البقرة	229
-14	﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	131	البقرة	393
-15	﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ﴾	136	البقرة	31
-16	﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَّوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ﴾	158	البقرة	356
-17	﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	163	البقرة	33
-18	﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾	177	البقرة	316
-19	﴿فَلَيْسَتْ جِبُوبًا لِي﴾	186	البقرة	148
-20	﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾	196	البقرة	32
-21	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾	219	البقرة	215
-22	﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾	221	البقرة	350
-23	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾	245	البقرة	140
-24	﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مِمَّنْ يَشَاءُ﴾	247	البقرة	31

ت	الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
-25	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...﴾	275	البقرة	32
-26	﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾	7	آل عمران	155
-27	﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾	14	آل عمران	156
-28	﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾	28	آل عمران	302
-29	﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾	30	آل عمران	302
-30	﴿وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾	50	آل عمران	397
-31	﴿إِنِّي مُتَوَقِّعٌ وَّرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	55	آل عمران	155
-32	﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾	68	آل عمران	74
-33	﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾	93	آل عمران	315
-34	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	110	آل عمران	371
-35	﴿إِن يَمَسُّكُمُ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾	140	آل عمران	276
-36	﴿أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٍ عَمِلٍ مِّنْكُمْ﴾	159	آل عمران	155
-37	﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَآثِمٌ قَلْبُهُ﴾	283	آل عمران	296
-38	﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾	181	آل عمران	411
-39	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	200	آل عمران	154
-40	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾	1	النساء	154
-41	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾	5	النساء	354
-42	﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾	7	النساء	156
-43	﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا﴾	9	النساء	156
-44	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾	11	النساء	156
-45	﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسْلِفَاتٍ﴾	25	النساء	349
-46	﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾	33	النساء	328

ت	الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
-47	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾	43	النساء	431
-48	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾	58	النساء	328
-49	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ﴾	82	النساء	41
-50	﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾	88	النساء	154
-51	﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِثَّةٌ﴾	90	النساء	328
-52	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾	105	النساء	329
-53	﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾	109	النساء	330
-54	﴿أُولَٰئِكَ سَنُوْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	126	النساء	156
-55	﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾	155	النساء	127
-56	﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾	156	النساء	155
-57	﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾	157	النساء	155
-58	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَءَامِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾	170	النساء	329
-59	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	174	النساء	329
-60	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾	1	المائدة	328
-61	﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ﴾	6	المائدة	221
-62	﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾	18	المائدة	227
-63	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾	38	المائدة	329
-64	﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾	44	المائدة	329
-65	﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾	47	المائدة	329
-66	﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾	72	المائدة	226
-67	﴿لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾	77	المائدة	155
-68	﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنْكَرٍ فَعَلُوهُ...﴾	79	المائدة	101

ت	الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
-69	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾	90	المائدة	215
-70	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾	116	المائدة	314
-71	﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	118	المائدة	314
-72	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	120	المائدة	330
-73	﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾	23	الأنعام	214
-74	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾	60	الأنعام	68
-75	﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾	145	الأنعام	337
-76	﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾	146	الأنعام	315
-77	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾	151	الأنعام	37
-78	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾	164	الأنعام	280
-79	﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾	6	الأعراف	451
-80	﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾	28	الأعراف	279
-81	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾	53	الأعراف	40
-82	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾	97	الأعراف	413
-83	﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ﴾	138	الأعراف	306
-84	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾	143	الأعراف	318
-85	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾	157	الأعراف	398
-86	﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	159	الأعراف	413
-87	﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾	172	الأعراف	362
-88	﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾	9	الأنفال	109
-89	﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾	42	الأنفال	46
-90	﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾	75	الأنفال	202
-91	﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾	5	التوبة	334
-92	﴿فَسَوْفَ يُعْطِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾	28	التوبة	161

ت	الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
-93	﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾	28	التوبة	335
-94	﴿وَهُمْ صَغُرُونَ﴾	29	التوبة	72
-95	﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	29	التوبة	366
-96	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾	31	التوبة	81
-97	﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾	43	التوبة	382
-98	﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ﴾	62	التوبة	108
-99	﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾	72	التوبة	49
-100	﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾	104	التوبة	114
-101	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ﴾	16	هود	295
-102	﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّجِمَ﴾	43	هود	373
-103	﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾	63	يوسف	41
-104	﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾	100	يوسف	40
-105	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾	109	يوسف	420
-106	﴿فَأَنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾	40	الرعد	415
-107	﴿وَأَتَانَكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾	43	إبراهيم	411
-108	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	9	الحجر	399
-109	﴿إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾	106	النحل	56
-110	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾	23	الإسراء	37
-111	﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾	90	الإسراء	306
-112	﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ فَتُورًا﴾	100	الإسراء	231
-113	﴿فَتَصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾	40	الكهف	220
-114	﴿وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ﴾	21	مريم	70
-115	﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾	30	مريم	418
-116	﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾	36	مريم	418

ت	الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
-117	﴿وَلَا صَلَّيْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾	71	طه	123
-118	﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾	121	طه	453
-119	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	25	الأنبياء	400
-120	﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾	23	الحج	322
-121	﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾	30	الحج	406
-122	﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنِ ارْتَدْتُمْ حَضَنًا﴾	33	النور	270
-123	﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾	24	الفرقان	362
-124	﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٦﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾	120	الشعراء	373
-125	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾	7	القصص	420
-126	﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾	60	القصص	143
-127	﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾	86	القصص	280
-128	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	88	القصص	326
-129	﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِّنَّا﴾	67	العنكبوت	440
-130	﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾	30	الروم	285
-131	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	13	لقمان	227
-132	﴿الْمَ تَنْزِيلُ﴾	1	السجدة	453
-133	﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾	13	الأحزاب	414
-134	﴿الْمَ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾	60	يس	284
-135	﴿لِيُمثِلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾	61	الصفات	462
-136	﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾	36	الزمر	137
-137	﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنفُسَ...﴾	42	الزمر	68
-138	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾	67	الزمر	317
-139	﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ﴾	79	الزمر	213

ت	الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
-140	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾	42	فصلت	30
-141	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾	20	الشورى	117
-142	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	30	الشورى	246
-143	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾	52	الشورى	280
-144	﴿قَالَ يَلَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾	38	الزخرف	56
-145	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾	59	الزخرف	38
-146	﴿وَلَا بَيْنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾	63	الزخرف	66
-147	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾	13	الجاثية	322
-148	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾	16	الجاثية	371
-149	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا...﴾	16	الأحقاف	288
-150	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾	20	محمد	246
-151	﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾	38	محمد	404
-152	﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّى﴾	19	النجم	283
-153	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾	26	الرحمن	142
-154	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ..﴾	9-8	الحديد	93
-155	﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	15	الحديد	299
-156	﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾	26	الحديد	315
-157	﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾	27	الحديد	424
-158	﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾	6	المجادلة	299
-159	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	12	التغابن	94
-160	﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾	2	الطلاق	295
-161	﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾	26	نوح	373
-162	﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾	26	الجن	139

الصفحة	السورة	رقم الآية	الآية	ت
453	الملك	1	﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾	-163
357	الإنسان	21	﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾	-164
408	البروج	8	﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	-165
143	الأعلى	17	﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾	-166
322	الشمس	13	﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾	-167
287	الزلزلة	8	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾	-168

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الصفحة	طرف الحديث والآثر	ت
292	﴿وَإِنَّ أُمَّرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها...	-1
290	﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ إلى قوله ﴿وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ قالت: هو الرجل يكون عنده اليتيمة...	-2
96	أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟...	-3
292	أبغض الحلال إلى الله الطلاق.	-4
402	أبغض الناس إلى الله متبغي في الإسلام سنة الجاهلية...	-5
152	اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها...	-6
210	اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم...	-7
264	أتينا رسول الله ﷺ في صاحب لنا قد أوجب...	-8
300	أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر...	-9
167	اجتنبوا السبع الموبقات قيل: وما هن يا رسول الله؟...	-10
430	اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة، التي يزجر بها زجراً، فإنها من الميسر.	-11
324	أجورهم إدخالهم الجنة...	-12
337	أحل لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: الحوت والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطحال.	-13
439	أحلت لنا ميتتان ودمان...	-14
379	أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه، وسعة رحمته ومغفرته...	-15
161	اختر منهن أربعا.	-16
384	أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء، ألا نشرك بالله شيئا...	-17
182	أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله.	-18
102	أخّر رسول الله ﷺ ليلة صلاة العشاء...	-19
302	أخلص دينك يكفيك القليل من العمل.	-20
234	أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك.	-21
212	أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة...	-22
346	إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله، فإن أمسك عليك فأدرته حيا فاذبحه...	-23
353	إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء...	-24
162	إذا اشتكى أحدكم شيئا، فليسأل امرأته ثلاثة دراهم أو نحو ذلك...	-25

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
377	إذا توجّه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار...	-26
360	إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه...	-27
347	إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه...	-28
463	إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار...	-29
204	إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه...	-30
176	إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يُترب عليها.	-31
112	إذا سألت الجنة فاسألوه الفردوس...	-32
254	إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم: السام عليك...	-33
386	إذا سمعتم المؤذن فقولوا: مثل ما يقول وصلوا علي...	-34
204	إذا صلّت المرأة خمسة، وصامت شهرها...	-35
112	إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس...	-36
459	إذا كان يوم القيامة دُعي الله بالأنبياء وأممهم، ثم يُدعى بعيسى...	-37
113	إذا كان يوم القيامة نادى مناد...	-38
216	إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليصرف ولينم...	-39
407	إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضرار، حتى لا يسمع التآذين...	-40
137	إذا وقعت في الأمر العظيم...	-41
212	ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار.	-42
203	أردتُ امرأة فأراد الله غيره.	-43
134	أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش...	-44
357	أسبغوا الوضوء، وويل للأعقاب من النار.	-45
130	استعمل رسول الله ﷺ رجلا من الأزد...	-46
158	استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع...	-47
147	استيقظ رسول الله ﷺ من منامه فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده...	-48
186	أسلمت وعندي امرأتان أختان...	-49
161	أسلمتُ وعندي خمس نسوة فقال لي رسول الله ﷺ: أمسك أربعا...	-50
55	اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب...	-51
237	اسمعوا وأطيعوا، وإن أمر عليكم عبد حبشي.	-52
122	اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله وهو حينئذ يشير إلى ربايته...	-53

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
253	اشفعوا فلتؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء.	-54
373	أشيروا عليَّ أيها المسلمون وأراد به الأنصار...	-55
348	أصبت جراباً من شحم يوم خيبر فحضنته! فقلت: لا أعطي اليوم أحداً من هذا شيئاً...	-56
187	أصبنا نساء من بني سبى أوطاس...	-57
174	الإضرار في الوصية من الكبار.	-58
158	اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.	-59
119	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي...	-60
100	أعطيت سبعين ألفا يدخلون الجنة...	-61
99	أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء...	-62
129	أعظم الغلول عند الله ذراعٌ في الأرض...	-63
443	أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على الناس...	-64
160	اغفر لنا حُوبنا وخطايانا.	-65
33	اقرأوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لأصحابه...	-66
282	ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟...	-67
227	ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ الإشراف بالله...	-68
210	ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره...	-69
296	ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذي يأتي لشهادته قبل أن يسألها.	-70
151	ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟...	-71
379	إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها لأنه أول من سن القتل.	-72
405	ألا لا يمنعن أحدكم رهبة للناس، أن يقول بحق إذا رآه...	-73
326	ألحقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض، فلاولى رجل ذكر.	-74
202	ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر...	-75
100	أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة...	-76
83	أما من في السماوات فالملائكة، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام...	-77
446	أما والله لقد سألت عنها رسول الله ﷺ، قال: بل ائتمروا بالمعروف...	-78
228	أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثوا في وجوه المدّاحين التراب.	-79
117	أن أبا بكر ﷺ أقبل على فرس من مسكنه...	-80

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
119	إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً...	-81
136	إن أبا سفيان قد رجع، وقد قذف الله في قلبه الرعب...	-82
432	أن أبا طلحة سأل النبي ﷺ في حجرة ورثوا خيراً...	-83
150	إن أخا لكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه...	-84
228	إن أخوف ما أخاف عليكم، إعجاب المرء برأيه...	-85
33	إن اسم الله الأعظم...	-86
456	إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة...	-87
286	إن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدى هدى محمد...	-88
242	إن الأعلىين ينحدرون إلى من هو أسفل منهم...	-89
393	أن الآيات التي في المائة قوله ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ إلى قوله ﴿الْمُقْسِطِينَ﴾ نزلت في الدية في بني النضير وبني قريظة...	-90
243	إن الجنة ليرتأون أهل الغرف من فوقهم...	-91
179	إن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته، فيعضلها...	-92
174	إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة...	-93
184	إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة.	-94
342	إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم.	-95
272	إن الصلاة إذا صليت ركعتين في السفر، فهي تمام التقصير...	-96
213	أن العباس قال يا رسول الله: إن عمك أبا طالب كان يحوطك...	-97
211	إن الله إذا أنعم بنعمة على عبد أحب أن يظهر أثرها عليه.	-98
128	إن الله أمرني بمداواة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض...	-99
463	إن الله تعالى يقول: أطعموا أوليائي، فيؤتى بألوان الأطعمة...	-100
99	إن الله -تعالى- يقول: يا عيسى إني باعث بعدك أمة...	-101
338	إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقيل يا رسول الله: رأيت شحوم الميتة؟...	-102
440	إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض...	-103
372	إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً...	-104
379	إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً، فخذوا من خيرهم...	-105
443	إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرّم حرّمات فلا تنتهكوها...	-106

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
174	إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث.	-107
213	إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها...	-108
236	إن الله مع الحاكم ما لم يجر، فإذا جار وكله إلى نفسه.	-109
300	إن الله يأمر بالعبء إلى الجنة فيما يبدو للناس ويُعدّل به إلى النار.	-110
344	إن الله يحب أن تؤتى رخصته كما يكره أن تؤتى معصيته.	-111
95	إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً...	-112
178	إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.	-113
178	إن الله يقبل توبة عبده، أو يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب...	-114
226	إن الله يقول: يا عبدي، ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك...	-115
355	أن النبي ﷺ توضعاً فمسح بناصيته، وعلى العمامة وعلى الخفين.	-116
219	أن النبي ﷺ قبل بعض نسائه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ.	-117
154	أن النبي ﷺ لما خرج إلى أحد رجوع الناس ممن كان معه...	-118
342	أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة وجد إبراهيم وإسماعيل مصورين فيها...	-119
363	أن النبي ﷺ نزل منزلاً، وتفرّق الناس في العضاة...	-120
163	أن النساء السفهاء إلا التي أطاعت فيهما.	-121
391	إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ...	-122
354	إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء...	-123
389	أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ فجاء بها الذين سرقتهم...	-124
97	إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة...	-125
349	أن أهل خيبر هدوا لرسول الله ﷺ شاة مصلية...	-126
266	إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم من مسير، ولا قطعتم من واد...	-127
174	أن رافع بن خديج أوصى أن لا تُكشف الفزارية عما أُغلق عليه بأبها.	-128
145	أن رجلاً من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه...	-129
113	إن رجلاً أذنب ذنباً فقال: رب...	-130
358	أن رجلاً توضعاً فترك موضع ظفر على قدمه...	-131
254	أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليكم فرد عليه ثم جلس...	-132
347	أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إنا نأكل ولا نشبع...	-133
148	أن رجلاً قال يا رسول الله: رأيت إن قتلت في سبيل الله...	-134

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
160	أن رجلا كانت له يتيمة فنكحها...	-135
136	إن رجلا من أصحاب النبي ﷺ من بني عبد الأشهل...	-136
217	أن رجلا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد...	-137
116	أن رجلا من المهاجرين مرَّ على رجل من الأنصار...	-138
389	أن رسول الله ﷺ أتى بسارق قد سرق شملةً...	-139
391	أن رسول الله ﷺ أتى بيهوديٍّ ويهوديه قد زنيا...	-140
266	أن رسول الله ﷺ أَمَلَى عَلَيْهِ ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾...	-141
419	أن رسول الله ﷺ بعث مناديا ينادي في الناس...	-142
461	أن رسول الله ﷺ تلا قول عيسى بن مريم ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾...	-143
356	أن رسول الله ﷺ توضأ مرة مرة.	-144
358	أن رسول الله ﷺ توضأ ومسح على نعليه وقدميه.	-145
220	أن رسول الله ﷺ تيمم فمسح وجهه وذراعيه.	-146
256	أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد فرجع ناس من الذين خرجوا معه...	-147
352	أن رسول الله ﷺ خرج من الخلاء، فقدم إليه الطعام...	-148
77	أن رسول الله ﷺ ذكر رجلا من بني إسرائيل...	-149
358	أن رسول الله ﷺ رأى قوماً يتوضؤون، ولم يصب أعقابهم الماء...	-150
442	أن رسول الله ﷺ سأله أحفوه بالمسئلة...	-151
277	أن رسول الله ﷺ سمع جلبةً خصم بباب حجرته...	-152
228	أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يُثني على رجل...	-153
415	أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة، وهي إلى جنبه...	-154
193	أن رسول الله ﷺ سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن...	-155
337	أن رسول الله ﷺ سئل عن ماء البحر فقال: هو الطهور ماؤه، الحل ميتته.	-156
220	أن رسول الله ﷺ قال: في التيمم ضربة للوجه والكفين.	-157
43	أن رسول الله ﷺ قام ليلة بمكة...	-158
17	أن رسول الله ﷺ قبل بعض نسائه...	-159
395	أن رسول الله ﷺ قرأها ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالتَّفْسِ وَالْعَبْنَ﴾	-160

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
	بِالْعَيْنِ ﴿بِنَصَبِ النَّفْسِ وَرَفْعِ الْعَيْنِ.	
260	أن رسول الله ﷺ قضى أن دية الخطأ عشرون بنت مخاض...	-161
388	أن رسول الله ﷺ قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم.	-162
353	أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفا من ماء...	-163
351	أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء عند كل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر...	-164
42	أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه...	-165
356	أن رسول الله ﷺ لما طاف بالبيت خرج من باب الصفا...	-166
235	أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة ونزل بها واطمأن الناس...	-167
219	أن رسول الله رأى رجلاً معتزلاً لم يصل في القوم...	-168
206	إن شاء الحكمان أن تفرقا بينهما بطلقة أو طلقتين أو ثلاثاً فعلاً.	-169
246	إن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة...	-170
359	أن عثمان توضأ فغسل رجله اليمنى إلى الكعبين، واليسرى مثل ذلك.	-171
69	إن عيسى لم يميت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة.	-172
233	إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام...	-173
267	إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله...	-174
85	إن قوماً أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا...	-175
256	أن قوماً من العرب أتوا رسول الله ﷺ إلى المدينة فأسلموا...	-176
363	إن قوماً من اليهود صنعوا لرسول الله ﷺ ولأصحابه طعاماً ليقتلوه...	-177
347	إن قوماً يأتوننا حديث عهدهم بكفرهم...	-178
17	إن لأنفسكم حقاً...	-179
67	إن لكل نبي حوارياً وحواريّ الزبير.	-180
75	إن لكل نبي ولّة من النبيين...	-181
428	أن معاوية بن الحكم، ذكر أنه كان عليه رقبة...	-182
241	إن من أمتي رجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي.	-183
426	أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ في السر...	-184
267	أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثرون سواد المشركين...	-185
382	أن نفر من عكّل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام...	-186
277	أن نفراً من الأنصار غزوا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته...	-187

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
90	إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض...	-188
112	أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ إنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض...	-189
412	إن يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة سحّاء الليل والنهار...	-190
343	أن يهودياً قال: لعمر بن الخطاب، يا أمير المؤمنين: إنكم تقرؤون آية في كتابكم...	-191
311	أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة...	-192
55	إننا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم.	-193
313	الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى...	-194
245	انتدب الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا إيمان بي...	-195
99	أنتم مؤفون سبعين أمة أنتم خيرها...	-196
42	أنزل القرآن على سبعة أحرف...	-197
331	أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة، وهو راكب على راحلته...	-198
336	أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل يا رسول الله: هذا نصرته مظلوماً؟...	-199
107	انضحوا الخيل عنا ولا نؤتين من قبلكم...	-200
171	إنكم تقرؤون ﴿مَنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ﴾...	-201
149	إنما سموا الأبرار لأنهم برّوا الآباء والأبناء...	-202
269	إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...	-203
382	إنما سمّل النبي ﷺ أعين أولئك، لأنهم سمّلوا أعين الرعاة.	-204
41	إنما هلك من كان قبلكم بهذا...	-205
345	أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: «ما يجلب لنا من الميتة؟ قال: ما طعامكم؟...	-206
181	أنه تزوج امرأة بكرًا في خدرها...	-207
355	أنه توضع بالمقاعد، فقال: ألا أريكم وضوء رسول الله ﷺ؟ فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً.	-208
160	أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾...	-209
357	أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار.	-210
357	أنه صلى الظهر، ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة...	-211
90	أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث: ائذن لي أيها الأمير...	-212
263	أنه قد يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان.	-213
354	أنه قيل لعبد الله زيد بن عاصم: توضع لنا وضوء رسول الله ﷺ فدعا بماء...	-214
456	أنه كان يحدث عن عيسى بن مريم، أنه قال لبني إسرائيل...	-215

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
379	أنه لما قُتِلَ ابن آدم أخاه، بكاه آدم..	-216
221	أنه مر بالنبى ﷺ وهو يبول، فسلم عليه فلم يرد عليه...	-217
432	أنه نزل تحريم الخمر وهي من الخمسة...	-218
313	أنه يمكث سبع سنين.	-219
222	أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت...	-220
230	أنهم قالوا لكعب بن الأشرف: ألا ترى هذا الصُّنْبُور المنبتر...	-221
344	أنهم قالوا يا رسول الله: إنا بأرض تصيبنا بها خمصة...	-222
317	إني خاتم ألف نبي أو أكثر، وما بعث من نبي...	-223
217	إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب.	-224
331	إني لآخذة بزمام العَضْبَاء ناقة رسول الله ﷺ...	-225
185	إني لو لم أتزوج أم سلمة ما حلت لي.	-226
100	أهل الجنة عشرون ومائة صف...	-227
261	أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء.	-228
93	أي الخلق أعجب إليكم إيماناً؟...	-229
72	ايتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين...	-230
191	أيما عبد تزوج بغير إذن مواليه فهو عاهر.	-231
304	أيما مسلم ضاف قوماً فأصبح الضيف محروماً كان حقاً على كل مسلم نصرته...	-232
91	أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا...	-233
405	بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا...	-234
361	بايعناك على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا...	-235
147	بتُّ عند خالتي ميمونة، فيحدّث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة...	-236
444	البحيرة التي مُنِعَ دَرُّها للطواغيت، فلا يجلبها أحد من الناس...	-237
86	بخ ذلك مال رابع...	-238
450	برئ الناس منهما غيري، وغير عدي بن بداء...	-239
437	بعث رسول الله ﷺ بعثاً، قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح...	-240
264	بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود...	-241
236	بعث رسول الله ﷺ سرية...	-242
130	بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فلما سرتُ أُرْسِلَ في أثري...	-243

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
81	بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال...	-244
195	البيعان بالخيار، ما لم يتفرقا.	-245
268	بينما النبي ﷺ يصلي العشاء، إذ قال: سمع الله لمن حمده...	-246
243	التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء.	-247
357	تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفر سافرناه، فأدركناه...	-248
190	التراضي أن يوفيهها صداقتها، ثم يخيرها...	-249
47	تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة.	-250
92	تعجلوا إلى الحج -يعني الفريضة- فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له.	-251
169	تعلموا الفرائض وعلموه الناس، فإنه نصف العلم وهو يُنسى...	-252
396	تقتل النفس بالنفس، وتفقد العين بالعين، وتقطع الأنف بالأنف، وتنزع السن بالسن، ويُقتص الجراح بالجراح.	-253
300	تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان...	-254
182	ثوفي أبو قيس وكان من صالح الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأة أبيه...	-255
325	ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ كان عهد إلينا فيهن عهداً تنتهي إليه...	-256
79	ثلاثة لا يكلمهم الله...	-257
151	ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، فذكر منهم، ورجل من أهل الكتاب آمن بنيه فأمن بي.	-258
290	ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فيهن...	-259
462	ثم ينجلي لهم الرب...	-260
157	ثمان آيات نزلت في سورة النساء هي خير هذه الأمة...	-261
72	جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ.	-262
381	جاء حمزة بن عبد المطلب ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله:...	-263
230	جاء حبي بن أخطب وكعب بن الأسرف إلى أهل مكة...	-264
253	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله...	-265
226	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟...	-266
242	جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ وهو محزون...	-267
79	جاء رجل من حضر موت ورجل من كندة إلى رسول الله ﷺ...	-268
82	جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إني مرت بأخ...	-269
166	جاءت أم كعجة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله...	-270

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
203	جاءت امرأة إلى النبي ﷺ يستعديه على زوجها أنه لطمها...	-271
170	جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ...	-272
289	جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فخرج فإذا دنا منهم سمعهم يتذكرون...	-273
331	حججت فدخلت على عائشة، فقالت لي: يا جبير، تقرأ سورة المائدة؟...	-274
18	حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج	-275
431	حرمت الخمر ثلاث مرات...	-276
62	حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران...	-277
87	حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ...	-278
68	الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا.	-279
386	حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة...	-280
240	خاصم الزبير رجلا من الأنصار في شريح من الحرّة...	-281
163	الخدم، وهم شياطين الإنس.	-282
222	خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء...	-283
270	خرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، وكان يصلي ركعتين ركعتين...	-284
292	خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا تطلقني...	-285
197	خطبنا رسول الله ﷺ قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هن؟...	-286
196	خطبنا رسول الله ﷺ يوما فقال: ما من عبد...	-287
435	خمس فواسق يُقتلن في الحل والحرم...	-288
208	خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره.	-289
99	خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله...	-290
98	خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم...	-291
204	خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك...	-292
49	خير مال امرء مهرة مأمورة، أو سكة مأبورة.	-293
16	خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي	-294
180	خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله.	-295
320	دخل جماعة من اليهود على رسول الله ﷺ فقال لهم: إني -والله أعلم- أنكم لتعلمون أنني رسول الله...	-296
325	دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل...	-297

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
302	الدرك الأسفل بيوت لها أبواب، تطبق عليها فتوقد من تحتهم...	-298
177	الدنيا كلها قريب.	-299
47	الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة...	-300
226	الدّواوين عند الله ثلاثة، ديوان لا يعبأ الله به شيئاً...	-301
443	ذروني ما تركتم، فإنما أهلك من كان قبلكم...	-302
413	ذكر النبي ﷺ شيئاً فقال: وذاك عند ذهاب العلم...	-303
197	ذكر رسول الله ﷺ الكبائر - أو سئل عن الكبائر - فقال: الشرك بالله...	-304
271	ذلك عند القتال، يصلي الرجل الراكب يكبر بهن حيث كان وجهه...	-305
211	الذين هم أول من يسجر به النار وهم العالم والغازي والمنفق المراءون بأعمالهم.	-306
444	رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً...	-307
359	رأيت رسول الله ﷺ بال، ثم توضأ ومسح على خفيه.	-308
168	رأيت ليلة أسري بي قوماً لهم مشافر كمشافر الإبل...	-309
313	رأيت موسى وعيسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد...	-310
152	رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها.	-311
16	رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها...	-312
173	رَوَى الشعبي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه سئل عن الكلاله...	-313
145	سأل النبي ﷺ أهل الكتاب عن شيء فكنتموه إياه...	-314
438	سأل رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إنا نركب البحر...	-315
274	سأل قوم من بني النجار...	-316
287	سألت رسول الله ﷺ يعني: عن هذه الآية؟ فقال يا عائشة: هذه متابعة الله للعبد بما يصيبه من الحمى...	-317
270	سألت عمر بن الخطاب قلت: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾...	-318
39	ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة...	-319
377	ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي...	-320
359	سقطت قلادة لي بالبيداء، ونحن داخلون المدينة...	-321
201	سلوا الله من فضله، فإن الله يحب من أن يُسأل...	-322
250	سمع النبي ﷺ قوماً يتدارءون في القرآن فقال: إنما أهلك من كان قبلكم بهذا...	-323

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
237	السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره...	-324
214	سمعت الله يقول: يعني إخباراً من المشركين يوم القيامة...	-325
354	سمعت خليلي ﷺ يقول: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء.	-326
192	سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إذا زنت أمة أحدكم...	-327
213	سمعت رسول الله ﷺ يقول: الله يعطيه يعني عبده المؤمن...	-328
422	سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة...	-329
62	سمعت رسول الله ﷺ يقول: خير نساءها مريم بنت عمران...	-330
152	سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: عينان لا تمسهما النار...	-331
152	سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: كل ميت يُحْتَمُّ على عمله...	-332
281	سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فيُنمي خيراً...	-333
269	سمعت رسول الله ﷺ يقول: من خرج من بيته مهاجراً في سبيل الله...	-334
269	سمعت رسول الله ﷺ يقول: من فصل في سبيل الله فمات...	-335
129	سمعت رسول الله ﷺ يقول: من ولي لنا عملاً وليس له...	-336
408	سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير، أهي ما مسح الله؟...	-337
48	سئل رسول الله ﷺ عن قول الله ﴿وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾...	-338
345	سئل رسول الله ﷺ قيل: وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾.	-339
324	الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليه المعروف في الدنيا.	-340
197	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.	-341
202	شهدتُ حِلْفَ المطيبين وأنا غلام مع عمومي...	-342
208	الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة.	-343
217	الصعيد الطيب طهور المسلم، وإن لم يجد الماء عشر حجج...	-344
146	صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنبك.	-345
209	الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم...	-346
461	صلى رسول الله ﷺ يقرأ بآية حتى أصبح...	-347
271	صليت مع رسول الله ﷺ الظهر والعصر بمنى...	-348
270	صليت مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة...	-349
216	صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاماً...	-350

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
188	طلاق الأمة خمسة...	-351
360	الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان...	-352
229	الطيرة والعيافة والطرق من الجبت.	-353
169	عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ فِي بَنِي سَلْمَةَ مَا شِئِينَ...	-354
83	عجب ربك من قوم يعادون إلى الجنة في السلاسل.	-355
236	عدل يوم كعبادة أربعين سنة.	-356
164	عُرِضْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ...	-357
164	عُرِضْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ قَرِيظَةَ فَكَانَ مِنْ أَنْبَتِ قَتْلٍ...	-358
169	العلم ثلاثة آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة...	-359
347	عَلَّمَ رَبِّيهِ عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلْمَةَ فَقَالَ: سَمِ اللَّهُ، وَكُلَّ بِيَمِينِكَ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ...	-360
135	عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا...	-361
189	عن سَبْرَةَ بِنِ مَعْبِدِ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَفُتِحَتْ مَكَّةُ...	-362
192	عن علي بن أبي طالب ؑ أَنَّهُ خَطَبَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ...	-363
322	فأدخل علي ربي...	-364
38	فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه...	-365
438	فإذا على ساحل البحر مثل الكثيب الضخم...	-366
60	فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة.	-367
355	فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه...	-368
213	فأما المشرك فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا يخرج من النار أبدا.	-369
271	فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً...	-370
271	فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر والحضر...	-371
220	فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة...	-372
235	فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده...	-373
326	فلأن أكون سألت رسول الله ﷺ عنها، أحب إليّ من أن تكون لي حمر النعم.	-374
382	فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحرابوا الله ورسوله.	-375
312	فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين...	-376
226	قال الله - عز وجل - من علم أي ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له...	-377
285	قال الله - عز وجل -: إني خلقت عبادي حنفاء...	-378

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
421	قال رسول الله ﷺ لما وقعت بنوا إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم...	-379
132	قال عمر بن الخطاب: لما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر...	-380
207	قال لمعاذ: أتدري ما حق الله على العباد؟...	-381
196	قال لي النبي ﷺ: أتدري ما يوم الجمعة؟...	-382
214	قال لي رسول الله ﷺ اقرأ عليّ...	-383
148	قالت أم سلمة: يا رسول الله، لا نسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء؟...	-384
200	قالت أم سلمة: يا رسول الله، يغزو الرجال ولا يغزو؟...	-385
445	قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، وقال يا أيها الناس: إنكم تقرؤون...	-386
275	قام النبي ﷺ وقام الناس معه، فكبر وكبروا معه...	-387
92	قام رجل إلى النبي ﷺ فقال: من الحاجُّ يا رسول الله؟...	-388
460	قام فينا رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إنكم محشورون حفاة عراة غرلا...	-389
252	قد أمرني ربي بالقتال...	-390
121	قد كان النصر والظفر لرسول الله ﷺ أول النهار...	-391
424	قرأت على النبي ﷺ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ﴾ فأقرأني ذلك...	-392
60	قضى في غمارة بنت حمزة أن تكون في حضانه خالتها...	-393
414	قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟...	-394
340	قلت يا رسول الله إنا لاقو العدو غداً، وليس معنا مدي...	-395
227	قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟...	-396
88	قلت يا رسول الله! أي مسجد وضع أول؟...	-397
346	قلت يا رسول الله، إنا نرسل الكلاب المعلمة؟، قال: كل ما أمسكن عليك، قلت: وإن قتلن؟...	-398
339	قلت يا رسول الله: إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب...	-399
53	قلت يا رسول الله: أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟...	-400
303	قلنا يا رسول الله: إنك تبعثنا فننزل بقوم فلم يُقرونا...	-401
462	قلنا يا رسول الله: مما خلق الله الخلق؟ قال: من الماء...	-402
333	قلنا يا رسول الله: ننحر الناقة ونذبح البقرة أو الشاة وفي بطنها الجنين...	-403
441	قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه.	-404
48	القنطار اثنا عشر ألف أوقية...	-405

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
48	القنطار ملء مسك الثور ذهباً.	-406
252	قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض.	-407
352	كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى توضعاً...	-408
110	كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد...	-409
431	كان الرجل يقامر على الأهل والمال، ثم يبقى حزيناً مسلوب المال والأهل، مقتاتاً حرقاته.	-410
170	كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين...	-411
143	كان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين...	-412
351	كان النبي ﷺ يتوضأ لكل صلاة، فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه...	-413
415	كان النبي ﷺ يحرس، حتى نزلت هذه الآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾...	-414
182	كان أهل الجاهلية يجرمون ما حرم الله...	-415
227	كان أهل الكتاب يقدمون الصبيان في الدعاء والصلاة أمامهم...	-416
279	كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنباً أصبح...	-417
388	كان ثمن المجن على عهد النبي ﷺ عشرة دراهم.	-418
166	كان ذلك قبل أن تنزل الفرائض فأنزل الله بعد ذلك الفرائض...	-419
84	كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم...	-420
407	كان رجل من النصارى بالمدينة، إذا سمع المنادي أشهد أن محمداً رسول الله...	-421
42	كان رسول الله ﷺ إذا استيقظ من الليل...	-422
354	كان رسول الله ﷺ إذا توضأ أدار الماء على مرفقه.	-423
175	كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي أثر عليه...	-424
293	كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل...	-425
110	كان على الزبير يوم بدر عمامة صفراء...	-426
318	كان على موسى يوم كلمه جبة صوف، وكساء صوف...	-427
181	كان عمر ابن الخطاب نهى عن كثرة الإصداق، ثم رجع عن ذلك...	-428
453	كان عيسى إذا أراد أن يجي الموتى...	-429
184	كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يجرمن...	-430
267	كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام...	-431
442	كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء...	-432

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
237	كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء، وكلما هلك نبي خَلَفَهُ نبي...	-433
109	كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم سود...	-434
393	كانت قريظة والنضير، وكانت النضير أشرف من قريظة...	-435
179	كانوا إذا مات الرجل، كان أولياؤه أحق بامرأته...	-436
53	الكبر بطر الحق وغمط الناس.	-437
78	كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية...	-438
209	كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوتهم.	-439
251	كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع.	-440
86	كل إنفاق يتبغي به المسلم وجه الله حتى التمرة ينال بها هذا البر.	-441
202	كل حلف في الجاهلية...	-442
177	كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة عمداً كان أو خطأ.	-443
261	كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً...	-444
263	كل ذنب عسى الله أن يغفره.	-445
332	كل شيء في القرآن يا أيها الذين آمنوا، فهو في التوراة يا أيها المساكين.	-446
165	كل من مال يتيمك غير مُسرف ولا مبادر ولا متأثل مالا.	-447
285	كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...	-448
281	كلام ابن آدم كله عليه لا له، ما خلا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله.	-449
275	كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد...	-450
439	كنا مع رسول الله ﷺ في حج أو عمرة رجل جراد فجعلنا نضربهن...	-451
50	كنا نؤمر إذا صلينا من الليل...	-452
243	كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتيته بوضوئه...	-453
124	كنت فيمن يغشاهم النعاس يوم أُحُد حتى سقط سيفي من يدي مرارا...	-454
220	كنت قاعدا مع عبد الله وأبي موسى...	-455
311	كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم.	-456
319	لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن...	-457
255	لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى ضيقه.	-458
159	لا تبدلوا الحرام من أموال الناس بالحلال من أموالكم...	-459

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
115	لا تتمنوا لقاء العدو...	-460
191	لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج نفسها...	-461
314	لا تشددوا على أنفسكم، فيشدد الله عليكم...	-462
349	لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا مؤمن.	-463
112	لا تغضب فأعاد عليه مرارا...	-464
378	لا تُقتل نفساً ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها...	-465
312	لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق...	-466
200	لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق...	-467
353	لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله.	-468
442	لا يبلغني أحدٌ عن أحدٍ شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم...	-469
164	لا يُتَمَّ بعد احتلام، ولا صُمت يوم إلى الليل.	-470
200	لا يتمنى الرجل، يقول: ليت لو أن لي مال فلان وأهله...	-471
259	لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث...	-472
433	لا يدخل الجنة عاق، ولا متنان، ولا مدمن خمر.	-473
261	لا يزال المؤمن مُعَيَّنًا صالحاً ما لم يصب دماً حراماً...	-474
205	لا يُسأل الرجل فيما ضَرَبَ امرأته عليه.	-475
266	لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون إلى بدر.	-476
273	لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة.	-477
248	لا يصيب رجلاً خَدَشُ عود، ولا عثرة قدم...	-478
181	لا يَفْرَكُ مؤمن مؤمنة، إن سَخِطَ منها خُلِقَ رضي منها آخر.	-479
361	لا يقبل الله صدقة من غلول، ولا صلاة بغير طهور.	-480
396	لا يُقتل مسلم بكافر.	-481
388	لا يقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً.	-482
95	لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن الظن بالله.	-483
321	لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله.	-484
234	لتؤدّن الحقوق إلى أهلها، حتى يقتص للشاة الجماء...	-485
387	لعن الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده...	-486

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
432	لعنت الخمر على عشرة وجوه...	-487
312	لقيت موسى، قال: فنعته، فإذا رجل قال حسبته، رجل مضطرب...	-488
120	لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي ﷺ جيشا من الرماة...	-489
209	للمملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق.	-490
64	لم يكلم في المهد إلا ثلاثة...	-491
47	لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ إلا الخيل.	-492
268	لما أسر العباس وعقيل: قال رسول الله ﷺ للعباس ادف نفسك...	-493
142	لما توفي النبي ﷺ وجاءت التعزية...	-494
121	لما كان يوم أحد هُزم المشركون...	-495
292	لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان رسول الله ﷺ يقسم لها بيوم سودة.	-496
318	لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه يوم ناداه...	-497
150	لما مات النجاشي كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور.	-498
252	لما نزلت ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال النبي ﷺ لأصحابه: قد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا.	-499
265	لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيادا فكتبها...	-500
287	لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ شق ذلك على المسلمين فقال لهم رسول الله ﷺ: سدّدوا وقاربوا...	-501
443	لما نزلت آية الحج نادى النبي ﷺ فقال يا أيها الناس: إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا...	-502
73	لما نزلت هذه الآية ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليا...	-503
86	لن تنالوا شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاب أشحاء.	-504
203	لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة.	-505
360	اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.	-506
110	اللهم ألعن فلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده...	-507
215	اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا...	-508
123	اللهم ليس لهم أن يعلنوا.	-509
414	لو كان محمداً ﷺ كاتماً شيئاً من القرآن...	-510

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
204	لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة...	-511
241	لو نُهِيَ الناس عن فَتِّ بَعْرَةٍ لَفُتُّوْهَا.	-512
241	لو نُهَيْتُ رجالا أن يأتون الحَجُونَ لَأَتْوْها وما لهم بها حاجة.	-513
128	لواجتماعهما في مشورة ما خالفتكما...	-514
405	ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً، وهو لا يشعر.	-515
112	ليس الشديد بالصرعة لكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.	-516
48	ليس من فرس عربي إلا يؤذن له من كل فجر...	-517
311	لِيَهْلِنَ عيسى بن مريم بفتح الروحاء...	-518
114	ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة.	-519
	ما أمسك عليك فكل.	-520
104	ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة...	-521
46	ما تركت بعدي فتنة أضر...	-522
424	ما خلا يهودي بمسلم قط إلا هم بقتله...	-523
304	ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً.	-524
325	ما سألت رسول الله ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله...	-525
283	ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.	-526
441	ما قل وكفى خير مما كثر وأهمل.	-527
61	ما من أحد يلقى الله إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكرياء...	-528
379	ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة...	-529
397	ما من رجل يجرح في جسده جرحه، فيتصدق بها...	-530
139	ما من عبد لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له شجاعاً أقرع...	-531
410	ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل، هم أعز منهم وأمنع...	-532
360	ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يقوم فيصلي ركعتين...	-533
279	ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ فيصلي ركعتين...	-534
396	ما من مسلم يُصاب بشيء من جسده، فيتصدق به...	-535
59	ما من مولود إلا مسه الشيطان حين يولد...	-536

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
134	ما من نفس تموت، لها عند الله خيرٌ...	-537
249	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم...	-538
106	ما ينبغي لني إذا لبس لأتمته أن يرجع حتى يحكم الله له.	-539
208	ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورته.	-540
144	المشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور.	-541
301	مثل المنافق كمثل الشاة العائرة...	-542
301	مثل المؤمن والمنافق والكافر، مثل ثلاثة نفر انتهوا إلى واد...	-543
368	مرّ النبي ﷺ في نفر من أصحابه، وصبيّ في الطريق...	-544
183	مرّ بي عمي ومعه لواء قد عقده له النبي ﷺ...	-545
264	مرّ رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسرق غنماً...	-546
446	مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر، فإن رد عليكم فعليكم أنفسكم...	-547
303	المستبان ما قالوا، فعلى البادئ منهما ما لم يعتد المظلوم.	-548
395	المسلمون تتكافأ دماؤهم.	-549
81	معاذ الله أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غير الله...	-550
314	مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه...	-551
139	من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع...	-552
144	من ادعى دعوى كاذبة ليتكثّر بها...	-553
384	من أذنب في الدنيا ذنباً، فعوقب به، فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده...	-554
371	من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده...	-555
237	من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله...	-556
252	من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان...	-557
298	من انتسب إلى تسعة آباء كفّار يريد بهم عزاً وكبراً فهو عاشرهم في النار.	-558
140	من ترك بعده كنزاً مثل له شجاع أقرع...	-559
352	من توضأ عن طهر كتبت له عشر حسنات.	-560
268	من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله.	-561
91	من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة وخرج مغفوراً له.	-562
57	من رآفته بهم حذرهم نفسه.	-563
97	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه...	-564

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
176	من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به.	-565
66	من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي...	-566
101	من سرّه أن يكون من تكم الأمة فليؤد شرط الله فيها.	-567
300	من سمع سمع الله به، ومن يرائي يُرائي الله به.	-568
144	من سُئل عن علم علمه ثم كتبه أجم يوم القيامة بلجام من نار.	-569
433	من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها حُرّمها في الآخرة.	-570
432	من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً...	-571
322	من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله...	-572
90	من عاذ بالبيت أعاده البيت، وإذا خرج أخذ بذنبه.	-573
177	من عصى الله خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع من الذنب.	-574
57	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد.	-575
380	من قتل نبياً أو إمام عدل، فكأنما قتل الناس جميعاً...	-576
195	من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده...	-577
195	من قتل نفسه بشيء عُدّب به يوم القيامة.	-578
293	من كانت له امرأتان فمال إلى أحدهما...	-579
113	من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه...	-580
367	من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب...	-581
430	من لعب بالنردشير، فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير...	-582
344	من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة.	-583
337	من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم، فقد خرج من الإسلام.	-584
92	من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله...	-585
430	من ميسر أهل الجاهلية بيع اللحم بالشاة...	-586
249	من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه.	-587
336	المؤمن الذي يخاطب الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخاطبهم ولا يصبر على أذاهم...	-588
362	نحلي أبي غلاماً، فقالت أمي عمرة بنت رواحة...	-589
101	نحن الآخرون الأولون يوم القيامة...	-590

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
231	نحن الناس دون الناس.	-591
402	نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد.	-592
457	نزلت المائدة من السماء خبزاً ولحمٌ فأمرُوا أن لا يخونوا ولا يرفعوا ولا يدخروا لغد...	-593
426	نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي ﷺ قالوا: أنقطع مذاكيرنا...	-594
165	نزلت هذه الآية في وال اليتيم الذي يقوم عليه...	-595
134	نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرَةِ الْجَنَّةِ...	-596
189	نهى النبي ﷺ عن نكاح المتعة...	-597
251	هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا...	-598
260	هَلَّا شَقَقْتُ عَلَى قَلْبِهِ.	-599
209	هم إخوتكم خَوْلَكُمْ جعلهم الله تحت أيديكم...	-600
38	هم الخوارج.	-601
166	هي محكمةٌ وليست بمنسوخة.	-602
52	والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد...	-603
422	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر...	-604
97	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر...	-605
311	والذي نفسي بيده ليوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً...	-606
240	والذي نفسي بيده...	-607
208	والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل: من يا رسول الله؟...	-608
311	والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فيكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير...	-609
143	والله ما الدنيا في الآخرة...	-610
51	وإنا على ذلك من الشاهدين يا رب.	-611
222	وجعلت لنا الأرض مسجداً وطهوراً.	-612
162	وعن عائشة عن النبي ﷺ ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ قال: لا تجوروا...	-613
395	وعن علي بن أبي طالب ؓ أن الرجل لا يقتل بالمرأة...	-614
340	وقال علي: ؓ إن مصعت بذنبتها، أو ركضت برجلها، أو طرفت بعينها فكل.	-615
337	وقد سئل هو عن الطحال فقال: كلوه. فقالوا إنه دم. فقال: إنما حرم عليكم الدم المسفوح.	-616

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
236	وكان أبو هريرة إذا قرأ هذه الآية يضع إبهامه على أذنه...	-617
158	وكسرها طلاقها.	-618
59	ولدت الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم.	-619
237	ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا له وأطيعوا.	-620
202	وما يسرني أن لي حمراً النعم...	-621
319	ومن أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه.	-622
413	ومن حدثك أن محمداً قد كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب...	-623
262	ومن يحول بينك وبين التوبة.	-624
127	يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبي...	-625
165	يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي...	-626
91	يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج، فقام الأقرع بن حابس...	-627
185	يا رسول الله أنكح أختي بنت أبي سفيان...	-628
205	يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا؟...	-629
340	يا رسول الله، أما تكون الزكاة إلا في الحلق واللثة؟...	-630
287	يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾...	-631
242	يا رسول الله، والله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت...	-632
95	يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟...	-633
168	يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم ناراً...	-634
262	يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده...	-635
376	يجبس الناس في مقنع واحد، فينادي مناد: أين المتقون؟...	-636
187	يجرم من الإماء ما يجرم من الحرائر إلا العدد.	-637
184	يجرم من الرضاة ما يجرم من النسب.	-638
206	يحكمان في الجمع ولا يحكمان في التفريق.	-639
100	يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب...	-640
233	يعظم أهل النار في النار...	-641
85	يقال لرجل من أهل النار يوم القيامة...	-642
388	يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً.	-643

الصفحة	طرف الحديث والأثر	ت
112	يقول الله: يا ابن آدم اذكرني إذا غضبت...	-644
459	يلقى عيسى حجته، لقاء الله في قوله ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى﴾...	-645
50	ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا...	-646
313	ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له...	-647
386	يؤتى بالرجل من أهل النار فيقول الله: يا ابن آدم كيف وجدت مضجعك؟...	-648

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم	ت
206	إبراهيم بن زيد	-1
460	إبراهيم بن محمد الزجاج.	-2
206	إبراهيم بن يزيد.	-3
44	ابن أبي حاتم .	-4
81	ابن حاتم الطائي.	-5
10	ابن يوسف البرزالي .	-6
358	أبو الحارث الزبيدي.	-7
34	أبو الخطاب السدوسي.	-8
99	أبو الدرداء.	-9
234	أبو العالية الريحاني.	-10
198	أبو المعالي الجويني.	-11
127	أبو أمامة السهمي.	-12
168	أبو بزرة الأسلمي.	-13
228	أبو بكر الثقفي الطائفي.	-14
446	أبو ثعلبة الخشني.	-15
35	أبو جعفر الطبري.	-16
130	أبو حميد الساعدي.	-17
213	أبو داود الطيالسي.	-18
198	أبو سعد القاضي الهروي.	-19
303	أبو سعيد الحرّاني	-20
48	أبو سعيد الخدري.	-21
90	أبو شريح الخزاعي العدوي.	-22
124	أبو طلحة الأنصاري.	-23

الصفحة	العلم	ت
310	أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي.	-24
10	أبو عبد الله الذهبي.	-25
422	أبو عبد الله اليماني.	-26
108	أبو عمرو الهمداني.	-27
247	أبو مسهر بن أبي ذرامة.	-28
428	أحمد بن طاهر الإسفراييني.	-29
41	أحمد بن محمد بن حنبل.	-30
44	أحمد بن موسى بن مردويه.	-31
143	أسامة بن زيد.	-32
340	أسامة بن مالك.	-33
331	أسماء بنت يزيد.	-34
182	أشعث بن سوار.	-35
281	أم مكثوم بنت عقبة.	-36
48	أنس بن مالك.	-37
120	البراء بن عازب.	-38
100	بريدة بن الحصيب.	-39
181	بصرة بن جميل.	-40
318	جابر بن عبد الله بن حرام.	-41
331	جبير بن نفير.	-42
48	جندب بن جنادة.	-43
244	الحارث بن عوف.	-44
210	حارثة بن وهب الخزاعي.	-45
39	حرقوص بن زهير.	-46
57	الحسن البصري.	-47

الصفحة	العلم	ت
340	رافع بن خديج.	-48
34	الربيع بن أنس	-49
243	ربيعة بن كعب الأسلمي.	-50
51	الزبير بن العوام.	-51
247	زهير بن أبي سلمى.	-52
413	زياد بن لييد.	-53
256	زيد بن ثابت.	-54
189	سبرة بن معبد.	-55
38	السدي الكبير.	-56
202	سعيد بن المسيب.	-57
78	سعيد بن جبير.	-58
169	سفيان بن عيينة.	-59
196	سلمان الفارسي.	-60
43	سليمان بن الأشعث.	-61
234	سمرة بن جندب.	-62
49	سويدة بن هبيرة.	-63
321	شاذ بن يحيى.	-64
235	صفية بنت شيبة.	-65
463	صهيب بن سنان.	-66
96	الضحاك بن مزاحم.	-67
39	طاووس بن كيسان.	-68
251	الطرماح بن الحكيم.	-69
53	عامر بن عبد الله بن الجراح.	-70
175	عبادة بن الصامت.	-71

الصفحة	العلم	ت
190	عبد الرحمن بن زيد .	-72
135	عبد الرحمن بن زيد.	-73
42	عبد الرحمن بن صخر الدوسي.	-74
425	عبد الله بن الزبير.	-75
36	عبد الله بن العباس.	-76
351	عبد الله بن حنظلة.	-77
416	عبد الله بن ذكوان.	-78
293	عبد الله بن عبيد الله.	-79
402	عبد الله بن عتبة.	-80
269	عبد الله بن عتيك.	-81
178	عبد الله بن عمر بن الخطاب.	-82
132	عبد الله بن عمرو بن حرام .	-83
335	عبد الله بن عون	-84
46	عبد الله بن مسعود.	-85
348	عبد الله بن مغفل.	-86
116	عبد الله بن يسار.	-87
199	عبد الواحد الطبري.	-88
226	عبد بن حميد.	-89
86	عطاء بن أبي رباح.	-90
89	عطية بن سعد.	-91
303	عقبة بن عامر.	-92
63	عكرمة بن عبد الله.	-93
459	علي بن الحسن.	-94
457	عمار بن ياسر.	-95

الصفحة	العلم	ت
100	عمران بن حصين.	-96
93	عمرو بن شعيب.	-97
285	عياض بن حمار.	-98
345	الفجيع بن عبد الله.	-99
445	قيس بن أبي حازم.	-100
43	لبابة بنت الحارث.	-101
221	مالك بن التيهان.	-102
77	مالك بن دينار.	-103
125	متعب بن قشير.	-104
40	مجاهد بن جبر.	-105
97	محمد الباقر.	-106
58	محمد بن إسحاق بن خزيمة.	-107
38	محمد بن إسماعيل البخاري .	-108
453	محمد بن الهذيل.	-109
153	محمد بن كعب بن حبان.	-110
414	محمد بن مسلم.	-111
41	محمد بن يزيد بن ماجه.	-112
37	محمد بن يسار.	-113
129	المستورد بن شداد.	-114
205	معاوية بن حيدة.	-115
355	المغيرة بن شعبة.	-116
191	مقاتل بن حيان.	-117
228	المقداد بن عمرو بن ثعلبة.	-118
295	المقدام بن معد يكرب.	-119

الصفحة	العلم	ت
304	المقدام بن معد يكرب.	-120
312	نواس بن سمعان.	-121
264	واثلة بن الأسقع.	-122
79	وائل بن حجر.	-123
347	وحشي بن حرب.	-124
414	وهب بن عبد الله.	-125
68	وهب بن منبه.	-126
410	يحيى بن يعمر.	-127
217	يزيد بن أبي حبيب.	-128
270	يعلى بن أمية.	-129
10	يوسف ابن الزكي.	-130

فهرس الأبيات

الصفحة	طرف البيت	ت
385	إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا *	-1
251	أشهم كثير بوادي النوال *	-2
105	أودُّ كما مابلّ حلقي ريقتي *	-3
338	إياك والميتات لا تقربنّها *	-4
212	عن المرء لا تسأل *	-5
161	فما يدري الفقير متى غناه *	-6
44	كدأبك من أمّ الحوْيرث قبلها *	-7
424	لو عاينت رهبانا دير من القلل *	-8
259	من البيض لم تظعن بعيداً ولم تطأ *	-9
148	وداعٍ دعا: يا من يجب إلى الندى *	-10
338	وذا النصب المنسوب لا يأتيه *	-11
406	وكم من عائب معنى صحيحا *	-12
247	ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له *	-13
219	ولما رأت أن المنيّة وردها *	-14
248	ومنّ خاف أسباب المنيّة يلقها *	-15
90	وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة *	-16
266	يا راحلين إلى البيت العتيق لقد *	-17
374	يارب فافرق بينه وبينني *	-18

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

- 1- الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1416هـ - 1995م.
- 2- اتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي ﷺ، عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر، ت: حسين محمد علي شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط: 1.
- 3- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، ت: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان، ط: 3 - 1407هـ - 2006م.
- 4- الإبتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت: سعيد المنذوب، دار الفكر - لبنان، 1416هـ - 1996م .
- 5- إثبات صفة العلو، أبو محمد موفق الدين عبد الله الشهير بابن قدامة المقدسي، ت: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: 1 - 1409هـ - 1988م.
- 6- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سعيد الدين علي بن أبي علي بن محمد الأمدي، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان.
- 7- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة - بيروت.
- 8- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد عبد الله بن أحمد الأزرق، ت: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط: 1.
- 9- اختلاف الأئمة العلماء، يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، ت: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط: 1 - 1423هـ - 2002م.
- 10- الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود بن مودود الموصللي البلدحي الحنفي، علق عليها: الشيخ محمود أبو دقيقة، مطبعة الحلبي - القاهرة، 1356هـ - 1937م.
- 11- الأسامي والكنى للإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه صالح، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت: عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة دار الأقصى - الكويت، ط: 1 - 1406هـ - 1985م.

- 12- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري الشافعي، ت: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1- 1411هـ.
- 13- الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، ت: سالم محمد عطا و محمد علي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1- 1421هـ 2000م.
- 14- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، ط: 1 - 1412هـ 1992م.
- 15- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني الجزري ابن الأثير، ت: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: 1- 1415هـ 1994م .
- 16- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي، دار الكتاب الإسلامي.
- 17- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين السنيكي، دار الكتاب الإسلامي.
- 18- الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية- بيروت، 1403هـ.
- 19- الإشراف على مذاهب العلماء، أبو بكر محمد إبراهيم بن المنذر النيسابوري، ت: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة- الإمارات العربية المتحدة، ط: 1- 1425هـ 2004م.
- 20- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1- 1415هـ.
- 21- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ت: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1- 1415هـ.
- 22- الأصل المعروف بالمبسوط، أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، ت: أبو الوفا الأفغاني، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية- كراتشي.

- 23- إصلاح المنطق، ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، ت: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط: 1- 1423هـ - 2002م.
- 24- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 1415هـ - 1995م.
- 25- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 1415هـ - 1995م.
- 26- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط: 15- 2002م.
- 27- إكمال الأكمال، محمد بن نقطة الحنبلي البغدادي، ت: د. عبد القيوم عبد ريب النبي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط: 1- 1410هـ.
- 28- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، ت: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وأبو محمد أسامة بن إبراهيم الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط: 1- 1422هـ - 2001م.
- 29- الإكمال فب رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماکولا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1- 1411هـ - 1990م.
- 30- الأم، الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1- 1400هـ - 1980م.
- 31- أمالي ابن بشران، أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران بن محمد بن بشران البغدادي، ضبط نصه: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن - الرياض، ط: 1- 1418هـ - 1997م.
- 32- إنباء الرواة على أنباء النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط: 1- 1406هـ - 1982م.
- 33- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد، ت: عبد الرحمن بن يحيى العلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ط: 1- 1382هـ - 1962م.

- 34- أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس الشهير بالقرافي، عالم الكتب.
- 35- الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، ت: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة- الرياض، ط: 1- 1405هـ - 1985م.
- 36- الإيمان لابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي، ت: د. علي بن محمد الفقهي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: 2- 1406هـ.
- 37- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجم المصري، دار الكتاب الإسلامي، ط: 2.
- 38- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي.
- 39- بحر العلوم، أبو الليث نصر محمد بن أحمد السمرقندي.
- 40- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جمل، دار الفكر - بيروت، 1420هـ.
- 41- البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد.
- 42- بداية الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، ط: 2- 1406هـ - 1986م.
- 43- البداية والنهاية، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: عبد الله عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر - الجيزة، ط: 1 - 1417هـ - 1997م.
- 44- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي، دار الكتب العلمية، ط: 2- 1406هـ - 1986م.
- 45- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، ط: 2- 1406هـ - 1986م.
- 46- بستان الأحبار مختصر نيل الأوطار، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل النجدي، دار إشبيلية للنشر والتوزيع - الرياض، ط: 1 - 1419هـ - 1998م.

- 47- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو الطاهر الفيروز آبادي،
ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث
الإسلامي - القاهرة .
- 48- بغية الطالب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم، ت: د. سهيل
زكار، دار الفكر.
- 49- بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير، أبو
العباس أحمد بن محمد الخلوتي الشهير بالصاوي المالكي، دار المعارف.
- 50- البيان في مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني
اليميني الشافعي، ت: قاسم محمد النووي، دار المنهاج - جدة، ط: 1- 1421هـ - 2000م.
- 51- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن
أحمد بن رشد القرطبي، ت: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي - بيروت،
ط: 2- 1408هـ - 1988م.
- 52- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، ت:
مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- 53- التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدي
الغرناطي المالكي، دار الكتب العلمية، ط: 1- 1416هـ - 1994م.
- 54- تاريخ ابن يونس المصري، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس أبو سعيد، دار الكتب
العلمية- بيروت، ط: 1- 1412هـ
- 55- تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد عبد الله بن أحمد الأصبهاني، ت: سيد كسروي
حسن، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1- 1410هـ - 1990م.
- 56- تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عنان
الذهبي، دار الكتاب العربي، لبنان- بيروت، ط: 1- 1047هـ - 1987م.
- 57- تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد العجلي الكوفي، دار الباز، ط: 1- 1405هـ - 1984م.
- 58- تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر
الطبري، دار التراث- بيروت، ط: 2- 1387هـ.

- 59- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعين خان.
- 60- تاريخ بغداد، الحافظ محب الدين أبو عبد الله بن هبة الله، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1- 1417هـ - 1997م.
- 61- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م.
- 62- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، أبو البقاء محمد بن أحمد محمد ابن الضياء المكي الحنفي، ت: علاء إبراهيم وأيمن نصر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 2- 1424هـ - 2004م.
- 63- التبصرة في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي يوسف الشيرازي، ت: د. محمد حسن هيتو، دار الفكر - دمشق، ط: 1- 1403هـ.
- 64- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، عثمان بن علي بن محجن البارعي الحنفي، المطبعة الكبرى الأميرية- القاهرة، ط: 1- 1313هـ.
- 65- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: 1- 1419هـ - 1998م.
- 66- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1- 1419هـ - 1998م.
- 67- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد البغدادي المعروف با ابن شاهين، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1- 1424هـ - 2004م.
- 68- الترغيب والترهيب، إسماعيل بن محمد الفضل بن علي القرشي الأصبهاني، ت: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث- القاهرة، ط: 1- 1414هـ - 1993م.
- 69- التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب القرطبي، ت: د. أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض، ط: 1- 1406هـ - 1986م.

- 70- تفسير الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: 1- 1403 هـ- 1983 م.
- 71- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، 1383 هـ.
- 72- تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي ابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط: 3- 1419 م.
- 73- تفسير القرآن العظيم، للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة- مكتبة أولاد الشيخ للتراث.
- 74- تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط: 1- 1410 هـ.
- 75- تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، ت: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، ط: 1- 2003 م.
- 76- تفسير القرآن، أبو مظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن- الرياض، ط: 1- 1418 هـ- 1997 م.
- 77- تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، ت: د. مجدي سلوم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: 1- 1426 هـ- 2005 م.
- 78- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: 1- 1365 هـ- 1946 م.
- 79- التفسير المظهري، المظهري محمد ثناء الله، ت: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان، 1412 هـ.
- 80- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

- 81- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط: 2- 1418هـ.
- 82- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط: 1- 1393هـ - 1973م.
- 83- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد الطنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط: 1.
- 84- تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، ت: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1- 1419هـ.
- 85- تفسير مجاهد، أبو الحجاج بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، ت: د. محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة - مصر، ط: 1 - 1410هـ - 1989م.
- 86- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط: 1 - 1423هـ.
- 87- تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي بالولاء، ت: د. هند شليبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1 - 1425هـ - 2004م.
- 88- التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع الحنبلي البغدادي، ت: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط: 1- 1408هـ - 1988م.
- 89- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن ذوزي، وزارة الثقافة والإعلام - العراق، ط: 1- 1979م.
- 90- التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ت: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية - اليمن، ط: 1- 1432هـ - 2011م.
- 91- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن مهران العسكري، ت: د. عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق، ط: 2- 1996م.

- 92- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط: 1- 1997م.
- 93- التلقين في الفقه المالكي، أبو محمد بن محمد بن محمد الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب، دار الفكر، ط: 3- 1142هـ - 1992م.
- 94- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ت: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير - دمشق، ط: 3- 1421هـ - 2000م.
- 95- التنبيه في الفقه الشافعي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، عالم الكتب.
- 96- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 97- تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية - الهند، ط: 1- 1326هـ.
- 98- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج المزري، ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1- 1400هـ - 1980م.
- 99- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1- 2001م.
- 100- التوقيف على مهمات التعريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفيني الحدادي، عالم الكتب - القاهرة، ط: 1- 1410هـ - 1990م.
- 101- التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: 1- 1405هـ - 1985م.
- 102- التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، ت: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: 2- 1404هـ - 1984م.
- 103- الثقات لابن حيان، أبو حاتم بن حيان، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1- 1419هـ - 1998م.

- 104- ثلاثة مجالس من أمالي ابن مردويه، أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، ت: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار علوم الحديث- الإمارات العربية المتحدة، ط: 1 - 1410هـ 1990م.
- 105- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1-1420هـ 2000م.
- 106- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 7- 1422هـ 2001م.
- 107- الجامع الكبير، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، 1998م.
- 108- الجامع المستند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: 1 - 1422هـ .
- 109- الجامع المسند الصحيح المختصر، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر ناصر، دار طوق النجاة، ط: 1- 1422هـ.
- 110- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب العلمية- القاهرة ، ط: 2 - 1384هـ 1964م.
- 111- جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط: 1- 1987م.
- 112- جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، عبد الحميد بن علي فقيهي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- 113- الجوهرة النيرة، أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزبيدي الحنفي، المطبعة الخيرية، ط: 1 - 1322هـ.
- 114- الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني، نقحها وعلق عليها: د. محمد التونجي، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع - الرياض، ط: 1 - 1403هـ 1983م.

- 115- حاشية الدسوقي على الشيخ الكبير، محمد عرفة الدسوقي، ت: أحمد عليش، دار الفكر - بيروت.
- 116- حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي الصعيدي العدوي المالكي، ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1412هـ.
- 117- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي، ت: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1-1419هـ 1999م.
- 118- حجة القراءات، عبدالرحمن بن محمد ابن زنجلة، ت: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
- 119- الحجة على أهل المدينة، أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، ت: مهدي حسين الكيلاني، عالم الكتب - بيروت، ط: 3-1403م.
- 120- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: 4-1405هـ.
- 121- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراي، ت: عصام شقير، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط: الأخيرة-2004م.
- 122- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت.
- 123- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، ت: محمد عبد المعين ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر آباد - الهند، ط: 2-1392هـ 1972م.
- 124- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1-1405هـ.
- 125- ديوان ابن جرير، من دواوين العصر الأموي.
- 126- ديوان الأعشي، من دواوين العصر الجاهلي.
- 127- ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، ط: 2-1425هـ 2004م.

- 128- رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي بن محمد إبراهيم أبو بكر ابن منجويه، ت: عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، ط: 1-1407هـ.
- 129- الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي، ت: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي - مصر، ط: 1-1358هـ 1940م.
- 130- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1-1415هـ.
- 131- الروضة الندية، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن البخاري القنوجي، ت: علي بن حسن الحلبي، دار ابن القيم للنشر والتوزيع - الرياض، ط: 1-1423هـ.
- 132- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دارالكتاب العربي - بيروت، ط: 1-1422هـ.
- 133- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، ت: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1412هـ 1992م.
- 134- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.
- 135- سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام - عليه الصلاة والسلام -، صالح بن طه عبد الواحد، راجعه: فضيلة الشيخ سليم بن عبد الهلال وفضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة العزباء - الدار الأشربة، ط: 2-1428هـ.
- 136- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق - القاهرة، 1285هـ.
- 137- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق - القاهرة 1285هـ.
- 138- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القروين، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- 139- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

- 140- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط: 2 - 1395هـ - 1975م.
- 141- سنن الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار الدار قطني، ت: شعيب الأرنؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط: 1- 1424هـ - 2004م.
- 142- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 3 - 1424هـ - 2003م.
- 143- سنن النسائي الصغرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرساني النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، ط: 2- 1406هـ - 1986م.
- 144- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الحديث - القاهرة، ط: 1 - 1427هـ - 2006م.
- 145- سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني، ت: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط: 1 - 1398هـ - 1978م.
- 146- السيرة النبوية على ضوء الكتاب والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه، دار القلم - دمشق، ط: 8 - 1427هـ.
- 147- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل - بيروت 1411هـ.
- 148- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حيان التميمي، صححه وعلق عليه: الحافظ السيد عزيز بك، الكتب الثقافية - بيروت، ط: 3 - 1417هـ.
- 149- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، ت: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط: 1 - 1406هـ - 1986م.

- 150- الشرح الكبير على متن المقنع، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا .
- 151- شرح المقدمة الحضرمية المسمى بشرى الكريم بشرح مسائل التعليم، سعيد بن محمد باعلي الحضرمي الشافعي، دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة، ط: 1-1425هـ 2004م.
- 152- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1-1410هـ.
- 153- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، محمد بن أحمد بن علي تقي الدين أبو الطيب المكي الفاسي، دار الكتب العلمية، ط: 1-1421هـ 2000م.
- 154- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، ت: د. حسين بن عبد الله العمري وغيرهم، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ط: 1-1420هـ 1990م.
- 155- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حمادي الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين - بيروت، ط: 4-1407هـ 1987م.
- 156- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 2-1414هـ 1993م.
- 157- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أو الخير محمد بن عبد الرحيم السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .
- 158- طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1-1403هـ.
- 159- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب السبكي، ت: محمود محمد الطناجي، عبد الفتاح محمد الحلوة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 2-1413هـ.

- 160- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت: د. محمود محمد الطناجي و د. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 2-1413هـ.
- 161- طبقات الفقهاء الشافعية، عثمان بن عبد الرحمن تقي الدين المعروف بابن الصلاح، ت: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط: 1 - 1992م.
- 162- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، ت: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، 1408هـ.
- 163- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني، ت: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 2 - 1412هـ - 1992م.
- 164- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأذنه وي، ت: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ط: 1 - 1417هـ - 1997م.
- 165- طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 166- طلبة الطلبة، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي، المطبعة العامرة مكتبة المثني - بغداد، 1311هـ.
- 167- العجائب في بيان الأسباب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ت: عبد الحكيم محمد الأتيس، دار ابن الجوزي.
- 168- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم، أحمد شاكر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ط: 3 - 1426هـ - 2005م.
- 169- العنوان في القراءات السبع، أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ السرقسطي، ت: د. زهير زاهد، عالم الكتب - بيروت.
- 170- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ت: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 2 - 1423هـ - 2002م.

- 171- غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى ويعرف بتاج القراء، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.
- 172- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابورى، ت: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1-1416هـ.
- 173- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربى أبو إسحاق، ت: د. سليمان إبراهيم محمد العابد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط: 1 - 1405هـ.
- 174- غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابى، ت: عبد الكريم الغرباوى، دار الفكر، 1402هـ - 1982م.
- 175- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القنوجى، 1412هـ - 1992م.
- 176- فتح العزيز بشرح الوجيز، عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى، دار الفكر.
- 177- فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسى، المعروف بابن همام، دار الفكر.
- 178- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكانى اليمنى، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط: 1 - 1420هـ.
- 179- الفقه الإسلامى وأدلته، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر- دمشق، ط: 4.
- 180- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، ت: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربى، ط: 1- 1422هـ - 2002م.
- 181- الفقه المنهجى على مذهب الإمام الشافعى، د. مصطفى الخن وغيره، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، ط: 4- 1413هـ - 1992م.
- 182- الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيرى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 2- 1424هـ - 2003م.
- 183- الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المعروف بالخطيب البغدادى، ت: عادل بن يوسف العزازى، دار ابن الجوزى- السعودية، 1417هـ.

- 184- فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله، ت: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر- بيروت، ط: 2- 1398هـ.
- 185- الفواكه الدواني على رسائل ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم الأزهرى المالكي، دار الفكر، 1415هـ- 1995م.
- 186- القبس المنير الملخص من تفسير ابن كثير، محمد سليمان الأشقر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: 1- 1430هـ.
- 187- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، محمد حيش، دار الفكر - دمشق، ط: 1- 1419هـ- 1999م.
- 188- القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محمد محمد سالم محسن، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط: 1- 1404هـ- 1984م.
- 189- قطف الأزهار في كشف الأسرار، الإمام جلال الدين السيوطي، ت: د. أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، ط: 1- 1414هـ- 1994م.
- 190- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، 1414هـ- 1991م.
- 191- الكافي في فقه الإمام أحمد، أبو محمد نون الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الشهير بابن قدامة المقدسي، دار الكتب العلمية، ط: 1- 1414هـ- 1994م.
- 192- الكبائر، للإمام الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: سيد إبراهيم، دار الحديث - القاهرة، 1422هـ- 2001م.
- 193- كتاب السنة، أبكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، ت: محمد نصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: 1- 1400هـ.
- 194- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي البصري، ت: د. مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- 195- كتاب المصاحف، أبو بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ت: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة- مصر، ط: 1- 1423هـ- 2002م.

- 196- كتاب تفسير القرآن، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ت: سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة المنورة، ط: 1- 1423هـ - 2002م.
- 197- الكشاف عن حقائق التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: 3-1407هـ.
- 198- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب حلبي القسطنطيني، مكتبة المثنى - بغداد، ت: 1941م.
- 199- كشف المخدرات والرياض الزاهرات لشرح أخصر المختصرات، أحمد بن عبد الله الحلبي البعلبي، دار النبلاء.
- 200- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط: 1- 1422هـ - 2002م.
- 201- الكنز في القراءات العشر، أبو محمد عبد الله بن الوجيه، ت: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط: 1- 1425هـ - 2004م.
- 202- اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، دار صادر - بيروت.
- 203- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي النعماني، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1- 1419هـ - 1998م.
- 204- لسان العرب، ابن منظور، ت: عبد الله علي الكبير وغيره، دار المعارف - القاهرة.
- 205- المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن مفلح، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1- 1418هـ - 1997م.
- 206- المبسوط للسرخسي، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهيل السرخسي، ت: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط: 1- 1421هـ - 2000م.

- 207- متن الخرقى على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقى، دار الصحابة للتراث، 1413هـ - 1993م.
- 208- متن العشماوية في مذهب الإمام مالك، عبد الباري بن أحمد بن عبد الغني بن عتيق العشماوي الأزهرى المالكي، شركة الشمرلي للطبع والنشر والأدوات الكتابية - مصر.
- 209- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية - البحرين، 1419هـ.
- 210- المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط: 2- 1406هـ - 1986م.
- 211- مجمع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة، 1416هـ - 1995م.
- 212- المجموع شرح المهذب، أبو بكر محيي الدين بن شرف النووي، دار الفكر.
- 213- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1- 1418هـ.
- 214- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط: 1- 1420هـ.
- 215- المحامى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، دار الفكر - بيروت.
- 216- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ - 1999م.
- 217- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1- 1422هـ.

- 218- مختار الصحاح، الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الحديث - القاهرة.
- 219- مختصر اختلاف العلماء، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي، ت: عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط: 2- 1147هـ.
- 220- مختصر الإنصاف والشرح الكبير، محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، ت: عبد العزيز بن زيد الرومي وغيره، مطابع الرياض- الرياض، ط: 1.
- 221- مختصر المزني: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني، دار المعرفة- بيروت، 1410هـ- 1990م.
- 222- مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط: 7- 1402هـ- 1981م.
- 223- مختصرات تفسير القرآن العظيم للحافظ المفسر أبي الفداء ومناهج مختصرها، أحمد صالح، الأثرية للطباعة والنشر، ط: 1- 1436هـ.
- 224- المدونة الكبرى، مالك بن أنس، دار صادر- بيروت.
- 225- مساوئ الأخلاق ومذمومها، أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري، ت: مصطفى بن أو نصر الشليبي، مكتبة السوادى للتوزيع- جدة، ط: 1- 1413هـ- 1993م.
- 226- مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله، عبد الله بن أحمد بن حنبل، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، 1401هـ- 1981م.
- 227- المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادري عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1- 1411هـ- 1990م.
- 228- مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، ت: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن - الرياض، ط: 1- 1997م.
- 229- مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود الطيالسي البصري، ت: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، ط: 1- 1419هـ- 1999م.

- 230- مسند إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي، ت: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان- المدينة المنورة، ط: 1 - 1412هـ - 1991م.
- 231- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن أحمد الهلالي بن أسد الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: 1 - 1421هـ - 2201م.
- 232- مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ت: محفوظ الرحمن زين الله وغيره، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: 1- بدأت 1988م وانتهت 2009م.
- 233- مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت: حسين سليم، دار المغني للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، ط: 1- 1412هـ - 2000م.
- 234- مسند الشاميين، سليمان بن أحمد أيوب أبو القاسم الطبراني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1- 1405هـ - 1986م.
- 235- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل - بيروت، 1334هـ.
- 236- مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأقواله على أبواب العلم، إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي الدمشقي، ت: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء - المنصورة، ط: 1- 1411هـ - 1991م.
- 237- المسند، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1400هـ.
- 238- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المكتبة العلمية - بيروت.
- 239- مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: 2 - 1403هـ.

- 240- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي،
ت:كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط: 1 - 1409هـ.
- 241- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي
شهرة الرحيباني الحنبلي، المكتب الإسلامي، ط: 2 - 1415هـ 1994م.
- 242- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي
الشافعي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 1 -
1420هـ.
- 243- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، ت: عبد
الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط: 1 - 1408هـ 1988م.
- 244- معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع البغدادي، ت: صلاح بن سالم،
مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، ط: 1 - 1418هـ.
- 245- معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان البغوي،
ت: محمد الأمين الجكني، مكتبة دار البيان - الكويت، ط: 1 - 1421هـ 2000م.
- 246- معجم الفروق اللغوية، أبو الهلال الحسين بن عبد الله بن مهران العسكري، ت:
الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط: 1 - 1412هـ.
- 247- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، ت: حمدي
بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: 2.
- 248- معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة، مكتبة المثني، دار إحياء التراث العربي -
بيروت.
- 249- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وغيره، ت: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- 250- معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، محمد محمد محمد سالم محسن، دار الجيل -
بيروت، ط: 1 - 1412هـ 1992م.
- 251- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبيد الله بن عبد العزيز
بن محمد البكري الأندلسي، عالم الكتب - بيروت، ط: 3 - 1403هـ .
- 252- المعرب في تعريف المعرب، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم بن علي أبو الفتح
المطرزي، دار الكتاب العربي.

- 253- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، ت: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر- الرياض، ط: 1- 1419هـ- 1998م.
- 254- المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي أبو يوسف، ت: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: 2- 1401هـ- 1981م.
- 255- المغني شرح مختصر الخرقى، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار إحياء التراث العربي، ط: 1- 1405هـ- 1985م.
- 256- المقصد العلي في زوائد ابن يعلى الموصلي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- 257- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي، ت: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث- القاهرة، 2008م.
- 258- المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد بن حميد الكسي المعروف بالكشي، ت: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم، مكتبة دار ابن عباس- جمهورية مصر العربية، ط: 1- 1430هـ- 2009م.
- 259- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر.
- 260- المنهاج شرح صحيح مسلم لبني الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 2- 1392هـ.
- 261- مواهب الجليل في شرح مختصر الخليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب، دار الفكر، ط: 3- 1142هـ- 1992م.
- 262- المؤلف والمختلف، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدار قطني، ت: مرفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط: 1- 1410هـ- 1986م.
- 263- الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، حسين بن عودة العوايشة، المكتبة الإسلامية، عمان - الأردن، ط: 1- 1423هـ.
- 264- الموطأ، مالك بن أنس، ت: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زيد بن سلطان آل نهيان، ط: 1- 1425هـ- 2004م.

- 265- ميزان الاعتدال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت، ط:1-1382هـ-1963م.
- 266- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، أبو عبد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي، البغدادي، ت: محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد- الرياض، ط: 2- 1418هـ-1997م.
- 267- التنف في الفتوى، أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السغدني حنفي، ت: المحامي الدكتور صلاح الدين الناهي، دار الفرقان- مؤسسة الرسالة، الأردن- عمان، ط:2- 1404هـ-1984م.
- 268- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري الأنباري، ت: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار- الأردن، ط: 3- 1405هـ-1985م.
- 269- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، ت: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.
- 270- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعد الأندلسي، ت: د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى- عمان.
- 271- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن البقاعي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 2- 1424هـ-2002م.
- 272- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي، ت: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 273- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 274- نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني الملقب بإمام الحرمين، ت: د. عبد العظيم محمود الديب، دار المنهاج، ط:1-1428-2007م.

- 275- النهاية في غريب الحديث والأثر، محمد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ت: الطاهر أحمد الفواوي، ومحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.
- 276- النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، ت: د. عبد الفتاح محمد الحلو وغيره، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: 1- 1999م.
- 277- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القرطبي المالكي، ت: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط: 1- 1429هـ - 2008م.
- 278- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن الكلاباذي، ت: عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، ط: 1- 1407هـ.
- 279- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
- 280- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، ت: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت 1420هـ - 2000م.
- 281- الوجيز الميسر في أصول الفقه المالكي، محمد عبد الغني الباجقني، ط: 1- 1968م.
- 282- الوسيط في القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي، ت: الشيخ عادل وغيره، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1- 1415هـ - 1994م.
- 283- وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني الشافعي السمهوري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1- 1419هـ.
- 284- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد البرمكي الإبلي، ت: إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	ت
أ	الآية القرآنية.	-1
ب	الإهداء.	-2
1	المقدمة.	-3
2	أهمية الموضوع.	-4
3	أسباب اختيار الموضوع.	-5
3	أهداف البحث.	-6
4	الدراسات السابقة.	-7
5	منهج البحث	-8
5	هكلية البحث.	-9
9	المبحث الأول: التعريف بمؤلفي المختصرين.	-10
9	أولاً: التعريف بمؤلف (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير).	-11
9	اسمه.	-12
9	نسبه.	-13
9	مولده.	-14
10	شيوخه.	-15
10	مصنفاته.	-16
11	وفاته.	-17
11	ثانياً: التعريف بمؤلف (القبس المنير مختصر من تفسير ابن كثير).	-18
11	اسمه.	-19
11	مولده.	-20
11	شيوخه.	-21
11	مصنفاته.	-22
12	وفاته.	-23

الصفحة	الموضوع	ت
13	المبحث الثاني: موقفهما من الأسانيد.	-24
13	أولاً: موقف الكازروني من الأسانيد.	-25
14	ثانياً: موقف الأشقر من الأسانيد.	-26
15	المبحث الثالث: موقفهما من الأحاديث.	-27
15	أولاً: موقف الكازروني من الأحاديث.	-28
16	ثانياً: موقف الأشقر من الأحاديث.	-29
18	المبحث الرابع: موقفهما من الإسرائيليات.	-30
18	أولاً: موقف الكازروني من الإسرائيليات.	-31
19	الفصل الثاني: جانب التحقيق.	32
29-20	ورقات من المخطوط.	33
30	سورة آل عمران وعلاقتها بما قبلها.	34
	النصوص القرآنية.	
34	﴿ أَلَمْ يَكُنْ لِلَّهِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾	-35
35	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾	-36
36	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾	-37
43	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴾	-38
45	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾	-39
46	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾	-40
50	﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾	-41
51	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾	-42
53	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾	-43
54	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾	-44
54	﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ ﴾	-45
55	﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	-46

الصفحة	الموضوع	ت
56	﴿قُلْ إِنْ تَخْضَعُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾	-47
57	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾	-48
58	﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	-49
58	﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾	-50
59	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾	-51
60	﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾	-52
62	﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾	-53
64	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾	-54
65	﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾	-55
66	﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾	-56
68	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾	-57
70	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾	-58
73	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	-59
74	﴿يَأْتِ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾	-60
75	﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾	-61
77	﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ﴾	-62
78	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾	-63
80	﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾	-64
80	﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾	-65
82	﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾	-66
83	﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾	-67
84	﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾	-68
85	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾	-69

الصفحة	الموضوع	ت
86	﴿أَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾	-70
87	﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾	-71
88	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾	-72
93	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾	-73
93	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾	-74
94	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾	-75
96	﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	-76
98	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	-77
102	﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾	-78
104	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾	-79
106	﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ﴾	-80
108	﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمدِّكُمْ رَبُّكُمْ﴾	-81
111	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾	-82
114	﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	-83
116	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾	-84
119	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	-85
124	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾	-86
126	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾	-87
127	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾	-88
131	﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا﴾	-89
133	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾	-90
138	﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾	-91
140	﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾	-92

الصفحة	الموضوع	ت
142	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	-93
144	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾	-94
145	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾	-95
148	﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ﴾	-96
149	﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾	-97
150	﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾	-98
154	سورة النساء وعلاقتها بما قبلها.	-99
	النصوص القرآنية.	
158	﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	-100
159	﴿وَعَاثُوا آلِيكُمْ آمُولَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْبَةَ بِالْظُلْمِ﴾	-101
163	﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾	-102
166	﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾	-103
169	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾	-104
172	﴿وَأَكْمُرْ نِصْفَ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾	-105
174	﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾	-106
175	﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾	-107
177	﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾	-108
179	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾	-109
183	﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ﴾	-110
190	﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾	-111
193	﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	-112
194	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾	-113
200	﴿وَلَا تَتَمَتَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	-114

الصفحة	الموضوع	ت
201	﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾	-115
203	﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	-116
206	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾	-117
207	﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾	-118
210	﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾	-119
212	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	-120
215	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾	-121
223	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾	-122
225	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾	-123
227	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾	-124
231	﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾	-125
232	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا﴾	-126
234	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾	-127
236	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾	-128
238	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ﴾	-129
239	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	-130
241	﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِكُمْ﴾	-131
244	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾	-132
245	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	-133
246	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾	-134
249	﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾	-135
250	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾	-136
252	﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾	-137

الصفحة	الموضوع	ت
256	﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾	-138
259	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾	-139
264	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾	-140
265	﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾	-141
267	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾	-142
270	﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾	-143
273	﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾	-144
276	﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا﴾	-145
277	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾	-146
279	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾	-147
281	﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾	-148
283	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾	-149
286	﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	-150
290	﴿وَكَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾	-151
291	﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾	-152
294	﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	-153
295	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾	-154
296	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	-155
297	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا﴾	-156
298	﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾	-157
299	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾	-158
301	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾	-159
303	﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾	-160

الصفحة	الموضوع	ت
304	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾	-161
306	﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾	-162
307	﴿فِيمَا نَقُضِبِهِمْ مَّيْتَلَقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾	-163
314	﴿فَيُظْلَمِ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ﴾	-164
316	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالْتَّبِيعِينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾	-165
319	﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾	-166
320	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾	-167
323	﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾	-168
324	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	-169
325	﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾	-170
328	سورة المائدة وعلاقتها بما قبلها.	-171
	النصوص القرآنية.	
332	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾	-172
337	﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّةُ﴾	-173
345	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾	-174
348	﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾	-175
351	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾	-176
361	﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	-178
364	﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	-179
367	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾	-180
368	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾	-181
369	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾	-182
370	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾	-183

الصفحة	الموضوع	ت
375	﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىٰ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾	-184
380	﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	-185
385	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾	-186
387	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾	-187
390	﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾	-188
394	﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾	-189
397	﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾	-190
398	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	-191
402	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾	-192
404	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾	-193
406	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ﴾	-194
408	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنِّي﴾	-195
411	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾	-196
413	﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾	-197
416	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾	-198
417	﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾	-199
418	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾	-200
420	﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾	-201
421	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	-202
423	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾	-203
426	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾	-204
427	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾	-205
430	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾	-206

الصفحة	الموضوع	ت
434	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾	-207
440	﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْمَكِّيَّةَ الْحَرَامَ﴾	-208
441	﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾	-209
444	﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ﴾	-210
445	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾	-211
447	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ﴾	-212
451	﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾	-213
452	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾	-214
455	﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾	-215
458	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾	-216
461	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾	-217
464	الخاتمة.	-218
467	فهرس الآيات.	-219
475	فهرس الأحاديث النبوية والآثار.	-220
500	فهرس الأعلام.	-221
506	فهرس الأبيات.	-222
507	فهرس المصادر والمراجع.	-223
532	فهرس الموضوعات.	-224